

ديوان السلیمانیاة

(الجزء الرابع)



نحو شعر عربي أصيل ومادفة وبناء وجاد ومعتزم

هواءٌ ملءٌ جوفك يا أخية فلوذني بالسراب ، وأنت حية!
ألا تبكين عمراً قد تولى؟ أغرَّتْكِ الحياءُ الجاهلية؟
عجبٌ منك هذا ، صدقيني! وأعجبٌ منه خبيتك الغوية!
جمالٌ في حضيض اللهو يرسو! لقد أكلت أنوثتك البهية!

الطبعة الأولى

1 القوقعة الدامية

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديوان السّليمانيّات
(الجزء الرابع)

القوقعة الدامية

شِعْرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجع الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدوريات والجرائد

ومراجعة ومصححة ومحققة ومنقحة ومزينة



ديوان السليمانيات

(الجزء الرابع)

القوقعة الدامية

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

إهداء

أحمد الله تعالى على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار ، وأصلي وأسلم على محمد بن عبد الله خير بني آدم أجمعين ، وبعد ، أهدي ديوان: (القوقعة الدامية) لكل شاعر صادق مخلص ، يؤمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد – صلى الله عليه وسلم – نبياً ورسولاً. وأهديه بعد ذلك لأسرتي الحبيبة ، والتي هي أعز ما أملك بعد التوحيد: الأشبال الثلاثة / عبد الله ، وعبد الرحمن ، وحبيب القلوب عمر الفاروق ، وأمهم! وأهديه لأبي وأمي الذين علماني وربباني ، وأهديه بعد لكل محب للطبيعة هذه المخلوقة ، والتي يقوده حبه إياها إلى محبة الله الخالق القدير الذي خلقها ، فإذا أحب الله تبارك وتعالى عبده بعد ذلك بالحب والخوف والرجاء معاً. وذلك حتى تحبه الخلائق ويكتب له القبول في الأرض! والحقيقة أن التهادي بين الأهل (أي تبادل الهدايا بينهم) أمر محبوب مرغّب فيه شرعاً وعادةً و عرفاً ، قال الله تعالى: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ}. وإذن فكان هدف بلقيس ملكة سبأ من هديتها لسليمان النبي اختباره فقط! وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها». رواه البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أهديت إليّ ذراعاً لقبلي ، ولو دُعيتُ إلى كراعٍ لأجبتُ». رواه البخاري ، والمقصود بذراع الشاة ، والكراع ما دون الركبة إلى الساق من نحو شاةٍ أو بقرة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تهادوا تحابوا». رواه البخاري في الأدب المفرد ، والبيهقي في السنن ، وهو حديث حسن كما قال الألباني في إرواء الغليل44/6. وكان أناس كثيرون يضعفون هذا الحديث بلا دليل! قال الحافظ ابن عبد البر: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ، وندب أمته إليها ، وفيه الأسوة الحسنة به صلى الله عليه وسلم. ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تورث المودة وتذهب العداوة.] وصدق ابن عبد البر في رأيه الجميلة. وأفضل ما يهدي الشعراء الشعر الذي أنشدوه. ويكون أروع وأجمل عندما يكون عن الذين يهدونه إليهم! وكما سمعت من الأستاذ محمد المنجد في غير مناسبة أن الهدية مجلبة للألفة بين المتحابين! ثم يزيدنا تفهيماً فيقول: (وقد تكون الهدية هدية تشجيع كما إذا أعطى المدرس هدية لطالب نجيب عنده ، أو يحفظ القرآن ، أو يستذكر دروسه ، فهي هدية تشجيعية يُقصد بها التشجيع. فمنها هدية المحبة والمودة ، التي يقصد بها تثبيت الصحبة وتأكيد الأخوة ، وحسن العشرة والمروعة بين الناس! وهذا النوع من الهدية قد يكون من الأعلى للأدنى ، أو من الكبير للصغير ، أو من المعلم للتلميذ ، فإذا كانت من الأعلى إلى الأدنى صار فيها شيء من معنى الصدقة ، بخلاف ما إذا كانت من الأدنى إلى الأعلى ؛ لأنها تكون أبعد عن معنى الصدقة. وقد تكون الهدية من باب الصلة والبر إذا كانت بين الأهل والأقارب ، أي: تكون الهدية من صلة الرحم ، قد تكون من باب التحبب والتقرب إلى الله ، كالهيا التي تقدم للعلماء والصالحين. قد يقصد بالهدية التوسعة كما إذا كانت من الغني للفقير ، وقد يُقصد بالهدية تأليف القلب ، كأن يعطيها الإنسان لمن بينه وبينه عداوة ؛ لإزالة العداوة. قد تكون الهدية لتأكيد الصحبة والمحبة ، كما إذا كانت بين الخلان والأصحاب.) هـ. فأهدي ديواني الرابع: (القوقعة الدامية) إلى الجميع ، راجياً الله العلي القدير أن ينتفعوا به كل الانتفاع! وإذن فأنا أهدي أعلى ما أملك (شعري) لأحب من إليهم أنتمي: (أهلي وأصفيائي)! والعلم أغلى وأثمن ما يهدى ويوهب! والشعر فرع من فروع الأدب! والأدب والعلم صنوان لعملةٍ واحدة!

تنويه هام

إنني أخصص هذا التنويه لأبنائي في صورة وصية مبطنة ، أتركها بين أيديهم ، يسألهم الله عنها يوم يقوم الناس لرب العالمين: أولادي الأعزاء ، ما كنت قط لأكتب لكم هذه الأشعار ، حتى تُفأخروا بها أقرانكم من بعدي. والحمد لله لسنا في زمان الضاد ولا أهلها. ربما يكون زمانكم أنتم زمان الضاد. هذا علمه عند رب السماء والأرض. أما أنا فقد عشت أيام الإفرنج ، وعاصرت عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم. ونال جيلي من بخارها الكثير. ومن هنا اعلّموا بما ورثتم عن أبيكم من الشعر والأدب. فهذا هو إرثي الحقيقي. لقد كنتُ من المُقلّين في جمع المال ، وأحمد الله على ذلك. ألا اجتهدوا ، واعملوا بكل حق تركته حبّيس قصاندي. وانتهوا عن كل باطل حذرتُ منه ، وتحققوا وثبتوا والتمزوا بأوامر الله ، واتبعوا سنة رسوله ، واعلموا أنكم سوف تموتون يوماً ، كما مات أبوكم وجده وجد أبيه. فاستعدوا للقاء الله عز وجل ، نفع الله بكم ونفعكم بما خلفت من الأشعار التي أردت بها وجه الله ، يشهد عليّ ربي! وأقول لكم من باب الوصية: إن هذا الشعر هو تركتي الحقيقية ، وإن تكن في غير زمانها وفي غير قومها! لقد كان دوري كتابته وتحقيقه وتنقيحه وترتيبه ، وحفظ حقوقه وتوثيقه ، هنا في الإمارات وفي مصر ، لنلا يسطو عليه ساط! والوصية منصوص عليه في كتاب الله وسنة رسوله وكتب الفقه قديمها وحديثها! قال أستاذنا سُلَيْمان بن جاسر بن عبد الكريم الجاسر في تعريف الوصية: (الوصية لغة: أصل الوصية من الوصل ، قال ابن فارس: «الواو والصاد والياء أصل يدل على وصل شيء بشيء ، ووصيت الشيء وصلته» مقاييس اللغة (ص: 1055). وقال الزمخشري: «وصى الشيء بالشيء: وصله به ، وأوصيت إلى زيد لعمرو بكذا ، ووصيت ، وهذا وصيي ، وهم أوصيائي ، وهذه وصيتي ووصاتي ، وقبل الوصي وصايت» أساس البلاغة للزمخشري (ص: 501). وأوصيت إليه إذا جعلته وصياً - مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ، مادة "وصى" ، والصحاح (6/ 2525) ، والمحكم (8/ 394 - 395) ، ولسان العرب ، لابن منظور (15/ 394) ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: 1731). ويقال (وصية) بالتشديد ، و (وصاة) بالتخفيف بغير همز. الوصية اصطلاحاً: هي: تملك مضاف إلى ما بعد الموت عن طريق التبرع ، سواء كان ذلك في الأعيان أو في المنافع. - تكملة فتح القدير (8/ 416) طبعة بولاق ، ومغني المحتاج ، للخطيب الشربيني (3/ 39) ، وكشاف القناع ، للبهوتي (4/ 336) ، وتبيين الحقائق ، للزيلعي (6/ 181 - 182). وسُميت وصية ؛ لأن الميت يصل بها ما كان في حياته بعد مماته فتح الباري ، لابن حجر (5/ 502) ، وشرح مسلم للنووي (6/ 77). وكشاف القناع للبهوتي (3/ 2121). وإذا كان ذلك كذلك فليعتن أهل بيتي وأبنائي وأحفادي من بعدي بهذا الشعر لينتفع الناس به. ألا إنه إرثي الحقيقي ، وتركتي الجديرة بالاهتمام والتقدير! وكنت قد بذلت لهم وصيتي ، وعرّفت لها لغة وشرعاً ، ليدركوا أنها مسنولية الجيل اللاحق للوفاء بحق الجيل السابق! وفق الله الجميع لما يحب ويرضى ، وأسأل الله الأجر والثوبة ، وأسأله سبحانه أن يجعل الثواب جزيلاً في ميزان أعمالنا يوم نلقاه تبارك وتعالى! ألا اهتموا يا رعاكم الله بهذا الشعر والنقد ، وانشروه في العالمين ففعل قوماً هم أحوج إلى الخير الذي احتواه من الماء والهواء ، لأنه علم ، والعلم غذاء الروح والعاطفة!

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. وبعد ، فإن ديوان (القوقعة الدامية) قد نشرت معظم قصائده في بعض المجلات العربية ، وكذلك الجرائد والدوريات ، وبالأخص جريدة (الوحدة العربية). ونحن إذ نقوم بتجميع القصائد ، والتأليف بين بعضها البعض ، ونضعها في ديوان يجمع شتاتها لينتفع بها القراء ، فإننا نحمد الله ونشكره أولاً وآخراً ، أن أعاننا ووفقنا لهذا الأمر ، والله - سبحانه وتعالى - له الحمد وله الفضل والمنة ، ومنه العون والسداد والتيسير. وكانت حيرة شديدة ، هل نسمي مجموعة القصائد هذي ديواناً أم مجموعة شعرية؟ ورجعت فيها لأهل العلم والاختصاص لأدرك بعد عقود ثلاثة من كتابة شعر العرب أنني أكاد لا أفرق بين الديوان الشعري والمجموعة الشعرية! يقول الدكتور عبد الحكيم الزبيدي: (لا أعلم أن هناك فرقاً كبيراً في المعنى ، ولكن الكلمة الأولى هي المأثورة عن العرب ، فيقال: ديوان المتنبي ، ديوان أبي تمام .. إلخ ، والكلمة وإن كانت في أصلها مأخوذة عن الفارسية وكانت تطلق على السجل الجامع ، وقد استحدثها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنشأ الدواوين ، مثل: ديوان الخراج ، وديوان الزكاة ، وديوان الجند إلخ. ولذا قيل: الشعر ديوان العرب ، لأنه سجل حياتهم وأحداثهم ، وحرابهم وسلمهم ، وأفراحهم وأحزانهم. أما (المجموعة الشعرية) فقد دخلت حديثاً - في حدود علمي - إلى المعجم العربي ، فأصبح يطلق على الديوان الشعري (مجموعة شعرية)! وفي ظني أنها ترجمة حرفية ونصية لمصطلح أجنبي مثل: (Collection of poems). ومن أراد أن يفرق بينهما - إذا أصررنا على وجود فرق - فيمكنه أن يقول: إن (المجموعة الشعرية) هي: مجموعة قصائد لشاعر معين ، ولكنها ليست كل قصائده ، أما (الديوان) فهو كل قصائد ذلك الشاعر ، فقد يحتوي الديوان على عدة (مجموعات شعرية)! ويسمى في هذه الحالة (الأعمال الشعرية الكاملة). أما رأيي الشخصي ، فأنا أميل إلى إطلاق (الديوان) على كل كتاب يحتوي قصائد لشاعر واحد ، سواء كانت كل قصائده أم بعضها ، فهذه التسمية هي التي ارتضاها الشعراء العرب في القديم والحديث ، وهي - في رأيي - أفضل من (مجموعة شعرية) المكونة من كلمتين). هـ. وجزا الله خيراً الدكتور الزبيدي على هذا الرأي العظيم والتفنيذ البديع والنقد المستوفي! هذا ، ويقول الناقد الأدبي الأستاذ عبد الرحمن الخرشى: (إن كلمة (ديوان) تعني: (مجموعة شعر الشاعر كاملة)! وهذا ما كان متعارفاً عليه في القديم ، لما كانت الدواوين تسمى بأسماء أصحابها مثل (ديوان لبيد) و(ديوان الخنساء) وهكذا. وهناك من اشتق لديوانه اسماً من اسمه مثل (الشوقيات) و(السعيديات). ثم أطلقت على الدواوين أسماء أدبية مثل: (أغاني الحياة) للشابي مثلاً. أما (المجموعة الشعرية) ، فهي تعني مجموعة من نصوص الشاعر ، يصدرها على عجل يكون بينها خيط ناظم ، أو لا يكون ؛ وتسمى بعنوان نص من نصوص المجموعة ، أو الموضوعة اليتيمة الرابطة بين النصوص ، أو... فلو تأملنا الأمر ملياً لوجدنا أنه للكثير من الشعراء (مجاميع شعرية) يعيشون على أمل إصدارها في (ديوان) ، أو ربما جاء بعد وفاتهم من أصدرها في (ديوان) جامع لكل شعر الشاعر. فعلى سبيل المثال الشاعر المغربي الواتاوي (إسماعيل زويرق) أصدر إلى اليوم إحدى وعشرين مجموعة شعرية هي : (نخلة الغرياء - موسم الورد - مراکش - طائر الأرق - بوابات الريح - عندما ترقص الجراح - شبابة الألم - أشجان الليل الراحل - بالشعر أزوق هذا المدى - خيمة الياسمين - الأشذاب - وحدي - للنجوم تراتيلي - لمن تشرق الشمس - قارعة الهذيان - كأس الزقوم - على النهج (ثلاثة أجزاء متفرقة) - هتاف الألم - أبكيك أُمي). ولازال حفظه الله يكتب المجاميع الشعرية على أمل أن يصدرها في ديوان يختزل كل تجربته الشعرية في امتدادها الحياتي

التاريخي وفي تطورها الفني. وهناك كثير من الشعراء لا يفقهون هذه الحقيقة فنجدهم يخلطون بين هذين المفهومين. لكن العتب عليهم وعلى من لا يطرح هذا السؤال على نفسه ليتبين له الفرق. فالمطبوعة مستعدة لتكتب على أغلفة الكتب / الدواوين / المجامع ما قد عَنَ للشاعر دون تمييز. هـ. أشكر الدكتور الخرشي على هذا البيان الرائع الذي دعم فكرة الدكتور الزبيدي ، وجلى الإبهام وأقام الحجة! هذا ونسأل الله أن ينفع بهذه القصائد (ديواناً كانت أم مجموعة شعرية!) ومن هذا المنطلق رحنُ أطلق على كل مجموعة أصدرها (ديواناً) ، فالكلمة في ظني وحسب اجتهادي تؤدي الغرض الذي صيغت له منذ البداية! والله أسأل أن يجعل ما كتبناه من الحق في ميزان أعمالنا يوم نلقاه! وأن يتجاوز عن كل شيء غلب على الظن أنه حق ، فإذا به باطل لا يستحق الاعتبار فضلاً عن أن يسجل ويدون في ديوان شعر أو نقد! ولا يفوتني أن أعتذر للسادة القراء عن طول بعض المقدمات ، حيث كنت ولا زلت أرى أنها ضرورية ، بحيث لا يكون القارئ في حيرة من أمره عن السبب الذي من أجله صاغ الشاعر القصيدة الفلانية! بل كنت في كل مرة أجتزئ إن كان المقام يستوجب الاجتزاء ، وأسهب وأورد الأدلة على ما سوف أورده من القضايا في شعري ، إن كان المقام يتطلب الإسهاب والإطالة لبيان الحق! وأسأل الله أن يعين القراء على فهم ما كنت أريد ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم . وللقراء الكرام اعتذارنا إن لم يجدوا فيها بغيتهم ، ونشكر من قلوبنا كل يد ساهمت في إعداد الديوان وإخراجه ، ونشكر كل إنسان نصح وجاد علينا بقراءة هذا الديوان كاملاً ، ووافانا بالأخطاء لنتلاشها ، مثل الأستاذ الكبير إسماعيل علي سليم ، (من أهل ظفر الكرام) ، معلم اللغة العربية في مدرسة الوحيدة الثانوية بدبي في تسعينات القرن المنصرم ، حيث لم يكن يبخل علينا بالنصيحة وببذل الجهد! واعتاد الأستاذ إسماعيل سليم أن ينقد كل قصيدة من خلال الجريدة أو المجلة بطريقة مباشرة. ومن هنا كان النقد بكل حيده وموضوعية! وأشكر من قلبي سماحة الوالد الدكتور الشاعر عدنان علي رضا النحوي (الشاعر الكبير والناقد الأدبي العملاق) ، حيث تفضل علينا بدراسة الديوان كاملاً ، ووافانا بالأخطاء في حينها ، وعالجناها والله الحمد. وأشكر الأستاذ الشاعر سالم محمد سالم النوبي (موجه اللغة العربية بمنطقة عجمان التعليمية) ، حيث تفضل مشكوراً بمراجعة الديوان كلمة كلمة وحرافاً حرافاً! وكانت لنا جلسات حوارية حول الأخطاء التي سقطت سهواً أو عمدًا ، وتجاوزناها في هذه الطبعة الثانية والله الحمد. ونشكر كل لسان لهج بالدعاء لنا. ونثمن كلمات كل قلم سطر من أقاصي الدنيا ينصح لنا! روى الترمذي - وقال الألباني: صحيح - عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ". وَعَلَّمْنَا نَبِيْنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَيْفِيَةَ هَذَا الشُّكْرِ وَطَرِيقَتَهُ ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ - وَقَالَ الألباني: صحيح - عَن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. فَقَدْ أَبْلَغَ فِي النَّتَاءِ". ومن هنا فنحن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من نصح أو شارك أو استفتح علينا ، حتى تم ذلك العمل وخرج للنور بخلته القشبية التي نرى! ونسأل الله تعالى أن ينفع بديواننا الرابع: (القوقعة الدامية)! وأرجو التماس المعذرة في إخاجه على هذا النحو العاجل لأنني أخشى على الأشعار من الانتحال أو السطو المخزي لمستشعرين في الساحة أو لمنشدين ناحلين عدماء ضمير يأخذون وينشدون دون استئذان أو مراجعة ، ويتصرفون في القصائد كما تهوى أمرجتهم! إن التقنين مطلوب! وصدق من قال بأن سائب المال يعلم السرقة! لا بل قمت بترخيصه وإيداعه وستخراج فسوحات الطباعة وأذونات الإفراج بالتداول وتعاقدت مع شركات تقوم بذلك!

الافتتاحية

الحمد لله تعالى ، المنزه عن الآباء والأمهات ، المقدس عن البنين والبنات ، والممتنع بنور جلاله عن إدراك الحواس وإحاطة الجهات ، المتعالي بعظمة جماله وكماله عن حدوث المبادئ ونقص النهايات ، غافر الذنب وقابل التوب ذي الطول رفيع الدرجات ، الذي يجزي الحسنة بعشر أمثالها ويعفو عن السيئات ، أحمده حمداً يحل قائله أشرف المراتب وأقصى الغايات ، ويؤليه أطف المواهب وأكمل الدور والصلوات ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، شهادة تنقل شاهدها من ذل المعاصي إلى عز الطاعات والإخبات ، وتعوضه صفو الحلال عن كدر الشبهات ، وأصلي على نبيه المختار صلاة توضح لقائلها وسامعها سبل الهدى من الضلالات ، وتفقيهه ظلال العز والنجاة ، وعلى آله وأزواجه وأصحابه الطاهرين الطيبين ومن تبعهم إلى يوم الدين. أما بعد فبعد أن قرأ القراء المختبون في ديوان (نهاية الطريق) ، وأخيه (عزيز النفس) ، وأخيها (سويغات الغروب) بعض ما كتبت من قصائد ، ولمسوا من معاناتنا في هذه الدواوين الثلاثة الشيء الكبير ، يطيب لنا أن نفتح معهم ديواننا الرابع (القوقعة الدامية) ، ونعترف ابتداءً عن هذه النبرة الحزينة التي أصبحت طابعاً لكثير من القصائد التي كتبتها ، ولعل سمو الغاية - التي من أجلها كتبت قصائده - يشفع لي عند المتذوقين للشعر العربي ، إذ الكلمة الدامعة سبيل للتعبير عن الواقع الدامي الذي نعيش فيه. ألا وإن قصائد هذا الديوان - أيها القاريء الحبيب - هي بعض عمري أضعها بين يديك الكريمتين شموغاً على طريق الواقعية ، ولوناً من ألوان الصدق التعبيري عن النفس وخلجاتها وآلامها من أحوال الغربة ، ومن سراديبها ومن بين مخالبتها التي لا ترحم ، وعبر غيوم التحديات أحاول بقصائدي هذه أن أجعلك عزيزي القارئ تنتقل معي من تجربتي وتجربتك التي ربما تعيشها مثلما أعيش ، إلى عالم امتلأ بالتناقضات ، بل أصبح مضرب الأمثال في المشاحنات والضغائن والأحقاد ، وما ذاك - والله أعلم - إلا بسبب الإعراض عن هدي السماء والإقبال على وحل الأرض. ونسأل الله أن ينجينا من الفساد وأهله: فساد العقيدة والتصور، وفساد السلوك والتصرف ، وفساد الصاحب والصديق ، وفساد النفس والضمير ، وفساد الروح والقلب: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون). وربما يسأل سائل: لماذا هذا العنوان: (القوقعة الدامية)؟ ألا إنها قوقعة حقيقية ، لكن القوقعة التي أعني من لحم ودم ، فهي إحدى بُنيات حواء ، استزلها الشيطان ببعض ما كسبت ، وراح يزين لها سوء عملها فرأته حسناً! والقوقعة هذي التي أعني فتاة هي سبب الكتابة! هذا إذا نحن عمدنا إلى سبب التأليف المباشر! أما إذا عينا التجربة العامة ، فالقوقعة هنا هي البشرية المنفلتة من كل القيم ومن إसार التوحيد ورباط العقيدة وحبل الإيمان بالله المهيمن العزيز الجبار المتكبر. البشرية التي آثرت حضيض الأرض على سمو السماء ، وظلام الجاهلية على نور الحنيفية السمحة ، والتخبط في التيه والعمى على السير على صراط الله المستقيم. البشرية الضالة التي أصبحت في سوادها الأعظم أضل وأخبث من عرب الجاهلية الأولى ، وأغش من قوم شعيب عليه السلام ، وأعمى من يهود ، وأخبث جداً من قوم صالح ، وأكثر جمعاً من قارون ، وأكثر فرعونية من فرعون ، وأكثر كيداً من هامان ، وأكثر عناداً ولجاجاً من أبي لهب وأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد وعقبة والنضر وغيرهم من صنديد الكفر والشرك والوثنية ، إلا من رحم الله الرحيم من أهل التوحيد وأصحاب الدين والحق المستقيم أهل الحنيفية السمحة ، ونسأل الله تعالى أن نكون وإياكم - إخوتنا القراء - منهم: أمين. نفتح ديوان القوقعة الدامية بشيراً ونذيراً ، أفراحاً وأتراحاً ، أضحوكة وبكائية ، قصة وقصيدة ، مقدمة وخاتمة ، فكرة

ومنهاجاً ، ونأسف كل الأسف ، لما قد يقع في ذهن القاريء الحبيب الكريم من تشاؤمية هذه العناوين التي اتخذناها دليلاً للقوائد. وسواء في ذلك عناوين القصائد أو اسم الديوان نفسه. غلب على الكل النزعة التشاؤمية! فإني فكرت ملياً في غلاف الديوان: هل يكون رسماً أم صورة من هنا أو هناك؟ يقول الناقد الأدبي السعودي الأستاذ عبد الرحمن حسن المحسني: (في البداية كانت أغلفة الكتب تصمم بواسطة الرسوم اليدوية البسيطة والألوان البدائية كما هو مشاهد في الكتب الإسلامية القديمة ، وبعد أن اخترع العالم الألماني فريدريك سكوت الكاميرا عام 1850 ميلادية استخدمت الصور الضوئية في تصميم كثير من الكتب. وقد يستعين بعض المصممين ببعض اللوحات التشكيلية المعبرة عن مضمون الكتاب ، فيستعين بلوحات سريرية أو تعبيرية للكتب الأدبية مثلاً ، وباللوحات الرمزية للكتب العلمية ، وهكذا. وبعد الانتهاء من التصميم يقوم بتصويره بواسطة الماسح الضوئي Scan واستخدام الحاسب في كتابة البيانات الأخرى! ومن ثم إرساله إلى المطبعة لتنفيذه. وفي الوقت الحاضر وما صاحبه من تطور تقني وبرامج حاسوبية متنوعة مثل: برنامج معالجة الصور (Photo Shop) أو برنامج الرسم والتصميم الكورل درو (Corel Draw) أو برنامج الستريتر - (Adobe Illustrator) - وغيرها من البرامج. هذه البرامج غيرت تماماً مفهوم تصاميم أغلفة الكتب. والرأي السابق يؤكد على دور التقنية الداعم للمعطيات النصية المعاصرة. وأود أن أؤكد هنا على أن الشاعر المعاصر مسؤول أدبياً وحقوقياً عن كل عمله ، وأن الصورة التي توضع على الغلاف هي جزء من تكوين العمل ، وأن الشاعر يتحمل كافة تبعاته بأنه رضي بأن تصاحبه هذه الصورة أو تلك ، وقد ذكرت هذا الرأي في بحث كنت قدمته لمؤتمر الأدباء السعوديين. إذ الشاعر يتحمل تبعات ما يلقي على نصح الشعري. وقد حاولت هذا في كتابي توظيف التقنية في الشعر السعودي الذي نشر العام الماضي أن أؤكد تلك المقاربة ودور الشاعر من خلال عدد من شهادات الشعراء المعاصرين الذين أثبتوا بما لا يدع الأمر مثار جدل أن الشاعر المعاصر كما يتولى نصح الشعري يتولى مع ذلك صناعة العنوان والغلاف والإشراف عليه - وأثبت بعضها هنا - ، تقول الشاعرة ثريا العريض: «أول ديوان شعري اتفقت مع النادي الأدبي على عموميات الغلاف ، ولكن تنفيذه جاء سيئاً جداً ولم يعجبني. الديوان الثاني والثالث اقترح عليّ الأصدقاء أن تقوم فنانة أو فنان بتصميم الغلاف ، وتواصلت مع بعض الأسماء. بعد أن وجدت أن التصاميم المقدمة من فنانين معرفين لم تعجبني أيضاً - صممت الغلاف واللوحات الداخلية بنفسني لأنني أرسم أيضاً وارحت بعدها وأظن أنني سأصمم أغلفة الكتب والدواوين القادمة - أعتقد أن تصميم الغلاف واللوحات يجب أن يوصل رسالة عنوان الكتاب ومحتواه بتكثيف فني واضح. والرأي السابق يوضح دور الشاعرة في متابعة تنفيذ تصميم الغلاف في كل دواوين الشاعرة وعنايتها البالغة بذلك. وفي رأي شبه مقارب يقول الشاعر محمد خضر عن موقفه من أغلفة دواوينه: «اخترت غلاف (المشي بنصف سعادة) بعد أن رأيت مجموعة من الأعمال لدى مصمم العمل. كان مخاطراً بعض الشيء لكنني أحببت أن يكون الغلاف هناك هو عمل آخر يشارك مضمون الديوان ويمكن أن ينظر إليه الآن كعمل منفصل عن مضمون دفتي الكتاب. هذا ما حدث أيضاً مع (صندوق أقل من الضياع) ، قمت باختيار اللوحة التي أبدعها الفنان أحمد ماطر للعمل ، أحببت أن أعرض من خلال مجموعتي الشعرية عملاً فنياً ليس لمجرد أنه غلاف ، ولكن جميل أن يكون عمل فني يشاركك شعرك وكتابتك الشعرية الآن ، ودوما كنت أقول: إنه ليس مجرد غلاف! إنه جزء من معرض الفنان ينتقل معي نموذج منه. وغلاف يعبر ليس عن مضمون الديوان بل عن المرحلة الفنية الموازية لما أقوم بكتابته. ويعبر الشاعر حسن الزهراني عن شيء من ذلك في قوله:» أما ما يخص دواويني فأنا ممن يتبعه اختيار الغلاف كثيراً. أطرحة عدة صور

وأبقى في حيرة ثم ترسو سفينة اختياري على ما رأيت في أغلفة دواويني. ثم أنني بعد خروج الديوان أعود وألوم نفسي على سوء اختياري ، فأنا لا أخفيك لست راضياً عن أي غلاف منها. أما الشاعر محسن السهيمي صاحب ديوان (وجه الصباح) ، الذي يعد من الإصدارات المتأخرة ، فيوضح قصته في غلاف ديوانه بقوله: «نعم لي علاقة بغلاف ديواني ؛ إذ كنت على اتصال بنادي الطائف الأدبي الثقافي – الذي خرج الديوان عن طريقه - ورغبتُ إليهم أن أتولى اختيار الغلاف ، فكانت الموافقة ، حيث دلوني على دار النشر في جدة والتقيتُ بالمشرف على الدار وتم التفاهم حول أمور الطباعة (كافة) ومنها حرية اختيار الغلاف وغيره. بالنسبة لصورة الغلاف ، فالنادي مشكوراً ترك لي حرية اختيارها ، حيث طلبت من دار النشر تزويدي بعدد من «اللوحات اللونية» ، ولم أرغب في الفوتوغرافية لأنني أراها جامدة غير معبرة).هـ. وكما قلنا لعل سمو الغاية والقصد يشفع لهذه اللافتات الحزينة الدامية التي جعلت على قصد منا واجهات للقاصد بصفة عامة ، حيث إنه لا يوجد في عالمنا ما يحمل النفس الخاشعة لذكر الله وما نزل من الحق على التفاؤل ، وهي ترى دماء الحنيفية تسيل وجراحها تثعب ، وأهلها مشردين مشتتين ضائعين في كل صقع من أصقاع المعمورة! عن عبد الله بن عمر قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه وإن نظن به إلا خيراً". [رواه ابن ماجة] ، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً". قال ابن عمر: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله". [رواه البخاري]. إنَّ المعلوم من الدين بالضرورة وتواترت به الأدلة من الكتاب والسنة ، حُرمة دم المسلم ؛ فإنَّ المسلم معصوم الدم والمال ، لا تُرْفَعُ عنه هذه العصمة إلا بإحدى ثلاث ؛ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: (كَفَرَ بعدَ إسلامِهِ ، أو زَنَى بعدَ إحصانه ، أو قَتَلَ نفساً بغير نفس) ، وما عدا ذلك ، فحرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة ، بل من الدنيا أجمع. وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا" [رواه النسائي]. ومن هنا ، ولكيلا أحتار حيرة الشعراء الذين أوردتُ أسماء بعضهم ، عمدت إلى تولي مسألة الغلاف بنفسي ، والإشراف عليها بكل اهتمام وعناية! فعهدتُ إلى الأستاذ أحمد جمال (معلم الحاسوب بالمدرسة الوطنية بعجمان) إلى أن يقوم بتصميم غلاف طيب مشرق متفانل ، وفعلاً قام الأستاذ بتصميم غلاف ينتظم كل الدواوين. ونشأت فكرة السلبيانيات من هذا المنطلق. وأشكر جميع من استشهدت بأرائهم من الشعراء والنقاد. والله المستعان ، وهو سبحانه يقول الحق وهو يهدي السبيل. أما ديوان: (القوقعة الدامية) والذي هو جزء من الديوان الأم الشامل الذي ينتظم الدواوين الشعرية التي كتبتها كلها على مدى سنوات العمر ، فقد قمت باختيار صورة قوقعة حقيقية كانت تعيش في البحر آمنة مطمئنة ، ثم لانحرافها عن سنة البحر ومنظومته قلاها البحر وطرحها ، وحاولت أن تعود ، ولكن بعد أن بعدت الشقة وشظنت المسافة دميت من داخلها ، وتسرب الدم خارجها شاهداً على ما اقترفت! وهذا الرمز الذي أريده من (حمدة) القوقعة الأدمية التي هي من لحم ودم ، والتي عندما خرجت على شريعة الله ، واستهانت بنصوص القرآن والسنة ، واتبعت هواها ، فأذاقها الله تعالى فيما يبدو لنا ذل المعصية وقتامها! وحرمتها لذة الطاعة وأنسها ونضارتها ، ولعلها تعاود الرجوع إلى الله والاصطلاح معه سبحانه فيتوب عليها! (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)!

موضوع الغلاف

الحمد لله السميع العليم ، الرب الرحيم ، الذي ليس له في ذاته وصفاته نظير أو شبيهه ، ولا في ملكه وتدبيره عدل أو شريك. فهو الله الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، والحمد لله الذي أنشأ الخلق بقدرته ، وكرم بني آدم بما شاء من نعمته ، وبعث فيهم النبيين والرسل مبشرين بالجنة من أطاعه ، ومنذرين بالنار من عصاه ، وخصنا بالنبي الأمي العربي ، القرشي الهاشمي المكي ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. أرسله إلى كافة الخلق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. فصلّ اللهم عليه وعلى آله ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، وأنزل معه الكتاب المستبين ، وبيّن على لسانه الدين القويم ، ودعا إليه من جعله من أهل التكليف أجمعين ، وهدى من أنعم عليه بالتوفيق إلى الصراط المستقيم فقال فيما أنزل عليه: (والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم فتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون). فتركه – صلى الله عليه وسلم – في أمته حتى بلغ الرسالة الربانية وأدى الأمانة ، وبذل النصيحة ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، ثم قبضه إلى رحمته ، وقد ضمن فيما أنزل عليه حفظ كتابه فقال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). أما بعد: فقصّة موضوع غلاف ديواننا (القوقعة الدامية) بدأت من عشقي للطبيعة المخلوقة ، والتي تنطق بعظمة خالقها القدير الخلاق العليم - سبحانه وتعالى - هذه الطبيعة التي تدبر فيها شعراء كثيرون ، ونظروا فيها فإذا هي معين إحياءاتهم ووعاء تراكيبيهم وديوان خيالاتهم وسراديب نظراتهم ومكمن عواطفهم وجوارحهم ، فإذا هم يخرجون بشعر يقود في نهايته إلى الإيمان بالخالق القدير سبحانه ، الذي خلق الطبيعة من جبال وبحار وهضاب وقفار ويابسة وأنهار ومرتفعات ومنخفضات ومحيطات وأراض وسماوات وطيور وحيوانات ونواميس كونية وسنن ربانية وأخرى كونية ، إلى آخر ذلك مما يعجز عن تصويره اليراع. ألا وإن هناك شعراء كثيرين نظروا إلى الطبيعة نظرة مغالاة وتطرف فزعموا - وتوهموا - وبئس الذي زعموه وتوهموه - أن هذه الطبيعة لها من الربوبية جانب والعياذ بالله تعالى من هذا الضلال ، فلا خالق إلا هو سبحانه ، ولا معبود إلا هو عز وجل ، فراحوا يضربون في أشعارهم على أوتار وحدة الوجود والعياذ بالله من الضلال وأهله! (إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عدداً ، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) ، (أفمن يخلق كمن لا يخلق) ، تعالى الله عن ضلالات عباده علواً كبيراً ، وتعالى ربي عن غواية الشعراء غير الموحدين وأشباههم من القوم الذين لم يُرد الله أن يطهر قلوبهم ، بل الطبيعة التي أعني هي الطبيعة المخلوقة المربوبة لله عز وجل. عشقتها كثيراً منذ صغر سني ، وكان لي بها كلف وولع شديد ، ولعل هذا راجع إلى نشأتي في أحضانها هناك في أرض مصر ، حيث نشأت وترعرعت في أحضان الطبيعة الخلابة الجذابة اليانعة. حيث نشأت في بيئة ريفية بسيطة (في ميت عاصم - برمبال القديمة من أعمال الدقهلية) ، وذلك بعد هجرة قومي من مسقط رأسي (بورسعيد) إلى الدقهلية ثم إلى (كفر سليمان البحري ثم مركز كفر سعد من أعمال دمياط)! فمن طبيعة إلى طبيعة ، ومن جمال إلى جمال ، ومن ريف إلى ريف. ناهيك عن الكولة وأخميم وسوهاج حيث الجمال كله! وأخذت أستقي الجمال من الطبيعة المخلوقة ، ومن هذا الكون البديع العظيم الجليل! واستمتعت بهذا كله وراح يفرض جماله على شعري! ولعلنا من غلاف الديوان ندرك شيئاً من هذه الحقائق التي نسلي بها القارئ الحبيب.

الغمام الصيب

(في كتاب (الإحياء) للغزالي 214/3 ما نصه: (وفي الصحبة فوائد دينية ودينية. أما الدنيوية فكالانتفاع بمال أو جاه ، أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة. وليس ذلك من أغراضنا. وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة ، إذ منها: (1) استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت. (2) الاستفادة من العلم والعمل. (3) الاستفادة من الجاه تحصناً به من إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة. (4) الاستعانة في المهمات فيكون لديه عدة في المصائب وقوة في الأحوال. (5) التبرك بمجرد الدعاء. (6) انتظار الشفاعة في الآخرة). هـ. وليس الإحياء وصاحبه شراً محضاً كما يذهب إلى ذلك البعض. وهنا تأتي مناسبة الكلام عن المناسبة لإيراد هذا الكلام ، وهي أنني قد أهداني الأستاذ الصومالي / عبد الرحمن حرصي ، كتاباً تمنيت قراءته منذ زمن بعيد ، وهو (مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة) للأستاذ عبد الجواد يسن (أبو أسامة) حفظه الله ورعاه. فتذكرت الأستاذ عبد الجواد وهو يبين لنا أن الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها. والإحياء حوى حكماً كثيرة ، نلتقطها ونترك ما وقع في الكتاب من الأخطاء ، ونستغفر لصاحبها! واعتبرت هدية الأستاذ عبد الرحمن جزءاً من عطاء العقيدة الذي هو خير عطاء. وذلك لأنه خالد لا يزول باق لا يفتي! فحديثي عن عطاءين الأول والأهم هو عطاء الأستاذ عبد الجواد إذ قدم للإسلام والمسلمين مقدمته العظيمة عن الجاهلية المعاصرة ، فأثار الطريق وبدد حوالكه لكل سالك دربه إلى الله عز وجل. والعطاء الثاني عطاء أخي عبد الرحمن الذي أهداني الكتاب! إن عطاء العقيدة أغلى وأحلى وأنقى وأصفي من أي عطاء ، لأنه العطاء الدائم الخالد. وكل عطاء قد ينسى إلا عطاء الحق والتصور. وإن كنت أنسى فلا أنسى ما منحني إياه الخل الذي لا يغيب عن البال ولا عن خاطر ولا عن الوجدان ولا حتى عن الضمير ، ومن هنا أسميته الغمام الصيب مشبهاً إياه بالمطر الذي أينما نزل نفع الله به ، وثبتنا الله وإياه وكل موحد على الحق. ويحسن بنا أن نشير إلى أدب وخلق النبي – صلى الله عليه وسلم في الهدية! يتحفنا الأستاذ الفاضل محمد المنجد – حفظه الله – في محاضرة له عن الهدية في الإسلام بكلام ملخصه: إنه من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في الهدايا أنه إذا جاءت الهدية ، أشرك فيها من معه ، أو من حوله ، كما جاء في كتاب الرقاق في صحيح البخاري ، دخل عليه الصلاة والسلام فوجد لبناً في قدح فقال: (من أين هذا اللبن؟ فقالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانةٌ ، فقال: أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي ، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد. كان عليه الصلاة والسلام إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها...). الحديث. إذاً: كان هذا من كريم خلقه عليه الصلاة والسلام ، من كرمه أنه كان إذا جاءت الهدية لم ينس من حوله من الفقراء والمحتاجين ، وكان من حضره يعطيه ، وإذا أهديت إليه باكورة الثمر – أو الثمار – كان يعطيها لأصغر القوم سناً – الطفل –. وكان صلى الله عليه وسلم يتألف بهداياه القوم ، وربما كان رجلٌ حديث عهدٍ بالإسلام أو في قلبه شيء على الإسلام وأهله ، أو على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يعطيه حتى يرضيه. ومن الأحاديث الجميلة التي وردت في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم: (أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه). ولا يلزم أن يلبسوها ؛ لأن لبس الحرير للرجال حرام لكن يمكن أن يعطوها زوجاتهم أو بناتهم ، أو كما فعل عمر حين أهداها لأخ له مشرك بمكة . (أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه ، وعزل منها واحدة لمخرمة بن نوفل ، فجاء ومعه المسور بن

مخرمة فقام على الباب فقال: ادعه لي - وكان صاحب جفاء وغلظة - فسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته فأخذ قباً فتلقاه به واستقبله بأزراره فقال: يا أبا المسور! خبأت هذا لك ، وكان في خلقه شدة) أي: أبو المسور. وقد كان ابنه المسور بن مخرمة من كبار رواة الأحاديث. وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الهدايا في أقربائه ، وكان عنده من الوفاء لذكرى زوجته خديجة ما يستخدم الهدية فيه لإحيائه ، والتدليل على أنه باقٍ في نفسه ذكرى تلك المرأة الطيبة التي ساعدته بمالها ودافعت عنه بنفسها ، وكان أولاده منها ، وأن ذكرها الطيبة لا زالت موجودة وحية ، فكان إذا ذبح الشاة يُهدي لصديقات خديجة. ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها: (ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة). مع أنها ما رأتها ، لكن غارت عليها من الذكر والسمعة ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يذكرها دائماً حتى قالت عائشة: (ما تريد من عجوزٍ حمراء الشدين أبدلك الله خيراً منها؟! قال: إنها كانت وكانت... وكان لي منها ولد). قالت عائشة: (ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، هلكت قبل أن يتزوجني ، لكثرة ما كنت أسمعها يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيتٍ من قصب ، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خللها منها ما يسعهن) أي: يُعطينهن ما يسعهن). ومن هنا رحت أثنى على الأستاذ عبد الجواد وسفره العظيم. بارك الله فيه ونفخ به وختم لنا جميعاً بخاتمة السعادة أجمعين. والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.)

←	ما ذاك الصنيع المايح	الإكأزهه تفرار تفرار	→
أعطيت ما ملكت يي	داك ، وكنيت بالذكري تبسوح		
وبذلت لم تك باخلاً	وجهرت بالقول الفصيح		
وهديت قلباً للهدي	من بعد أن كان الطريح		
وأنترت درياً بالتقى	بتصوير صافٍ مريح		
وصبرت ، لم تك عاجلاً	وصدعت بالحق الجمسوح		
عاجبت فينا جهلنا	وسبرت أغوار الجروح		
ونصحتنا ، ورحمتنا	فترعرع القلب الجريح		
أبنا أسامة أنبت	زينت القصائد والمديح		
وكذاك توجت الرجول	ة والشهامة والصروح		
لا فضفوك ، ولا اعترى	صوت العباقرة البسوح		
الغيث يحماه الغمام	أراك من أعلى تلسوح		

كنت الغمام لواحدةٍ
 لا خيرٍ فيها يُشهى!

هي وكلُّ معرِبٍ
 جحر الأفاعي والجدجى

وتدين للمولى بما اخـ
 وبفكر كل مضلل

ثم استتالت بالغمما
 والحسن فيها وافزرّ

والخير فيها شاملاً
 والسوق يركلها ، ويُر

هذا نصيب الغيد في
 فالغيد في ذيل الدنا

كنت الغمام وزورقي
 ومن ابتغى مطر الهدا

جرداء ، منظرها قبيح
 ودمُ الرخاء بها سفيح

حتى الأصيلُ بها كسـ
 حيث الضلالة والفحـ

ترعتُ هنا كمن فضوح
 وبدين مَن عبد الضريح

م خريدة ، فيها الوضوح
 والوجه مؤتلقٌ ملـ

والجيدُ ممتأنيءٌ صـ
 خص سـعرها ، يا للشـحـ

دنيا المهازل والصفيح
 في جيل تربية الكشـ

والغيث ثـ فـ يكـ يسـ تريـ
 ية لـم يُسرـ ربله النـزوح

جريدة الوحدة العربية 23 مارس 1996م

أنين القلم

(تعجبني وصية الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - في شروط الأصدقاء والأصدقاء. يقول: عليك بأهل الصدق ، تعش في أكنافهم ، فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجينك ما يغلبك عنه ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ، ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله). هـ. إنني كلما طالعت وصية عمر في كتب الرقائق والمواعظ ، لمث نفسي كثيراً أنني لم أعمل بها ، حتى ابتليت بشر المعارف والأصحاب ، من الذين كتموا خيري وأذاعوا شري. وما كانوا أوفياء ولا مخلصين ساعة من نهار ولا أقل من ذلك! فهل كان الخلل يكمن في عدم معرفة حق النفس وقدرها؟ قالت الأستاذة سندس عبد الرحيم هرفيل في التعريف بالنفس وحقوقها ما نصه بتصرف: (كيف تثمن نفسك؟ هل أنت غال وثمين؟ هل تقدر نفسك حق قدرها؟ هل تعرف قيمة نفسك الحقيقية؟ أن تعرف قيمة نفسك ، يعني أن تقدر قيمة وجودك في الحياة! أن تدرك معنى وجودك! أن تعطي نفسك ما تستحق من التقدير والاحترام! أن تضع لها ضوابط ومعايير تسمح لك بالتحرك بحرية دون المساس بحدود الآخرين! أن تحترم نفسك يعني أن تتأكد كل يوم أنك لم تخذل نفسك ولم تنتازل عن شيء يجعلك تشعر بالندم لاحقاً ، أن تعرف قيمة وجودك ، ما يجعلك قادراً على مواجهة الحياة ، وفي كل الظروف. وأنا أقول في كل الظروف لأن أصعب الظروف الاقتصادية والاجتماعية في كثير من الدول ، وفي العديد من حياة الأفراد ، هي التي أفرزت مجتمعات قوية ومتميزة. أن تعرف حدود نفسك بطريقة عملية ، هو أن تضع لنفسك مجموعة من المعايير للتعامل مع الآخرين ، قد تكون معايير عامة لجميع من تتعامل معهم ، لكنك بحاجة أحياناً لوضع ضوابط أخرى للتعامل مع (سين) من الناس. فالناس خليط من مركبات بالغة التعقيد! ولكي تنجح في وضع هذه الضوابط عليك أن تعرف حدود إمكاناتك الحقيقية! هل أنت إنسان قادر على المجابهة والتحدي؟ فالتعامل مع الآخرين يحتاج إلى الصبر والكياسة). هـ. إنه عندما يتخلى الأصدقاء عن صاحب لهم وقع في محنة قاسية ، ويتكروا لنصرة ذلك الصاحب المنكوب المبتلى مع علمهم اليقين أنه بريء من تهم ألصقت به زوراً وبهتاناً ، تصبح الخلة الحقيقية منهم براء ، وعندئذ لا يجد ذلك الصاحب المخذول إلا رب العباد - تبارك وتعالى - : يدعو ، ويهرع إليه! أعود للقلم فإذا له أنين يسمعه القلب).

في سنا القرطاس يبكينى يراعي والدموع الهُوج تكوي لا تراعي
وأنا في الكرب أحيما ما تبقى من هشيم العمر ، دوماً في التياح
أصبغ الأيام دمعاً والأماني وأذر الآه في شتى البقاع
وأداوي آهتي بالحزن ، وحدي وألف القلب في كرب الصراع
ودياري في ضياع لا تبالي تذبج البَر ، وتأسى للسباع
مركبي فيها حطام ، وحياتي في جحيم الغبن تلهو بالشراع
وطعامي الوهم فيها والمنايا واسألوا عن كل ما أروي يراعي

يا بقاعاً كنتِ بالأمس مناراً
طمع الضلال فيها والبغايا!
كل من حولي لدينار أتوها
وأنا الخمر الذي بين المطايا
حائر الدمعة أبكي في الدياتي
أسكب الآلام في طيات قلبي
وأقاسي من رفيق الدرب دهرأً
لم أمحص منذ أن كان لقانا
في عذاب الصبر وحدي ، ورفيقي
صار كالتعبان في دنيا البرايا
وليه في الدرب حيات حيارى
إن في المقدور (موسى) ، وعصاه
إنما ذاك اعتقادي ، صدقوني!
وإذا الدنيا وقومي خذلوني
حسبي الله الذي قدر هذا
غايتي الرحمن ، والإسلام زادي
قلم الشعر صديقي وخليتي
وبفضل الله صقر ، بل عقاب

وبنوئك فيهم أحلى طباع
عشعش الغربان في شتى القلاع!
وضمير القوم أمسى في ضياع
صرث - وسط القوم - من سقط المتاع
كم تهاوى في الرزايا من شجاع!
وأعاني من دهاقين الخداع
حيث كان الخل ، بل كان ذراعي
فاجتنيت اليوم بلوى الاندفاع
يتفاني حول ودٍ وسواع!
يرقب اللحظة ، يسعى في ابتلاعي
سُمها - بالله - مكشوف القناع
من معين الغيب ، ليست (بالصناعي)
نصرة الحق يقيني وانطباعي
وتمادوا في عذابي واقتلاعي
إنني للحزن أعلنت وداعي
إن شمس الحق جادت بالشعاع
والقريض العذب كيالي وصواعي
هل يُعاني الصقر من بعض الصداع؟!

جريدة الوحدة العربية 26 / مارس / 1996م

غدير الأفق

(مهما تأتق المرء في اختيار الجلوة التي تأخذ قلوب الناس وتستولي على ألبابهم ، ومهما اختار أفخم الثياب وأزهاها وأعطرها وأجملها ، ومهما نسج حول شخصيته أمام الناس هالات من القداسة ليوهمهم أنه ذو دين وخلق وأدب رفيع ، ومهما تصابى بعد أن نجح في خداع الناس من حوله ليخدع نفسه ، ومهما بنى لنفسه في الخلق عالماً من الهيبة والوقار والاحترام المصطنع أقول: مهما أظهر كل هذه الأشياء ، فإنه يجب أن يخلو بنفسه ويسأل: أليس هو ذات يوم بمفارق للحياة ومن يفتنون بها اليوم؟ والعمر مر نصفه والرأس غزاه الشيب! وعندما يمر من عمر المرء نصفه ، ويستعرض عقودة الثلاثة فيجدها حصاد الهشيم فإنه يجب عليه أن يحزن ويتألم. والغيب لله وحده ، وتأخذ المرء انفعالة نحو الأفضل ، فإذا به خلق آخر جديد مختلف يجد ويجتهد ، والله - سبحانه وتعالى - يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم). قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية ما نصه: (ذلك أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ، ودعا مع الله إلهاً آخر ، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا الآلهة ، وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك؟ فأنزل الله: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) يقول: لا تياسوا من رحمتي ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً). وقال: (وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ) ، وإنما يعاتب الله أولي الألباب ، وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان ، فإياهم عاتب ، وإياهم أمر إن أسرف أحدهم على نفسه ، أن لا يقنط من رحمة الله ، وأن ينيب ولا يبطل بالتوبة من ذلك الإسراف والذنب الذي عمل ، وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين حين سألو الله المغفرة ، فقالوا: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) ، فينبغي أن يُعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف ، فأمرهم بالتوبة من إسرافهم. عن مجاهد ، في قول الله: (الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) ، قال: قتل النفس في الجاهلية).هـ. وهكذا لا تذهب المعصية بالموحد مذهباً ، ولا تقطع الذنوب حبل الإثابة والإنابة إلى الخالق القدير الكبير الواحد الأحد. وإنما يعيش الموحد بين الأمل والخوف والرجاء ، ألا وإن السعيد الحق هو الذي لا يحزن على ما فات ولا يفرح بما هوات ، والذكي العبقري من تخلص من عبء الذنوب والخطايا).

الحال يروي المسألة	والنفس تشكو المهزلة
والعمرو ولي نصفه	ورواه باتت مخجلة
والقبر يرتصد الخطا	ويعد أدنى خردا
يا ليت قلبي ما غفا	حتى استساغ الحظا
أتزين العمور المولا	في غمسة في المكواة؟
لا ، والذني رفيع السم	ء ، ولا يُع أنيما
أيزخرف الكحل الذمي؟	أيزيح المزبلة؟

يا نفس لا تتندري!
 واليوم أرددك الهوى
 وأراك في هزل الميرا
 تتجرعين بهما الردي
 إن الذي من اتقى
 لكنمنا نفسي على
 فذري إذن ما يشتهي
 جف الغدير ، فلا رخا
 يوماً ستنفجر الودنا
 يوم القيامة قادم
 فإلى متى فتنت ترى
 يا نفس مالك والهوى؟!
 لو كنت ناصحة لنا
 لكنمنا أدبرت عننا
 حتى ذبلت ، ولا حيا
 قتلتك أو همام الكرى
 وكم اشتريت شقاءنا
 بيدي كشفت سريري

قد كنت ريحاً مُرسلة
 وطوتك أشقى حرماً
 في كل كفٍ سومة
 من بعد قضم السنبلة
 وأباد هذي المسألة
 كل الدنيا مقبلة
 ودعي الأمور المبطلة
 ونعش فوق القنابلة
 ولكل قوس أزمنة
 ولكل خطب منزللة
 تردي ثم ار المرحلة؟
 مجي الجوى والدريلة
 كنت التزمت الحسبلة
 لها ، واصطنعت الجلالة
 وجهات حتى الحوقلة
 والغيبن سيف المقتلة
 وأضعتنا في معضلة!
 ووضعته هذي المشكلة

جريدة الوحدة العربية – 24 / 3 / 1996 م

أضغاث أحلام

(الرؤيا من الله ، والخُلم من الشيطان. هكذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - . وربما يكون حديث نفس أخذ طريقه من النفس إلى العقل الباطن في المنام في صورة خُلم. والمسلم متفانلاً بطبيعته. إذ عقيدته تحته على الاستبشار والتفاؤل وإحسان الظن بالله دائماً. فرسولنا يوصينا بقوله: (يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، إنما بعثتم ميسرين لا معسرين ، ومبشرين لا منفرين). أو كما قال صلوات الله وتسليماته عليه. إذن المسلم لا يقض مضجعه خُلم مزعج ولا تعسير معسر ولا تنفير منفر. إنه أكبر من الأحلام والمنامات والرؤى. وضلت أقوام تأخذ دينها من خلال الأحلام والرؤى والمنامات. قد ينزعج المسلم من خُلم ، ولكنه يمضي ولا شيء يؤخره عن المضي. ولقد يستأنس بالرؤى ذات الدلالة. ولكنها لا تنهض دليلاً يحتج به على شيء! عن أبي رزين - واسمه لقيط بن عامر العقيلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة). رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم والذهبي. وفي رواية لأحمد والترمذي وابن حبان: «رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة». وفي رواية لأحمد: «الرؤيا الصالحة جزء من أربعين جزءاً من النبوة». وفي رواية لابن حبان: (الرؤيا جزء من سبعين جزءاً من النبوة).

وهذا خُلم فرض نفسه عليّ وعلى روعي ، وكم كان مزعجاً مريعاً ، وما صرحت به لأحد. لأن كل موحد مأمور من قبل دينه بالألا يتحدث عن تلعب الشيطان به. وأخذت أعاتب خُلمي هذا بعتاب رقيق يذيب الفؤاد ، عبر هذه القصيدة الخاطفة. وكم أعجبتني مقالة حاشية عزيز مصر ، عندما قالوا له وقد طلب إليهم أن يفتوه في رؤياه: (أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين). إنها الصراحة التي لا تقل عن صراحة ملأ بلقيس ، هذه الملكة التي كانت قبل إسلامها تعرف حدود طاقتها وما عند رجالها من إمكانات ، عندما طلبت إليهم أن يفتوها في أمرها ، فقالوا: (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين). فأنشدت أخاطب خُلماً رأيتة:

هل كان لي فيك اختياز؟ حار الضمير ، ولا خيـار!
في الخُلم قد شط الجوى من بعد ما انكشف الستار
ورأيت ما قد هداني ورأيت قيدي ، والإسـار
وسمعت صوت كآبتي وسمعت زمجرة النهـار
وسمعت زلزال النوى وسمعت هرطقة الـدمار
وعلمت أنني حائرٌ وعلمت تشويه القـرار
وصحوت من نومي على صوت المـدامع والشـرار

وإذا بصصمت هزني
 وطغيت عليّ مصانري
 يا شعراً هل لي من دوا
 يا شعراً قاهها ، لا تخف
 والخلم هذا قاطع
 وصباية لا ترعوي
 وسعي يفتش عن حمي
 تطوي الطيوف جميعها
 وله الدلال هائج
 ومهاجر بين الوري
 متغرباً فظي عالم
 يا أيها الحالم المريمي
 حافظ - أيها هذا العقو
 مدام أنك قسمتي
 وارحل ، فإني ببائس
 وإذا بقيت فإني
 أضغاث أحلامي غدت
 لو أنها تدرى انجلت

وإذا القفار هي القفار!
 من واقعي كيف الفرار؟
 غير الرحيل من الديار؟!
 كيف الرحيل عن الصغار؟
 لقد احتوى قلبي الدور
 في بحرهما غرق المسار
 عجباً لأماج البحار!
 وبها عذابات خطار
 يا أوي إلى صمت المحار
 تؤذيه أنبات حرار
 لفظ المروعة والوقار
 ب إلى متى هذا الشعار؟
 ر على الأقل - على الجوار
 فاحقن غيابات العثار
 أبكي الحنية والعمار
 لا ، لن أخوض رحي الغمار
 من بأس قلبي لا تغار
 وغدا فوادي في ازدهار

جريدة الوحدة العربية - بتاريخ 17 / 3 / 1996 م

المجد المخذول في دنيا البهتان

(سأل الشاعر نفسه: لماذا لا تتوب أمتنا ليعود المجد الذي تمتعت به طويلاً؟ إنه أصبح روايات تاريخية ميتة الآن! تتلى على الناس صباح مساء، وتكتب في الكتب، وتنشر في الصحف، حتى يتندر بها الناس. أو لنثبت بها أننا ننتسب إلى أمة ذات تاريخ وعراقة وشرافة وأصالة! لكن أين نحن من هذا المجد وذلك السودد؟ وهل نحن امتداد طبيعي لمجد الآباء والأسلاف؟ لقد عشت ذلك الشعور فيما يشبه حلم اليقظة، فطفقت ألوم الحلم وأعاتبه! كما شردت بخيالي مع التفاؤل! وقد تعلمنا من مصطفي كامل أنه: (لا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس). وهذا ستيفن كوفي يقول: (سيكون يومك مشابهاً للتعبير المرتسم على وجهك سواء، كان ذلك ابتساماً أو عبوساً). وهذا روبرت شولر يقول: (ليس المهم ما يحدث لك، بل المهم ما الذي ستفعله بما يحدث لك). وأما جيروم فيقول: (من الأفضل دائماً أن نتطلع للأمام بدلاً من النظر إلى الخلف). والدكتور الفيلسوف إبراهيم الفقي يقول: (قد تتحمل الألم ساعات، لكن المهم ألا ترض باليأس لحظة، فاستعن بالله ولا تعجز). وأيضاً يقول جون ناريمور: (يصبح الانسان عجوزاً حين تحل الأعذار محل الأمل). ومن هذا المنطلق فينبغي على المسلم أن يحسن الظن بالله ويتفاعل بالخير في كل أحواله!)

لمـ إذا غابـت القـمـتـ القـمـمـ؟	وأـيـمـ نـ تولـت القـمـتـ القـمـمـ؟
وأـيـمـ نـ إـبـتـسـامـاً أـو عبـوسـاً؟	إـذا مـا ذـا نـتـطـلـع لـلأـمـام بـدلاً مـن النـظـر إـلى
وقـومـي أـيـمـ نـ سـؤـدـدـهـم؟	وأـيـمـ نـ العـزـ والشـيـم؟
وفـي الأـخـطـار أسـأـلـهـم	لمـ إذا زلـت القـمـتـ القـمـم؟
لمـ إذا المـجـد زـايـلـهـم	إـلـمـ أن هـانـت الخـمـم؟
يـمـ نـ الله تـحـزـنـنـي	دغـ أولـهـم ، فـ أنـهـزم
بـلـايـا أـمـتـي عـظـمـت	ومـنـهـمـا الـربـ يـنـتـقـم
فـبـالـقـرآن مـا حـكـمـت	ولـلـقـمـتـان تـحـتـكـم
وحـانـت الخـمـسـة بـهـا	عـلـيـهـمـا الجـمـع يـخـتـصـم
وأبـراج الـربـبـا ارتـفـعـت	ولـمـ يـقـم الـربـبـا دم
وأوكـار الزنـبـا انتـشـرت	وضـاعـت بالزنـبـا القـمـم
وألـوان الخـنـبـا ظـهـرت	ولـمـ يـهـجـ المـجـد ونـ فـم
وأربـاب الغـنـبـا نشـطـوا	كـأن غـنـبـاءهـم عـلم

وكتتاب الهوى انطلقوا
وتجار الرقيق كذا
وواللت أمتي الأعدا
ولم تنصح لعليتها
وعانى الشعر من غصص
وأجلى كليل غاشية
وجابيه من يناوئه
وأنصت كل من حضروا
وأعطى رغبم حاجته
على المجد الأثيل مضى
إلى أن جف مدمعه
دياجيز الجوى انعدت
وأجداد الكرام غفت
لأن وجومهم نزق
وللأمجاد صولتها
وعند الأمة الإسلامية
فإن عملت به انتصرت
وتعلو العرش رعتهم
وتدخل جنّة الرحم
وأسفار الهوى حمة
من الأخلاق دنموا
وعمت أهلها الظالم
فطف الكفر والألم
وأضنى عزمه السقم
بتعريضه نغم
ولم تذهب به النقم
وأهله به صمم
ودمغ اللفظ ينسجم
رأيت الشعر يضطرم
وشاركه الأسى القلم
وألباب الورى أكم
ولم تحفل بمن وجموا
ولا تنقى به نغم
إذا ما استشرى العدم
م ، نعم السّلم معتصم!
وعاد البأس والشمم
ويدخل فى التقى العجم
ن ، نعم المّورد الشمم!

أراجيف الغربية

(اغترب طويلاً ، فخمشته الغربية بأظفارها ، فراح ينتحب ويحتسب ويرتقب. وجابه أراجيف الغربية ، مستعلياً على عذاباتها ، مستصحباً حبه لربه ولنبيه ولدينه وللمسلمين ، مستعيناً بالله – عز وجل - وحده! فخرجت من غربتي الذاتية إلى غربة الإسلام اليوم! قال الإمام الشاطبي في الاعتصام في تعليقه على أحاديث غربة الإسلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ، كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس. وفي رواية: (قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: النزاع من القبائل). وهذا مجمل ، ولكنه مبين في الرواية الأخرى. وجاء من طريق آخر: بدأ الإسلام غريباً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس. وفي رواية لابن وهب قال عليه الصلاة والسلام: "طوبى للغرباء الذين يمسون بكتاب الله حين يترك ، ويعملون بالسنة حين تظفي".)

لمن أشكو وأحس تكلم؟	ومأذا يسر طر القاتم؟
ودمغ العين فوق الخ	د - رغم الأنس ف - ينسجم
وفى قلبي جوى وأسوى	وشوق بسات يضطرم
ويضني مهجتي شجني	ويغشى خيطي الألم
ويكوي عزمي ألمي	ومنني الحزن ين تقم
غريباً صامتاً أبداً	فهو ل أوى به الهمم؟!
ويحيى واجماً قلقة	فلا تلتقاه يبتسم!
غريباً ، أهله خذوا	فلا تلمسوه ، ولا قسيم!
ولا فضول ، ولا خلق	ولا قريبي ، ولا رُحُم
ولا عدل ، ولا مئذل	ولا ديم ، ولا شيم
غريباً فني دنيا الخذ	لان ، كم زلت به القدم!
ولم يطمع لكربتة	رحم القاب محترم
تؤنبه سه ريرته	فيطفو - فوقها - السأم
فيذكر ربه وجلاً	وبالقرآن يعتصم

ويعلى و ب التقى النغم
 أن ، مهم غالت النقم!
 إذا ماعة الظلم
 ان منها الفذ يغت نم
 إذا مازلت الهمم
 إذا كادت لها الأمم
 إذا ماضت العمةم!
 وفري جوف الي راع دم
 بها الأشعار والكام
 وفري طياتها الحكام
 وهم - فري فقها - عجم
 ولك أن أهلها غنم
 طلاقاً ليس يلتئم
 وأقوام لها خدم
 قصائد ليس تنهمزم
 لذل تنه الخمةم!
 معاندة ، لها ضرم!
 ومما أودى بها السقم!
 بأيات لها دِعْم!

فيمضي الي أس منج دلاً
 غريب ، زاده الإيم
 ونور الوحي يرشده
 وسؤنة (أحمد) العند
 يصارع بأس همته
 ويرقب نصراً أمته
 ويرشد كل من جهلوا
 ويسن طريقاً عبر غربته
 دواوينه معطاة
 ومما ماتت قضيتها
 على الأموات قد نشرت
 تجوب الودار ، تمسحها
 غريب طلق الدنيا
 و قد بانته ، وزهرتها
 وبيق على من أثارته
 غريب ، كان منتبهاً
 فأثخن فري أراجيف
 فمما وهنت عزيمته
 ورب النأس أيده

قصيدة ولكن هواء

(كتبْتُ قصيدة أصالح بها صديقاً لي. فكانت قصيدة اعتذارية بدون وجود أدنى مبرر لاعتذاري. ولكنها ضريبة الصداقة التي لا تجعل مجالاً للشيطان أبداً! فهو الإيثار إذن! قال السعدي في تفسيره: (والإيثار هو "أكمل أنواع الجود ، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها ، وبذلها للغير مع الحاجة إليها ، بل مع الضرورة والخاصة ، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي).هـ. وقال القرطبي رحمه الله: (الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية ، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة).هـ. وبعد أن حبرت قصيدتي ونقحتها ، وهممت بإرسالها له مات صاحبي فلم يقرأها فكانت هواء! وكنت أتمنى لو كان في عمر صديقي هذا بقية ليطالع ما كتب له من الشعر! فوجهت لومي وعتابي للشعر!)

يا أيها الشعر هل يُردي الأسى كلمي؟ وهل يزيل الجوى ما خطه قلبي؟
كتبْتُ للخـل ملـحاحاً ومُعـذراً
وكل لفظٍ حوى في خافقيه دمي
وصدق الزيف خل ليس ينصفني
ولم يصن ودناً في حالك الظلم
وما تبين ، حتى باع صحبتنا
وبعدُ عانى من التوبيخ والنـدم
بذلتُ نصحي ، وأرسلتُ الألى انتصروا
لي - عند صاحبنا - بالعقل والحكم
أدانُ جهراً ، ولا خل يبـرنني
وبين أصحابنا اندكت غـرى القيم
وإن تكلمتُ ما لاقيت منتصتناً
فهل مسامعهم تشكو من الصمم؟
هذا القريض هواءٌ لا اعتداد به!
فيم التخاذل؟ والأعداء قد جمعوا
أليس يصدر عن بلوى وعن ألم؟
هذا النذير ، فهل نحن الألى فطنوا
كيداً تتـرس بالسـيوف والحمم
لم أرتكب في الورى وزراً لتوسعني
كـيلا نسـير إلى البـلوى على قدم؟
كفي مجاوزة للحد في صافٍ
سباً ، تراني من السباب في سقم
أرحم أخاك ، وقد أتاك معترفاً
فذي علاقتنا في التيه والديم
ما حيلتي عند من ينأى بجانبه
رغم البراعة بالأخطاء في عشم
وإن تلفظتُ أردى بالهراء فمي؟

مخالب الأطياف

(تغالب الشاعر- المرة بعد المرة - أطياف العزة التي كانت أمته عليها يوماً. وبعد ذلك تخشمه الأطياف بمخالبها ، وتتركه أسير الجراح والأتراح! وذلك لتأثره بتذكر المجد التليد والعز السليب ، حيث أصبحت الأمة اليوم في ذيل الأمم والشعوب والحضارات ، وتخلفت عن الركب ، وغردت خارج السرب ، وصار الغير من الهندوس واليهود والنصارى ، يقضون في أمر الأمة بما يتراءى لهم بكل استفزاز. وصدق الشاعر مشخصاً حالها: (ويُقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستنطقون وهم شهود). فكتبت في ذلك:)

أمة المجد المستنيف ، فوادي للمعالي يتسوق والأمجاد
أين عزٌّ عن الديار تناعى؟ أين شرعُ الرحمن في كل واد؟
وقتال الأعداء أين تولى؟ أين فرّت خيل القنا والجهاد؟
وحدود الجبار تهذر جهراً ولماذ التضليل في كل ناد؟
ولماذ الأعداء قسراً تداعوا ليسووا وجوه أهل البلاد؟
ألهذا الحد الوضيع انحدرنا وافتضحنا جبراً على الأشهاد؟
أمتى قد ضاقت بكل تقى من خيـار الزهاد والغباد
فلماذ تكـرمين الخزايا من تمادوا في الغي والإفساد؟
ولماذ واليـت كل عدو وبلغت ذوابه الإمامداد؟
أين إسلامٌ كان في الدار يوماً في قراها ومُذنها والبوادي؟
إن أطياف الأمس كم ذبحتني ورمتني بحربةٍ في الفوادي!
مخلبٌ منها قد يخمش جرحاً ويُدمي سـلامة الأكبـاد
كل طيفٍ يكوي الشعور ، ويمضي تاركاً قلبي في جوى وسهاد
إيه يا أطياف الفنـى عليني بالأماني على مدى الآباد
وازرعي في النفس الكسيرة عزمًا إنني والبشرى على ميعاد

عربون الرحيل

(لم يجمعني به وطن ولا قومية. وإنما جمعني به هذا الدين وتلك اللغة. وكفي به شرفاً عظيماً ، أن يجمعك بإنسان ما الإسلام واللغة العربية لسان الضاد. واستمرت علاقتنا حتى رحل عني ، وتركني وحيداً طريداً شريداً في قوم إن تنفست دفعت ، وإن تكلمت دفعت ، وإن مكثت دون عمل أي شيء دفعت ، وإن عشت دفعت ، وإن مت دفعت. والدفع في كل هذه الحالات من المال والأعصاب والكرامة! وكان لوجوده أثر كبير عليّ ، فلقد كان ردعاً وعوناً وسنداً وظهيراً بعد الله – عز وجل – بدون مبالغة. نعم ، كان رجلاً بمائة رجل. وكم قطع رحيله فيّ ، وحزنت لفراقه. وكم قطع في النفس أكثر أن رحل صديقي مكرهاً ، وقد ودع الكل ، وودعه الكل ، رحل وجعلني على هامش الوداع والتوديع ، وعلى حافة الناس والخلان والمعارف والأصحاب! وكنت أتصور منه غير هذا ، وكنت أتوقع منه خلاف ذلك الذي فعل. إنه اكتفي بكلماته عبر الهاتف ، وجعلها وداعاً حاراً ، وكذا اعتبرها سلاماً دافئاً. فاعتبرت ذلك عربون رحيله ، وأسفت لما كان منه ، واسترجعت ذكرياتي معه على مدى خمس سنوات مرت مرور النسيم الخاطف العابر. والحقيقة أن الأخ عبد الله محيي الدين يحيي اللبناني ، كان الأخ الأكبر ، والصديق البير ، والناصح الأمين ، والرجل الذي يُدخر ليوم كريمة. وإنها إرادة الله تعالى عندما نتأملها ، نتذكر معها قول جبريل هامساً للنبي – صلى الله عليه وسلم -: (أحبب من شئت فإنك مفارقه). ، واليوم يفارقتني الأخ عبد الله على أمل اللقيا عند الله في جنات النعيم! نسأل الله تعالى من فضله. أنشدت من شعري مودعاً الرجل وأهله عام 1993م أقول:)

لحظة التوديع هذي مُرّة	ورحيل الخيل مثل الجمرة
تارة يهذي الفؤاد ، وأخرى	تطرح الحزن عليه الفكرة
طالما أبكيتموني صـحبي	واحتواني الكـربُ بعد العـثرة
دامع العينين ، قلبي ثـاوٍ	واعتلاني الوجـدُ هذي المـرة
وفؤادي في دموعي جـاثٍ	فإذا جفت أعياد الكـرة
كم على الآهات ماتت شكوى!	وعلى الضيم استكانت زمرة!
كم على الأنات قلبٌ يحيى!	شجبت عين الفؤاد العـبرة
يا طيوف الشعر عزي الذكري	واسكبي الوجـد على ذي الفـرة
يارموز الطيف خبي الفحوى	واحفري في جوف قلبي الحـفرة
وادفني الإحساس فيها ، وابكي	أهدر الحزن دمي ، والنـبرة
مرت الأنسام دوني حيـرى	ثم قال القلب: فـيم الحيرة؟

فاعمل بالنفس فعل الخمره
ثم زادت في فؤادي الثورة
والورى - بالله - مثل الصخرة
لا أبالي من هجير الكبدرة
والورى - في الهزل - عاشوا السهرة
في معين الفكر كانت نظرة
ونزيد النفس منه العبرة
ولنا في كل وادٍ غيرة
ولنا من كل فقه فقرة
لم نذق بالدين حتى القشرة
إنما الإسلام نعم الطهيرة!
ثم أعطيناك هذي الإمرة
فإذا بالبحر أمسى قطرة
وإذا الطوفان يمحو الخصرة
أم أرادوا العيش مثل الزهرة؟
وإذا التوحيد أمسى عورة
وإذا بالصقر أضحى هيرة!
ينشدون العز في ذي السكره
وإذا في كل رأس نعرة
وغدت للقوم - حيناً - شهرة

قلت: هذي من فراق ماضٍ
هيج الآه التي في نفسي
ثائرٌ، والروح باتت لهفي
أرقب الفجر المعنى دوماً
ساهرٌ، والليل أضحى خلي
ضمنا في الجد ماضٍ ساج
نقرأ الحق، ونزكي المثوى
نسكب الأنوار، نسموشوقاً
نحن بالعلم ارتفعنا حقاً
قدم الخبز لنا لم نقبل
جنب الله الفؤاد العدوى
يا صاحبي أمروا أركامكم
ثم بتنا في امتحان قاس
وإذا بالناس باتوا صرعى
ضربوا في مقتل أصحابي؟
وإذا الأفكار أضحت ناراً
وإذا الخوف احتواهم، فعلاً
وإذا هم - في الدياتي - هلكى
آه من قوم أتوني موتى
ثم أحيانا الله قوماً قتلى

وإذا الفكرة ضوء يسري
 وإذا التوحيد د ف يهم يحيى
 ثم بالتمحيص باتوا غرقى
 وإذا الكل سراب سار!
 ألغى الحى نهر يجرى؟
 وله الأوقات ، تمضى نشوى
 ألقى الأعداً أم لهفى؟
 آه من كياين ، كيل يطغى
 لم تكن بالحق - يوماً - تلهو
 وفق اللهم عبداً يسعى
 لا تشئت شمل عبدي مضى
 واجبر اللهم كسراً أودى
 واغفر اللهم ذنباً يغشى
 من حضيض الأرض حرز نفساً
 ثم وفق صاحبى ، والأخرى
 وبظهر الغيب دوماً أدعو
 يا (ابن محيي الدين) سافر شهماً
 فارحم اللهم عبداً يرجو
 وإذا فى كل وجه نضرة
 وإذا الدنيا ، كمثل البعرة
 فى بحار التيه ، بنس الطفرة!
 بُذرت - فى الصف - أشقى بذرة
 وله الدنيا؟ وما لى شعرة؟
 وعلى رأسى تـؤز الـدرة؟
 وعلى مثلى تدور الـدورة؟
 ثم كـلّ مسـتريب الـمـرّة!
 يا صديقى ، كُف هذى التجارة!
 وامنح القلب الأسيف القدرة
 فى البرايا يمنة ، أو يسرة
 بأريج الصف ، بل والسرة
 واعتق اللهم روحاً حرة
 ومن الدنيا ، فبنس الضرّة!
 ثم أولاداً كمثل الغرة
 وفق اللهم هذى الأسرة
 والمضى يحدوك فى ذى الهجرة
 من إله الكون - دوماً - نصرّة

الناقة والسائس

(كتب شعراء كثيرون عن الناقة بلحمها وشحمها ، وخفافها وعظامها. ولكنني أكتب عن الناقة الرمز والمعنى. وأقول: إن السائس المتهور هو الذي يقود ناقته إلى حتفها. وهو يعلم أن في هذا الدرب أو ذلك هلاكها. وإذا كان هذا السائس لا حياة له إلا بحياة هذه الناقة ، فماذا يكون وصف هذا السائس؟ إن الناقة قد يكون لها عذرها في بداية رحلة الدمار والضياع والهلاك تلك. لأنها تفترض الخير في سائسها ، وتأمل الحكمة فيه ، وتأمّن جانبه ، وتستبعد تماماً أن يعتمد ذلك السائس إلى الخلاص المكشوف منها ، بهذى الصورة المزرية الحقيرة الفجة. يقول الله تعالى : {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون}. يقول الإمام الألوسي رحمه الله: "لولا قضاة السوء والعلماء السوء ، لقل فساد الملوك. بل لو اتفق العلماء في كل عصر على الحق ودفع الظلم مجتهدين في ذلك ، مستفرغين جهودهم ، لما اجترأ الملوك على الفساد ، ولا ضمحل الظلم من بينهم". ويورد الألوسي رحمه الله رأياً آخر فيقول: "وإذا كان الركون إلى من صدر منهم ظلم مرة في الإفضاء إلى مساس النار هكذا ، فما ظنك بالركون إلى من صدر منهم الظلم مراراً ورسخوا فيه ، ثم بالميل كل الميل لهم؟". ويقول صاحب الظلال رحمه الله: "لا تستندوا ولا تظمنوا إلى الذين ظلموا ، إلى الجبارين الطغاة الظالمين ، أصحاب القوة في الأرض من الذين يقهرون العباد بقوتهم ، ويعبدونهم لغير الله من العبيد". وإذن فهي ضريبة الاسترقاق التي تدفعها كل ناقة تستسلم لسائسها الغر! ولكن ما عذر السائس الذي قد اختل عقله ، وطاشت رؤاه ، واندرحت موازينه ، ولمست الناقة ذلك ، وخبرته عن سائسها ، فلماذا لا تأخذ على يده ، وتنطلق وحدها وتتركه ، وتمضي إلى النجاة مخلفة هذا المتهور وحده في البرية يعض أصابع الندم ويعتصر ألماً ، ويلوك حسرته؟ إنها لناقة متهوره ، تلك التي تستسلم لمن يقودها إلى الهاوية. وهي ترى بكلتا عينيها الضياع والهلاك ، ومع كل ذلك تصر مستكبرة على المسير ، ثم بعد الضياع والهلاك والتشريد تلوم الأقدار والناس ، وتقلب كفيها على ما فرطت. وكان بإمكانها أن تصنع الكثير لاستنقاذ الموقف والخروج الأمان لنفسها ولسائسها من المصير المفجع! حول موقف الناقة من سائسها ، كانت هذه القصيدة الرمزية! والتي أعتمد في قراني فيها على فطنتهم وأراهن على ذكائهم في فك الرمز وحل اللغز!)

دمري نفسك ، أنتِ السببُ والذي يطغى لهُ منقلبُ
واذبحي قلبيك ، لا تعتذري ناقةً بلهاءً ، فميم العَجَبُ!؟
قد قتلتِ الطفل عمداً ، والحِمْي ثم أنسأك الرزايا الجَدَبُ
ما عليكِ العُتْبُ ، كلا ، صدّقي باتت سمّت الناس هذا الرهب!
فأهربي من واقع منمتكس إن عيين الخيّر ذاك الهرب
وادفني أمركِ هذا في الدجى سوف يُخفيه الدجى ، والحُجُبُ
واهزلي - ماشئت - ضاعت أمة والغُرى ضاعت ، وضاع النَّسَبُ
وارفلي في القيد ، كوني جلسه أمة أنبت ، وغاب الحَسَبُ

لا تقولي: من ربا أندلس
 أو تقولي من حمى عُرب أنا
 قد صمتَ العمر ، لم تنتصري
 إنما السانسُ أودى بالحمى
 حز حبل السانس الجيد الذي
 أنت منذ البدء آثرتِ الهوى
 كنتِ للسانس أرضاً والغذا
 ساقكِ السانسُ الطاغوثُ لم
 فاحذري من أن تلومي أحداً
 واستعدي للمنايا في لظى
 واستريحي في سراب خدع
 ما على الحمقاء لومٌ أبداً
 والبلايا جملة ، لا تعجبي
 واستتيري بالهُدى ، لا تجهلي
 كم دعاة قوموا أخطاءه!
 سانسٌ أودى به إعراضه
 وحرماً عنده العلمُ الذي
 فدعيه يحترق ، وانطلقني
 إن رب الخلق كافيك ، فلا

صدقيني: إن هذا كذب!
 والذي سواك ، هذا لعب
 قلت: إن الصمت حقاً ذهب
 وعجيب منك هذا السبب!
 طالما أغراه فيك الجرب
 فسرى البؤس ، وحل الجذب
 فعلاك الكيِّد ، بل والقضب
 ترفضني ، حتى طواك النصب
 عقلك المرذول ، فيه العطب
 أنتِ والسانسُ فيها الحصب
 عاشتِ النوق ، وتحيا الخشب!
 يحرق الهاكس هناك اللهب
 غير أن العير لا تحتسب
 لا يُثبِتُ الخَطَا والرَّيب
 ثم لم ينفع هدى أو أدب
 لم تؤثر في جفاه الخطب
 قد حوته للبرايا الكتب
 وانصحي للنوق ، هذا الرغب
 ترغبي عنه فهذا الطلب

الغزال الأبحم

(أعرضت عن ذكر الله هذه الفتاة الحمقاء الجاهلة ، فزين لها الشيطان سوء عملها فرأته حسناً وعشقت صعلوكاً أوهمها بالزواج. فلما أخذ منها ما يأخذ الرجل من أهله ، قال: لا زواج. فسألت: ولم؟ فقال: كما استسلمت لي تستسلمين لغيري. فانخرس الغزال الذي لطالما ملأ الدنيا كلاماً وخضوعاً بالقول وفتنة وإغراء. وكان الأحرى بهذا الغزال أن يفظن إلى حيل الذنب في الإيقاع به واصطياده ، حتى غدا أسيراً في شراكه ، وقد فقد كل مقاومة ممكنة أو كرامة متاحة أو حرية لطالما تمتع بها بين الغزلان! ومهما تعلق الغزال بعد ذلك ليقنعنا أن المغريات كثيرة من حوله وأنه كان ضحية مكر الذناب وكيدهم ، فإن ذلك لا يسوغ له تنازله عن كرامته وحرية مجبراً!)

اليوم كيف الغزال الحلو يمتهن؟ وكيف تجرفه الشوك والمحن؟
وكيف طاع من أردى كرامته؟ حتى محاصوته الوجوم والشجن
ما زال يلعب بالنيران يحسبها برداً عليه! وفي طياتها الكفن
رأى المساويء ميزات فمارسها هل يستوي النور في الميزان والدخن؟
لما يكن فظناً لما يُراد به حتى استكان لمن بحسنه افتتوا
ما زال يُبدي لهم مفاتناً خفيت حتى تصيدهم في جُوب فتنته
هوى الغزال ، وزالت عنه عفته وأصبح الوجوم برغم الأنف ديدنه
إني أقصد ، أزجي عبرة سطعت حتى يعودوا إلى ما فيه عزتهم
أريد خيراً ، وإن ذرّ القريض جوى وطيب الشعر من رب الورى ممن
ولا يدوم لنا رغيء عيشتنا حتى يُكدر عيش داجن خشن
وفي (الغزال) دروس ثم تذكرة كيلا أكون إذن من الألى لعنوا

ضمير ومواقف

(كان من قدر الله عليه أن يعيش فقيراً. والغنى - اليوم - يتطلب تنازلات جمّة أولها الدين ، وذلك عند السواد الأعظم من الناس. فمرت على ذلك الفقير مواقف مغرية فأبى ، وآثر الفقر في ظل التمسك بالحق وعاش على الكفاف. والحقيقة أن الموت أهون من التنازل عن الدين والعقيدة. فالموحد القانت عندما يموت في سبيل عقيدته يبده الله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، ودماً خيراً من دمه ، وحالاً في الآخرة خيراً من حاله في الدنيا! وذلك عندما يموت شهيداً ليحيا مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. سئل الدكتور محمد راتب النابلسي عن الفرق بين الفقر والافتقار فكان مما عقب به: (تقول: فلان في مرتبة الافتقار ، مرتبة إيمانية عالية جداً ، أقول لكم: إنها من أعلى مراتب الإيمان ، بل إنها تقابل مرتبة العبودية ، فأنت تقول: فلان مُفتقر إلى ربه ، إن هذه المرتبة الإيمانية العالية تحتاج إلى مقومات. قال بعض العلماء: أركانها أربعة ؛ علم يسوسه ، وورع يحجزه ، ويقين يحمله ، وذكر يؤنسه. المُفتقر عنده: علم يسوسه ، وعنده ورع يحجزه ، وعنده يقين يحمله ، وعنده ذكر يؤنسه ، هذا هو الافتقار ، لا افتقار بلا علم ، يجب أن تعلم حقيقة نفسك ، يجب أن تعلم قدرة الله عز وجل ، يجب أن تعلم أنّ الأمر كله بيد الله ، يجب أن تعلم أنه ما من حركة ولا سكنة إلا بيد الله عز وجل ، ما من إنسان إلا وهو في قبضة الله عز وجل. علم يسوسه ، وورع يحجزه ، ولا ورع إذن حجاب عن الله عز وجل ، فالعلم يحتاج إلى ورع ويقين ، لا شيء وأنت قوي ، لا شيء وأنت غني ، يقين يحمل على هذه المرتبة ، وذكر بالله يؤنسه على أن يكون مُتكبراً ، حينما يفتقر يأتي الأنس بالله عز وجل. مرة ثانية: كل المعاني التي تتوارد إلى ذهن الإنسان ، حينما يقرأ كلمة فقر ، أو ينطق بكلمة فقر ، أو يسمع بكلمة فقر ، لا تعيننا الآن ، بل الذي يعيننا هو الافتقار المرتبط بمراتب الإيمان العالية ، من أرقى هذه المراتب الافتقار إلى الله ، استنباطاً من قوله تعالى: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد). متى يستريح الفقير؟ المفتقر يعمل ليومه ولا يسوّف فهو لا يضمن غده. سئل أحد العلماء قال: متى يستريح الفقير؟ قال: إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه. يعني يعيش الوقت الذي هو فيه ، لأن الماضي مضى ، والمستقبل غيب ، ما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها. أقول لكم هذا الكلام: فأنت لا تملك إلا هذه الساعة ، لأن الذي بعد هذه الساعة لا تملكه ، من يضمن: أن نصل إلى بيوتنا؟ من يضمن لنا: إذا نحن نمنا أن نستيقظ ، وإذا خرجنا أن نعود ، وإذا عدنا أن نخرج ، وإذا سافرنا أن نرجع؟ من يضمن؟ فالمؤمل غيب ، وما مضى فات ، فما الذي تملكه؟ الساعة التي أنت فيها ، لذلك: هلك المسوفون). هـ. الله درك يا نابلسي ، ماهذه الفلسفة؟! ولقاء الله شهيداً يختصر على العبد المدى. وعموماً ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وإن هي إلا رصاصة أو صدمة أو غرق ، أو حبال تودي بهذا العمر لتكون حياة خالدة بدلاً من الحياة الفانية ، وليكون عيش رغيد هانيء بدلاً من العيش المكدر الشقي في الدنيا! ولكن اللحظة الفارقة يجب أن تكون على التوحيد وفي سبيل الله ، مقبل على الله صاحبها غير مدير ، حتى يلقي ربه وهو عنه راض ، ولينعم بعد ذلك في جنات ونهر في مقعد صدق عنه مليك مقتدر. ولترى عيناه ما لا عين رأت ، ولتسمع أذنه ما لا أذن سمعت ، وليعاین قلبه ما لم يخطر على قلب بشر. ولنقرأ القصيدة بعد هذه المقدمة التي أراها ضرورية لمعرفة الفرق الشاسع بين الفقر والافتقار إلى الله تبارك وتعالى! وينبثق كونها ضرورية أنها توضح لنا مدي حاجة المسلم إلى ربه في كل حين! وصدق علي عندما قال: لو كان الفقر رجلاً لقتلته! ذلك أنه يكون سبباً في ضياع كفاءات وإنجازات شتى! وأستطيع القطع بأن الفقر دواء قوم في بعض الأحيان ، وفي ذات الوقت هو سبب نكبة وانتكاس

آخرين! ولعل هذا واضح في مجتمعاتنا اليوم لا يحتاج إلى كثير بيان! والأصل أن الله تعالى قد أودع في كل أرض قوتها وقوت أهلها إلى يوم القيامة: (وقدر فيها أقواتها)! فما المشكلة إذن؟ والجواب: يقوم في الأرض طواغيت وهم قلة قليلة يأكلون قوت الضعاف وهم كثرة كثرة فيستكينون لهم فتضيع حقوقهم! ولو أنهم صمدوا في وجوه الطواغيت الظلمة وأخذوا على أيديهم لما عاشوا فقراء أذلاء! وهذه حقيقة ناصعة!

تعرس الفقير ، كم أذل نفوسا وأذاق الصَّيْدَ العَذَابَ كؤوسا!
والشقي من باع ديننا بدنيا وارتضى العيش بالمعاصي بنيسا
همه أن يحيا غنياً مُعافى في ضلال يُردي النهى والرؤوسا
كيف يرضى بذى الحياة تقي؟ إن دين الإسلام ليس طقوسا
إنه منهاج الحياة ، ويكفي أنه يهدي الصالحات النفوسا
وجنان الرحمن صدقاً غوال فلماذا تقلبو القلوبُ النفيسا؟
عش فقيراً ، في ظل دين وتقوى واجعل القرآن الكريم أنيساً
والضميرُ بالسلم أصفي وأنقى ثروة ، بل عندي تفوق الفلوسا
إن ألمت به المواقف تترى صاغ منها لبابها والدروسا
وأفاد الأنام منها ، وأعطى كل حيٍّ من كل درس عروسا
فتمسكُ بالحق يا صاح دوماً وتجنب - صاح - المصيرَ التعيسا
وتعهد ضميرك الحي حتى لا تراه من الرشاد يؤوسا
لا يضحي بالدين إلا وضيع ثم يحيا مُحَقَّرًا وخسيسا
فاتبعني ، واسمع نصيحة خل كم أطل عند التقاة الجلوسا!
شرب العلم والتفقه دهرًا فاستطاع في ساحة أن يجوسا

بكاء الذكريات

(يعجني جداً (ابن الجوزي) رحمه الله. لقد ظلم كثيراً ، وافترى عليه أكثر. والله نصير من ظلم. قال ابن الجوزي في كتاب اللطائف ص 121 ما نصه: (خلقتنا نتقلب في ستة أسفار إلى أن يستقر بنا المنزل: *السفر الأول: سفر السلالة من الطين. *السفر الثاني: سفر النطفة في الظهر إلى البطن. *السفر الثالث: من البطن إلى الدنيا ، أي بالولادة. *السفر الرابع: من الدنيا الفانية إلى القبور ، أي بالموت. *السفر الخامس: من القبور إلى العرض ، أي بالبعث. *السفر السادس: من العرض إلى منزل الإقامة. وقد قطعنا نصف السفر ، وما بعد الموت أصعب.)هـ. وصدق ابن الجوزي - رحمه الله - ، وإنني في هذه القصيدة أبكي فرقة من أحببت في الله - عز وجل - من الأحباب والأصفياء. والحقيقة أن فراق الأستاذ عبد الجواد (أبي أسامة) يقطع في النفس ويؤثر في الوجدان ويذبح خاطر! وإن كنت أنسى فلست أنسى المحاضرات العظيمة في السيرة والحجاب وما يثار حول تطبيق الشريعة! تلك المحاضرات التي غيرت مجرى حياتي. لقد أدت هذه الزفرات الصادقة دورها في هداية ضال كم تخبط في متاهات التيه ، وأرشدت غافلاً كان يبحث عن الطريق حتى أدركه. وإن كان من قدموا لي الأستاذ عبد الجواد قد تنازلوا عن بضاعته! غير أنني أراني أعيش لها وبها وفيها ومعها! وحال بيني وبين الرجل السفر الذي لا أعلم متى ينتهي. إن السفر بحق قطعة من العذاب بكل ما تعنيه الكلمة! وفارقت الدكتور الشربيني أبو طالب ، والأخ الفاضل إبراهيم البغدادي ، والقارئ الفحل الشيخ فهمي درويش! ويزيد من هذا العذاب فراق مثل هؤلاء الأحبة والخلان ، وحقيقة إن الحب في ظل التصور هو أحلى حب. وكنت قد فارقت صديقاً حميماً للغاية ، وعلى إثر هذا الفراق ولدت هذه القصيدة في خاطري. والأصل أننا جميعاً مفارقون هذه الدنيا - بما عليها ومن عليها - يوماً ما ، شننا أم أبينا. ويبكي كل حبيب فراق حبيبه ، ويعبر عن مكانه بكلمات معبرة يسجلها في سجل الحب. وبكاء الشعراء يجب أن يكون شعراً. الأمر الذي يميز بكاء الشعراء عن بكاء غيرهم.)

أبكي على مُر الجوابُ والدمعُ غشاها السرابُ
أبكي ، ويؤلمني الجوى والشوق بالغ في العذاب
وكذا الرحيل ، فموجعُ ولقد ينسئُ من الإياب
وسئلتُ: هل من عودة؟ فغدا السكوتُ هو الجواب
فارقت ينبوع الوفاء ودعت مصباح الصواب
و(أبو أسامة) مقصدي قد كان شهماً لا يُعاب
وإذا تكلم ، فالمضام لكلامه تغنو الرقاب
وإذا تهكم مازحاً فمراخمه فصل الخطاب
وإذا تنذّر ، فالشذى وحروفه شهدهم مذاب

سَهْل الملاممة والعَتَاب	وَإِذَا يُلَام ، فَطِيْبٌ
أَعْطَاكَ مِنْ أَصْلِ اللَّبَابِ	وَإِذَا تَتَوَلَّى فَكَلِمَةٌ
وَسِيعَ الطَّعَامِ مَعَ الشَّرَابِ	وَإِذَا يُزَار ، لَمْ يَكُنْ قَرِيْبٌ
وَالرُّوحَ مَطْلَقَةَ الرَّحَابِ	وَالْقَلْبَ وَاحِدَةَ الْمُؤْمِنِ
تَرْجُو وَمِنَ الْمُؤَلَى الثَّوَابِ	وَالنَّفْسَ بِأَزْلَى الْإِخْوَانِ
وَأَرَاهُ قَدْ بَلَغَ السَّبَابِ	وَالْحَبَّ حَلْبًا وَطَعْمًا
ذَهَبَتْ أَمَّا سَيْنَانَا الْعِذَابِ	يَا مَنْ يَعْزُزُ فَرَاكِمَ
تَهَاهُ الْغَضَبِ نَفْرًا فِي الْعُبَابِ	وَاللَّهِ شَطْبَانَا النَّوَى
وَرَأَيْتُ مَنْ عَجَبَ الْعُجَابِ	وَرَأَيْتُ مَنْ صَحَبَ الْجَفَا
مَنْ لَخِيْرَ مَنْ لَبَسَ الثِّيَابِ	بَلَغَ سَلَامِي يَا نَسِيْبَ
هُوَ رَافِعٌ عَلَّمَ التَّحَابِ	لَمْ يَتَزَلْ بِالْبَغْضِ بَلْ
وَاسْتَرَهُ فِي الْأَرْضِ الْخِرَابِ	لِللَّهِمْ ، فَجَابِرُ كَسْرِهِ
وَأَمْنَحَهُ صَبْرًا فِي الْمَصَابِ	وَاحْفَظْهُ مِنْ أَعْدَائِهِ
كَأَبِي عَيْدَةَ ، وَالْحُبَابِ	وَاجْعَلْ - لَنَا - مِنْ بَعْدِهِ

جريدة الوحدة العربية 13 مارس 1996م

الحمو الموت

(إياكم والدخول على النساء. فقال رجل: أرأيت الحمو؟ فقال ثلاثاً - صلى الله عليه وسلم - الحمو الموت) وطبعاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما يخاطب مجتمعاً نظيفاً ظاهراً وضيعاً ، نظر رجاله إلى النساء غضيضاً امتثالاً لأمر الله ورسوله. أما حينما يصبح نظر الرجال إلى النساء ، ونظر النساء إلى الرجال لا حدود له في مجتمع ما ، فإن الناس فيه تستهجن أن تستمع إلى عبارة (الحمو الموت). ويشهد على الاجترار من جانب الناس على حدود الله هذي الننانج الوخيمة التي نطالعها صباح مساء من التحلل والإباحية والتهتك القائم. ما إن سمعت حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذي يقول في تتمته: الحمو الموت ، ويكررها ثلاثاً. حتى تعجبت ، ولكنني عندما قرأت الواقع المعاصر ، واستقرأت ما سمعته من طوام عظام لمخالفة هذا الهدي الذي يدعو إليه الحديث ، علمت علم يقين أن لهذا الحديث - مع قلة ألفاظه - مغزى عظيماً لا يمكن وصفه بالقلم ، مهما أوتي الإنسان من بيان وحكمة وفن وبراعة تصوير. عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إياكم والدخول على النساء فقال رجل من النصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت. رواه البخاري ومسلم. وهنا يحذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من الخلوة بالمرأة الأجنبية والدخول عليها ، وهنا يسأل أحد الصحابة: "أفرأيت الحمو؟". والحمو: أقارب الزوج أو الزوجة كابن العم وابن العممة وابن الخال وابن الخالة ، وكل من يجوز له أن يتزوج من المرأة! قال النووي: اتفق أهل اللغة على أن الأعمام أقارب زوج المرأة كابيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم" ، فهذا الصحابي يسأل عن أقارب الزوج الذين يدخلون على المرأة بكل طمأنينة ويسر ، ما الحكم الشرعي الثابت فيهم؟ فيجيبه النبي صلى الله عليه وسلم بإجابة قاطعة ثابتة يقينية قائلاً: "الحمو الموت!!" فهو أولى بالمنع عن غيره لأن الفتنة منه أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة من غير نكير! ولا شك أن العمل بحديث رسول الله السالف الذكر يجنب المجتمع طواماً عظيمة ومصائب جمّة.)

والله ، قد صدق الرسولون	الحمو موت ، لا دخولون
فيم التعلل بالتح	لل والترهل ، والذبول؟
وإذا رأيت الحقيق فمي	غير الحديث فما الدليل؟
كم نظيرة أودت بقا	ب متيم ، فغدا القتيل!
وكذاك كم من همسة	لفحنت سويداء العذول!
وكذاك كم من لمسة	قرعت لصاحبها الطبول!
حتى تدنى في الوري	ودموغه ، جهراً تسويل
في الغيب كم من فعلة	تأبى تذكرها العقول!
في عيشنا كم من فتنة	في الناس من طرف كحيل!

ولهان لا يـدرى السـبيل!
هـذي الـدنا ، تـردى الـنبيل!
تـي دـعك مـنـها ، يـا جـهـول!
والـيـوم تـنـتـظـر الـحـايـل
كـمـن أسـى الـرأى الـرذـيل
لـعـلى الـنـسـا ، يـا الـكـايـل!
قـول لـمـضـ طـرب هـزـيل؟
شـهد الـرـضـاب ، لـه صـلـيل
حـوـاء فـي زى جـمـيل
سـير الـلـبـونـة ، والـفـصـيل
لـ: أحـبـها ، قـتل الـثـقيـل!
بـزـوجـها ، وكن الـأصـيل
بـعـة يُـرـوِّين الـغـليـل
هـات الـهـوى؟ أـطـع الـرـسـول
هـذي الـدنا يـا مـسـتـطـيل
رـح عـنـك ذا الـدـاء الـويـل
فـاعـمـل لـمـرـضـة الـجـليـل
وـن نـاظر ، وكن الـفـضـيل
وـسـ يـلـحـق الـنـجـم الـأفـول

كـم حـيـرة ، والـعـاشـق الـ
كـم زـلـةٍ لـلـمـرء فـي
إـذا وُـعـظـت تـقـول: أـخـو
بـالـأمـس كـانـت طـفـاة
إـني أـعيـذك مـن هـوا
تـعـس الـمـرـخـص الـدخـو
هـل بـعد قـول نـبـيـنا
يـهـوى الـنـسـاء ، يـمـوت فـي
وـيـذوب شـوقاً إـن رأى
فـيـسـير خـالف ظـلالـها
حـتى إذا صـفـعته قـوا
لـا تـدخـلن عـلى الـمـغـيـل
لـك مـن نـسـاء الـكـونـون أـر
فـيـم الـتـرنـج فـي مـتا
وكمـاتـدين تـدان فـي
كـن فـاضـلاً يـا صـاح واطـ
فـالمـوت يـأتـي بـغـتـة
لـا تـجـعلن الـلـه أهـ
إـن الـحـيـاة قـصـيرة

عمائم الدخان

(إن الدخان الذي أعني هو غبش التصورات وغموض الرؤى على كثير من الناس ، للدرجة التي معها يسود التخبط بدلاً عن الثبات ، ويصبح الباطل بدلاً عن الحق ، ويمسي الباطل بضاعة يستسيغها الناس بدلاً عن الحق الذي أنزله الله ، ويغدو الغي بدلاً عن الرشاد ، وتصير الجاهلية بعفنها ودنسها بدلاً عن الإسلام بطهره وجماله ونقائه. إن الأمور إذا وصلت لهذا المستوى من الضلال فيكون باطن الأرض خير من ظاهرها لكل غيور على هذا الدين. وكأني به يذوب فواده كما يذوب الملح في الماء ، ويتفتت كبده ألماً وحسرة وحزناً وكماً ، لما يعاين من المعاصي والبلايا والموبقات ، وهو لا يستطيع لها تغييراً بالمرة ، وكأني به يمر بالقبر فيخاطب صاحبه الميت قانلاً: آه ليتني كنت مكانك ، ولا أرى ولا أعاين ما أنا فيه من البلاء. والدخان نذير انقلاب الموازين والتصورات والمعايير. واليوم يغشى الأرض - كل الأرض - لفح الدخان الكثيف ، لذا فهي مضطربة بأهاتها. وما هو بشيء إذا قورن بالدخان الذي ذكر في سورة الدخان ، والذي سوف تأتي السماء به ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم). وكما تغيب الناس المخدرات والمفترات بدخانها الكثيف المزري ، تضلل العامة والدهماء فتاوى أصحاب العمائم العميلة التي تتحرك في الحياة حركة العرائس الدمى فوق مسرح العرائس! أما عمامة رسول الله ومن اتبعوه فليست من ذلك في شيء! عن أبي حازم قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم؟ قال: كان يدير كُورَ العمامة على رأسه يقرنها - وفي رواية ويغرزها من ورائه - ويرسل لها ذؤابة بين كتفيه . ذكره الهيثمي في المجمع. وأما لونها فقد روى الخطابي وابن عساكر عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم معتماً بعمامة سوداء قد أرخى طرفها بين يديه. وروى مسلم والترمذي في الشمائل عن عمرو بن حريث: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سوداء. ولمسلم: قد أرخى طرفيها بين كتفيه. وربما لبس عمامة صفراء كما روى الترمذي. ومن الكتب التي جمعت ذلك كتاب "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" لمحمد بن يوسف الصالحي. فلا يزال أصحاب العمائم المأجورة من المرتزقة يُحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، وفق أهواء أسيادهم الطواغيت لعنة الله عليهم أجمعين. وبالطبع هذه العمائم مختلفة في منهجها وطريقتها ودينها عن العمائم الموحدة التي يعبد أصحابها ربهم تبارك وتعالى ، ولا تقول إلا بما يقول ، ولا تحرم ولا تحلل ولا تفتي إلا على هدى من الله وكتاب منير. والفرق بين هذين النوعين من العمائم يزيد على الفرق بين السماء والأرض. وقانا الله شر العمائم العميلة المرتزقة بالدين!)

الغيم نازحاً حامية
والقبة تحوت الهاوية
والموبقات على الرقبة
باب كما السيوف الماضية
والزور مرتفع اللوا
فوق الرياض الدانية
والجور غطى دارنا
و(اللاث) فوق الراية
يسقبل الأصفى من
أمم الفساد الزانية

والشـر أـمـسـى الخـيـر فـي
والحـق أـضـحـى بـاطـلاً
والغـد ر أـصـبـح طـابـعـاً
والسـخـب أـثـقـلـهـا الـلـظـى
وغـدا الـدخـان طـعـامـنا
ونـدور فـي فـاك الحـي
لا شـيئ يوقـف سـيرنا
وحـياتنا عـجـت بـمـا
والمـوت يـطـوي جـمـعنا
ونـدان دـون جـريـرة
وعقـارب المـجـهـو
ولفـائف التـبـغ المـذـهـب
ودم الصـغـير يُـلـاك فـي
ودخـان كـل مـنـافـق
والقـلب مـرتـبـه بـهـنـا
تهدى النـفـوس لـكـي تـرى
أـمـسـت تـطـوـع كـل هـد
فـمـتـى نـرى أـسـدأ تـذك
وتبيـد فـي دـمـنا سـرا

دنيا الأناام الهاذية
ولكل حل حسي قاضية
ولله رياح عاتية
فوق الجموع الجاسية
وشربنا والآنية
ساعة كما تـدور السـاقية
وهموما متداعية
يُزكى الـديار الفانية
ورؤسنا وبلا دية
ونسام سـوم الماشية
لـ تنهش فـي قرانا الجاثية
بـ فـي رباننا داجية
قـمات المـلا ، والحاشية
مـلأ الفـضا ، والزواية
لـك نـفـحة مـن دـاعـية
فـي الشـعر زهـر القـافـية
ي للنفـوس الـلاهـية
رنا حـديث الغـاشـية؟
بـ المـنتهـى والـداهـية؟

ليلي والماضي

(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، قاعدة أصيلة من قواعد ديننا الحنيف. وإن لم تكن حديثاً للنبي - صلى الله عليه وسلم - كما هو شأن مشهور معروف! ومن هذا الباب أكتب (ليلي والماضي) ، مصوراً جانباً من جوانب المحنة التي تلم بالمسلمين في شتى بقاع الأرض. وليلي رمز لكل فتاة كان قومها ساردين في الغي ، حتى جاء أمر الله بالابتلاء الشديد. وصدق الله: (وكم من قرية أهلكناها ، فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) ، (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ، وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون). ومن هنا تتجلى حقيقة رسالة الشعر في الحياة. وإذن فيكون شاعراً تافها ، من يغض الطرف عن دماء أهل الإسلام والامهم ، ويتنكر لمصائبهم وللتطهير العرقى الذي يقوم به الغرب الحاقداً ، ويتنكر للحديث عن مثل هذه المحن ، ليتحدث عن ليلي وجمالها وذوائب شعرها ، وعدوبة حديثها وسحر عينيها وامتلاء وجنتيها. إننى لا أتكلم عن ليلي الغرام والهيام تلك. بل ليلي أخرى. إنها قصة فتاة كانت تعيش في كنف أبويها وتنعم بالعيش ، وإذا بجحافل الغازين الغاصبين الغاشمين تعيث في الأرض الفساد ، فتدمر المدينة على أهلها ، وصارت هذي المدينة في دقائق كوماً من الرماد والأشلاء بعد أن كانت تنبض بالحياة. وباتت (سراييفو) المدينة الساحرة الجميلة أترأ من بعد عين! وكبر المسلمون في شتى بقاع الأرض عليها أربع تكبيرات ، وصلوا عليها صلاة لا سجد لها! نعم أصبحت مدينة أشباح ، وصارت بعد العمران والحضارة بقعة منكوبة! وليلي التي أعني ليست بليلي العامرية معشوقة ابن عمها قيس بن الملوح ، بل هي ليلي البوسنوية ، والهندية ، والفلبينية ، والراهونجية والكشميرية ، إنها ليلي العقيدة والتوحيد. إنها (ليلي) التي ينتهك عرضها ، وتلاك كرامتها ، ويعتدى عليها ، ويسلب شرفها ، على أيدي الزبانية والحاقدين أعداء الله ورسوله والإسلام! وينزل بليلي كل هذا لا لشيء إلا لأنها تقول: ربي الله وديني الإسلام! قال ابن القيم في (زاد المعاد): (فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطمغوا وبغوا وعتوا ، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله ، يستفرغ به من الأدوية المهلكة ، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه: أهله لأشرف مراتب الدنيا ، وهي عبوديته ، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه)هـ. وروى الترمذي وصححه الألباني: عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). قيل للإمام الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل: الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال: التمكين درجة الأنبياء ، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة ، فإذا امتحن صبر ، وإذا صبر مكن. روى الترمذي وصححه الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه ، وولده ، وماله ، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة). وحسبنا الله ونعم الوكيل! وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده! وما ذلك على الله بعزيز!

ليلي على ماضي الحمى متحسرةً تبكي ، وتخنقها دموع المآثرة

وأنيها يكو الضلوع وما حوت ونحيبها يُردي الطيوف المضمرة

والمقلتان محاهما فرط الأسى والقلب يوغل في ندوب الغيذرة

والوجنتان براهما مُرّ الأذى
وقوامٌ ليلى في سراب مصيرها
فأحال بسمتها عبوساً ، وانزوى
أبدأً تحطمها الهموم ، كأنها
والحزن فوق جبينها محلواك
وكذا الوجوم على السرير مُلاءة
ويعرقل التدمير حسن صبية
ويطارد الوحشيّ طيبَ أريجها
فيحيلها زبدأً تلفع بالدجى
كانت تعيش ، ولا تبالي بالعدا
مع والديها في دلال تنثني!
ويُعطر الدنيا أريجُ هائها
تلهو ، وتلعب ، لا تفكر في الدنا
والبيت يملاه عبير ضيائها
ولها رفيقاتٌ يُسلين الهوى
حتى إذا صار الرجال بأرضها
لعبوا بهدي الله في أرحابهم!
شربوا الخمر ، وعربدوا وترهاوا
ونسأؤهم مزقن كل فضيلة
وهتكن أستار الحياء جهالة

والروح ثكلى ، بالمرار مغبرة
نثر الكآبة في هجوم العسكرة
أسفاً على ذبح الفتاة الخيرة
مثل الدقيق ، أمام ريح مجهرة
فرش المذابة فوق رأس الخزورة
تند ابتسامتها ، وتردي الأسورة
ولها يهييء - من يضل - المقبرة
أبدأً ، ويُحكّم في السجون السيطرة
من بعد أن كانت تفوق الجوهره
وديارها بالعز كانت مُثمرة
وتداعب الأطياف خلف المشجرة
والأرض نشوى ، والمداين مُزهرة
وكأنها بابين الصبايا عنبرة
والخير يشدو ، والليالي مُقمرة
ويُزلن أحزان الدمى المتكدرة
مثل الدمى في حالةٍ مستهترة
جعلوا الركون إلى الدنيا قنطرة!
والدار منهم تشبكي متحسرة
وجرين خلف من اتبعهن الأديرة
فوجوهن بكل وادٍ مُسفرة

وتكاثرت أمم تجيد السمسة
مسكينة هذي الفتاة الخيرة!
وغزت حواضرها جيوش الغيرة
أودى بعفتها زئير الحيرة
بقرت يُوعته الدمى المتحجرة
إنني تكليت يراعتي والمحبرة
وتبيئت تجتُر المرارة مُفجرة
للعائدات ، ولا ترى ذي المَجْزرة
ورأيت أسئلة أتت متأخرة!
والنار تحرقنا ، وتصبح مُسكرة؟
وعلى عذارانا تدور المحفرة
والطفل تذبحه أيادي المَدغرة
كالغيث ، تنزله السماء الممطرة؟
والجنود تضرب يمنة ، والميسرة؟
وعلى الرقاب - كذا - سيوف مُشهرة؟
وعلى أيادي الأمّة المتحضرّة؟
وله المخالب في الدنا والهرة؟
وحواضر أظلافها كالجيرة
إنني علمتك في البلايا فيهرة
كوني لأمرك كله مستبصرة

والعرض بيع بهين ، وكذا الحيا
ما ذنب ليلى يا ترى وسط الوري؟
فلقد أعد المجرمون لها المدي
يا ليلي ، أنت قضية مسلوبة
وأنيك المُلقى على سمع الدنا
يا لبيت شعري كيف أرسم ما جرى؟
عذراء تصرخ في العراء ، وتشتكي
وتود لو ماتت ، وكانت لقمة
كم ذا رأيت - على جبينك - حسرة
كيف انتهك حقوقنا ، وحياتنا
ورؤوسنا تحت العذاب كما الدمى
حتى العجائز لم يرين هواده
أرأيت بالعمران يسقط حولنا
أرأيت بالعذراء يُسلخ جلدها
أسمعت بالنيران تحرق خلنا
أسمعت بالأطفال تحرق جملة
أسمعت بالإنسان أصبح كاسراً
وله القرون ، وسُم لدغته الردي
يا ليلي كُفي الدمع هذا ، والجوى
والدمع جرح وجنتيك ، ولا عزا!

والمجرمُ الغازي ، سيأتي يومه
 ولسوف يصفو الجو من بعد الدجى
 ولسوف تغتصب الحنيفة ثأرها
 ويزين كل صبية جلبابها
 والأرض تزهو وفي ظلال شريعة
 يا أخت صبراً ، لا تبالي بالردى
 وعسى تكونوا قد أخذتم عبرة
 هذا نصيبك يا فتاتي ، صدقي
 والليل طال على البغاة ، وغدرهم
 إن الحقيقة أن كل معرِبِدِ
 ياليلى إنك في الفؤاد ، وفي الحشا
 أنا يا فتاتي مذنبٌ ، ومقصرٌ
 أنا يا فتاة الخير أعزلٌ ، ترتوي
 وأبيت في الآهات يذبني الجوى!
 لا تسخري من لوعتي ، فأنا أخو
 والله مظلَعٌ عليكِ ، فلا أسى
 والله أرحم من أبيك ، وزوجه
 والله ناصر من تمسك بالهدى
 ولسوف يحرقه لهيب المسجرة
 ويعم هذى الله دوراً نيرة
 ولسوف ينقشع الظى والمعصرة
 والشرع يعلو ، ثم تخبو الغصرة
 وتصير من خيراتها مس تعطرة
 فالصبر يُحدث بعد عُسر ميسرة
 وعرفتُم أمم الصليب المنكرة
 لولا التهاون ما استبدت القسورة
 ومصائب الأشرار تلك مُقدرة
 يوماً ستطويه البقاع المُقفرة
 ودماء جرحك في الحنايا مُبحرة
 وقصائدي أمسيت مجرد ثرثرة
 مني المنايا دمعتي المتحدرة
 ويراعتي في كل فرح مُدبرة
 كِ أذود عن منجائك حتى الغرغرة
 حتى ولو لكِ قد أعدت مجرة
 ومن الدنيا ، فالله أهل المغفرة
 وظهيرُ أختٍ بالحنيفة مُبصرة

المساء

(أتى الدين للحفاظ على الضرورات الخمس التي هي: (الدين والنفس والعقل والمال والعرض). ولكن إذا خيّر الموحد القانت بين النفس والدين ، فإنه يضحي بالنفس ليبقى الدين ، ويذهب إلى الله شهيداً حياً عند ربه. إن الدنيا ليست نهاية المطاف كما يصور الشيطان لكثير من الناس. ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافراً منها شربة ماء ، كما أخبر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - . ويرى الأديبان: عبد الله الجفري ومحمد الصالح رؤية خاصة في الرمز الشعري والليل نصها: (إننا نجد أن أول مدرسة (الرمز الشعري) كانت انطلاقة حميمة صادقة من ذلكم الشاعر البدوي ، فكان ينفث لهيب قلبه وسعار وجدانه في الليل ، ويعمد إلى أسلوب التشخيص المعروف لدى البلاغيين ، فيشخص من الليل: إنساناً أو خيلاً يناشده ويخاطبه مجسماً بكل أبعاده ، يصب فيه جام غضبه وسعار وجدانه. فيكون الليل هو المناخ الطبيعي أو المتنفس الذي يجد فيه الشاعر البدوي العفوي كل أمنيه وآماله على اختلاف أبعادها! وعلى مدار الزمن: كان الليل هو الشاطئ الذي يستكين إليه الشاعر ، ويستشف منه الدفء والحب بكل أحاسيسهما. ومنذ العصر الجاهلي الأول: بدأ الشاعر العربي في صحرائه يتخذ من الليل سلوى يشكو من خلالها معاناته وبوحه وما يختلج في نفسه من أنات وكدمات ، وربما ما يذوب فيه من أشواق وتأمل الليل: وعاء التلقي للشاعر بمختلف اتجاهاته ، من إحباطات وسأم ، وشجن ووله ، وحب وغرام وشكوى! وبوقفة عاجلة على هذا التراث ، نتلمس أبعاد الصياغات الفنية التي تصدر وهجها الذي يصوغها الشاعر بعفوية مقبولة. فهذا امرؤ القيس يصور الجيش بجنح الليل وهو يرخي سدوله فما أرق وأجمل وألطف لفظة: (أرخى سدوله) على الشاعر ليبنتليه بالهموم. ومن هذا المنطلق: يبدأ الشاعر في تجسيد الليل وتلوينه بالأوان الطبيعية التي تدفق من الشاعر: وجداناً وحساً).هـ. إنني إذ أنحت قصيدة (المساء) ، لا أريد ذلك العنوان والمضمون الذي صاغ تحته كثير من الشعراء قصائدهم في القديم والحديث ، مساء الحب والغرام. ولكنه مساء الاختيار بين عقيدتي وديني. وكان عليّ أن اختار بسرعة قبل فوات الأوان. وعندما وضع لي العز والمال والرفعة والسؤدد في كفة ، والعقيدة والتوحيد في كفة أخرى. فوفقتي الله - عز وجل - إلى اختيار الدين والتمسك به ، وترك الدنيا وراني دون أدنى تفكير في الأمر ، وكم كانت مكابدة ومعاناة وصراع دار في النفس للحظات. والحمد لله لم أنحدر ، ولم أفتن ، ولم أترك ما أنا عليه. ولكنني أذكر جيداً أنه حقا كان مساء متعكراً ، ذلك المساء الذي خيرت فيه بين العقيدة والتصوير مقابل عرض من الدنيا قليل. أن تكون العقيدة والتوحيد مقابل التضييق والتشريد ، فهذا هو الخيار الصعب. فوفقتي الله إلى اختيار العقيدة. وإن فالرمز الشعري الذي أعنيه هنا هو الموازنة الصعبة بين فقه الأولويات!

مُكابِدةٌ تعانِي في الحنايا تضاعفها الدغاولُ والمنايا
وتغمرني الخطوبُ ، وتحتويني فأبكي ، ليس تسـمعي البرايا
ولو كانت دموعُ العين بحرّاً لمّا بقيت من الدمع البقايا
مساءً مرَّ كالحرب العواني وليلّ طال في حسم القضاء
وهمّ كالجبال على فوادي تعانِي منه روحي ، والحنايا

وأغراني بدافقة الهـديا
فلن تلقى فؤادي في الضحايا
ألا يا وغد كُف عن الدنيا
وإن خبثت حوالبه النوايا
يُقضى العُمر يهـذي كالمطايا
وعاشوا - في الوري - مثل الولايا
يُجمناي ، ويمنعني الرزايا
فأختار الهـدي رغم البلايا
ألا خبثت عِظاُتُك ، والوصايا!
فلا تصنع أفاعيل البغايا
وأحذر من ثمينات العطايا
يوافقت بأعناق الصبايا
لتحرقني بتور الخطايا
لأخرج ما بقلبي من خبايا
لتعرف ما بروحي من خفايا
لأصبح من ممالك السرايا
تراني نافعاً بين الخلايا
لأن الغدر من أشقى السجايا
سـيؤثرنا على كل الخزايا

وساومني على ديني سلفية
توعدني كثيراً ، قلت دعني
وإن بعثت اعتقادي ، فم أحياء؟
يعيش المرء ، ما استهدى ببأس
وما ضر الأبـي الخـرجـيل
وَجـلـ رجاله خارت قـواهم
وإن الحق تاج فوق رأسي
تُخـيـرنـي ، وتلوي القلب قسراً
وتجعلني أفكر في هـراء
حسمت الأمر ، لا تفكير فيه
أصون عقيدتي بالنفس ، فاعلم!
وأشعاري كمثل الدر صـيغت!
أتبذل كل ما في الوسع جهداً
وتشعري بأنـي ضـعت حقاً
وتسـلمـني لغـيرك مشـمئزاً
وتجتو فوق شعري مستباحاً
أحسب أنني - بالغدر - أحياء؟
لقد أخطأت فيما رميت فعلاً
وفوق العرش من تقم عزيزاً

الشمعة الباكية

(أيام كنت في الصف الأول الثانوي عام 1978م ، أطلعني صديق قديم من أصحابنا هو (محسن مأمون رسلان) من أهل تفتيش كفر سعد ، وكان يكبرني بعامين تقريباً ، أطلعني على قصيدة له بعنوان (الشمعة الباكية). ولم أكن أيامها أدرك من الشعر وفنه وقواعده وضوابطه وموازينه وأوزانه ما أدركه اليوم ، غير أنني كنت أحس بالشعر والشعراء ، وألمس الصدق فيما أقرأ من الشعر ، وأستقى الجمال من بين أبياته. فأذكر أنني أثبتت على قصيدة صاحبي محسن رسلان ، وقد نقشها بالقلم على ورقة من إحدى أوراق كراسات المدرسة. وكان من تعليقه على العنوان (الشمعة الباكية) أن الشمعة عنده رمز التفاني والعطاء. وليس أكثر من حرقها لنفسها لمادة حياتها لتتير الطريق للآخرين. واليوم أكتب على العنوان ذاته. روى الترمذي وصححه الألباني: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). وقد سمعت الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لهذا الحديث يقول درراً منها: (أشد الناس بلاءً الأنبياء) لأن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالنبوة ، وابتلاهم بالدعوة إلى الله ، وابتلاهم بقوم ينكرون ويصفونهم بصفات القدر والذم ، ولكن هذا الابتلاء هو في الواقع ؛ لأن كل ما أصابهم من جرائها فهو رفعة في درجاتهم ثم الأمثل فالأمثل) يعني: الأصلح فالأصلح ، كلما كان الإنسان أصلح ، وكلما كان أقوى دعوة إلى الله ، وكلما كان أشد تمسكاً في دين الله ، كان له أعداء أكثر، قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) ، وعداوة المجرمين للأنبياء ليس لأشخاصهم بل لما جاءوا به من الحق ، وعلى هذا فيكون كل من تسمك بما جاءوا به من الحق ناله من العداوة من المجرمين مثلما ينال الأنبياء أو أقل بحسب الحال ، والله عز وجل حكيم يبتلي بالنعيم ويبتلي بالنقم ، فابتلاؤه بالنعيم لئيبولنا أنشكر أم نكفر ، وبالنقم لئيبولنا أنكفر أم نصبر ، وهذا هو معنى الحديث". إن هذه الشمعة التي أعني رمز للقيم والفضائل التي تعرقلها الدنيا والرذائل ، وهذا في بوتقة الإفلاس ودار الهوان وهاجرة الذل وضيفة الصغار ، فلا تجد هذه الشمعة الباكية: أي القيم ، إلا البكاء سبيلاً للتعبير عن المعاناة. وسرعان ما يرق لها ضمير صاحبها ، فيهمس عندئذ في أذنيها أن تتصبر وهي تكابد ما تلاقي ، فتعود الشمعة تطارد وتلاحق تركيبية الخوف بداخلها ، وينطلق فيها صوت عميق الشجن ، مضمونه أن الشمعة تخاف أن تطفئ الدموع نورها! فأردت - بعد أن سبرت غور الشعر وأدركت حقيقته - أن أكتب صياغة تصويرية لشمعة أخي (محسن مأمون رسلان) الباكية ، فكانت هذه القصيدة! ترجمة لهذا الشعور ولتلك الذكرى!)

وباكية تعاني من أساها وتساءل: كيف أدمتها خطاها؟
وقادتها إلى المكروه قسراً ولم يأس الأنعام لَمَداهاها
تشع النور في كل سبيل وتحرق نفسها ليرى عداها
تبيت الليل في لفح ودمع ويطفئ غيرها - عمداً - ضياها
وتبكي - في الورى - ما يحتويها وودعت الينوعة وجنتاها
يُحاربها الظلام ، ينال منها فيزداد اللهب على أساها

وأنياب الظلام بكل درب
ألا يا شمعة في الدار تبكي
لقد حولت صمت الصخر قلباً
والمك الهوان ، فقلت: آه
أخاطبها ، فتغضي في حياءٍ
ولكن زهدوا في الدين ردىاً
وغاب الحق ، لم تحزن عليه
رماها الشر في بنر البلياء
وتفديهم بأرواح ومال
قد انقلبت موازين البرايا
ألا يا شمعة بالعطر نشوى
وصوني العطر عن قوم خزايا
وكم سقطت دموع العين ترى!
فهل تبغين في الدنيا غلواً؟
أراك اليوم دامعة المحيا
إذا رمت السلامة ، فاستجيبى
ثباتاً ، أيها الخجلى ، وصبراً
وإن الله ناصر من تزكى

تمزقها ، ولم ترحم جواها
وبوم السدار محذقة تراها
يُرَجِّع آهة تكلىت صداها
فذابت صخرة في منتهاها
وتدري الناس - حقاً - مادهاها
وداري ليس تبكي ما اعتراهاها
وقد رتعت بأحوال هواها
ومن عجب تكرم من رماها
وتجعلهم رموزاً في مداها
فعربيد كمن يبغى هداها
دعي الجونات غرقى في دماها
فإن العين جفت مقلتهاها
وغيرك في مهاوي الدعرتاها
وهل تبغين أموالاً ، وجاهها؟
وتعلو ثغرك المجنوز (واها!)
فقد ينسبت دموعك من لظاها
كفالك الروح تحيا في هداها
أجب - رباه - للحيرى دعاها

الوعد الملتهب

(وعدّ قطعه على نفسي منذ زمن بعيد. ويلتهب العمل به في نفسي كثيراً. هذا الوعد هو عدم النظر لما خوله الله لغيري وخصه به - سبحانه وتعالى - وحده. وأن اهتم بشأني وأمري فقط. وذلك امتثالاً لقوله تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) ، وقوله: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما كسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله) ، وأيضاً ترغيب نبيه - صلى الله عليه وسلم - في الرضا بالقليل ، وفي الرضا بما قسم الله وفي الرضا بقضاء الله وقدره ، وفي النظر إلى ما هو دوننا ، وليس بالنظر إلى ما هو أعلى منا ، فإن هذا يساعدنا على أن لا نزدري نعمة الله علينا. وعموماً هذا الكلام - نظرياً - يسير للغاية. وأما من الناحية العلمية فهو في غاية الصعوبة إلا أن يعين عليه الله - عز وجل - . قال الله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ * لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ * وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ * إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). جاء في تفسير الجلالين ما نصه: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض): من جهة الدنيا أو الدين لنلا يودى إلى التحاسد والتباغض. «للرجال نصيب»: ثواب «مما اكتسبوا»: بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره! «ولللنساء نصيب مما اكتسبن»: من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن. نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا ، وكان لنا مثل أجر الرجال. «واسألوا» بهمزة ودونها «الله من فضله» ما احتجتم إليه يُعْطِكُمْ. «إن الله كان بكل شيء عليماً» ومنه محل الفضل). هـ. وجاء في التفسير الميسر ما نصه: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، في المواهب والأرزاق وغير ذلك ، فقد جعل الله للرجال نصيباً مقدراً من الجزاء بحسب عملهم ، وجعل للنساء نصيباً مما عملن ، واسألوا الله الكريم الوهاب يُعْطِكُمْ من فضله بدلاً من التمني. إن الله كان بكل شيء عليماً ، وهو أعلم بما يصلح عباده فيما قسمه لهم من خير). هـ. والمثل القائل: القناعة كنز لا يفنى ، وإن كان مثلاً تردده الألسنة ، وقد تفقهه العقول أو لا تفقهه ، إلا إنني أراه قولاً فصلاً في هذا الباب. وإن كل قانع بالعيش ليس له أن يتطلع إلى ما فيه الناس من بسطة في الرزق ، بل ينشد حقاً ما عند الله سبحانه وتعالى ، فهو خير وأبقى. (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نزلًا من عند الله ، وما عند الله خير للأبرار) ، (زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ، (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ، نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون). ولقد يكون البسط في الرزق قرينة غضب الله تعالى! فإن الله أعطى فرعون ملكاً وأعطى هامان وزارة وأعطى قارون مالاً ، وأعطى بني إسرائيل ما لم يعط أحداً من العالمين ، فهل كان ذلك منه قرينة رضاه؟! بالطبع كلا وألف كلا. وحرّم الله بعض أنبيائه ورسله وأوليائه وأصفيائه ، يبتليهم ويمتحنهم ، ويرفع درجاتهم ، فهل كان ذلك قرينة غضبه؟! بالطبع كلا وألف كلا.)

قَد كُنْتَ تَحِيَا فِي ائْتِلَافٍ يُرِضُكَ رَبُّكَ بِالْكَفَافِ

وَتَسِيرُ فِي دَرْبِ الْهُدَى وَتَعُودُ يَسْرًا تَرِكُ الْعَفَافِ

كُنْتَ الْقَنُوعَ وَحَقِيقَةَ وَتَحْبِبُ مِنْ كُلِّ الشَّغَافِ

مَنْ ذَا يَتَوَقَّعُ إِلَى الْغُلَا يَحْدُوكُ فِي الْحَقِّ الْهَتَافِ

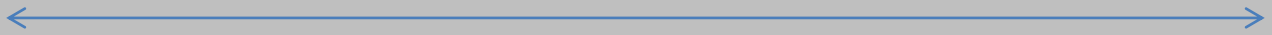
تعطى برغم خصاصةٍ
وبرغم ذلك كله
لا النفس راضية بما
كلا ، ولا القلب بالنذي
أبداً ، ولا الروح التي
هي تألف البيد التي
عن أن تنافق معرضاً
إن القناعة مركبة
وأرى الرضوان نور الدنا
إن العقول إذا قلت
فماقتع بعيشك ، واصطبز
والصحب خاتوا عهدهم
لا تنظرن إلى الورى
واعمل بما علم النهى
واصمد ، ولا تك هزلاً
وإذا أصيبت أمة
حتى متى تطويك بي

وتتوج العطف الضعاف
تحيا يعرفك الخلاف
فعل الأنعام لى (إساف)
كم حار في الغيد اللطاف!
تأوي إلى البيد الورى
تأوي النعاج ، مع الخراف
دنياه تعشق الانحراف
أبداً يجن إلى الضفاف
حتى وإن حل الجفاف
إسلامها غدت الخفاف
ماتت أمانيك العجاف
فيم التحسّر والهتاف؟
واكسر رقيودك ، لا تخاف
ودع الأراجيف السّخاف
لتعيش - دوماً - في اتلاف
كنت الوحيد بها المعاف
من القوم ريح الإخلاف؟

جريدة الوحدة العربية - 21 / ابريل / 1996 م

فيضان الانفعال

(البلاء بالشر والخير سنة من سنن الله التي لا تختلف ولا تتبدل ولا تتحول أبداً. يقول الله تعالى في هذا الشأن: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون). وأقطع وأجزم أن وجود الصديق ذي الهمة العالية والعزيمة الإيجابية والمضاء الرزين والإباء الأشم والنصيحة المخلصة والنجدة الوفية والأريحية المحضة والشهامة الصافية التي ليس فيها ذرة من الخذلان ، أقطع وأجزم أن وجود مثل هذا الصديق - إن أصاب المرأ بلاء - ليُهَوِّن أمر البلاء ، ويجعله هينا كالنسيم الرقراق وكالماء القراح على الظمأ. قال شيخ الإسلام رحمه الله: "مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله". والحقيقة أن المصائب تصقل تجربة المؤمن في الحياة ، وتجعله ينزود ليوم المعاد بخير الزاد. قال سفيان: "ما يكره العبد خير له مما يحب ، لأن ما يكرهه يهبجه للدعاء ، وما يحبه يلهيه". وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يعد سجنه نعمة عليه تسبب فيها أعداؤه. قال ابن القيم: (وقال لي مرة - يعني شيخ الإسلام - ما يصنع أعدائي بي! أنا جنتي وبستاني في صدري ، أنى رحت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله ، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدرأ ، وأقواهم قلباً ، وأسرههم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساعت منا الظنون ، وضافت بنا الأرض ، أتيناها فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقينا وطمانينة فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمساابقة إليها)هـ. وعندما يُطعن المرأ فيمن كان يظن أنهم أصفياؤه وأولياؤه وخلصاؤه ، فعندئذ يكون البلاءُ بلاءين ، وتكون المحنة محنتين ، وتكون المصيبة مصيبتين. إنني أكتب هذي القصيدة التي أعنون لها اليوم بـ (فيضان الانفعال) لكي أشير إلى أن الانفعال بخذلان الرفاق وتخلي الأصدقاء قد بلغ في القلب منتهاه ، وعم وطم ، وفاض إلى حد لا يطاق. وساعة يُحبس المرء في مشاعره وأحاسيسه وعواطفه ، فإنه يتعذب ويشقى ، بل وينفعل كثيراً ، ثم يصل به الحال بعد ذلك إلى درجة الفيضان ، ثم يتمنى الخلاص من غده بل من يومه ، بل من لحظته وتوه ، بل قبل أن يرتد إليه طرفه. ولكنه يصطدم بالقدر المحتوم والأجل الآت: (لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ، (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ، وكذلك أنزلناه آياتٍ بيناتٍ وأن الله يهدي من يريد). والله المستعان ونعوذ بالله من الشر وأهله).



اليوم عشيت بلا حراك وتريد من غداك الفكاك
والقييد توقيك للعلا ويعيش في عمه سيواك
أسفي على أمس مضى قد كنت تحيا كالملاك

يا صاحبي ، صابراً فكم
 وجوى المشاعر واعرّ
 زبذ العواطف فكم طغى!
 والرمحُ في يدك اللظى
 لفتح الشقا منك النهى
 والشعر - ويح الشعر - لم
 حتى انصهرت ، فلا مضاً
 لكنمما جرح السنا
 والقلب ضارباً جرحه
 والعقل يقتله اللظى
 تبكي على هدي السما
 كيف استبحت بيضاً
 بل كيف زالت أمّة
 يا قلب ، كف فدمعة
 فمى انتحابك في الدجى؟
 هو في التردى راتع
 ولرب يوم قدام
 ويزغرد الحرق الذي
 نصب العدا لك من شباك!
 ويظنّ الإحساس فباك
 ثم استكان فلا حراك
 فاطعن ، ولا خابث يداك
 وطوى قصائدك الهلاك
 يحزن لزمجرة العراك
 والروح نشوى كالأراك
 في الروح عانى من أساك
 والنفس شاخصة هُناك
 والآه عاتية كذاك
 يا دربنا ماذا دهناك؟
 يا غيب قل: ماذا وراك؟
 يا شعر ، هل يجدي خُداك؟
 ماذا أخذنا من بُناك؟
 والجيش للاه ، لا يبراك
 والحزن في البلى احتواك
 يُنجبك مما قد علاك
 عانى الخفا مما يُحاك

جريدة الوحدة العربية - 20 / ابريل / 1996م

الإملاق الأبيكم

(كثير من المترفين الأغنياء الذين أعماهم بريق أموالهم عن حقوق الفقراء فيها ، لا يحسون بمصائب المعوزين والبؤساء ممن كان الفقر قدرهم لحكمة الله يعلمها. وتكون الطامة الكبرى عندما يكون هؤلاء الأغنياء مدينين لهؤلاء الفقراء ، فنجد أن الأغنياء قد صرفهم غناهم عن أن يحسوا بديون تعين الوفاء بها لهؤلاء الفقراء ، لا من باب الصدقة عليهم ، بل من باب المديونية لهم! فلا يُعطي أحدهم الفقير الأجير عنده حقه ، لا قبل أن يجف عرقه (وهذا اختيار النبي - صلى الله عليه وسلم) ، ولا بعد أن جف عرقه وذهبت قواه أدراج الرياح من أثر العمل! وهؤلاء الفقراء برغم كل هذا أعزة صابرون محتسبون! وهم على افتقارهم الشديد إلى المال ، لكنهم في غاية العفاف والجدية والعزة ، كما وصفهم ربنا تبارك وتعالى إذ قال: (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافاً). فلم يذل الفقر همهم ومعنوياتهم ، كما أذل أكبادهم الجائعة وبطونهم الخاوية. إن الغنى غنى النفس. والقناعة كنز لا يفنى. وكم من غنى رزقه الله المال ، وحرمه الصحة أو الدين أو الاستقامة أو العلم. وأسأل: ما قيمة المال لإنسان هذا شأنه؟ إنني أكتب (الإملاق الأبيكم) لأعزي بها كل فقير موحد وأصبره. وأيضاً أذكره بأن الرحيم الرحمن قد منَّ عليك بنعمة الإسلام ، وكفي بها نعمة لا تضارعها نعمة. وتعجبنى كثيراً كلمة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لو كان الفقر رجلاً لقتلته. وذلك لما فيها من الإحساس بضنك الفقر ولوعة الحاجة وثقل العوز ، والفقير العزيز يشعر بالفقر أكثر من غيره ، ونحن في أيام يعتد الناس بالأموال والدور والغنى ، وتكثر القوارين ، وإننا لنبصر بهم يريدون أن يقولوا مثل الذي قاله قارون بالأمس السحيق: "إنما أوتيته على علم عندي". ومن هنا رحلت أكتب عن الإملاق الذي قد تذهب معه بعض القيم ، لولا لطف الله بالعبد وانتشاله من دنيا الهواجس. وعموماً التوحيد والعقيدة يعصمان من الفتنة بالفقر والافتتان بالغنى!)

رَأَيْتُ الْفَقْرَ فِي الدُّنْيَا يُدَمِّرُ وَأَمْرُ اللَّهِ فَوْقَ الْفَقْرِ أَكْبَرُ
وإملاق بليث به عسير وعزة همتي أعتى ، وأعسر
ومن تلقاه في الدنيا فقيراً فلا تبخل عليه ، ولا تقتر
ومن يدري ، لقد تغدو معوذاً وتصبح في الورى أدنى وأفقر؟
وليس الفقر منقصة لشهم ولكن الخنا أنكى وأحقر
وكم أعطى الإله المال ندلاً! فما شكر السفية ، وبات أنكر
وعاش يُذل خلق الله دهوراً له في الكيد ترياق معصفر
ألا إن الغنى داءٌ وبيل وإن الخير عُقبى من تصبر
وإن المال ذو سحر رهيب وعشق المال فحوى كل منكر

يقول الناس: لو أوتيت مالا
وما أنذرت صحبا ، أو عشيرا
ولم تنصح بتبرك للخطايا
ولم تعط الفقير ، ولم تزك
وأخبرنا: لماذا الفقر دوما
ويصحب كل مخلوق أبي؟
أينصر حقاكم بالفقر يوما؟
أيعلو الهدي بالإفلاس؟ قلها
هي الأموال تبني كل مجد
وتمنح من يريد العز عيشا
ويأتي بالجمال المال أيضا
وإن الناس بالأموال تشري
حمدت الله أن عوفيت حقا
حرمت المال ، ثم حبيت ديناً
قوارين الورى - بالله - حمقى
دواء ذلك الإملاق صيداً
وإنك في نعيم يافوادي

لما جاهاهت بالقول المكرر
وما ذكرت بالأمر المقدر
ولم تزجر عصبياً ، أو تحذر
وإن الشهيء بالشهيء ليذكر
يُلازم من تحنف أو تفكر
تريث في جوابك يامفكر!
أيصنع فقرك الفوز المظفر؟
وأفصح عن أسى بالبال يخطر
وتجمع في الورى الشمل المبعثر
وتنثر فوقه الشهد المعطر
يُطرزه بيياقوتٍ وعنبـر
رويـدك ، لا تجادل أو تخبر
لأن المال شيطان مدمر
ففاض الدين بالتقوى ، وأثمر
وليس لهم سوى مُتَع وميسر
ويجعلني أعيش بخير منظر
ورغم خصاصتي في الناس أصبر

غمائم المجهول

(لا شئ يقطع في النفس من أمر صديق ما ، مثل خيانتة وتخليه عن صديقه وخذلانه له بدون أي مبرر. ومن هنا تتراكم غمائم من المجهول ، فوق رأس الذي يخذله أصحابه. والحقيقة أنه لا يعلم بمقدار خطر هذه الغمائم وما تحدثه من محن إلا الله. كما أنه ليس يُنجي منها إلا الله. كما أنه ليس يقدر المجهول على تجاوزها بكل عزة وانتصار إلا الله. وما عانيت في حياتي بأسرها قدر ما عانيت من الخذلان وأهله ، والتخلي عن نصرة الحق من جانب من يدعونه في العالمين ، وخيانة أصحاب الفهم والفقه والاجتهاد في دين الله. ولذا فعقَابهم عندي أشد وأنكى. وما ذلك إلا بعلم بالذي يفعلون ، إذ لو جهلوا لما قلت ما قلت ، وما ذهبت إلى الذي ذهبت. والطموح فوق ما يدبرون ويلفقون. والأمل في الله أكبر مما يظنون. وعندما تكون لإنسان ما طموحات وآمال وأحلام ، يتمنى لو تتحقق ، ثم تحيط به الهواجس والظنون والشكوك والريب من كل جانب ، ويكشر له أعداؤه عن أنيابهم ، ويشمرون لهم عن سيقان عداوتهم ، فإنها تكون غمائم وراء المجهول ، كل غمامة تسلمه للتي تليها إلى أن يأتي أمر الله.)

غمائمٌ ظللت فحوى سـوَالِي وما فتئت تحطم في المُحَالِ
وصخرة عزمتي في الكرب لهفي ولا أدري شهودي من خيالي
رماحُ القهر في الدنيا صحابي ويكوي الغيم أفئدة الرجال
طموحاتي يُعذبها ثباتي وأشعاري يُعرقها احتمالاتي
وآمالي تننن لـمـا ألقى وأحلامي تخاف دجى النزال
وأحوالي يعذبها نحبي وخبان الصبح ، فإزداد ابتيذالي
أسائل في يقين الصبر شعري فيسقط في سراديب السـؤال
وأرمي في ثرى المجهول رمحي فأغرق في أباطيل الجدال
ألا يا نفس كُفي ، واشتريني من التلويح ، والنداء العضال
علام الحزن؟ إنافي ضياع وتقمعنا دجاجلة الضلال
ونقضي العمر في الآهات أسرى ويكبُح عزمنا صوت الهزال
ويُردينا اللهب ، ونحن صرعى وتصفنا الكوارث في دلال
وتجرحنا المآسي دون عطفٍ ويقتلنا الأسى دون انفعال

ويأسرنا العذاب ، ولا خايل
ألا يا أيها المجهول ، رفقا
ونصف العمر ولي ، لم يُعقب
غمائمك الكثيفة فوق رأسي
تكبني ، وتطفئ نور دربي
وتزدحم الهواجس خلف ظلي
ولكن يغلب المجهول بأسي
وأثبت للورى أني ضعيف
وما بالقلب من وهن ، ولكن
وتنشد في الدنا خلاً أميناً
ويخشى الله ، لا يخشى سواه
يزيل (غمائم المجهول) قسراً
لتمطر فوق داري غيث حُب

يُخفف من بلاوينا الثقال
فشمسُ العمر أضحت في زوال
وآلام الجوى مثل الجبال
وحتى عن يميني والشمال
وتبذر فيه أفعال العيال
فأكلها ، وأقمها نبال
فألقي نظرتي تحت الرمال
أسيف الصوت يغلبني ملالي
تعاني الروح في طلب المعالي
يحب الحق ، يبذل ، لا يبالي
عزيز النفس ، يصدع ، لا يُمالي
ويزرع خلفها سُحب الوصال
وتنسف وحشة خطرت ببالي

استعلاء في دنيا الانكسار

(عندما يعمل موحد إلى جوار مرتزق في حقل الدعوة إلى الله ، يظهر للعيان معبود كل منهما. وهنا يستعلي الإيمان. فالداعية الموحد المؤمن القانت يعبد الله وحده ، ويدعو إليه على بصيرة ولا يخاف فيه – عز وجل – لومة لائم. وأما الداعية المرتزق فيُشبهه إلى حد بعيدِ النائحة المستأجرة! فهذا النوع من الدعاة يعبد من يعطيه ويغدق عليه ، ويتكلم بالذي يريده من يدفع له. ويأتي الاستعلاء الإيماني تاجاً فوق رأس الداعية الأول الموحد القانت الذي يعبد الله وحده ، ولا يشرك به أحداً. فيكون ذلك منه استعلاء في دنيا الانكسار والهوان! على حين يلبس الثاني ثوب الخزي!)

صدعتُ بحق ، فاستبد العوازلُ وفي الحق لا تلقى التقى يُجامِلُ
أخاف سؤال الله يوم قيامةٍ وأشفقُ أن أشقى ، وتطوى الوسائل
أقول ، وإنني في المقالة صادقٌ رأيتُ الورى حولي طوتها الغوائل
فاقسمتُ أن أبقى وحيداً منافحاً أدودُ ، وأزجي حجلي ، وأجادل
وأفحم بالعلم اليقيني جوقة تضل الورى ، فالحربُ حقٌ وباطل
فريقان لا لقيما تولفُ بينهم ولكنهما عند الجهاد الصياقل
سيوفٌ تلاقى في العقيدة وحدها فهذي على حق ، وتلك الأسافل
وكلٌ إلى مولاه يغنو ويتقي وكلٌ يلاحى خصمه ويخاتل
فأواتهم من كل صقع وموقفٍ وجدادلتهم ، إن الجردال لفاصل
وألقيتُ دلوِي في بئار نزالهم يقيناً رأوا ما لم تراه المخايل
وكيف لأهل الفسق أن ينصروا الهدى وينصره صِدقاً تقاة أفاضل
علوتُ بحقي عن تردٍ يشينه ولم أرتزقُ بالآي ، مهما تطاولوا
ومهمانأت عني ترانيم عيشتي سأحيا شهيد الحق ، فالعيش زائل
قد انتكسوا قلباً وذاتاً وهمة ولم تغرهم بين البرايا الفضائل
وغرتهم الدنيا وكثرة جمعهم وأنصار دين الله قوومٌ قلائل

تحية للشاعر/ عبد الحميد الخطيب

(تانية الخطيب في السيرة 8000 بيتاً ، تستحق التحية والتقدير. وإن ناظماً نظمها لجدير بالتحية والاحترام. وإن شاعراً صاغها لحري بأن تصاغ فيه تحية شعرية ، تقديراً لجهوده في نظم أحداث السيرة النبوية شعراً. وكانت تحايا الملوك والأمراء مالا! ولكن تحية الشعراء لا بد من أن تكون شعراً. وإن كان الناس يقولون: العلم رحم بين أهله من العلماء والدارسين والباحثين ، فإني أقول: وكذلك الشعر فهو رحم بين أهله من الشعراء والأدباء! وشيء جميل أن يكون هناك شعر يُبين ويسهل دراسة السيرة وأحداثها. فمن الخطيب الشاعر؟ وما تائيته؟ (إنه السيد عبد الحميد ابن أحمد الخطيب (1316هـ إلى 1381هـ). ولد بمكة المكرمة في 24 صفر 1316هـ. وتلقى علومه الأولية على يد كثير من كبار العلماء المسجد الحرام آن ذاك ، وهذا من فضل الله عليه! ومنهم الشيخ سعيد يماني والشيخ عمر بن أبو بكر باجنيد ووالده السيد أحمد الخطيب إمام وخطيب المسجد الحرام مفتي المذهب الشافعي ، رحم الله الجميع. وبعد أن أنهى علومه الشرعية ، تقلد عدداً من الوظائف ، فلقد أجزى مدرساً بالمسجد الحرام ، ثم عين عضواً بمجلس الشورى من 1355هـ - 1366هـ. وفي عام 1367هـ عين وزيراً مفاوضاً لدى دولة باكستان منذ استقلالها. وعندما استقلت إندونيسيا ، انتدبه الملك عبد العزيز على رأس وفد لتمثيل المملكة في حفل تسليم السلطة من هولندا. وقد عين كأول سفير سعودي لدى دولة باكستان في ظل حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في عام 1373هـ ، واستمر سفيراً لها حتى عام 1374هـ ، ثم طلب إحالته إلى التقاعد بعد إصابته بمرض القلب ، حيث أشار إليه الأطباء بضرورة التزام الراحة ، فانتقل إلى قرية الزيداني والتي هي أحد أرياف دمشق في بلاد الشام ، واتخذها مقراً له وانصرف فيها إلى الدعوة إلى الله من خلال الصحف والندوات. له العديد من الكتب والمخطوطات تتعدى الـ 14 كتاب ومخطوط ومن أبرزها ما هو قائم في الطباعة بانتشار حتى الآن 3 كتب: أسمى الرسائل ، ويعرض فيه الكاتب مقدراً من الرسائل السامية لنصرة هذا الدين وأهله ، والتي يرى بأن من الواجب أن توصل للأجيال ، لينتفعوا بها كمعينة لهم في سير حياته العلمية والعملية على أسس ومبادئ صحيحة. - تانية الخطيب في سيرة المصطفى الحبيب ، ويعرض فيها الشاعر أكثر من 2000 بيت شعري تصب في مدح قوتنا وحبينا سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، ترويحاً عما بداخل قلبه من جزيل الحب لشفيعنا يوم النشور. - مستقبلك في يدك ، وهي سلسلة تتكون من ثلاثة كتب بمسمى (- متى وثقت بقدرتك) و(- متى عرفت ربك) و(- متى فهمت حقيقة نفسك) ، ويعرض فيه الكاتب العديد من الجمل الروحانية التي تحفز النفس على المواصلة في العطاء والتضحية ، من أجل بناء مستقبل الأجل في الدنيا والأسمى في الآخرة ، ويذكر فيه بأن الآخرة هي حصيلة عمل الدنيا. - تفسير الخطيب المكي ، ويشرح فيه الكاتب آيات كتاب الله المجيد بتوضيح المعنى اللغوي والشرح والمغزى والحكم من استنباطه وطريقة فهمه لها بعد الرجوع لكتب التفسير المعروفة ، إلا أنه توفي قبل أن يكمل حلمه مفسراً للقرآن الكريم كاملاً متوقفاً نشر الكتاب حتى الجزء الثالث والعشرون. - جوهر الدين ، ويبين فيه الكاتب نهج الإسلام الصحيح وحقيقة الدعوة لله والتوحيد الخالص له. - الإمام العادل ، ويعرض فيه الكاتب مواصفات الإمام العادل استنباطاً من حياة الخلافة الراشدة في الطريقة والنهج القويم. وإن كانت تائيته سبب قصيدتنا فلأنه يتعين على الكل اليوم الذود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصد هذه الحملة المسعورة الشرسة المأجورة ، ودحض هذه الهجمة العاتية الضارية التي تنال من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، تنال من شخصه وعرضه ودينه وسنته. لقد ولغ في عرض النبي اليوم كلاب الأرض من

المستشعرين الحثالة والكتاب الأراذل ، فأين أهل الحق الذين سخروا أقلامهم وما يملكون لخدمة النبي -
عليه الصلاة والسلام - وسنته ودينه؟ أم أن القضية قضية كلام نظري فقط؟

نلت يا (عبد الحميد) فخارا
مذذرت بشعرك المختارا
وبلغت مدى رفيع المعالي
ومنحت الأتنام الاستبصارا
شرف الشعرُ بالنبي كثيراً
كل شعر يخصه لا يُبارى
والخطيب لم يدخر أي جهدٍ
وليه قول الحق أمسى شعارا
فقرأنا (تانيية) كلالا
كل بيت يضفي الوفا والوقارا
سيرة المختار الحبيب معين
وشذاها يُعطر الأشعارا
شرفتنا بأعظم الناس قدراً
من هداة يشرف الأقدارا
وأبانت دور الألى نصروه
من يباري في نصره الأنصارا؟
ثم جلت مغازياً كان فيها
فارساً في حربه مغوارا
ثم خصت أزواجه بالتحايا
واحتوت أصحابه الكرارا
وأحاطتنا عن هداة بعلم
والنبي يُعلم الأخيارا
ثم أبدت مواقفاً وأموراً
هي تشريع يسعد الأبرارا
ثم خطت درباً لمن يتصدى
للذين يؤلفون العارار
فإنالون من نبي كريم
ليحياكوا الأوغاد والفجار
أيضير السحاب نبخ كلاب؟
فليجبنني يه ودهم والنصارى!
إن هذا النبي بالروح يُفدى
ونصراً - على الفدا - إصرار

ميلاد الفرع

(المسلسلات التليفزيونية حكايا يدرك الناس زيفها. ولست أدري لماذا يُصدّقها ويسلم بصحة ما تحمله من أفكار كثير من الناس اليوم؟ ولكن للأسف الشديد قد طغت هذه المسلسلات على سلوكيات كثير من الناس في الأرض اليوم ، فأصبحوا يُحاكون ما يشاهدونه في تلك المسلسلات! ولو أن المسألة وقفت على مجرد المُحاكاة لهان الخطب ، ولكنها تخطت ذلك إلى اعتقاد أن هذا هو الحق المبين. وكلنا يعطي الأمان لأصدقائه ويُصدّقهم فيما يقولون. وإنك عندما تعطي الأمان لصديق ما ، وإذا بالأيام تسفر عن ذنب مخادع ، قد انتحل مكان الصديق! فإنه لا يستحق لقب الصديق فضلاً عن حقيقته. عندما يحدث ذلك ، يجب أن تسأل نفسك وتجيّب ، وتلتمس الأعذار والمبررات ، وتختلق المعاذير وتضع الاحتمالات ، والتي أولها (الوشاة). إنك تفعل ذلك من باب إحسان الظن بالصديق ، وافترض الخير فيه. ولكن عندما يجلس إلى نفسه هذا المخادع الذي يدعى الصحبة والرفقة ، فإنه يجب أن يسألها ويوبخها ، ويحاول أن يتبين الحق ، ويمسك بتلايف كل درب يوصله إلى الحق. أما أن يدافع عن نفسه وعن أخطائه ، مبرراً ما يقوم به من ممارسات ، أما أن يجعل من نفسه الخصم والقاضي ونص الحكم وساحة المحكمة في وقت واحد ، فإن أمراً كهذا لجدير بأن يولد في النفس فرعاً وقلقاً لا يطاقان. إن الفرع الذي أعني في عنوان قصيدتي هو الانزعاج الذي يتولد في القلب إذا أخبر المرء بخيانة رفيق له ، كان مخدوعاً فيه بصورة لا يصدقها عقل ، وكان يدخره ليوم كريمة وشر ، فإذا بالصديق يُصبح أعتى بلية وأكبر شر. وعندما يولد الفرع بهذه الطريقة ، فإنه يحدث فجوة كبيرة بين الصديقين! وعبر ليل طويل حاول الغادر إدانة المغدور به ، ولكن قام هذا الثاني بتفنيد هُراءات الأول وافتراعاته. وكانت مفاجأة لم يتوقعها الثاني ، أن قال له الأول: لقد أنعمت عليك ، ولما لم تشكر نعمتي عليك سحبتُ النعمة من تحت قدميك ، إنها المأساة والملهاة معاً ، أن يقول مخلوق هزيل ضعيف مثل هذا. وكانت الطامة الكبرى عندما أفلتت حجة الصديق المغالط الخائن ، وقرأ صديقه على وجهه كل المغالطات والأكاذيب ، وذلك بعد أن حصص الحق وبيانت الحقيقة المرة. واعتبرْتُ أن هذا ميلاد للفرع والجزع معاً ، والله المنجّي من المزالق والعثرات ، وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.)

تمتّى - مع الليل - بأسُ الوجع وصار الهُمام كمثل السبُع

وقد نصّر الحق لا مريّة! وقد كشفَ الحقُّ قبحَ الخدع

وباء بإفلاسه المفتري وعربد في وجنتيه الفرع

وكان الظمّوح إلى حتفه فباع الإخاء ، ولم يرتدع

وقال الذي قال (نمروذهم) وبالأمس كان التقى الورع

فأجج في النفس أشجانها وأحدث شرخاً بها يندع

عجيبٌ أتشجيه الأمتنا ويخنع في البأس مثل الضبُع؟

وقد كنتُ أنشد فيه الوفا فأصبحت في بُغيّتي المنخدع

لقد خان عهدي ، وخان الهدى
وخمّش بالقلب جرح الإخا
وفتدت كل افتراءاته
فعدت إلى يوم كنا معاً
هناك تذكرت حبي له
ونصحي له بالتروى ، وأن
وعظفي على أمنيات الفتى
فلما استوى مسلماً في الورى
وأنقذه الله من غابرة
وجامنا ، ثم غال العطا
أتاني يقول: زللت فُصن
فقلت: سيحكم رب السما
وحرق عراجين هذا الخنا
أراك تصانع أقوامنا
تخدعهم يا عديم الوفا
وإن إلاله لنونمة
فكف افتراءك يا مفتـر
جبان تخاف كلام الورى
رويـدك ، رب السماء يـرى

وباع الصداقة ببيع السلع
وليس بفعلة يفتنه
بعقل فصيح ، وقلب دمع
وقبل التردى ، وقبل الطمع
وبعض الدروس ، وبعض الجمع
يخصص في القول ، لا يندفع
ونجدته في ضباب الشيع
وجاهد في الناس بعض البدع
إلى مهجر فيه كل المتع
وقدمنا لقمة للسبع
هواناً فتى متى تلتذع؟
فخل العتاب ، وخل الجزع
رويـدك ، لا يقتل الهامع
تقول: بقلبك لى متسع
كذبت ، فهذا الوفا مصطنع
ويوماً سيهزم منا البشع
لأنك - في البأس - مثل الضبع
وعزمك فرخ فيه الشبع
ولن تنفع - اليوم - هذي القمع

صريير الأفعوان

(الأفْعوانُ كما تورء كءب العربية وقواميسها: (اسم مفرد). والجمع: أفاع ، والمؤنء منه: أفعى ، والجمع للمؤنء: أفاع. وأيضا تقول العرب: الأفعوان هو ذَكَرُ الأفعى. والأفعَى: (اسم مفرد). والجمع منه: أفاع ، والمذكر منه: أفعوان. والأفعى هي الحية الخبيئة السامة ؛ الرفشاء دقيقة العنق ؛ العريضة الرأس. وصوتها: الفحيح. وتسكن الأفاعي الأماكن الخربة المهجورة ، ومنها اللفظ: (لدغته الأفعى). وتقول العرب عن زيد أن له لسان أفعى: إن كان نمّاماً ، مغتاباً! والأفعوان لقب أطلقته راضياً مقتنعاً على ذنب آدمي ، تنازل عن الآدمية والصحبة. وأءرك أن للصدافة تكاليف باهظة ، وللصحبة بذلاً ثميناً ، وللرفقة ثمناً غالباً ، وللتعارف عطاءً لا محدود. فسول له شيطانه أن يتنازل عن ذلك كله في أول الطريق ، وأن يسعى جاهداً في الانتقام بلا مبرر ، وفي التشفي بلا عذر ، وعمء إلى الإضرار بأخيه بلا جريرة. ومن هنا حرصتُ جداً على أخذ الحيطة والحذر من هذا الأفعوان ، ومن كل من كان على شاكلته ، في هذه الغربية التي لا ءءع موحءا إلا وتمحصه وتبتليه بأمر ربها. إن الأفعوان هو الذي سيخسر في النهاية ، لأن الحق يحءوه النصر والتمكين - طال الزمان أو قصر - وتلك بءهية منطقية ، مستقرة من واقع الحياة ، ومستوحاة من السيرة والتاريخ! والصغار والذل من نصيب الباطل وأهله لا محالة - طال الزمان أو قصر - وصدق من قال: الحياة ءحب الصادقين ءالثارين! والصادقون المخلصون بالحياة جيءرون! وإن القيم والمبءاء السامية ، المؤمنة بربها ، والمنبئة من كتاب الله وسنة رسوله ، حتماً سوف ءنتصر. وإن القيم والفضائل ، لءفصح عن أصحابها في نصاعة ووضوح ، ومهما بءا للناس من هزيمة القيم في فترة عمياء من فترات التاريخ ، فإن هذا لا يعني بالضرورة زوال الفضائل والقيم إلى الأءء. والعلائق بين الناس ، أعني الأخوة الإيمانية والميثاق الأخوي الغليظ والشيجة الإسلامية ءءءها العقيدة ، فإذا صح المعتقد كانت الأخوة هذه في الله ، وإذا فسد المعتقد فسءءت معه العلاقة ، لأنها ءصبح في عرض الدنيا وزخرف الحياة ، ومهما حاول الأفعوان إثبات القيم وإءعاءها ، كشفته التجربة ، وبيءته السنن الربانية التي لا ءحابي ولا ءجامل أءءاً. ويوم يُءل الأفعوان كريماً من كرام الناس ، فالموت في سبيل الحق والعدل والخير يكون أفضل من الحياة! أكتب في ذلك على مجزوء الكامل أقول:)

صَـذَقْ لكَـ	يلا ءعتـ	ررضـ	أنـ	ء الأءى ، لا ءمـ	ءعضـ
ءءىـ	ءتىـ	ءسىـ	هناـ	ءأوىـ	إلىـ
أفـ	ءوانـ	كفىـ	أءىـ!	يومـ	أسـ
اليـ	ومـ	ءبئـ	م للهـ	وىـ	وعدأـ
مـ	ءءركـ	الـ	ءشـ	ءكـ	والقـ
والـ	نفسـ	آمهـ	الـ	لظـ	مـ
واللهـ	كاشـ	فـ	مـ	ءءىـ	تـ

والحق منتصراً ، ولن
وعن العيون أرى الأصيل
أتراك ما أبصرت من
أما الخيانة فالدمة
ولسوف يذبحك النفسا
وبنفسك التقتوى ظننا
فالأمر ليس بمظهري
إن الهدي كليل ، فكيف
مما إذا إذن ، والأفعى
أذلل نفسي ، والنهي
طمم اليبلا ، والأفعى
أنفقه في محن تصيب
سقط القناع ، وحبلى خا
وجواذ فرقتنا على
نفاق ، وأضليل ، وانتحر
والله يقضي بيننا

يحيا الأسير المتهض
للكل نوم قد نفض
إشراقه؟ لا تنفض!
أر حليفها ، لا تعترض!
ق ، ولن ترى لك من عوض
ت ، وللهداية تفترض
وأخوتنا انفض
ف لأمر ربك تبعض؟
ن يريد مني ما فرض؟
وأخوض فيما قد عرض؟
ن على تشردنا قبض
بك في الأنام على مضض
تنا تهاه لوانق رض
ساح الخيانة قد ركض
وأنا - على ديني - أعرض
والأمر - يا غدار - فوض

شؤون وشجون

(الصديق الحقيقي هو من كان يشاطر صديقه في كل كرب وضيق ، وفي كل منشط ومكره. أما صداقات المنفعة التي تقوم بين كثير من الناس فإنها لا تدوم. كثير من الناس يتصور أن الصحبة فقط ينحصر بذلها وعطاؤها في مجرد العون بالمال والجاه ، وأحملك اليوم لتحملني غداً! وأعطيك اليوم لتعطيني غداً. طبعاً هذا مفهوم قاصر جداً للصحبة والصداقة. ومن الأقوال المأثورة التي تعجبني عن الصداقة الحققة قول بعضهم: (الصداقة شجرة جذورها الوفاء ، وأغصانها الوداد والحب ، وثمارها الاتصال والتواصل. ومن الصعب جداً شرح معنى الصداقة ، فهي ليست شيئاً يمكن أن تتعلمه في المدارس! وإذا لم تتعلم معنى الصداقة الحقيقية فأنت لم تتعلم أي شيء. وثمار الأرض تجنى كل موسم ، لكن ثمار الصداقة تجنى كل لحظة. وأصعب أمر في النجاح ، هو العثور علي شخص يفرح من أجلك. والصداقة هي الوجه الآخر غير البراق للحب ، ولكنه الوجه الذي لا يصدأ. إنه ليس عدم وجود الحب ولكن عدم وجود الصداقة هي التي تجعل الزواج تعيساً. والصداقة عصفور بلا أجنحة. قراءة أحزانك من وجهك هي طريق البدء لصداقة مثالية ودائمة ، وليس يفعل ذلك لك وبك إلا صديق حقيقي خبير). إن الصديق قد يكون في غاية الفقر والعوز والحاجة ، ولكن الله حباه عقلاً واعياً وتفكيراً صائباً متوقداً والتزاماً بالدين صارماً. فإذا كان ذلك كذلك ، فإن هذا الصديق أو ذلك الصاحب بمائة صاحب وصديق. لأن مشكلات الصداقة ليست كلها بسبب ضيق ذات اليد. ولربما يكون الغنى قاسماً مشتركاً بين صديقين فما حاجة كل منهما للآخر؟ إن قصيدة (شؤون وشجون) تجيب على هذا السؤال وتحل هذا اللغز. وكم أعاني من فقدان صاحب أبته نجواي ، وأبذل بين يديه شكواي ، وأذيع الأسرار وأنشر الأشعار ، وأستأمنه على نفس وعرض ومال. ويبقى لي معارف لا تعني صحبتها شيئاً ، ولا تقدم ولا تؤخر! إن الإنسان ساعة لا يجد من يبثه شكواه وسلواه ، ومناه ونجواه ، ويأتمنه على ذلك كله أو شيء منه ، ويأنس به ، أقول: عندما لا يجد المرء مثل هذا النوع من الأصدقاء الذين يدخرهم ليوم كريهة فإنه يعمد إلى يراعتة ويحاول أن يكتب ، فإن كان صادقاً خرج من نافورة اليراعة ما ينفع الناس ، وإلا يكن ذلك كذلك خرج إليهم ما يؤذيهم ، وينكد صفو حياتهم. يقول الله سبحانه: (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) ، ويقول: (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) ، وأنا في هذي القصيدة أنعي ذهاب الأصدقاء المخلصين عني ، وأشكو بقاء المغرضين حولي!

أحكي لمن هذا الشجنُ والقالب تحب دوه المحنُ
أبكي الحنيفة ، والهؤدي في عالم عشق الإحن
والدمعُ خمش وجنتي والدارُ عرقلها الوهن
ففي كل صقع تسبتا ح دماؤنا عبْر الفتن
كيف استبجح العرض أضحى - في الأنعام - الممتهن؟

أوكيف ضاع الحق من	أففي متاهات الشجن؟
كم ذا انتحبت ، ولا مجيب	بسوى النشيج الممتحن!
أما رفاق الدرب خا	نوا ، ثم صرت المرتهن
حتى ابتليت برفقة	حمقاء ، مطمخها وثن
وأصوغ شعراً كربتي	مات القريض ، ولا كفن
غيري يُغازل في الملا	أطيف خضراء الـدمن
ويقول شعراً في القوا	م ، وفي الجبين المحـتقن
ويراقص الأوزان والتفيع	ل في ظـل الفـنن
قد كان يوماً شاعراً	فذاً على السرر أوتمن
كم أنشد الأشعار ، يك	شف زيف مـن لا يـؤتمن!
واليوم كيف يُسخر الـ	أشعار في هـذا العفن؟
إن غادر الربـان سا	حتى فـما أشقى السفن!
وإذا أصاب المـرء كي	ذ ضاق سرراً والعـن
ولئن أصاب الـروح طي	ف لا شـتكي منه البـدن
والـدين أغلى من حيا	ة المـرء إن كان الفـطن
وإذا تنكـرت الخـلا	نقـ كانت التـقوى الـوطن
والموت حق ، يافتى	فيم التعلـل بـالمـحن؟
فاعمل لـجنة ربنا	واربباً بنفسك لا تهـن

دروب وحروب

(مسكينة وبانسة قصاندي هذي. إذ أغلبها لم يحظ بالمحاورة ولا المشاورة ولا المناورة بين الخلان والأصحاب والأهل. فأغلبها كتبتة وأولادي صغار لا يدركون ما الشعر ولا ما الشاعر؟ والمعارف ومن عداهم إما قوم منعهم الجهل عن الانشغال بقراءتها وتجاذب أطراف الحديث حولها وحول موضوعاتها ، وإما قوم آخرون منعهم الحقد ، إذ يستكثر أغلبهم ويستكف عن أن يكون لهم صاحب شاعر من أرباب القصيد والكلمة. ربما لو كان له صاحب تليفزيوني ريسيفري إنترنيتي ، يُمسي ويُصبح متابعاً لما تقدمه الفضائيات العربية أو الغربية أو المواقع الإباحية ، ويتقلب لاهياً عابثاً في دنس بعضها وعهر بعضها ، مضيعاً ذكر الله والصلاة ، ربما لو كان صديق الواحد من هؤلاء ، زير نساء شاربياً للخمر ومدخناً للسجائر! يتجاذب معه أطراف الحديث حول المسلسلات ، لأحبه وافخر به. وقد قرأت عن شوقي أنه ما كان يفرغ من قصيدة من قصائده حتى يطير بها إلى تونس ولبنان ودمشق وغيرها ليقراها على الشعراء والجماهير هناك ، تلك القصيدة التي لم يجف الحبر عنها بعد ، بل هي بمنظور شعراء المعلقات في الجاهلية قصيدة لا تزال حَمَلاً في قريحة شاعرها وضميره! إذ كان الواحد منهم يحتفظ بقصيدته سنة كاملة ينقحها ويخمرها - ثم هو يعرضها على الناس وقد اكتمل خلقها وحبكها وصناعتها! ولذلك كانوا يسمون المعلقات بالحوليات لأنها تبقى حولاً كاملاً مع شاعرها قبل أن يطلع عليها الناس! فهل كان شوقي أمير الشعراء لأنه كان شاعر الأمير؟! وهذا القول مني لا يُنقص من شاعرية شوقي وجبروته في الشعر! لكنني أتكلم هنا عن الأدوات والآليات التي أعانت شوقياً على الإبداع والتجديد وغازرة الإنتاج وجودته! واعتاد الشعراء أن يكون لهم رواة يروون عنهم قصائدهم ، كما أنه كان لهم رابطة ، تمثلهم وتهتم بشئونهم! فماذا لهم ، ومن لهم في هذا الزمان؟ إن كل حق لا ينظم صفه وجنده فهو منهزم لا محالة ولاشك ، أمام باطل كالح ينظم صفه وجنده. وتلك سنة كونية ، وناموس رباني لا يتبدل ولا يتغير ولا يتخلف. وأظن أنه قد آن الأوان منذ زمن بعيد لأن يتوحد الصف والجند من أصحاب الخير وأهل الحق والعدل. وإنه لينبغي لهم أن ينبذوا الخلافات ليؤلف بين قلوبهم عقد الإيمان ورباط التوحيد وإسار العقيدة ، وذلك في المقام الأول. ثم تصفو نواياهم بعد ذلك في المقام الثاني. وها نحن نرى الباطل يجتمع أهله ويتوحدون في مواجهة الحق ، زاعمين أن لهم وحدهم حق النصر دون سواهم ، وإن العجب كل العجب أن نرى الشر يجتمع أهله ، وأما الخير فيتصارع أهله فيما بينهم. ومهما تعكر الصفو وطال ليل الظلم وادلهم الخطب واكفهر الحال ، فإن الحق منتصر ولو بعد حين ، وإن أصحاب الحق جديرون بالتفوق على غيرهم ، وليس لهم من حظوظ أنفسهم نصيب. وإنها لجولة من جولات الباطل قد تطول إلى ما شاء الله ، ولكنها لا يمكن أن تبقى إلى ما لا نهاية!)

الدرّب تم لأه السبأغ والحق ذق دكش ف القتاغ
والغبل كسابر ، واعتلى مآتن الحقيقة ، باقتناع
والدار - جبراً - أذعننت للجاهلية ، والخداع
والغبب فبني دركات ه نبتت النفاق ، والاتفناع
في القلب نار ، والنهي! والظلم من سوء الطباع

لن تسـ تقيم رجولة
وتعـ يش عهـ ذ ترهـ ل
وعـ دوها يجتاحها
ويؤـ ذيقها سـم الشـ قـا
متوحـ ذ فـي حربـه
أما الطليعة فـي شـ قـا
فعـ دوها فـي عـزة
فاظـي التفـ رـق شـ جـها
والآخـر المسـكين مهـ
عجـبـاً ، يمزقنا الخـلا
عجـبـاً ، لفاك الكفـر تمـ
ومراكبـ الإيمـان تحـ
وكتائب التوحيد فـي الـ
وعقـارب البغـي الرهيـ
فـ تحطم الدنيا لصـا
عجـبـاً ، يمزوت القلاب فيـ
كيف انتحـار الأدميـ
ربـاه أدركنا ، دعـو
شـابت على حـب الرضـاع
ولـى ، وداهمـه الـوداع
ويقودهمـا نحو الضـياع
ويبيـت يختلق الصـراع
ولـه الأفـاعي ، والسـباع
ق ، وصـفه لا يسـ تطاع
أما الطليعة فـي ارتيـاع
نصـفين : نصـف فـي اقتـراع
دورٌ يُعـاني الاقـتلاع
ف ، ولن يفيد الإلتـياع
ضـي فـي الطريق كما الشعـاع
بـو فـي الصـخور بلا شـراع
ميدان ، عزـلى لا تـراع
بـة تسـ تبيح دم الـذراع
لـح (لاتهـا) ، وكـذا (سـواع)
هم ، والضـميرُ - كـذا - يُبـاع
ة فـي مهـاوي الانـدفاع؟
تـك بالسـان وبـاليراع!

أشلاء وأشياء

(إن فِناًماً من الناس ينشدون النصر والتمكين والعز ، ويكتفون بالأحلام والطموحات والتطلعات والآمال. وفي ذات الوقت لم يبذلوا أسباب هذه الآمال والطموحات والتطلعات ، فإني أعتبر هذه الفنام من الناس حمقى ومغفلين. والأشلاء والأشياء التي تتناولها القصيدة - التي أقدم لها - تمحور وتبلور هذا الهدف. كم شيعنا إلى المقابر أحياناً وأصحاباً ومعارف ، فما اعتبرنا بما نزل بهم ، ولا اتعظنا من الموت ، وكفي به واعظاً. وكم رأينا أصحاب هذه الدنيا يجتهدون ويكدون ويكدحون ، ليحققوا آمالهم فيها ، ويكون لهم ما يطمحون إليه وما يأملون. وفي ذات الوقت نرى أصحاب الحق يكتفون فقط بالآمال والأحلام والتوقعات. ويدعون أنهم ذوو طموحات وأمان ، ثم ها هم أولاء لا يأخذون في الحياة بأسباب تحقيق هذه الطموحات ولا تلك الأمانى. إنه لا يستحق أن يعيش من لا أمل له ، وأحمق منه من كانت عنده الآمال والطموحات ، لكنه لا يعمل لتحقيق هذه الآمال وتلك الطموحات! ورحم الله الشافعي إمام المذهب إذ كان يكثر من قوله: (أنا إن عشتُ فليستُ أعدم قوتاً ، وإن مت فلن أعدم قبراً! ففيم الخوف والحرص والجزع؟) إن الإنسان لا يعيش إلا مرة ، ولن يموت يوم يموت إلا مرة ، وإن حياته ومماته بأمر الله سبحانه وتعالى. والحياة في سبيل الدين والموت عليه أفضل من الحياة في سبيل الدنيا والموت عليها. وإذن فليحي الموحدة مرة واحدة ، وليمت مرة واحدة ، ولتكن هذه وتلك في سبيل دينه وعقيدته ، وفي (الإصابة في تمييز الصحابة 31/3 ، والسيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف 48/3) ما نصه بتصريف زهيد: (لقد رأى هذه اللحظات عمير بن الحمام في غزوة بدر بأمر عينه عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لا يقاتل أحد هؤلاء القوم اليوم مؤمناً محتسباً فيقتل مقبلاً غير مدبر إلا دخل الجنة فقال عمير رضي الله عنه: يا رسول الله أما بيني وبين دخول الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، قال: بلى. وكانت في يده تمرات يأكلها ليتقوى بها ويعيش ويتجنب الجوع والأسقام. إنها لحياة طويلة أن يقضيها في أكل التمرات والجنة بيهانها وزينتها ولذائها وهورها العين وهي محل تنزل رحمت الله ورضوانه تنتظره! فألقى بالتمرات وكسر قراب سيفه لأنه لا مجال لإغماده فيه ثانية ، فكان له ما أراد وما أخبره به الصادق المصدوق).هـ. ويصدق ذلك كله قول الله: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين). وإذن فحياة المسلم الفذ يجب أن تكون لله رب العالمين ، وموته يجب أن يكون في سبيل الله!)

ففي الدرب أشلاء الجياد وكأنها ظلال الجماد
كيف انشغلت بآهتي يا نفس من بعد الحيات؟
حتى متى نحيى نحيى وبقية تلنا التمرات ، والجِداد
ودماؤنا ، وطيوفنا بالكاد يشربها الجراد
ونبيات فاني آماننا أسرى يُعرقنا الفسداد
ونجمّع الأموال ، نحسب أنها نعم العماد

ونرق مع الدنيا بدينا
وهناك من أبناء جلدنا
هم يغسلون العباد
ودم الشهد على البطنا
والروح للقيوم طنا
والجسم عاد إلى الثرى
وتحقق النصر النذرى
والشعر أحياء الصدى
والساحة امتلأت لهي
والكون زف البشري
والنفس بيعت بعدد
ونق دم الشهداء يهوى
تالله، ما نصر يحق
ويح الأماني، والروى
النصر تصنع الحية
والنصر تعبنة النفوس
والنصر فوز المرء بال
هي موتة، سيموتها ال
ما أشرف الأشلاء ته

من مليكننا ، أين الرشاد؟
دتنا كثير في الجهاد
ر ، رغم نعاسنا ، نعم العباد!
ح ، كما السننا ، يُزكي الفؤاد
رت ، تحتفني ، يا للساداد!
والأجر لليس له نفاد
كان المؤمن ل ، والممراد
أبدأ ، ولم يخبب المبدأ
بأ من عراقية الجياد
ات ، مغرداً يقري البلاد
مع الشيع - في هذا المزداد
مأ بعد يوم ، والعتاد
ق بالأماني ، والزناد
هذي الأماني كالمراد
فة والرجولة ، والجناد
س بسالة ، تعسن الرقاد!
جنات في يوم المعاد
إنسان فيمنا الإبتعاد؟
دى للجنان ، بلا اعتداد

أسطورة الفاشلين

(العشق مرضٌ عضال ، احتار في علاجه الأطباء والاختصاصيون في الطب والعلاج والتداوي على مدار التاريخ ، كما احتار فيه الكُتاب والشعراء والأدباء على كر الدهور وتعاقب الأزمنة. واعتاد الكُتاب المستنثرون بنور الوحيين القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، أن يفردوا له الأبواب في كتاباتهم ، وإن هم كتبوا في الرقائق ، فلا يبنك مثل خبير في الذي تركوه للإنسانية المشردة البائسة من الرصيد الضخم. فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، يضربان أروع المثل للذي أقوله الآن. وما ذلك كله إلا لأن مرض العشق ما يزال بصاحبه حتى يُجن ، أو يمل من حياته ، فيعتزل الناس ، وهو يعقل ما الناس وما العزلة. أو يهم باعتزال الناس وهو بينهم لا يدرى ما العزلة وما الناس ، ويلفظ واحد يكاد يذهل في هذه الحياة فيُجن. إنني أسطر هذه القصيدة لعاشق ولهان.عاشق أضاع عمره سُدى ، وسار في طريق الغواية ، وكم نصحه الصالحون ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه ، واختار طريقاً وعرّاً ، قل أن ينجو من مخالفه إنسان. ولقد عزم لنفسه أنه يستطيع تجاوز الأزمة التي يحدثها مرض العشق بصاحبه ، ولكنه ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وانحدر كما ينحدر كثيرون في وهدة الضياع السحيق ، ولو كان ناصحاً لنفسه لاستجاب لما نصح به من قبل. ولكن إبليس لا يزال بالإنسان حتى يوقعه فريسة سهلة لوسوته ، ألا لعنة الله على أبالسة الإنس والجن! والاستقامة على الحق ليست بالأمر الهين ، والجنة حُفت بالمكاهه أي بالمطلوبات التي لا ترغبها النفس بصفة عامة. والنار حُفت بالشهوات التي ترغبها وتشتتها النفس بصفة عامة! كما أخبر الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - وعموماً أنا في هذه القصيدة أعرض بالعاشقين الفاشلين الذين يرفعون معشوقاتهم فوق حقيقتهن. ويبدأ الشيطان يلعب بالواحد منهم في هذا الدرب السحيق ، حتى يوقعه في حباله الدنيئة! وذلك بعد أن يكون قد نسج له خيوط الوهم والخداع والضياع.)

يا صاح أغراك السكون وطواك مزلقك الكدفين
والعشق شجك ، والجوى وأذلك الكهم الخون
وأدرت دولاب الهوى فرأيت أخلاط الدجون
ورأيت ديجور الأسوى يستأصل القالب الشجين
تعسس العشيقي ، وعشقه كم كلف الروح الأنين!
يا صاح ، مثلك في الورى آلاف آلاف تخون
كم قد نصحتك ، لم تطع فشربت من سُم المنون!
هي لا تحبك ، فانسها لا تسحق اسم الخدين
فيم التعلق بق الردى؟ يا صاح ، دمرك الحنين

وتشبع عيناها الفتون
تصطاد جياك بالجفون
وتسطط الرمش العينين
يئة والتكسر ، من سنين
نى نظرة ، تؤذي العينون
ء عفافها للنباحين
رأ ، واعتلاها كل هون
ز في الدنيا للعاشقين
رمقساء للمتسكعين
ها تشترها يا غبين؟!
من ضائع ، لا يسكتين!
دنيا العشيقة والرنين؟
بطلاً يزيل أسى الشجون
زمن الهوى ، ودع الظنون
ه وأهله ، ودع الجنون
فلم الترهّل ، والركون؟

رضعت حبيبتيك الخنا
وتسير في دنيا الفنا
تختال في دنيا الهوى
وتعلمت فن الغنوا
هي لا تسواوي منك أد
هل بعد أن باعت حيا
وتمرغت في الوحل ده
وتنازلت عن كل ع
وغدت - هنالك - ساعة
هل بعد أن ركبته هوا
تعس الغرام ، فكم له
حتى متى تغتر في
إننا نريدك للهوى
فاندم على ما فات في
لا تفتكر في العشق دع
بالعقل خصك ربنا

بيت القصيد

(اعتاد ذلك المسلم المؤمن الموحد مذ علم حقيقة هذا الدين العظيم ، أن يدعو إليه الآخرين كلما سنحت فرصة بكل صراحة. ومن هنا فإنني أكتب (بيت القصيد) لإحدى بُنيات حواء ، كانت قد ضحك عليها الشيطانُ فجرّها إلى ما لا تحمد عقباه من التصورات العلمانية الجاهلية ، عن الحياة والأحياء وعن مدى علاقة الرجال بالنساء ، فراحت تظن أننا لا يجب أن نستسلم للقيود والعواصم التي سنّها الإسلام سناً في مثل هذه القضايا. يقول ذلك المؤمن القانت: ودارت بيني وبينها أيام دراستي في كلية الآداب بجامعة المنصورة رحي المعارك والمجادلات ، وتجادبنا أطراف الحديث ، وكنت أظن أن ذكاءها وفطنتها يمكن أن يهدياها إلى الحق فتعمل به. ولكن: (إنك لاتهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء). وطال الجدل واحتدم النقاش كثيراً بيننا. وفي كل مرة أكسب الجولة مع هذه الفتاة بالحق ، وتكسبها هي بالباطل. كنت أدعوها إلى الحنيفية السمحة ، فإذا بها تدعوني إلى الجاهلية الوقحة. وراحت تتلاعب بالهدى والقيم. وساعدها على ذلك دنيا الفوضى والانحلال التي نسج الأعداء خيوط عالمها المتأرجح بين المادية الآسرة للعقول والقلوب ، والعلمانية المهيمنة على الأمصار والديار. وراحت تظهر لي من الحب والإغراء ما جعلها في بعض الأحيان مبتذلة رخيصة. ولكنني لم أكن في جاهليتي ميالاً إلى اللعب بالنساء ، فكيف بي وقد خلعت عنه ربقتي الأصنام والأعراف والمعايير والطقوس والموازن والتقاليد الجاهلية ، وقطعت بسكين العقيدة كل أحبال الجاهلية العفنة وعلاقاتها المنحرفة؟ لقد بذلت من الوسائل المقروءة والمسموعة ما يجعلها تترك ما هي عليه ، ولكن الحقيقة تكمن في أن الهداية التوفيقية بيد الله وحده! بينما هداية الدلالة والبيان هي التي على كل داع إلى الحق! والحق أن كل عاشق رزين مؤمن موحد تحكم عشقه عقيدته وليس العكس. ويريد معشوقته أن تكون كذلك على درب التوحيد والعقيدة ، فالعشق الذي بينهما محكوم بالدين الحق. إذ ليس للمتحابين إلا الزواج كما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – واشترط عليها ترك الجاهلية وألتهتها والبراءة منها ، واتباع الهدى الرباني منهجاً في الحياة ، كما اشترطت أم سليم على أبي طلحة الأنصاري يوم طلب الزواج منها فقالت: (يا أبا طلحة ، إن مثلك لا يرد ، ولكن ألا تستحيي تعبد شجرة؟ أليس إلهك الذي تعبد قد نبت من الأرض؟ إن أسلمت فذلك مهري!) ويمكث أبو طلحة يفكر أياماً في الأمر. ثم هداه الله للإسلام ، فعاد إلى أم سليم الرميضاء بنت ملحان وتزوجها ، فكان ذلك المهر أعلى مهر في تاريخ الإسلام! ونسأل لماذا كان أعلى مهر؟ والجواب ببساطة: لأنه لا يوجد أعلى من الإسلام. وأنه في ميزان أم سليم يوم تلقى ربهما أنها كانت سبباً مباشراً في دخول رجل في الإسلام ، فصار وحسب على أمة محمد – عليه سلام الله وصلواته – بعد أن كان من أمة أبي جهل – عليه غضب الله ولعناته -. ولكن عندما تغلب المعشوقة تقاليد الجاهلية وعاداتها فالفراق هو السبيل الوحيد!

كُفِّي عِبَارَاتِ اللِّجَاجِ إِنَّ الفِرَاقَ هُوَ العِلاجُ
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلهُدَى وَأَرَدْتُ إِشْعَالَ السَّرَاجِ
لِئَلَّا قَدِّدَ بِنْتُ ذُلِّ وَسِئَالِي وَفَجَّرْتُ عَنكَ الإِرتِجَاجِ
فَجَعَلْتِ ذُلَّكَ كُلَّهُ مَثَلِ الهَشِيمِ أَوِ العَبَاجِ
وَطَحْنَتِ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَعَمَدَتِ لِلسَّرِيرِ الهَجَاجِ

فطوثك عجر فة الهوى
 وغرور قلبك في النقا
 وتلاغب النفس الذلي
 والعرف ، عرف الجاهل
 أما طبا نك الرذي
 عجباً تملكك الردى
 فصدمت عقلك في الحقي
 ومدا أس نلتى تعث
 لو كان قلبك من صخو
 ولما أبيت الحق يُج
 ولما رفضت هدايتي
 ولما غمرت القلب يا
 أطمعت يوماً أن أعو
 فبنيت أهرام الهوى
 إنني أعيد ذلك أن تعي
 فتجملني بالهـدي ، إن
 لا تشترى بالدين دن
 لا تخدعك لجة الشـة

وطغى عيـك لظى اللبـاج
 شـ ترين كيف طغى ، وهـاج
 لة والهوى ، ورحى المزاج
 ية في فـواذك كلسـناج
 لة فـالقروخ بهـاسـماج
 وغدت حياتك في اختلاج
 قة ، لم أسـل في الاحتجاج
 ر في زوايا الاعـتلاج
 ر ما تمادى في اللجاج
 لي ظلمة عبـر الفجاج
 ولمـا تغشاك الهياج
 حمقـاء بـالمح الأجاج
 د لجاهليـة الازدواج؟
 أطمعت يوماً في الزواج؟
 شي العمـر في سـرب الـدجاج!
 الهـدي نـور وابتـهـاج
 يا ، إن فـجـرك في انـبلاج
 يطان مـن فـوق الزجـاج

السحاب الهزيل

(إن الكتابة مسؤلية عظيمة ، وأمانة يسأل الله الكاتبين عنها يوم القيامة. ومن هنا أخذت على نفسي عهداً مع ربي أنني منذ كتبت في جريدة (الوحدة العربية) وكان لي شرف إخراج الصفحة الأدبية التي عنوانها: (دوحة الوحدة الشعرية) ، والتي كانت تعنى بشؤون الشعر العربي الأصيل ، ثم تطور العنوان بعد ذلك إلى: (دوحة الوحدة الأدبية) ، لتعنى بشؤون الأدب بكل فروعه ومفرداته - أنني لا أكتب أبداً ما يخدش الحياء ، أو ينال من القيم ، أو يرفع الباطل ، أو يستهزيء بالحق ، أو يوصل لأفكار هدامة حقيرة ، لا تنصر الحنيفية السمحة. وكنت في كل مقال ، أو قصيدة شعرية ، أتذكر العهد والوعد ، ولا أخل بهما كانت الظروف. إن الكتابة لا تنتهي رسالتها عند القلم والقرطاس ، بل فرادى الناس وعقولهم وأفكارهم ومستوى تفكيرهم وضمانهم وأولادهم وبناتهم ولسانهم ، كل ذلك أمانة نسأل عنها يوم القيامة. وأوصي كل كاتب أن يعلم أنه مسؤول. والحقيقة أن أغلب أفكاري كانت مجموعة من الآراء النقدية المنتشرة في الأوراق كانت قد سطرت في أكثر من كتاب وصحيفة وجريدة ومجلة ودورية وحولية ، في الرد على المغرضين المنحرفين الهارفين بما لا يعرفون ، ورحت أتابعها بذهول ودهشة ، وأعجب كيف يفكر مخلوق بمثل هذه الأشياء وبهذه الطريقة. ما أكثر من يكتبون اليوم ، ومعظم مقالاتهم هراء في هراء ، وضلال في ضلال. وأكتب اليوم (السحاب الهزيل) في الرد على مقالة مهترنة لأحد الساقطين! إن الآراء التي قرأت ليست بحق إلا ترجمة عملية ، للسقوط الذي يخيم على بعض البشر ، الذين انعكست لديهم المفاهيم والتصورات. فرأى أصحابها الباطل حقاً ، والحق باطلاً. وتذكرت على الفور قول الشاعر الحكيم الذي بين في بيتيه المشهورين أمانة الكلمة ومسئوليتها بين يدي الله تعالى:

وما من كاتب إلا سيفنى ويبلى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

ولقد جعلت من هذه الفرصة التي أتحت لي في جريدة الوحدة العربية نافذة تطل على الأدب العربي قديمه ومعاصره. وشكرت للألى مكنوني من الكتابة ومواجهة جمهور القراء. وتوالت قصائدي تترى على صفحات الجريدة ، وكنت فخوراً بهذا السبق الإعلامي ، وأيقنت يوماً أنها فرصة ذهبية قد لا تتاح غداً. فكنث أوصل الليل بالنهار مشمراً عن ساعد الجد وواضعاً نصب عيني أمانة الكتابة وشرفها ومسئوليتها. وطفقت أعالج الواقع المعاش بالنقد والقصيدة والفكرة. وسطرت هذه القصيدة لكل هارف بما لا يعرف. وأجعلها مستقبلاً درة عمرية فوق رأس كل هازل ركيك لا يدرك مسؤولية الكتابة ، ولا يعرف أدبياتها ولا أخلاقياتها ، التي ينبغي أن يكون عليها كل كاتب يخاف الله ، ويطمع فيما عنده سبحانه وتعالى. وجعلت عنوانها (السحاب الهزيل) لأبين لكل محرف هازل رقيق ، أن كتابته الهازلة الساقطة ما هي إلا سحاب هزيل يوشك أن ينقشع. ألا إن الكتابة أمانة وشرف وتكليف وأخلاق ، قبل أن تكون مهنة أو وظيفة! وإذا لم نكتب شيئاً له قيمة فلنكف عن الكتابة ، ولنمزق الأوراق ، ولنكسر الأقلام!

هل هذه الآراء لك؟ وتظن نفسك كالماء الك

حرفك كحقيقة ويراع زيفك كيرتباك

جَمَلَت كَمَل رذيلة
 إن المِداد على القمرا
 أتتال من هادي الإله
 وأراك للأعراض - جه
 لا يلعب بنّ بك الهوى
 أعراضنا مسومة
 أنت الخوون ، فلا وفاء!
 هذي المقالات الكثيرة
 كنا نظنك مشرقاً
 لكن سفلت بما كتب
 ونفثت سؤمك في الورى
 وزرعت شوكك في درو
 ولقد كشفت زيفكم
 يا فرقة بالزور تأ
 كُفوا الهُراء لأننا
 لا تشترروا باله دي دن
 فإذا فعلتم سوف ين
 ليست تعيش على الخرا
 ودعت قومك لله
 طيس اششكى ، والمعترك
 ه ، وتستبيح - هنا - النسك؟
 راً ، ففي البرايا - تنتهك
 لا يس تبدّ بك الضحك
 وغداً سيطويك الحاك
 لازلت تنسج في الشرك
 مرة ففي الخراب المرتبك
 كالنجم في جوف الفاك
 ت هناك في قعر البرك
 وأراك يقاتل الحسك
 ب الناس ، حتى والسيك
 فأننا الخبير فرقة!
 كل بعضها مثل السمك
 ففي الخلق يأسرنا الغسك
 يا ، قاتل الله البعك!
 تحر اللواء ، وينبتك
 فة أمة تُرضي الماك

محاورات ومناورات

(يقول الله - عز وجل -: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم ، وما يشعرون) ، ويقول:- (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد). وإذن فالخداع ليس يضر إلا أهله في نهاية المطاف. والمحاورات والمناورات التي أعني في قصيدتي ، إن هي إلا نصيحة مبطنة مزخرفة في قالب شعري. لعل كل ذي كلمة ممن آتاهم الله في الجدل طوْلاً وباعاً ، أن يستفيق لما هو فيه من الانخراط في درب الخداع والمغالطة والنفاق ، باسم حلوة اللسان والفهلوة ، على حد ما يتشددون. فمهما حلت العبارة ، وزينت المقالة ، ورصعت الديباجة بجواهر السحر والبيان ، فلا بد من كشفها ذات يوم. ويستطيع أي إنسان له كلام منمق وتعبيرات معسولة ، أن يخدع الناس بعض الوقت. ذلك أن الناس تأخذ بظاهر أمره وتصرفاته البادية لهم في بادئ الأمر ، ولكنه قطعاً لن يستطيع خداعهم كل الوقت! وقال كورنابي: "لا يخدع من يعلم أنه خدع". وقال جلال الخوالدة: "مهما تكن ذكياً وداهية اعتبر نفسك مخدوعاً". وقال جورج أورويل: "في الماضي كانت تُمارس علينا سياسات التجهيل ، الآن نمارس على أنفسنا سياسة تصديق كل الخداع الإعلامي ، والنتيجة واحدة". وقال لودفيغ فيتغنشتاين: "في وقت الخداع يصبح قول الحقيقة عملاً بطولياً." وقال يوسف السباعي: "لا شيء أصعب من تجنب خداع المرء لنفسه." وقال إميل سيوران: "خداع واحد فقط هو الممكن في المطلق ، ألا وهو خداع النفس." وقال ألبير كامو: "خوف المرء من أن يتم خداعه هو النسخة المبتذلة من البحث عن الحقيقة". وقال لابروبيير: "المخادع ذئب يبكي تحت أقدام الراعي". والمثل العربي يقول: "مكونات الخبث لؤم وخسة وكذب". وقال لاروشفوكو: "لا أحد يخدعنا بل نحن نخدع أنفسنا". وقال نيكولو مكيافيلي: "الوسيلة الحقيقية لكي يخدع المرء هي أن يعتقد أنه أذكى من الآخرين". والأسلوب المعطر بصدى الترانيم حريّ - حقيقة - أن يصرف الناس عن الجوهر الذي يفصح عنه المضمون من خفايا وخبايا ، ولربما لو علم الناس بعضها لاحتقروا صاحب الكلام ، وما أعاروه انتباههم. ولربما طالت به الفترة في الخداع ، فسحر الناس عن حقيقة باطله ونفاقه. ولكنه لا يستطيع أبداً أن يخدع الناس إلى ما لا نهاية! إذ إن بعضهم قد يكشفه ، ويحاول إيصال الحقيقة للآخرين. ويرفضها الناس لكثرة ما ران على قلوبهم من كثرة هذا الخداع والغش. لكن يطرح نفسه سؤال: هل يستطيع أن يقول أنه خدع خالقه؟)

حاور ، وأنت المستضام	والأمم يرغشاه الظلام
رحل الرجال ، فلا تكن	في الكيد محسور الزمام
لغة الحوار عطيبة	وأراك تخترع الخصام
انس الأخوة والصفا	ودع المودة ، والوئام
قد خنت عهداً بيننا	وتريد بالحقد السلام
وفجعت قلبي جهرة	وحقرتني بين الأنام

وسـ قـيـتـ أـطـفـ الـيـ الـرـدي
شـرـدـتـنـاـ بـبـيـنـ الـوـري
وـغـداـ طـعـمـيـ غـدـرـكـم
أـبـداً يـعـرـقـنـيـ الـبـلا
كـمـ فـيـ - الخـنـا - لـكـ زـلـة!
حـاـورُ ، وـنـاـورُ ، واخـتـرـعُ
والـدـهـرُ يـجـريـ بـيـنـنا
إنـ الرـجـولـة مـطـمـنـحُ
وكـذا المـرـوءة مـأمـنـلُ
والـحـقـق مـعـقـود اللـوا
يـاـذـلُ مـنـ فـقـد الحـيـا
ولـمـن طـغـى بـاع الـهـدى
وتـراه فـي دـرـك الشـقـا
ويـحـبـب أـرـبـاب الأذى
أـسـدُ إذا كـان الـريـا
ولـه حـوارٌ باهـتُ
ومـنـاـوراتٌ جـمـة
ومـداوراتٌ فـي العـنا
لـلـه نـشـكو مـا افـتـرى
ورشـقـتـ فـي الـروح الـسـهام
وأبـدت عـزـي بالحـسام
وبـذاك أعـطـيت الـوسـام
ولـمـثـلـك الـدنيا ثـقـام
يـا تـانـهـأ بـيـن الطـغـام
والـمـكـرُ مـن طـبـع الـنـام
وـغـداً سـيـنـقشـع الـغـمـام
يـصـبـو لـذـوتـه الـهـمـام
وتـرفـعُ أبـداً يـرام
مـن مـات فـيـه فـلا يـلام
وـغـداً بـلـقـمـتـه يـسام
وبـظـل شـرـبـتـه يـنام
كـم سـرـبـل الـروح الـهـيـام!
وـطـوى مـشـاعـره الـغـرام
ويـجـيـد تحـريـف الـلام
وبـرغم ذاك لـه فـنام
ثـقـلـت كـمـا ثـقـل الـركـام
تـدعُ العـزائم فـي الـرغـام
وعلـى الأحاسـيس الـسـلام

مسافر ولكن يعود

(إنه ليفترض في أصحاب الدين الحق والعقيدة الصافية والتوحيد الخالص أن يكونوا على قلب رجل واحد في مواجهة عدوهم المتوحد ، على اختلاف عقائد أهله ونحل أربابه وملل سدنته. لأنه مهما اختلف أهل الحق على طرائق العمل والدعوة إلى هذا الحق ، فهم في دائرة العبودية لله - عز وجل - شأنهم في هذا شأن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فليسعهم اليوم من الخلاف ما وسع الصحابة بالأمس. وإلا فلا خير فيهم البتة. وإن سفر أخ محب - محايد لهم ، نصير عن بُعد ، منهم وإن لم يكن فيهم ، وفيهم وإن لم يكن منهم - خسارة كبيرة ، لو كانوا يعلمون. والمرء قليل بنفسه ، كثير بإخوانه وأصحابه وأصدقائه. وعلى ذلك من وعاه ، وأعرض عنه من أعرض. وهذا الأخ الحبيب قد سافر عن دياره ، ولكن ليس كمثله كثير من طلاب الدنيا (من أجل امرأة يتزوجها ، أو مال يُصيبه في غربته ، أو شهرة يدين لها ولمن منحها إياها ، أو جاه يعبده من دون الله). بل سافر لعقيدته ودينه وتصوره ، وكم كانت فرحة كبرى لأعدائه حيث أقاموا الأفراح والليالي الملاح ، وسُروا برحيله سروراً كبيراً ، وانشرح كبيبرهم صدرأ بسفره ، وتمنى لو كانت نهاية وخاتمة لهذا المغترب ، ولكن هل المقادير تدور على هوى الناس وأمزجتهم؟ كلا. وفي بيان له عن ربط السفر والسياحة في الأرض بعبادة الله تعالى ، قال الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (جاء الإسلام ليرتقي بمفهوم السفر والسياحة ، ويربطه بالمقاصد العظيمة ، والغايات الشريفة ، ومن ذلك : * أولاً: أنه ربط السياحة بالعبادة ، فأوجب السفر أو: " السياحة " - لأداء ركن من أركان الدين وهو (الحج) في أشهر معلومة ، وشرع العمرة إلى بيت الله تعالى في العام كله ، ولما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في السياحة (بالمفهوم القديم الذي يعني تقصد السفر للرهبنة أو تعذيب النفس فقط) ، أرشده النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقصد الأسمى والأعلى من السياحة ، فقال له: (إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) رواه أبو داود. * ثانياً: اقترنت السياحة في المفهوم الإسلامي بالعلم والمعرفة ، وقد سيرت أعظم وأقوى الرحلات السياحية في صدر الإسلام لغرض طلب العلم ونشره ، حتى ألف الخطيب البغدادي كتابه المشهور: "الرحلة في طلب الحديث" ، وقد جمع فيه من رحل من أجل حديث واحد فقط! ، ومن ذلك ما قاله بعض التابعين في قوله سبحانه وتعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ). قال عكرمة: (الساكنون): هم طلبة العلم. رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره". وإن كان التفسير الصحيح الذي عليه جمهور السلف أن المقصود بـ (الساكنين) هو: الصائمين. * ثالثاً: من مقاصد السياحة في الإسلام الاعتبار والادكار ، وقد جاء في القرآن الكريم الأمر بالسير في الأرض في عدة مواطن: قال تعالى: (فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ تَمَّ أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ). وقال سبحانه: (فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ). قال القاسمي في محاسن التأويل -: هم السائرون الذاهبون في الديار لأجل الوقوف على الآثار ، توصلاً للظة بها والاعتبار ولغيرها من الفوائد. * رابعاً: ولعل أعظم مقاصد السياحة في الإسلام تكون في

الدعوة إلى الله ، وتبليغ البشرية النور الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو وظيفة الرسل والأنبياء ، ومن بعدهم أصحابهم رضوان الله عليهم ، وقد انتشر صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الأفق يعلمون الناس الخير ، ويدعونهم إلى كلمة الحق. * خامساً وأخيراً: أن من مفهوم السياحة في الإسلام تأمل بدیع خلق الله ، والتمتع بجمال هذا الكون العظيم ، ليكون ذلك باعثاً للنفس البشرية على قوة الإيمان بالله وليكون عوناً لها أيضاً على أداء واجبات الحياة ، فإن ترويح النفس ضروري لأخذها بالجد بعد ذلك. يقول سبحانه وتعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) هـ. وهذا الذي جعل ذلك المسافر يُقرع الكبير والصغير والذبول والإمعات باللوم والعتاب ، ويخص بالذكر كبيرهم الرويضة ، الذي زعم لنفسه حق التصرف على هواه ، ويقول لهم: إنني سافرت ، ولكن سأعود إن شاء الله يوماً ما ، نعم سأعود إن كان من قدر الله أن أعود! وستكون لنا جولات في المواجهة ولقاءات في الصراع الأيدولوجي حول القضايا القديمة الجديدة ، بغية الوصول للحق. وكما قال ربنا: (وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين). والله لو كانوا ناصحين لأنفسهم ووقافين عند حكم مُنظريهم وأساتذتهم لتركونا جميعاً نعمل فريقاً واحداً (نعمل بروح الفريق) فيما اتفقتا عليه من القواسم المشتركة بيننا وكم هي كثيرة كثيرة ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه من الفرعيات والمنطلقات الفكرية والأولويات في طرائق العمل الإسلامي ، وكم هي قليلة قليلة! إذ الخلاف سنة ربانية قائمة إلى يوم القيامة. وبالأمس القريب اختلف أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عن صحابته ، غير أن المدهش ليس الخلاف الذي كان يقع بينهم - ولكن المدهش هو أنهم يختلفون فإذا أقيمت الصلاة صلى بعضهم خلف بعض وإلى جانب بعض بلا ضغينة! ولسان حالهم يقول: إن الخلاف لا يفسد للود قضية!

إني رحلت البارحة وبذات نفسي بأحبة
وكظمت غيظي ، والأسى والنار حولي لافحاة
والناس قالوا: ضائع وبكت علي النائحة
وتركت شعري ، والجوى فوق الرفوف الراححة
فارقته أهلي عابراً بتحسرات كاحبة
ومضيت - وحدي - في الشقا فوق الرزايا الكالحة
تعس الرحيل ، فكلم له في خاطري من صائحة!
آه ، وكم من غسرة! لم تنج منها جارحة

لكنني سأسأعود يـ و
وبإذن مولانا تُحَقِّق
ولسوف أرفع هـ امتي
ولسوف أمحق عـ اذلي
وأجدُ شفرة فِكْرَتِي
والأمـرُ أضـحى مسـفراً
قتل النفساق فكم أذ
كم سـربل القلب الأذى!
ومخالـب الأيـام ذي
والصاع طـف ، ولم يـغد
والنفس ملـت ما تـرى
سأسأعود من جـوف الفضا
سأسأعود سـيـلماً للـورى
سأسأعود مهمـا عـاقتي
سأسأعود يسـبقني الصـدى
سأسأعود أرفع هـ امتي
سأسأعود تلمـع حُجَّتِي

مأ للـديار الكادحة
ق أمنـياتي الطامحة
رغم الخطـوب الفادحة
وكذا الهـوام النابحة
ولسوف أتـلـو (الفاحة)
والسـدب أمـست واضحة
ل عـرى النفس الوسـالحة!
كم للشـققا من رائحة!
لم تنج منها جانحة
إلا السـهام الجارحة
من أمنـيات صـائحة
وبكل رؤـيا راجحة
رغم التـيـوس الناطحة
كـيـذ الـدمى المتصايحة
نحو الـديار البارحة
فـوق الشـخوص الطالحة
هـذي التجـارب رابحة

الغدر الجامح

(الغدر ليس أبداً من خلق المسلمين المؤمنين الموحدين ، فضلاً عن أن يكون من خلق الشم الصيد من كرام الناس. والذي يكون ضحية الغدر لا يلوم إلا نفسه في اختيار أصحاب وأصدقاء كانوا قد غدروا به ، وأذاقوه مر صحبتهم ، وجرعوه علقم صداقتهم. وأزيد الأمر وضوحاً بهذا الاستدلال: لما سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان بن حرب - قبل أن يُسلم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قائلاً: هل يغدر؟ فأجاب أبا سفيان أن: (لا). وكأني به يذكرنا مقالة عنتره في الغدر - وكان يعده حقاً من الخبث المزري - إذ قال: (نبئت عمراً بات - حقاً - غادراً والغدر مخبثة لنفس المنعم). وإذن فالغدر حرام في ديننا ، وليس من طبيعة كرام الناس ، فضلاً عن كونهم مسلمين أن يغدروا. فالغدر مخبثة ومذمة ، لا يتصف بها إلا أراذل الناس وسفاوهم وحثالتهم. وأما (الزهراء) التي ورد اسمها في قصيدتي ، فهي ابنة أحد الغادرين الألى ابتليت بهم ، وذقت على يده المرار بجميع صوره ، وأمهل الغادر أن يرجع ويتوب ، فتعلل بأنه مجتهد ، ثم أعلمنا بأنه لا ينام ، إنما ضميره يعذبه لوماً وتأنيباً. فقلنا أرجع حقوق الناس تسترخ ويسترخ ضميرك ، وتُمس في راحة ما بعدها راحة. ولا تضحك على نفسك بقولك أنك مجتهد ، لأن الاجتهاد له أصوله وضوابطه كما أن للغدر أساليبه! والعجيب في هذا الغادر أنه ، وبعد أن غدر وتبينت آثار غدره الكارثية ، راح يدعي لنفسه أنه كان يجتهد. ثم تناقض مع نفسه ومع الآخرين ، عندما صرح بأنه لا ينام ليلاً ولا يستمتع بلقمة نهاراً! ومن هنا راح يوهم الناس من حوله ، أنه صاحب ضمير حي ، والحقيقة أنه لو كان صادقاً فليرد المظالم إلى أصحابها إن أراد الخلاص! والغدر شيمة الجبان ، والمواجهة طابع الأبي الكريم ، وساعة يغدر جبان حقير بأبي كريم من الناس ، ويكون للأول أعوان وأنصار ، ويخذل الثاني أنصاره وأعوانه ، والذين كانوا بالأمس القريب من أصفى الأصفياء وأصدق الأصدقاء ، فهذي هي الطامة التي تكسر شوكة أي قوي أبي. والحقيقة أن عقاب الغدر والغادر عقاب وخيم. وصدق من قال: (لو كان الاستبداد رجلاً ، وأراد أن يحتسب بنسبه ويعتز لقال لنا: أنا الشر ، وأبي الظلم ، وأمي الإساءة ، وأخي الغدر ، وأختي المسكنة ، وعمي الضر ، وخالي الذل ، وابني الفقر ، وابنتي الحاجة ، وعشيرتي الجهالة ، ووطني الخراب). وأقوال الحكماء والأدباء عن الغدر والخيانة تكاد لا يخلو منها أي جيل منذ فجر التاريخ ، وإلى قيام الساعة! والله در من قال: الكلمة الطيبة لا تجد من يسمعها ، والجبهة الصافية تفضح الخيانة. والذي ما زال يضحك لم يسمع بعد بالنبا الرهيب. ومن هنا كم مرة هزمتنا الخيانة دون قتال. ألا إن الخيانة لا تزدهر ، لأنها إذا ازدهرت فلن يجرؤ أحد على تسميتها خيانة. وقال الفيلسوف جون هارينغتون: الإخلاص لا يطلب ، إن في طلبه استجداء ومهانة للحب ، فإن لم يكن حالة عفوية ، فهو ليس أكثر من تحايل دائم على شهوة الخيانة وقمع لها. أي خيانة وأي غدر وأي مكر لا بد في نهاية المطاف من أن يعود على أصحابه بالنكال والوبال! وهذا أمر ملحوظ ومشهود. إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن الغدر في نجاة عافية ، لا ، لا ، بل هي فترة مرحلية ريثما يأتي للغدر والغادر يوم لا يحابي ولا يجامل ولا يداجي!)

في هجير الغدر قد ضاع الهمامُ واعتلاه الضيْمُ - قسراً - والحِمَامُ
إنما الغدر سعيٌّ ، صدقوني ظلمٌ من آمن بالله حرام
وكذا الخذلان يُودي بالسجايا حول قلب الفذ تنبذك السهام

عادةً الدنيا تُسامي من تدنى!
 (وأبو جهل) سعيدٌ يتشفي
 غادرٌ ، والقومُ صرعى في التجني
 والمنايا فوقه كالغيث تهوي
 وأسيفُ الصوت قد كان جهيراً
 بيع منه اللحم رطلاً بعد رطل
 مُتعتٌ في عيشها (أم جميل)
 ولها الدنيا ومن كانوا عليها
 ولها الأنوارُ والخيراتُ تترى
 ولها الياقوتُ والمرجان حتى
 ولها الإسـتبرق الزاهي مهـادئ
 إنما (الزهراء) أولى يا فؤادي
 سوف يأتي الغدر يوم لا يحابي
 وينال القوس - صدقاً - من براها
 وجزأ الغدر مُرّ ومـراراً
 وحصادُ الغدر شوْكٌ وشـقاءً
 هذه الدنيا سرابٌ سوف يمضي
 إنما الجنة أولى بالمساعي

وتُدني من علواً فيها وقاموا
 يسرقُ الأحلام ، والقومُ نيام
 والأبـيُّ الحرفي الدنيا يُضام
 فتبيد اليـوم عزاً لا يُـرام
 بات عبداً في دجى الصمت يُسام
 ولعـرض الحر أسواقٌ تقام
 ولها قلبٌ يُسـليه الغـرام
 ويُلام الكل ، لكن لا تُلام
 ويعم الكل من بعد الظلام
 تتحف الجيد لكي يرضى الأتـام
 فمتى - بالله - يـقتـص الحـسام؟
 حيث أضـناها التشاكي والرغام
 يُرجع الحق ، فيحـدوننا السـلام
 ويقوم الشـهم ، قد طال المنام
 وضـياعٌ ، وعـذابٌ ، وضـرام
 ونصـيرُ الغـدر يُرديه الخـصام
 لسـت أدري ، أعلى هـذا زحام؟
 لـيت للـجنة يسـعى المستضام

جريدة الوحدة العربية - 18 / مارس / 1996م

سلعة من هواء

(إن صور التبرج في الجاهلية الأولى ، والتي حذر القرآن منها ، وأتى ليزيحها من الوجود ، مُحِلًّا الحنيفية السمحة محلها ، إن صور التبرج الجاهلي الأول ، لتتضاءل جداً إذا ما قورنت بصور العُري البهيمي السافر الهمجي المعاصر ، والذي تعمد إليه جاهلية القرن العشرين ، التي تدعي العلم والحضارة ، وليس ثمة علم ولا حضارة. بل سفول وانحطاط ، وتهتك وإباحية ، لم يعرف التاريخ لها أمثلة سبقت أبداً. وإن المرء ليأسف ، وهو ينظر إلى العوائل التي تدعي الإسلام ، وهو ينظر كذلك إلى بُنيَّاتها بوجه خاص ، فلا يكاد يجد امرأة قد أمرتهن بالحجاب ، أو نصحت لهن ، أو لقنتهن الدروس ، في الصيانة والحشمة والوقار والأدب والقيم. حتى أصبحت الغالبية العظمى من البنات كالدمى ، لا دين ولا خلق. والواحدة منهن سلعة بائرة. وإن السلعة - أي سلعة - ساعة تكثر وتبتذل ، ويستمتع بها غير أصحابها ، فإنها تكون سلعة من هواء. ألا وإن المرأة عِرْضٌ يَصان ، وجوهرة تحفظ - وقارورة توضع في العيون ، ولا يُكرمها إلا كريم ولا يُهينها إلا لئيم ، وإذا قلنا ذلك فنعني به المرأة صاحبة العقيدة: أمّا كانت ، أو أختاً في الرحم ، أو أختاً في العقيدة والتوحيد ، أو أختاً في الرحم والعقيدة والتوحيد معاً ، أو أختاً مؤمنة في الرضاعة ، (لأنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ، كما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -). ومن هنا تأخذ صفة الغلو والسمو والسؤدد والشرف والعزة ، أما الجمال المبتذل الرخيص ، الذي يمتلكه كل إنسان يشتهيهِ ، فليس إلا سلعة من هواء ، وحصاد هشيم ، ورماد ران على القلوب. واليوم رخص الجمال ، وهانت القيم على من يجب أن يكونوا أصحابها ، والله المستعان. والأصل أن كل جمال له حُماة ، يغارون عليه ولا يُقرون تبذله ولا تهتكه أبداً مهما كانت المبررات والإغراءات والتحديات. والرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: لا يدخل الجنة ديوث. فسئل - صلى الله عليه وسلم: ومن الديوث؟ فقال: الذي لا يغار على عرضه ، وفي رواية: الذي يقر الفحش في أهله. وزادت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - الأمر وضوحاً عندما قالت في وصف المرأة الديوثة: (الديوثة من النساء هي التي تحب أن يسمع ضيفها صوتها)! وإذن فإذا كان الصوت يسمعه الأجنبي يجعلها ديوثة فما بالنا بالتبرج المقيت المستفز الحقير ، فضلاً عن العُري البهيمي السافر ، الذي يملأ الشوارع والشواطئ والنوادي؟! إنني في هذه القصيدة أعرض بامرأة تفتنت في التبرج المسف المقلز ، حتى فتنت أشباه الرجال حولها!)

أُنْتِ الدخانُ الوخيمُ وكذا رمد الهشيمُ
أُنْتِ السرابُ الـذي يزجـي حـراب الغيوم
أُنْتِ البهـاءُ الـذي يجـتـاح شـتى الكأـوم
أُنْتِ الحضـيـضُ الـذي يـأوي إليه الـرجيم
فـيـكِ الهـوى سـلعة والـوهم فيـهـا يُقـيم
أـمسـى الخـنـاء حـرفـة تـزري بعـزم الغـريم

حتى إذا رامه
يا قيس هون على
القبح عم السدنا
والهزل سد الفضل
حتى أتت غادة
زين الجمال الهوى
والكل حل حول التوي
يذوب في أنسها
يحتال حتى يرى
يهفو وإيهها هوى
مراهق شقاقه
حتى إذا ما انتهى
يقول عيشي غلا
ياساعة من هوا
لـ يلاك أيضاً هوى
فالقلب في سكرة
والروح في زورها
هان الجمال ، كذا

إذا بـه لا يقـوم
قلـب بـراه الوجـوم
إذ أحرقتـه السـدوم
قلـاد الأتـام الظلـوم
لهـمـا جمـال عـقـيم
إنّ الهـوى لا يـدوم
حلـت يـزف الزـعوم
والكلـل فيـهـا يـم
مـن حسـنها ، والنسـيم
يـاللعشـيق الحـلـيم!
لحـظ العـيون الـرخيم
يـأتي يـوم الـهموم
يـقول: جـذ يـارحـيم
تسـبـب العـلـل الـزنيم
أراكـ لسـت المـوم
والفسـق سـهلّ هـضم
والزئـبغ فيـهـم عمـيم
فـي كل (فـام) نجـوم!

جريدة الوحدة العربية - في 2 من ابريل 1996 م

بريق الأشجان

(لا يجب على الإنسان المبتلى أن يجزع من البلاء ، للحد الذي يقنط معه من رحمة ربه الرحيم الرحمن. والذكي العبقري من يُحلل الأحداث التي هو جزء منها. ولا يحاول أبداً أن يستسلم للهواجس ، وتغلبه العذابات التي يمر بها. وليتذكر قول الله - عز وجل - في التعقيب على قصة حادث الإفك: (إن الذين جاؤوا بالإفك عُصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم). والشاهد هنا (لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم). ومن هذا المنطلق: يجب على كل فذ عاقل أن ينتفع بكل ما يواجهه في هذه الحياة. وهذا فيه له فائدة كبيرة ، حتى يكون أكثر قدرة على مواجهة الحياة والأحياء. ويكون حذراً في بذل ثقته لمن لا يستحقها. إن إعطاء الثقة لكل من هب ودب في حياة الإنسان ، دليل قاطع على حمق التصرف والسلوك من جهة ، وعلى حمق وفساد التصور من جانب آخر. وإن تمحيص الصديق قبل اتخاذه صديقاً ، لدليل ناصع مشرق ، يدل على سعة أفق وتصور من جعله صديقاً له. وما عانيت في حياتي قدراً عانيت من الخيانة والخانين ، والغدر والغادرين ، والنفاق والمنافقين ، والظلم والظالمين. وإنه إما الصديق الذي يرفع الإنسان في الدنيا والآخرة: صدق حقيقي مع الله ، ثم مع العقيدة ، ثم مع المخلوقين موحديهم ومشركيهم ، وإما الكذب الذي يخفض الإنسان ، أبد الأبدين ودهر الداهرين ، إلا أن يتوب صاحبه: كذب على الله ثم المخلوقين ثم على كل القيم والتصورات والفضائل. كتبت هذه الأبيات ، لأصف عبرها البريق الخاطف الخادع لأشجان الخيانة! والحقيقة التي هي أوضح من الشمس في رابعة النهار ، ومن البدر ليلة التمام ، أن الغدر لا يجوز في ديننا أن نرد عليه بذات الصفة (الغدر). إذ إن أصلاً من أصول ديننا وقاعدة من قواعد السلوك فيه قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك). وإذا كان ذلك كذلك ، فإنه لا يجوز لمن غدر به سواه أن يغدر بمن غدر به انتقاماً وتشفيماً! بل يشكو إلى الله غدر الآخرين وخيانتهم ، ويطلب منه أن يعوّضه ويصبره ، وينتصر له منهم ، إنه - عز وجل - على ذلك قدير. أما أن يغدر فليس يصلح له ذلك في ديننا. (ذلك ومن بُغي عليه لينصرنه الله). وعلى المغدور به أن يلوم نفسه ، عندما جعل غادراً عُرف بغدره ولحن قوله ، صديقاً له ، وأطلعه على أسراره ، وآمن له في كثير من الأفكار والتصورات. وصدق النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما قال: (المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخال). وعموماً رأينا الكثير في واقعنا من خذلان الله للغادرين وانتقامه منهم لأولياته ، ولو بعد حين. نعم قد يمهلهم الله ، لكنه - تبارك وتعالى - لا يهملهم وإن أمهلهم! ذلك أن الغدر لون من ألوان الظلم. وسنة الله مع الظالمين أنه يملي لهم ، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم! وهذا عزاءٌ كبير للمظلوم أن يوقن أن الله ناصره لا محالة ولو بعد حين!)

لقد آن أن تسببين الطريق وتحيي تغربيل كل صديق
حنائك ، إنك ذو عزيمة فلا يخطف ن خطاك البريق
ولا يسرق صدك الأسى فإنك - رغم المنايا - طليق
ومحصن خليلك يا صاحبي فإن كان أهلاً فنعم الرفيق
وإن خان دغوة لأمثاله لنلا يطول عليك الطريق

ألسنت تريـد بلـوغ النـذرى
فشمـر ، ودع أمنـيات الهـوى
أفـق ، فالسـراب الخـوون أنتهـى
فـؤاد شـجاع لـه هـمة
وعقـل ترـبـع فـيـه المـدى
وعـزم رفـيـع يـحب الهـدى
وإن خان صـحبك ، كـن ثابتـاً
فـحاذر ، وكـن صادقـاً فـي الوفا
سـراب حـياتك ، كـن واعـياً
وأحسـن ، فـإن الحـياة أنتهـت
ووحـد إلهـك ، واخشـع لـه
وشـمس الحـقيـقة يـوماً تُرى
وصاحبـاً وفـيـاً ، وكـن مخلصـاً!
ودع عنـك أهـل النـفاق ، ولا
وإن لـم تجـد صـاحبـاً صادقـاً
وعشـن واحـداً بـين كل الـورى

وتأمـل أن يسـتجيب الشـقيق؟!
وكـن واقـعـياً ، بعـزم عمـيق
وإن انكسـارك لـيس يـليـق
وروح - كـما النـحل - تحـوى الرحيق
وعـز الشـهيد جـري فـي العـروق
ويأوي لـركن الجـهاد الـورىق
فهـذي إذن فـتنة كـالحريق
لقـد آن يـا صـاح أن تسـتفيق
وأنت بحـب الجنـان حـقيق
وأشـفق ، فـخيرُ الرـجال الشـقيق
وحافظ عـلى كل عـهدٍ وثـيق
ولـن يـمنع الغـيمُ عنـها الشـروق
جمـال الحـياة الخـليل الصـدوق
تصاحب عمـيلاً بـيـع الحـقوق
فـلاتـك فـي الهـالكين الغـريق
فـإن المـرائين أشـقى فـريق!

الليلة المطيرة

(أحياناً تدفع الإنسان الحاجة لأن يعيش في مستوى أدنى ، ومعيشة لا يرضى هو عنها. وقصيدتي هذه دليلٌ على الذي أقرر وأعتقد. وحقيقة ما أنفقت من عمري مالاً ولا جهداً ولا وقتاً ، كالذي أنفقتة على الكتب. وما أنا بنادم على شيء خسرتة ، بالرغم عني ، أو فاتني ، بالمقدار الذي هو مكنون ومدخر لكل كتاب أشتريه ، بحثاً عن الحق. إنني عشت في زمان جُل أهله يزعمون أنهم وحدهم على الحق. وكلما قابلت فرقة من الناس وجدت الشيء ذاته ، فسألت نفسي: من أتبع؟ وكل يدعي لنفسه العصمة ، ولفرقتة الصواب والعدل والخير ، وكلما ناظرت غلبوني لقلّة بضاعتي وفقر جُعبتي ، والمنطق وحده ، والكلمة وحدها ، والأسلوب وحده لا يكفي للمواجهة ، بل لا بد من العلم والفقه والفهم ، وإلا خسرتُ الجولة مرات ومرات. لذا قررت لزوم الكتاب وطلب الهداية من الله. ذلك أن كل فريق على الساحة اليوم ، يقود المرء إلى قناعاته وتصوراته ، وكأنه الحق المبين وحده! ثم يطلب إلى من اتبعوه أن يكونوا كالموتى بين أيدي من يغسلونهم ، وكأنه شعار النصارى القديم الجديد القديم: (أطفئ سراج عقلك واتبعني!) ، فقلت لنفسي: لأخذن من المعين الذي أخذ منه هؤلاء ، ولا أشغلن نفسي بهم ، بل أحبهم بقدر الحق الذي معهم ، وأبغضهم بقدر الباطل الذي عندهم. ومن هنا عمدتُ إلى خير صديق في الزمان - على حد تعبير شوقي - عمدتُ إلى الكتاب. وكان لي من الكتب الكم الكبير في مختلف الثقافات وبشتى اللغات (العربية - الإنجليزية - الفرنسية) ، وتعلقت بالكتب للحد الذي قد أستغني فيه عن الطعام والشراب ، ولكنني لا أستغني عن الكتاب! وليس يهدد الكتب مثل الأعداء الأربعة: اللصوص من خدم فرعون أو الجهلاء السفهاء من الذين أبو بكر عند الواحد منهم كأبي جهل! أو الفرنان والجرذان التي تتغذى على أوراقها ، أو الماء الذي يحيل سطورها سراباً وهباءً منثوراً! لقد ابتليت بليلة عاتية ، كانت شاتية ممطرة جداً. وتساقطت الأمطار بكل غزارة تتصور ، فوق أسفار العلم والأدب واللغة. بل وأغرقت ما كان أمامها حتى فراش الطفل. وحزنت الحزن الشديد ، حيث إنني لم أستطع أن أتغلب على آلامي ومصائبى وأحوالي ، الشيء القليل ولا الكثير ، بل إن كل الذين حولي ، كانوا ما بين غر شامت ومصطنع للحزن وبكٍ بالفعل وسعيدٍ ومسرور ، ومن هنا رحت أتذكر الدار الوريقة ، والأحوال الرغيدة ، والماضي المبتسم الراحل ، فشكوتُ إلى الله من كانوا السبب المباشر ، أو حتى غير المباشر في هذا المصير المبكي المحزن ، الذي وصلتُ إليه. وأسأل الله أن يحاسب من ظلمني بعدله ، وأن يسلط على كل باغ ومنافق سيف انتقامه إنه عزيز ذو انتقام.)

بكتُ إلهها ليلاً ماطرةً وباتت على ماجرى صابرةً
وآلمها الوجـدُ حتى طغى عليها المنايا ، بلا بادرة
وكانت تحلق في أنسها حنائيكِ ، ياليلتي الماطرة
ولا يضحكن عليكِ الهوى فأنت بحب الهوى زاهرة
لقد خمش الغيثُ أسفارنا وبتنا بأهاتنا الباسرة
تساقط - كالسيل يغزو الدنا - على الأرض في ليلاً ساعة

وفاض ، وأسعد كل القرى
 وإن أطرب الناس ما قد جرى
 وقد مزق الغيث إشراقها
 ومهد الرضيع - كذاك - اشتكى
 وكنا نعيش بدار الهنا
 ونشرب صفو الحياة الذي
 ونزرع في الناس حب الهدى
 ونغرس توحيد رب الورى
 نعلم أقوامنا ديننا
 ونبني الذي هده غيرنا
 ونصبر لوقد أتانا الأذى
 وليس خلوداً بهذي الدنا
 ونشكو المنايا لدياننا
 ومن نبحوننا بأمضى مدي
 ويومياً يباغتهم ح تفهم
 فيا ليلتي ككففي دمعتي
 وقصّي ذيول النفاق بها

وداعب خضرتها الغامرة
 فقلبي بكى الكتب الزاخرة
 وراح يوزلها الفارقة
 غزارة غيث به ضامرة
 نمازح أيامنا الساحرة
 يُظلل الضمائر في الهاجرة
 وخوف القيامة ، والآخرة
 بروح مهذبة هاجرة
 ونقتلغ الأفقة الناحرة
 من الحق ، والقيم العامرة
 نرى العيش كاللحظة العابرة
 فتلك - إلى ربها - سائرة
 ونشكو له الأنفوس الماكرة
 وبئس العمالة من ظاهرة!
 ويمحو دجى الأنفوس الصاغرة
 بأطبارك الغضة الجاهرة
 ولا ترحمى الأنفوس الجائرة

الناس معادن

(الإنسان - كل إنسان - له طبيعة وجبلة ، تغلب عليه ، مهما حاول التجمل والتحلي بما ليس فيه. وإن هذا الادعاء منه قد ينطلي على السفهاء من الناس. أما الواعون وذوو الفراسة في معرفة الناس ، فهيهات أن يندعوا بمثل هذا الخداع. ونبينا - صلى الله عليه وسلم - قد ألقى الضوء على هذه القضية إلقاءً مبيناً إذ يقول: (الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا). ومن هنا فلا نحتاج إلى كثير كلام في بيان حقيقة المعادن ، وحقيقة الناس التي تمثل هذه المعادن. وأحقر بإنسان قد من الله عليه بنفس زكية ظاهرة بريئة ، فإذا به يلتمس أسباب التدسية لها ، فينتكس ويصبح مدسى النفس لا قيمة له في الناس ، إذا حضر لم يحتفل بحضوره ، وإن غاب لم يُفتقد. ما هذا إلا لأن الناس فعلا معادن بكل معنى الكلمة. إن الناس - كل الناس - معادن ، ففيهم المعدن اللامع الناصع بطبيعته ، ومهما حاول المعدن الصدى المنطفيء أن يلمع في واجهته ، فلا يمكن له أبداً أن يخدع الناس عن حقيقته. ومعظم الناس يميلون إلى المال وأصحابه. ويقيمون بعضهم بالدرهم والدينار ، وكان لسان حالهم يقول لنا بأن الذي معه دينار يساوي ديناراً ، والذي يملك ألفاً يساوي ألفاً! وكأنني بهم يذكروننا بالذي ارتجز فقال متحدثاً عن ذات المناسبة: (رأيت الناس قد مالوا ، إلى من عنده مالٌ ، ومن لا عنده مالٌ ، فعنه الناس قد مالوا. رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهبٌ ، ومن لا عنده ذهبٌ ، فعنه الناس قد ذهبوا. رأيت الناس قد ماسوا إلى من عنده ماسٌ ، ومن لا عنده ماسٌ ، فعنه الناس قد ماسوا. رأيت الناس منفضة إلى من عنده فضةٌ ، ومن لا عنده فضةٌ ، فعنه الناس منفضة.) يقول الأستاذ أمير بن محمد المدري: (كم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أصبحت وزهرها يابس هشيم! فبينما ترى الرجل من أهل الخير والصلاح ومن أرباب التقى والفلاح قلبه بطاعة ربه مشرق سليم إذا به انقلب على وجهه فترك الطاعة وتقاعس عن الهدى. وبينما ترى الرجل من أهل الخنا والفساد أو الكفر والإلحاد قلبه بمعصية الله مظلم سقيم إذا به أقبل على الطاعة والإحسان وسلك سبيل التقى والإيمان). وأكتب هذه القصيدة في معدن من معادن الناس ، كان ذات يوم لامعاً ناصعاً ، ثم أثر الصدا والقدْر ، وجعله رداء! نعم ، فقد غلب منطق القوارين ، وقاس الناس بالدرهم والدينار ، ولم يكن قط حكيماً فيما ارتآه من التصورات. والحقيقة أن الإنسان الأصل ذا القيم والأخلاق لا يمكن أن تكون عنده ازدواجية في المعايير أو ثنائية في المقاييس. وهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، تحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول: (اللهم مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك) ، قالت: قلت: يا رسول الله ، وإن القلوب لتتقلب؟! قال: (نعم ، ما خلق الله من بني آدم من بشر ، إلا إن قلبه بين إصبعين من أصابع الله ، فإن شاء الله عز وجل أقامه ، وإن شاء الله أزاعه). أخرجه أحمد في مسنده ، والترمذي في جامعه بإسناد صحيح. وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك) ، قال: فقلت: يا رسول الله أمنا بك وبما جئت به ، هل تخاف علينا؟ قال: (نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها كيف يشاء). أخرجه الترمذي ، وابن ماجه في سننه. وإن كانت طبيعة العصر أن معظم الناس قد رضوا بالحياة الدنيا ، وغلبوا الأهواء ، وعبدوا شهواتهم ، ودانوا لعليتهم بكل ما كان ينبغي أن يدينوا به لله تعالى ، فإن هذا لا يعني ، أن القيم قد تلاشت ، وأن الأخلاق قد رحلت ، كلا وألف كلا! إن للقيم أهلها ، وللأخلاق والمبادئ أصحابها! وهؤلاء لا يتخلون عن أخلاقهم ولا يتنازلون عن مبادئهم!)

حل الخداع ، فلا أممان ونعيش في عصر الهوان

والخمر عبداً ، والعيى ذأماجد ، دار الزمان

وقعد اسـ تبيح العـ ر
 وتلعثت كل الخطـ ا
 وأشـ اوسـ تحـت الثـ رى
 وقـ وراع الأيـ ام صـ ا
 والشـ هم فـي أيـ ا
 ويبيـت فـي مـر الأـ سى
 ومـ اـ ان صـ اـ الهـ زيـ ا
 ومـ طـ اـ رـ ق الأـ وـ هـ اـ م فـي ا
 وهـ وـ اـ جـ س الشـ يـ طـ ان دا
 والنـ سـ اـ سـ بـ يـ ن مـ شـ رـ د
 ومـ عـ aـ aـ aـ aـ لـ اقـ وـ aـ a
 وتـ مـ aـ aـ aـ aـ ، وتـ كـ Sـ Rـ T
 وفـ صـ aـ aـ aـ aـ قـ تـ لـ aـ sـ Kـ o
 وفـ وـ aـ aـ أفـ قـ هـ aـ aـ لـ fـ Rـ r
 فـ يـ aـ aـ aـ aـ aـ aـ e إن رأـ يـ a
 فـ هـ Mـ aـ aـ aـ aـ Rـ Kـ ذلكـ M
 لـ Kـ نـ Bـ شـ Rـ طـ aـ aـ e فـ يـ

ضُ فينا ، بعد أن ذل الكيان
 من بعد ما انعقد اللسان
 وتزعمت دارى القيـ ان
 نعمة الـ ردى ، قبل الأوان!
 يسـ عـ يـ عـ رـ قـ aـ aـ aـ aـ aـ aـ a
 ودمـ اه يشـ ربها الجبـ ان
 مـ e فـ aـ hـ a ، تحـ t الطـ عـ an
 هـ a مـ Rـ e ، ترـ Jـ و الأـ Mـ an
 نـ Mـ e الصـ Rـ دى ، ولـ hـ a سـ iـ nـ an
 ومـ Kـ Rـ M ، وهـ Mـ a Sـ iـ aـ n
 اـ hـ Sـ an غـ اـ Dـ rـ t المـ Kـ an
 فـ يـ Dـ rـ iـ nـ a aـ aـ aـ aـ aـ a
 تـ حـ Rـ oـ fـ aـ e ، ومـ zـ yـ a aـ iـ a
 طـ و لـ aـ nـ e و aـ d aـ hـ nـ an
 تـ Xـ iـ a Rـ qـ oـ m ، أو فـ lـ an
 إن أسـ aـ mـ o ، دـ xـ a و aـ jـ nـ an
 دـ iـ n aـ lـ aـ e ، مـ e aـ qـ u‑ r‑ an

الأيام دول

(أحياناً يحلو لكثيرين أن يتصوروا ، أن نعم الله الوفيرة عليهم في الدنيا قرينة رضاه – عز وجل - عنهم. وهذه ليس قاعدة. فإن كثيراً من الناس يتصور أن النعيم الذي يرتع فيه في هذه الحياة ، يمكن أن يدوم ويستمر معه إلى نهاية حياته فيها. وعلى النقيض من ذلك ، هنالك فريق آخر - لكثرة بلانه - يظن أن الضنك له في هذه الحياة حتمٌ لازمٌ وقدراً محتوماً. ولا شك أن هذا وذاك بين تفريط في الإدراك وإفراط في الفهم والتصور ، قاد إلى هذا الإفراط وذلك التفريط الجهل بالشرع والتوحيد والعقيدة. وإلا لاستطاع صاحب مثل هذه التصورات الهزيلة أن يتجاوزها ، ويدرك بكل وضوح أن النعيم لا يدوم وأن الضنك والشقاء لا يدوم. إن هذه الأيام دولٌ تتقلب بأصحابها بين اليسر والعسر. ولا يجب على ذي السعة واليسر أن يعتر بهما! بل له يومٌ مُر ينتظره إن أجلاً أو عاجلاً. والغرور طابع السفهاء البلهاء الحمقى والمغفلين. وأحياناً تأخذ الظالم نزعة الاعتزاز بالإمهال والإملاء في فترة من الفترات. فيزعم معها أنه قد أفلت من عقوبة الله المنتقم الجبار - تبارك وتعالى - وينسى أو يتناسى أن هذي الأيام دول: يوم لك ويوم عليك. ومن هذا المنطلق كان يوم القيامة يوماً فصلاً بين الظالم والمظلوم من بنى البشر. وهذه حتمية عقديّة يجب الإيمان بها: (واليوم الآخر) كما في حديث جبريل ، وذلك أن عتاة كثيرين عاثوا في الأرض الفساد ، وظلموا الخلائق وأكلوا حقوقهم ، ومع هذا عاشوا يرفلون في النعيم والدعة والرغد ، ولم يقتص منهم ، ليس هذا فقط ، بل الناس لا يزالون يمدحونهم ويثنون عليهم إلى يوم الناس هذا! وكذلك امتلأت الدنيا بمظلومين كثيرين لم يُثار لهم من ظالمهم! فإذا بيوم القيامة ، يوم الفصل المبين حيث يقول الله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفي بنا حاسبين). ويعلق صاحب المعالم على الآية: (فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) بقوله نصياً: (إنه الصبر وسيلة المؤمنين في الطريق الطويل الشانك الذي قد يبدو أحياناً بلا نهاية! والثقة بوعد الله الحق ، والثبات بلا قلق ولا زعزعة ولا حيرة ولا شكوك. الصبر والثقة والثبات على الرغم من اضطراب الآخرين ، ومن تكذيبهم للحق وشكهم في وعد الله. ذلك أنهم محجوبون عن العلم محرومون من أسباب اليقين. فأما المؤمنون الواصلون الممسكون بحبل الله فطريقهم هو طريق الصبر والثقة واليقين. مهما يطول هذا الطريق ، ومهما تحتجب نهايته وراء الضباب والغيوم!) هـ. إن الأيام يا أقوامنا دول ، وهذه الدنيا لا تدوم على حال ، والنعيم فيها متداولة بين الناس ، هي اليوم لزيد دون عمرو ، وغداً تؤول تلك النعم لعمرو دون زيد. وصدق القائل: (لو دامت لغيرك ما وصلت إليك). فالزكي الفذ من جعلها معبراً للأخرة ومزرعة لها. فسبحان من يُميث ولا يموت ، وعز وجل من لا يبقى على ما هو إلا الذي لا إله إلا هو!)

يَوْمٌ يَتِيهِ ، وَيُنْبَسِطُ يَتَا وَهُوَ آخِرُ مَغْتَابِ

وَأَرَاكَ يَا مَغْرُورَ - فِي الْـ دُنْيَا - كَمَا الْبَحْرُ الْخَمِيْطُ

هَيَّوْنَ عَلِيْكَ ، وَلَا يَغْرُنْكَ الْـ نَعْمُ الْمُنْبَسِطُ

حَتَّى مَتَى تَخْتَالُ فِي دُنْيَا الْأَنْبَامِ ، وَتَغْتَابُ

إِنَّ الصَّغَارَ عَلِيْكَ مَضَى رُوبٌ ، فَكُفْ عَنِ الْغَاطِ

وكذا الخطوب عليك دا
أيا منادولاً ، فلا
وأراك بالدينا سعي
قد كنت قسورة علي
أما على الضلال كن
شردتنا ، وأتيت ما
والأمر عنك واضح
وأنا بيضاء صفحتي
كيف اتباعتك للهوى؟
إلا إذا ألزمته
فإذا رباط الحق نو
أنت سير في درب أع
أبشربسوء نهاية
لو كنت ذانور لمارا
لكنمأنه الخياما
واليوم أنت متنع
ولسوف ينسحب البسما

نمطة الهبوب ، ولا بسط
تشط في سبك الخطط
دأ تسر تبيح ، وتعبط
ناتس تبد ، وتشترط
ت مهذباً ، مثل القطط
يأتي دهاقنة الششط
كيف الحقيقة تختاط؟!
لا يهبن بك الششط
إن الهوى لا ينضب
بالحق ، حتى يرتبط
رُحياته ، فينه انخرط
د المهالكات به السخط؟!
ترديك ، يا أعتى نمط!
أودي بمركبك الحبط
نة غرّم ، وكذا السطط
في السير كالعسل السطط
ط ، ويسثر الدنيا القَطط

صمت الرقاد

(كنت أتصور أن كل الناس الذين يتحدثون كثيراً عن الحق يمكن أن ينصروا أهله والدعاة إليه. ولكن هيهات ، بل أكثرهم خانوا ، وتخرصوا بالباطل على الحق وأهله. إن الخيانة لا جنس لها. وربنا تبارك وتعالى قد ذم الخائنين في كتابه فقال: (والله لا يحب الخائنين). ونهى نبيه فقال: (ولا تكن للخائنين خصيماً). وإذن فالخيانة لا تكون طابعاً وديناً إلا في نفس مدساة عفنة خبيثة. وعلمنا ديننا أننا لا نقابل السيئة بالسيئة ، بل كل سيئة نقابلها بحسنة. (وأتبع السيئة الحسنة تمحها). وكذا (أد الأمانة لمن انتمك ولا تخن من خانك) ، ومن هذا المنطلق ، أقدم لقصيدة (صمت الرقاد) محذراً من الخيانة وأهلها ، وناصحاً بالرشد والتريث والتعقل في معاملة الخائنين الغادرين. وأسأل الله ربي أن يلهمني الصبر والثبات في هذه الفتن ، التي تموج موج البحر. وإن كل إنسان يُبتلى بغدر الغادرين وخيانة الخائنين وظلم الظالمين لمظلوم. والرفقة التي أتاولها في قصيدي كانوا صحبة درب واحد موحد. وفجأة خان أحدهم وهو الأخلص والأورع خان رفقاء دربه وأمانته ، وسحر كل من حوله بافترائه وكذبه وبهتانه. وتفرق الجميع تفرقاً ليس بعده اجتماع إلا أن يشاء الله ربي شيئاً ، وصمتوا في المحنة صمت الرقاد ، وقام صمتهم دليلاً على انتفاء الشهامة والنجدة والنخوة ونصرة الذي ضعف شوكته فيهم وهو منهم. وتبددت ريح الجميع في لظى سراب النفاق ، وحاول صاحبهم المظلوم هذا بيان الحقيقة لهم وإعلام أنه بريء وأنه مظلوم وله حق ، إلا أنهم لم يستمعوا إلى صيخته ولم يصيخوا إلى صرخته ، واكتفوا بالصمت المطبق ، وتوقع كبيرهم الذي علمهم السحر ، وقال في مواجهة الموقف العاتي: إنني كنت أجتهد ، ولو كنت أخطأت فلي أجز واحد! والأصل أن خذلان الأخ المسلم ليس فيه اجتهاد ، إنما يكون الاجتهاد في الأمور التي يسع المسلم فيها الاجتهاد كدقائق الفقه ومسائل الحديث. ولو أن كل مرتكب كبيرة عندنا من الله فيها برهان قال: أنا ارتكبت هذه الكبيرة باجتهادي ، لقلنا له: خسئت وخسئ اجتهادك! وإنني أكاد أجزم بمدى التشابه بين المتعلل بالاجتهاد الباطل هذا والمحتج على الله بالقدر ، حيث يفاجئنا هو الآخر بقوله: لقد عصيت بقدر الله ، ولو أن الله شاء لي أن لا أعصي لما عصيت! قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} ، ومعنى الآية: أن الكفار ينصر بعضهم بعضاً ، ونحن إذا لم تحل هذه النصرة بيننا ساد الفساد ، قال الطبري رحمه الله: "إلا تناصروا أيها المؤمنون في الدين ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير". قال ابن كثير رحمه الله: "أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين ، وإلا وقعت الفتنة في الناس ، وهو التباس الأمر ، واختلاط المؤمن بالكافر ، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض". وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهم جميعاً ، قالوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ. وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ». [رواه أحمد وأبو داود].

تـهـاوت على النـوم كل الـرؤوس فـغـطى الضـمائر صـمـت الـرموس
وكننا نتـوق لنـيل العـلا ونصـبغ بـالعزم بـأس النـفوس
ونرقى جميعاً إلى غايـة ونمحو من الكـون ذل العـبوس

ونغسل بالهـدي كل الرووس
 نفضنا عن القلب حب النفوس
 ونطفيء بالحق وهج الوطيس
 كأن الحتوف كمثل العروس
 نضبّ عذابتنا في الكؤوس
 ونفرح إن خمشتنا الودوس
 ولا يقبل الـذل إلا اليـؤوس
 وفرق جمع الأبياة الخسيس
 وأغرق دنيا الـورى بالطقوس
 فبدد نور المعين النفيس
 سرى في الفضاء السحاب النحيس
 وخاب - على الفور - ظني البئيس
 ولمّا يعد لي منهم أنيس
 وقد أصبح القلب فيها التعيس
 نادٍ ، ولا يأتي ما قد أتيت المـجوس؟!
 وأنت بدرك المخازي حبـيس
 وتصبح في القوم أشقى جـيس
 ولن أصبح اليوم بين التـيوس
 ونـدعو الأنام إلى ديننا
 تلاقت على النور أهدافنا
 تسامت عن الخذل أرواحنا
 ونشـتاق للموت في عـزة
 إذا عذب النفس ظلم الـورى
 ونشـربها ، لا نخـاف الأذى
 فنحن على الحالتين معاً
 وذات صباح أتانا الـبلا
 وأوشى عن الجمع عند العدا
 وصدق ما قال كل الملا
 وأيقظ فيهم لظى فتنة
 وكنث أظن بجمعي الوفا
 لقد صمت الكل ، لم يهمسوا
 ألا إنها فتنة حولنا
 أعطى لنفسك حق اجتهـ
 أتزعم أنك حُزت المني؟!
 سيطويك يوماً غرور الهوى
 وداعاً أيـاً صـنماً يُـزدرى

عرقوب الغربية

(ألا ما أشبه الغربية بالمرأة العجوز الشمطاء ، التي أكل الدهر عليها وشرب كما يقولون. وفي الوقت نفسه لا تزال العجوز الشمطاء الدردبيس الحيزيون تتصابي ، وتأخذ بأسباب الفتنة والإغراء وجذب الأنظار إليها. إن قصيدة (عرقوب الغربية) واحدة من القصائد التي وصفت فيها الغربية التي أعيش. وغربتني تختلف عن غربة الآخرين. إذ إنني بين قومي وفي دياري كنت غريباً ، واليوم أصبحت بعيداً عن كل هؤلاء. غير أن الغربية الثانية ضاعفت مرارتها نكباتٍ آخر ، منها خيانة الصحب وغدر الرفاق ، وشمتم العدو وتشفي الشامت. الأمر الذي جعلني إن كتبت عن الغربية ، أكتب بكل أسى وحسرةٍ وتوجع وألم وشجن. وعموماً أصبر وأحتسب ، رجاء أن يكون لي نصيبٌ من قوله – صلى الله عليه وسلم – (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء). ولقد اتفقت المعاجم العربية كلها على المفهوم اللغوي البحت للاغتراب على أنه البعد والنوى والغربة عن الوطن والدار ، فيعرفه ابن منظور في لسان العرب فيقول: "الغربُ: الذهاب والتنحي عن الناس ، وقد غرب عنا ، يغربُ ، غرباً. وغربَ وأغربَ وغررَ ضبه وأغربه أي نحاه ، والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاعتراب. وفي معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: والغربة: الاغتراب من الوطن ، وغرب فلان عنا يغرب غرباً ، أي تنحى ، وأغربته وغرّبتة ، أي نحيته ، والغربة: النوى والبعد. (الخليل بن أحمد الفراهيدي - كتاب العين). قال الأستاذ / عبدالجواد خفاجي تحت عنوان (الغربة والاعتراب) ما ملخصه: (يمكننا إذن بالنظر في المعاني اللغوية القاموسية أن نقرر أن هاتين الكلمتين: (الغربة والاعتراب) تلتقيان في الاشتقاق اللغوي ، وهذا يعني أنهما تلتقيان من حيث الدلالة المعجمية والاصطلاحية ولا خلافات جوهرية بينهما. فقد جاء في المعجم الأدبي أن الغربية تعني: "عاطفة تستولي على الناس ؛ فيعيشون في قلق وكآبة لشعورهم بالبعد عما يهونون أو يرغبون فيه. وقد تبرز هذه العاطفة في شكلين ، أحدهما في حالة الابتعاد عن ملاعب الفتوة وديار الأحبة ، والثاني في حالة الشعور بأن العالم كله سجن أقبح فيه! ورغم هذه التوافقات بين المصطلحين إلا أن الاغتراب يظل المفهوم الأكثر دوراناً على ألسنة الباحثين). هـ. الغربية كلها مرار في مرار ، وكم كتبت عن الغربية وعن مخالبتها ولهيبها. ولا يدرك ذلك إلا من فارق الأحباب إلى مغتربه ، وفارق الخلان والمخلصين من الأصدقاء والرفاق إلى منفاه ، كما لا يدركه إلا من عانى فوق اغترابه من خيانة المعارف ونفاق الصحب وخذلان الأصدقاء وغدر الخلان. ذلك أن مثل هذه السمة من النفاق والخيانة والغدر والخذلان تزيد آلام الغربية وعذاباتها ومصائبها. وهذه المرة أصور الغربية كما لو كانت عجوزاً شمطاء حيزبونا درديساً لعبت بها الأيام: فلقد عششت في وجهها أشباح الشيب ، وشاخت المرأة العجوز تلك ، وأصبحت لا تقوى على الحركة ، وبالرغم من ذلك كله ، راحت هذه المرأة تتحدى الشبيبة في خضم الحياة ومعترك المعيشة ، الأمر الذي يستهجنه كل عاقل حصيف ، فهي كالغربة المريرة التي عشتها حقاً. وعندما تهزل العجوز متاركة وقار الشيب وحكمة الكبر يكون أمراً مستهجنًا مقنوتاً! وهناك مسحة من التفاؤل في هذه القصيدة والتوقع بزوال الغربية ورحيل الكآبة يوماً ما ! عسى الله أن يكون ذلك قريباً!)

يميناً ستمطر هذي السحبُ بإذن الإله ، فلا تنتحبُ
تصبرٌ تنل كل ما تشتهي وأحسن تنل كل ما ترتقب
وإما وجدت الفؤاد انزوى فدع للورى دارهم ، واغترب

ويُبديك الله ما قد كتب
فغامر بقلبك ، لا تنسحب
على عزمه الثابت المحتسب
تدل على الأمل الملتهب
تجلى عن النفس كل النصب
وأثر في القلب قبيح اللهب
يزمجر - في وجنتيك - العطب
وهذا أريج الحياة ذهب
وباتت عظامك مثل الحطب
ولن ينفذ اليوم ذكر النسب
وتهزل في الدرب ، يا للعجب!
وعشعش في ساعديها الحذب
يمازح أيامه باللعب
تشجع في النفس حسب الأدب
لنا النصر ، ليس لهذي غلب
تباعد في السير خلف الحجب
ويوماً ستمطر هذي السحب
وإننا رضينا بما قد كتب

سيطوي اغترابك كل العنا
رفاقاً ، وفكراً ، وعطر الهدى
فإن اغتراب الفتى آية
وكل غريب له عزمة
وكل طريد له همة
وطالت على خرقتي غربتي
عجوز عقيم أيا غربتي
وشاخ الفؤاد على خيبة
غزك المشيب على غفلة
وضاع الشباب ، وضاع الهوى
عجوز تمرق منها النهى
عجوز تقوس عرقوبها
تصيح بوجه الصغير الذي
وتقضي على الأمنيات التي
ستطوي العجوز رحى عزمتي
ويوماً يعود الشباب الذي
وينقشع الغيم من جوتنا
لنا الله ، ليس لنا غيرهُ

أنين الوشاح

(إنه ليفترض في الأسود المغاوير أن تظل رابضة في منزلتها اللانقة بها ، لتحافظ عليها من كيد الأوباش الأراذل. ولكن عندما تبرح الليوث هذه المنزلة ، فحدث ولا حرج عن الفوضى التي تسود ، فضلاً عن انتكاس المعايير وارتكاس الموازين وضياع الأمور التي لم تعد في نصابها ، وتنشرق القوس إذ ليست في يد باريها. إنني أكتب هذه القصيدة معبراً عن هذا المعنى ، ومبيناً أن الوشاح الذي هو سياج للقيم والفضائل ، ينن وينتخب عند اختلال المعايير التي تحكم حركة الحياة وتلزمها سياج المثل التي تليق بالإنسان. إن كرامة الإنسان منوطة بتطبيقه شرعاً أنزله الله ينظم العلاقة بينه وبين الآخرين. ومن هنا يفلح كل عبدٍ التزم أوامر الله وجعل بينه وبين معاصي الله سترًا. قال ابن القيم رحمه الله: (كما أن الله واحد لا إله سواه ، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يُفرد بالعبودية ، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيّد بالسنة).هـ. وفي الآية دليل على أن أصل الدين الذي بُعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرسلين قبله ، هو إفراده تعالى بأنواع العبادة ، كما قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون). والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت يُنزع الله في ربوبيته وإلهيته ، ويدعو الناس إلى عبادته ، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان ، أو مشرك يدعو غير الله ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها ، أو شك في التوحيد: أهو حق ، أم يجوز أن يجعل لله شريك في عبادته؟ أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله ، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم وتقليد هم من قبلهم ، لما اشتدت غربة الدين ونسي العلم بدين المرسلين. وعن أبي هريرة مرفوعاً: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم رحمه الله. وقوله: [من عمل عملاً أشرك فيه غيري] أي من قصد بعمله غيري من المخلوقين (تركته وشركه). ولابن ماجه [فأنا منه بريء وهو للذي أشرك]. قال الطيبي رحمه الله: الضمير المنصوب في قوله: (تركته) يجوز أن يرجع إلى العمل. إن الوشاح الذي نعنى هو وشاح كل حق وفضيلة ، وهذا الوشاح يستر تحته ما كان وما يكون من اعتداء الخذلان والشر والنفاق على هذا الحق أو تلك الفضيلة ، ألا وإن كل فضيلة لا يحميها رجال فطبيعي قمن البديهي أن ينال منها النفاق والشر والرياء والعمالة - في أي شكل من الأشكال - وعند اللبيب يُعرّف القصد ، وعندما تتنازل الأسود عن المكان اللائق بها ، وعن الرسالة المناسبة لها ، تسود الهوام والحشرات والضفادع ليس هذا فقط ، بل وتعتلي صهوة المجد ، وتأخذ في سرعة وفورية مكان الأسود فيرتفع أنين الوشاح.)

تعالى بدرب النفاق الصياح وشج الأصـيل هـزيم الريـاخ
وعرقل سير الضياء الهوى وحطم زيف الرياء الصباح
ولم تضع الحرب أوزارها وأدمى الحنيفة نـزف الجـراح
وعبر الدجج استبيح الهدى وأعلنت الموبقات الفساح
وعاشت على لحمنا أكـلب تسعـر في الخافقين النبـاح
وعمت رحاب الحمى فتنة تبيد الجميع كحرب رداح

وقد بُح صوتي ، ولا منصتٌ
وقومي ما بين مسـتهتر
وأخر تحت أديم الثرى
وأخرى كموقـودة تشـتكي
وأخرى تردت على أمـها
وأخرى نطحة إـعراضها
وأخرى تنوح على حالها
وأخرى على نصـب ذبـحت
وأما الإباء فسـقيا له
ويذبل في شـفتيه الجوى
ويقتله في السراب النوى
رجالاته في دجى القهقري
ألا يا فضائل: لا ترحلي
وأنت العطاء ، وأنت السنـا
وأنت الرجال ، وأنت النسا
وأنت العزيمة والمرتقى
وربك فوق الأذى والورى
وما كنت قبل أعاني البـاح
بنيس ينوح عليه النواح
وثالثهم دمـه مسـتباح
وتلطـم حاضـرها بالصـياح
وقد كان عذبا كماء قـراح
وتضرب في التيه عبر البطاح
وقد أكل السبع منها الجناح
وماتت بغير دم أو سلاح
يئن على ناظريه الوشاح
وليس الـذي يبتغي بالمـتاح
يئن ويشكو ، ولا مسـتاح
وقد أمعنوا في الهموم القـباح
فأنت السراج بليـل الكفـاح
وأنت المضاء ، وأنت الفـلاح
إذا ساد (غـزى) وسادت (سـجاج)
إذا رحل العزمـ كنت النـجاج
وصبرك يوماً سـيغدو الرماح

جريدة الوحدة العربية - 25 ابريل 1996م

جلباب الرحيق

(تحدث شعراء كثيرون عن الزهور. فشرّقوا عنها وغربوا ، وأبدأوا القول عن الأزهار وأعادوه. ورمزوا للزهور بالرموز المختلفة. ولم تنزل الزهور على مر التاريخ الشعري كله ، تحظى باحترام وحب وعطف الشعراء والأدباء. إنني اليوم أكتب (جلباب الرحيق) لأضرب على ذات الوتر ، لكنني أغلب هنا نبرة الأسي والحزن التي تغلب على يراعي هذه الأيام. حيث طعنت في أصفي ما أملك في الغربية ، وممن كنت أعدّهم وأدّخرهم ليوم كريمة ، وأفخر بهم في كل مقام ومجلس أمام القاضي والداني. طعنت في الأصدقاء والأصحاب ، والمطعون في الأصحاب ، والمخذول من الرفاق ، والمغدور به من الأصفياء كيف يكتب عن الزهرة اليانعة؟ إنها الزهرة اليانعة اليافعة في بستان الشوك. ترى هل تقاوم جراحات الشوك وآلامه تلك التي يحدثها عند لمس الزهور والاحتكاك بها؟ وهل تصبر هذه الزهرة طويلاً؟ وإذا صبرت فهل يظل الرحيق ساكناً وادعاً حالماً في سويداء جلبابها العبق؟ وإذا كان ذلك كذلك فهل تتركها الأشواك تعيش في أرجها متفياً عبر البهاء الكامن في طيات عطر ذلك الرحيق؟ إنها الصحوة المباركة في عالم الإعراض والتفلة والغفلة ، وإنها النقطة البيضاء في الثوب الأسود ، وإنها الشمعة الموقدة في دنيا الظلام الدامس ، وإنها قارورة الماء البارد القراح في دار الهجير وبيداء القيظ ، وإنها نفحة البرد الرطيب في الكون اللهب الحار. والأمل في الله كبير! وفي جزء من مقالة له بعنوان: (الفتن في صراع الحق والباطل) ، قال الأستاذ / محمد بن شاكر الشريف ما ملخصه: (ليس كل اختلاف يقع بين المسلمين يُقال عنه فتنة يجب اعتزاله والبُعد عنه ، خاصة في صراع الحق والباطل ، فالفتنة التي يجب اعتزالها وعدم السعي فيها ، بل اعتزالها والبُعد عنها ما أمكن ؛ هي الفتنة التي يختلط فيها الأمر حتى لا يُقدر على معرفة المحق من المَبطل ، فهذه التي ينبغي اعتزالها ، قال ابن حجر: "والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك ، حيث لا يعلم المحق من المَبطل". الصراع بين الحق والباطل ليس وليد اليوم ، بل هو ممتد في عمق التاريخ مقارن لخلق آدم عليه السلام أبي البشرية ، فقد حسده إبليس وتوعد أن يفتنه وذريته فقال فيما حكاه عنه رب العزة: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}. وقد اتخذ الصراع على مدار التاريخ صوراً وأشكالاً متعددة في الواقع ولم يقتصر على الصراع الفردي بين أفراد وجماعات محدودة ، بل تجاوزه إلى الصراع الدولي ؛ فنشبت الحروب والمعارك الطاحنة بين الدول على مدار التاريخ ، وكان أهل الباطل دوماً يوقدون نار الحرب لإطفاء جذوة الحق عند الناس. والصراع بين الحق والباطل ، سواء الفردي أو الدولي ، تترتب عليه فتن كثيرة تموج كموج البحر ، يحتاج المسلم لأن يكون له موقف واضح كي يعصم من شرورها ومضلاتها التي تصيب الأفراد والمجتمعات. والصراع بين الحق والباطل مظنة وجود الخلاف والشقاق والافتراق بين الناس مما يترتب عليه كثير من الفتن ، قال ابن عاشور: "وحاصل معنى الفتنة يرجع إلى اضطراب الآراء ، واختلال السير ، وحلول الخوف والحذر في نفوس الناس" هـ. إن أعداء الإسلام في الأرض اليوم لا يتركون الصحوة المباركة تدعو إلى الله على بصيرة ، وتصحح المفاهيم الأصيلة في عقول من ران على قلوبهم ما ارتكبوه من التفريط في جنب الله تعالى. والكفار على اختلاف طوائفهم وكيدهم ، يبذلون الغالي والنفيس ، لكي يَحُولُوا بين الصحوة المباركة وبين النصر المؤزر المبين. وإنني لأسأل الله تعالى أن يخيب مساعيهم ، وأن يجعل الدائرة عليهم ، وأن يمنحنا أكتافهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم!)

يَا زَهْرَةَ تَبْكِي النَسِيمَ جُوزِيَتِ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ
وَرُويَتِ مِنْ أَرْجِ الْهُدَى وَوُقِيَتِ نَزْغَاتِ الرَّجِيمِ

صبراً ، فإنك والحمى
قد كان يحذوك الصبا
حتى الرحيق ترهلت
والجوا وأمسى ظلمة
سيم الصبا سبب سوء الأذى!
والكأس أحرقه اللمح
حتى تضعض مع ميسم
وتمرق الأرج الذي
ياسس وأتي ممأ أرى
لكنمأ نفاح الشذى
والشوك جاف حولها
فلسوف يغالب ريثمأ
ويزول هزل ، والهوى
من أجل ذلك صدقي
يوماً يعدود لنا الحمى
من أجل ذلك هذني
أنت الضياء بعالم
ومضى يؤلمه ظلمه
لا يسحق بكاءنا

كش الفدا عبر الوجوم
واليوم غطت كالهوم
أهدأبه وسط الغيوم
والعز - كلالا - لا يدوم
أخذ المهيم من يسوم
أودت به الريح العقوم
وبكت على العطر النجوم
ذهبوت برونقه السوم
ألتم تغطي بالكلوم
ففي جوف زهرتنا عميم
مهمأ تقنع بالرجوم
يقوى لهذا الجيل القوم
ويسود حرق مسقيم
يا زهرتي قلومي الكايم
ونعيش في ظل النعيم
من روع قلب مس تديم
من حمقه عبدا الهشيم
فإلى متى نبكي النسيم؟
قوم يحبون الزعوم!

جريدة الوحدة العربية - 22 ابريل 1996م

دفع الأعاصير

(الإعصار إذ يضرب بيئة منتنة يُذهب كثيراً من ننتها وقذرها ووسخها. ومن قبل رمزت للبعثة النبوية على صاحبها - أركى الصلوات وأتم التسليمات - بهذا اللفظ (الإعصار) ، وما كان ذلك مني عجزاً عن وضع عنوان آخر يحمل في طياته المعاني اللانقة بالبعثة النبوية ، بل كنت أقصد هذا المعنى الذي بدأت به الكلام. إن كل إعصار له نتائج تؤثر على المكان الذي ضربه. والمعنى الذي أريد هو أن البعثة النبوية كانت للجاهلية وأهلها وللأوثان ومؤلهيها وللأعراف الجاهلية وللعادات الموروثة وللتقاليد البالية في هذه البيئة المنتنة العفنة ، أقول كانت البعثة النبوية لكل هذا أشبه ما تكون بالإعصار الذي أودى بكل هذا. كتاب رائع اشتقت إلى قراءته منذ سبع سنين كنت أبحث في كل مكان عنه ، وفي كل مكتبة أتوجه إليها! ووعدي غير واحد من رفقائي بأنه سوف يأتي به إلي. والكتاب يتحدث عن الجاهلية ، فهو مقدمة في فقها ، وتمهيد لدراستها في الواقع المعاش ، وهو كتاب لا تنقصه الصراحة أبداً ، ولقد يدفع مؤلف ثمن ما يكتب ، وإذا بالقاريء يبخل بماله عن شراء الكتاب! وايم الله إنها للطرفة التي قد تبكى لولا أنها تضحك. ولما أن منّ الله عليّ ، وأهداني الكتاب أحد الأصفياء إلى قلبي ، شعرت بين جوانحي بدفع الأعاصير وانفعال الأرج والتحمس العاتي العاصف لقراءة الكتاب! إن كتاب (مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة - للأستاذ/عبد الجواد يسن ، أبي أسامة) ، يشبه الإعصار الذي غير مجرى حياتي! ذلك أنني لم أكن أفهم مصطلحات صاحب المعالم والظلال ولا مصطلحات الأستاذ المودودي - رحمهما الله تعالى - حتى طالعت هذا الكتاب! حيث إن المؤلف عمد إلى زبدة ما أنعم الله على المودودي وسيد ، وصاغهما صياغة سلسة سهلة ظريفة ، يستوعبها المبتدئون من صغار طلاب العلم الشرعي الذين أحسب نفسي واحداً منهم. خاصة غير المتخصصين في الشريعة ، ولا في دراسة الإسلام كتاباً وسنة. وأعلم جيداً أنني تناولت الحديث عن الكتاب ومؤلفه في قصيدة سبقت ، ولكنني هنا أذكر نفسي ومن يقرأ بالانطلاقة التي انطلقتها وبالشرارة التي أضاعت لي الطريق! وإن تنازل صاحبه بعد ذلك عنه ، إلا أنني وجدت فيه ضالتي!)

غردّ البابل ، فاهتاجت شجوني واحتواني الدفء في ظل الأماني
وكتاب بات عندي بعد سبع فرحة وسنى تغني في كياني
كم تمنيت! وكم طال اشتياقي! قيل لي ، عند فلان وفلان
قلت: إن الصبر أضناني ملياً وانتقلت من مكان لمكان
أنشد العلم ، وللتوحيد أسعى إنما العلم سبيل للجانان
إنما الجاهل من يعبد مالاً يشترى الدنيا ، ويحيا للهوان
معرض لم يقرأ العلم المصفي لم يفتش في دواوين البيان
أثر الدنيا على أخراه دهرأ عاش للدنيا ، وللسبع السمان

إنه لم يفقه السبع المثاني
قلت: مرحى ، إنما العلم سيناني
أو (حياة الصحب) أو (روح المعاني)؟
كم أضع العمر في حب القيان!
لا يرى الهزل ، ولا قيح المغاني!
قلت: ماذا؟ قدّم الآن التهاني!
وأملّ النفس بدفقات الحنان
صُبّ عطر الحب في هذي القناني!
بعد غدر الصحب ، والخل الجبان!
وأرى العلم حُسامي ولساني
وبميدان النزالات حصاني
بل وحرفاً بعد حرفٍ بامتنان
ولله في النفس دفاً كال دخان
وكان السفر في حور الجنان
رب وارفعنا من الحال المهان
رب متعنا بأفكار جسان

لم يشقه الذكر ، كلا ، والوصايا
قال: سيفر العلم أهديه إليكم
يا ترى هل يعرف (الكشاف) هذا؟
ليس معذوراً بجهل مثل هذا
لكن المقبل للجنات يسعي
جاءني البلبل بالأنبياء نشوى
أسعد القلب ، فكم ذاق البلايا؟
وقتاني العمر من جرح تعاني
أبهج الروح ، فكم ذاقت أساها
كم بذلت المال في أسفار علمي!
وكذا العلم حياتي في البرايا
وقرأت السفر ، سطرأ بعد سطر
إنه الإعصار في قلبي ، وروحي
كم أباد السفر جهلاً بفؤادي!
رب وانفعنا بما خط حبيبي
رب إن الصف كم عاني نفاقاً!

المحطة الأخيرة

(كثير من الأوباش يجعلون الصداقة كركوب القطار. فمن قد بلغ محطته نزل! وإن الصداقة في تصوري شيء أكبر وأعمق من هذا التصور الضحل الهزيل السيء المسيء! إن الصداقة الحقيقية ليست تنتهي بانتهاء الحياة ، ولا حتى بزوال الدنيا. بل نهايتها الخلود في جنات النعيم: (على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين) ، وذلك حيث لا نهاية! وإذا كان ذلك كذلك أثمرت الصداقة الحقيقية ، وانتفع بها أصحابها ، وكانت لهم نخرأ في الدنيا والآخرة. فكم من أصدقاء لنا رحلوا عن الحياة الدنيا وحبهم في القلب مكنون ، واحترامهم موفور ، والإحسان إلى ذويهم مقرر من باب الإحسان إليهم ، بل وشفاعة بعض ذويهم مقبولة كرامة لهم! وما ذاك إلا لأنها كانت صداقة حقيقية على التوحيد والعقيدة.)

يسير القطار ، ولا نشعر
وتطوى المحطات والأعصر
فينطق هـذا ، وذا سماع
ويصدق هـذا إذا ما حكى
ويخرج من جوره راكب
ويعطف هـذا على جاره
وهذا صـ حيفته زاده
قطار به من صنوف الورى
وليس صـ داقتنا هـذا
ولا تنتهي إذ يموت الفتى!
نهايتها جنازة تزدهي
فمن يزرع الخير يجن الهنا
صداقة من يسـ تفيد بلا
وصحة منتفع خيبة
فأعط صـ ديقك ، ثم انتفع
بلوث الصحاب ، فـ ألفيتهم

دموعٌ يحبسُها الإباء

(ماتت أم ذلك الصبي ، ورأيته وقد أذبلت الدموع عينيه ، وذهبت بنضارة وجهه. فسلمتُ عليه فتماسك وسلم. فناصرته وأعلمته أن الكل إلى زوال. (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)! وأنست في هذا الصبي – على حداثة سنه – رشداً قل أن نجده في الكبار. وبين الفينة والفينة رحّت أسارقه النظر فرأيت وراء التماسك دموعاً يحبسها الإباء والصمود ، وسمعت أنيناً يمنع من ظهوره للأخريين التجلد والتصبر. فأعجبني ذلك من الفتى ، وأيقنت أن ذلك من فضل الله عليه. فلقد كانت أمه محبوبة الكل من الأهل والجيران والأقارب ، لطيب سُمعتها وحسن سيرتها وعملها الصالح وإحسانها للناس. فإذا كان الكل لا يتخللون الحياة بدونها ، ولذا راحوا يبذلون دموعهم ، فكيف بهذا الصبي الذي هو أحوج ما يكون إليها ، وإلى حنانها وعطفها وعطائها؟ وكنتُ قد ربطني بذلك الصبي تعليمه اللغة الإنجليزية. وكانت أمه تكرم معلميه الذين كنت واحداً منهم. فتجزل لهم العطاء ، وتجعل أول العهد بالدرس الطعام. وتأتي بماندة عليها من الصنوف ما تعجز اليراعة عن وصفه! فجزاها الله خيراً عن العلم وأهله ، وأجزل لها العطاء ، ورحمها رحمة واسعة! ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (عجباً لأمر المؤمن ، كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) رواه مسلم. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن يتصبر يصبره الله ، فما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً من الصبر). متفق عليه. يقول أستاذنا سعد البريك في محاضرة سمعتها له عن الصبر: (إن الخير كل الخير للعبد: أن يصبر في جميع أموره ؛ لأن المسلم يعلم أن البلاء مهما عظم أمره ، أو صغر قدره فإن الله قد جعله سبباً لتكفير ذنوبه! فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يصيب المؤمن من نصبٍ ، ولا وصبٍ ولا همٍ ، ولا حزنٍ ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها). متفق عليه. فإذا تيقن المسلم هذا ، انفتح له باب الرضا بالقضاء والتلذذ بالصبر حين البلية ، لماذا؟ لأنه علم من كلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن أصغر بلية حتى الشوكة ، فإنها تكفر عنه الذنوب والخطايا ، فإذا تأمل العبد وعلم قول نبيه صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه ، حتى يوافي به يوم القيامة). إذاً فلا خسارة في الصبر ، بل الخير والسعة فيه ، صغرت المصيبة أو كبرت ، قال صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي وقال: حديث حسن. ويقول صلى الله عليه وسلم: (فما يبرح البلاء في الصبر: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة ، في نفسه وولده وماله ، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة). رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وجاء في حديث آخر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فما يبرح البلاء في العبد ، حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة). رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. فمن ذا الذي يسخط ويجزع ولا يصبر ، وهو يوقن بهذه النعم الجزيلة في رفعة الدرجات وتكفير السيئات ، حينما تنزل به البلية ، أو تحل به المصيبة؟ جاء في الحديث عن أبي سعيد: (أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو موعوك على قطيفة ، فوضع يده فوق القطيفة ، فقال: ما أشد حَمَاك يا رسول الله! قال: إنا كذلك يشدد علينا البلاء ، ويضاعف لنا الأجر ، ثم قال: يا رسول الله! من أشد الناس بلاءً؟ قال: الأنبياء! قال: ثم من؟ قال: العلماء! قال: ثم من؟ قال: الصالحون ، كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها ، ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء). رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد ليكون له عند الله المنزلة ، فما يبلغها بعمل ، فما يزال الله يبتليه بما يكره ، حتى يبلغه إياها). وفي رواية

أخرى: (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة ، فلم يبلغها بعمل ، ابتلاه الله في جسده ، أو ماله أو ولده ، ثم صبر على ذلك ، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل). رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط. فمن كان مؤمناً حق الإيمان بربه ولطف رحمة خالقه ، ومن كان مؤمناً حق الإيمان بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل يجزع أو يتضجر من مصيبة حلت به؟! وقد علم أن الخير كل الخير فيها؟ لا والله ، بل موقف المؤمنين الرضا بتدبير الله واختياره لهم.) هـ

احتسب أمك طوعاً ، يا بُني
 في جوار الله ، والأمر انقضى
 كتب الموت علينا ، فاصطبر
 هكذا الدنيا افتراقاً والتقيا
 أحرزنت أمك أرواح السورى
 أثرت فينا جراحات الجوى
 لم نصدق يوم قالوا فارقنا
 رحمة الله على من رحلت
 فرض عين نحن للموت الذي
 ليس فرق عنده ، يا صاحبي
 سوف يجني الموت أرواح الألى
 وكذا أرواح من قد فسقوا
 فاحبس الدمع تكن نعم الفتى
 والتمس غفران من قد فارقنا
 واسأل الرحمن أن يرحمها

بفؤاد - بسنا الإيمان - حي
 ما لمخلوق من امر الله شي
 واحتمال الخطب ستمت العبقري
 وهدوء بعده يعلو الدوي!
 كم عيون سحت الدمع السخي!
 بقلوب أزها الخطب العتي
 ثم أيقنا بتسليم رضى
 وعلى أرحامها الصبر البهي
 ليس ينجو من رحاه أي حي!
 - إن نظرنا - بين كهمل وصبي
 أوغلو السير على الدرب السوي
 ورأوا نوراً دجى الدرب الغوي!
 والتيق الموت بإيمان قوي
 من ذنوب أوبقتها يا بُني
 جل شأن الله مولانا الغني

تحية للشاعر القدير / محمد المجذوب

(ديوان (همسات قلب) للشاعر محمد المجذوب يستحق التحية لما احتوى من خلجات ونفحات. وكنت قد أهديتُ الديوان ، فطالعتُه كاملاً ، فألفيته إشراقاتٍ مشاعرية تضيء حوالك الظلم في دروب الناس. وكان الشاعر قد نَوَّع قصائده. وترفع الشاعر عن الركافة والتكرار الممل ، ولم يكن أسير الصنعة بقدر ما كان ميالاً إلى الإمتاع بالشعر. وقليل من الشعراء من يراعي هذه الأشياء. فأغلبهم يكون أسير النص لا سيده! والذي أراه أن الشاعر المجذوب كان في جُل ما صاغه من الشعر سيداً للنص بكل ما تعنيه الكلمة من معان! والسيد يتحكم ويأمر وينهى كما يريد. فخرجت قصائد الديوان كما يريد شاعرها لا كما تريد القصائد. ومن هنا أكتب في تحيته والإشادة به وبشعره هذه القصيدة.)

نِعَمَ القَصائِدِ صاغهن هُمَامُ! فبها تَزولُ عَن السورى الآلامُ
(همساتُ قلب) بالمحبة تَوَجَّهْتُ وتزفهن - إلى السورى - الأنغام!
صُبغْتُ بألوان المودة والصفاء ويسوقهن - إلى القلوب - ونام
طَهَّرْتُ مِنَ الرَجَسِ البغيض يَشِينها عن كل غيِّ ردها الإسلام
والشاعر (المجذوب) أبداع رسمها فسما بها ، وكأئنه رسام
هذي القصائد من روائع شعرنا ولهِنَّ في سِاحِ القَرِيضِ مَقام
حَيِيَّتْ فيها رمزها وطيوفها والواجهات ، وما على ملام
دُررٌ تشخَّص واقِعاً متأرجحاً تسمو على ما خطت الأقلام
والشعر إن جافي الحقائق لا ترى أرجأ له ، وتعافه الأنام
تعسَ الهُراء ، فكم يعرقل جهبذاً وله لأقلام الخواة سيها!
والشاعر المغوار من يهدي السورى للحق ، مرقم ما يخط حُسام
يجتث باطل من ينال من الهدى ليُصدق يومٌ جاحدون لنام
ويُسخر الأشعار تخدم شريعة وبها تعالج - في الدنا - الأسقام
إن لم تكن هذي مقاصد شعرنا فجميع ما كتب الأبواء حرام!
الشعرُ إحساسٌ ، وصدقُ مشاعر وتعففاً يهدي له العلام

نحيب المآقي

(كل يبكي على ليلاه ، قول سمعناه كثيراً من كل طبقات المجتمع تقريباً. و(ليلي) عبّيد المال هي الدراهم التي يكنزونها. و(ليلي) عبّيد الأزياء والموديلات والموضات هي كل جديد في عالم الموضة ، و(ليلي) عبّيد الدور والقصور هي كل جديد في عالم الفلل والعمارات. ألا وإن ليلي كلّ موحدٍ هي دينه وعقيدته. وتنتحب منه المآقي ، وتدمع العيون ، ويضج الضمير ، وينفعل الوجدان ، وتكاد تنتحر العاطفة ، لكثرة ما يرى من الباطل من حوله بفعل الجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض ، ومن هنا يبدأ يعيش صراعاً مع النفس مريضاً. نعم يعيش الإنسان المؤمن القانت الموحد بحق صراعاً مع نفسه ، ويزداد الصراع هذا أكثر عندما تكثر الشجون والهموم والكروب ، وذلك من جرّاء ما يُعاني المرء لما يشاهد ويحس ويرى ويلمس ويسمع وهو في الوقت نفسه لا يستطيع تغييراً لهذا الواقع الآسن المنحرف الذي يعيش ، وإذا بالدمعة وراء الدمعة. بينما غيره يكنز الدولار وراء الدولار ، فيعتمد الإنسان إلى مناجاة ربه المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، يشكو إليه الذي يعاني ويلاقي ، وهو يظن بربه ظن الخير ، ويحيا على أمل أن الله مفرج كربه لا محالة ، فتطمئن نفسه أن الذي يحدث في الكون قدر وسنن ، فيتعهد نفسه بالصقل والتهديب والتأديب حتى يلقي الله! ومن هنا فإن المآقي تغمرها الدموع ويذبلها النحيب لما يلقيه الشيطان في النفوس من اليأس والجزع من فقدان الأمل في انتصار الحق! حول هذا الشعور كانت هذه القصيدة الشعرية! يعلق الدكتور مهدي علي القاضي على أحوال الأمة فيقول: (كثرت المآسي والآلام فمتى الاستيقاظ ومتى العودة؟

يا أمة الحق إن الجرح متسعٌ *** فهل ترى من نزيف الجرح نعتبرُ

ماذا سوى عودةٍ لله صادقةٍ *** عسى تغير هذي الحال والصورُ

ما أبلغ هذين البيتين من القصيدة الشهيرة الجهيرة المؤثرة في التعبير عن آلام الأمة المسلمة ومحنتها: (دم المصلين في المحراب ينهمر *** والمستغيثون لا رجوع ولا أثر). وهي من أقوى ما كتب من الأبيات المعبرة عن المأساة التي تعيشها أمتنا الإسلامية ، خاصة أنها أجادت في التعبير والإيضاح للحل الحقيقي لهذه المآسي التي لا زالت الأمة تكتوي بنارها الشديدة حالياً يوماً بعد يوم. فالحل الحقيقي لجراحنا وآلامنا هو عودة الأمة الى الله ، ومن ثم تستطيع الرد على أعدائها).هـ.

كفكفِ الدمعة ، أحرقتِ المآقي كيف تحيا في سراديب الشقاق؟
والخطوب الهوج تترى يا فوادي وأنا عانيت خذلان الرفاق
والمآقي الدعجُ غرقى في دموعي خمّشت أفعال أصحابي المآقي
آه ، والأيام تجري ، والأماني شاخصات الدمع من قريح الفراق
في صراع عشت يا قلبي أعاني وكذا الأحزان قد شددت وثاقي
هزني ما فيه قومي من عذاب ومرار ، وانحدار ، واحتراق

راعني أن الهدى في الأسر دوماً
 أزني في الدار تكريمٍ لغير
 همم بيعت بأسواق الخطايا
 تدفع الآيات دفعاً للطواغي
 هزني الأشلاء ترمى في الزوايا
 هزني الشيطان أودى بالبقايا
 هزني أصحاب ديني في اختلافٍ
 يا نحيب الوجد ، هذا الشعر عمري
 دامع في جبل شعري وانفعالي
 أرقب الأحداث ، أبكي في الدياتي
 أنشد الأشعار في كل صعيدٍ
 نصره التوحيد تجري في عروقي
 لم أنافس من طغا في نيل دنيا
 غيرنا في موت عريبيدٍ يعاني
 يعبد الدنيا ، ويحيى للأماني
 لم أداهن في حياتي ، أو أجامل
 وأسلي العمر بالذكر طويلاً
 ودموعي جبر ألامي المعنى
 حرق الأقفان دمعني ، وصحابي
 وجحيم الشر في أعلى انطلاق
 ونفوس في مهاوي الانزلاق
 تسبق الأيام خلف الإرتزاق
 وتبيع الهدي معسول المذاق
 وعليها الوجد غالي في الزراق
 من بني الإنسان في كل نطاق
 ثم أهل البغي في أحلى اتفاق
 إن قلبي مَجَنِّي مما يلاقي
 شاحب ، والروح كلمي في التراقي
 وأريج الشعر مهـ دور المراقبي
 دامع الفكرة ، منذ كان اعتناقي
 ولعز الخير قد طال اشتياقي
 إنما في طاعة المولى سبأقي
 ويسيل الدمع في موق رفاق
 وأنا في جنة المأوى استبأقي
 في اعتقاد ، بنس هذا من نفاق!
 وكذا بالشعر مدفوع الصداق
 حيث غابت في الدجى شمس الوفاق
 فأرحم اللهم دمعني ، واحتراقني!

سراديب اللظى

(يقول الله - عز وجل - : (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقتعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) ، ويقول: (ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً). ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (الظلم ظلمات يوم القيامة). ومن هنا أكتب (سراديب اللظى) التي هي سراديب الظالمين المتجبرين في الأرض بغير الحق ، ويساعدهم حفنة من المرتزقة ، وشرذمة من المنافقين الذين يأكلون على كل مائدة مُدت إليهم. والأمر قد بلغ منتهاه ولا شك. وطال الانتظار لأن تنقش هذه الغمة ويحرقهم اللظى ويندحروا. ولا يشك عاقل في زماننا أن ليل الظلم والظالمين قد طال ، وإن قوماً اليوم ينظر الناس إليهم على أنهم أهل الحضارات والصناعات والأمجاد يسحقون الإنسان سحقاً تحت مطارق الحضارة الجاهلية والمدنية المتعجرفة والمجد المزيف ، وأعجب كيف تطحن القيم الإنسانية كذلك تحت نفايات العهر. وكيف تباد الفضائل الأصيلة تحت لفافات الدنس باسم الذوق والترفيه والتسلية ، ويحدث ذلك كله ولا أحد يتحرك. ولا يزال قوم لا يعنيه الحال ، بل هم ماضون في كتاباتهم البعيدة كل البعد عن الواقع الذي يعيشه الناس. والأصل أن يعالج الكتاب أحوالاً متدنية يعيشها الناس ، فيقدم مؤلفه حلولاً للمشكلات. وإلا فما قيمة الركام الذي تدفع به المطابع من الكتب والصحف والمجلات والدوريات والمراجع صباح مساء؟ أقول: إن لم تكن هناك رسالة سامية تحملها هذه المطبوعة فإنها لعنة على من كتبها أو طبعها أو روجها أو سمح بتداولها! إن الكتابة مسؤولية عظيمة! قال الأستاذ سعد محمد في أمانة الكتابة ومسئوليتها: (ماذا تحقق لنا الكتابة؟ وكيف تنقلنا إلى حالة من السعادة والامتلاء؟ هذا يجرنا إلى الحديث عن جدوى الكتابة. لماذا نكتب؟ هل يكتب الكاتب لممارسة هواية مسلية ورياضة فكرية تخرجه من روتين الحياة وتتيح له فرصة إبراز قدراته اللغوية وبراعته في اللعب والتوغل في دهاليز اللغة والأساليب المستعصية؟ هل يكتب مثلما يمارس لعبة شبيهة بلعبة الكلمات المتقاطعة لتنشيط العقل والذاكرة والإحساس بمتعة التحدي والانتصار على الألغاز؟ أم يكتب لأن نداء داخلياً يهتف له ويلح عليه أن يخرج ما بدواخله من أحاسيس ومشاعر وآلام وأحزان وكذلك من آمال وأحلام تبحث عن فضاء شاسع من الحرية كي تتحرر من ظلام الأعماق وأغلاله المحكمة؟ أعتقد أن الكاتب الذي تصبح الكتابة بالنسبة إليه قضية حياة أو موت ، لا يمكن إلا أن يعتبرها جزءاً لا يتجزأ من كيانه وشخصيته ، وبالتالي طريقه للتعبير عن نظرته للعالم وعن إعلان مواقفه مما يحدث في هذا العالم من قضايا شائكة ومُربكة. عندما يتأكد الكاتب أن حياته لا تساوي شيئاً بدون الكتابة ، يكون قد اختار عن وعي وسبق إصرار ، تحمل مسؤولية هذه الكتابة ، أي تحمل مسؤولية المواجهة ؛ تماماً مثل المقاوم الذي يشق طريقه وسط الألغام ليصل إلى هدفه ، وهو يعلم أنه قد يتفجر في الطريق كما أنه قد يصل إلى هدفه سالماً أو معطوباً. ولكن ، لن تكون الرحلة مغامرة مسلية ولا لعبة ترفيحية عابرة).هـ. والآن لنطالع قصيدتنا!

العيون الدعجُ عشتها الكأبة ← وعلى الأطلال ذا حد الحرابية
ترقب الآهات عيني ، وتعاني وتري الأشلاء في جوف الخرابية
وبقايا آدمي خلف تل في ثرى البلقان ، قل مثل الذبابية
وصليب بات في صدر الأيامي وعذارى مثل أزواج الصحابة
نالهن الكفر بالعدوان دهرأ بين تشريد وهتك وإصابة

وبنائيات تهـاوت كرمـال
 ودماءً غطت الأرض جميعاً
 وعظام حرققت بالنار جهراً
 وصغار ذبحوا بالكيـد غـدراً
 وبطونٌ بقرت ظلماً ، وقسراً
 وعيون فقتت في كل وجه
 ورياح في ثناياها عذاب
 وصناديق بها التدمير جاث
 إيه يا أشعار ، ماذا في الـدياجي؟
 أم يعيش المرء فرداً في الضواري؟
 أين بأس الحق في القطعان هذي؟
 قد شبعنا من موالينا كلاماً
 اتركوا الأقالـم والتحقيق هذا
 وانبذوا كل الذي فيه اختلافتم
 إنني ساءلتكم دهرأ طويلاً
 يا هنا الأعداء إن أنتم زللتم!
 وأنيبوا للذي يهدي البرايا
 وارفعوا الراية ، والسيف المداوي
 والنجيب الفذ من يسمو لعز

دكها الزلزال من تحت السحابة
 بعدما غابت من الدنيا القرابة
 لم تثر في قومنا أدنى غرابة
 وعلى أشلائهم تبكي الكأبة
 ثم تطوى في تلافيف الغيابة
 رخصت في الناس ، كم كانت مهابة
 قد أصابتنى لمرأها الرتابة
 تسحق الإنسان فعلاً لا غرابة
 أيعيش المرء في أرحاب غابة؟
 وغرى التوحيد ، هل صارت مـعابة؟
 وسيوف الهدي؟ بل أين الصلابة؟
 إنهم قد أغرقونا بالخطابة
 في صيام الست ، أو غسل الجنابة!
 هل يعود الطعن إلا بالخيابة؟
 غير أنني لم أجـد لي من إجابة
 وسّعوا الصدر ، فما أحلى الرحابة!
 إخوة التوحيد ما أصفي الإنابة!
 ودعوكم من أهـازيج الصبابة
 هذه ، يا قومنا أندى نجابة

اعتذار الحيتان

(إنني لأتعجب من حوت آدمي يزدرد فريسته ، ثم يدعي أنه لم يقصد إلى ازدرادها سبباً. وبعد ذلك يزيد هذا الأمر سفهاً وإسفافاً فيقدم الاعتذار تلو الاعتذار. وما يُجدي اعتذارك أيها الحوت الواشي الحقير ، بعد الذي كان من أمرك ووشايتك بالكذب والبهتان؟ إن المسألة لها ثلاثة محاور: المحور الأول هو الحق المعنوي لهذا المظلوم ، وهو أن تبطل وشايتك الباطلة عند من أضللتكم بما قلت. والمحور الثاني هو الحق المادي الذي أحدثه صنيعك الذي قد يتورع عنه ابن سلول لو كان حياً يرزق. وأما المحور الثالث فهو أن لا يعقب هذا الأمر صفاءً قلب لأن هذا بيد الله وحده ، وإنما أنت تشتري مظلمتك لا يزيد. وعندما يُخرب إنسان ما بيت أخيه الإنسان ، ثم يعود بلا روية ولا خشية من الجبار يعتذر اعتذاراً باهتاً ممقوتاً مريراً لا روح فيه ولا ضمير ، معللاً ما فعله به كان من التدمير والتخريب ، باجتهاد أخطأ فيه بدون قصد وترصد وعمدية ، فإنه اعتذار الحيتان ، تلك التي تبتلع الفريسة ، ثم تبكي وتندم وتعتذر! ونظلم الحيتان الحقيقية عندما نشبهها ببعض بني آدم اليوم ، حيث إن بعض المخادعين الآدميين يُظهرون من السكينة والورع المصطنع ، ما يخدعون به غيرهم من بني البشر ، أنا في هذي القصيدة أكشف ستر بعض الحيتان الآدمية التي تجرم ، ثم تعتذر أنها تملك حقاً كبيراً في الاجتهاد ، الأمر الذي هي عنه بمنأى ومعزل ، إن الاعتذار الباهت منها لا يقبله إلا غر أحمق لا يعرف الحيتان. وإلا فلم يكن ليُخدع في اعتذارها وهو واضح الزيف! عن أبي إدريس الخولاني ، قال: سمعت أبا الدرداء ، يقول: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ، فأنصرف عنه عمر مغضباً ، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه ، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو الدرداء ونحن عنده: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما صاحبكم هذا فقد غامر) ، قال: وندم عمرُ على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله ، لأننا كنتُ أظلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل أنتم تاركون لي صاحبي ، هل أنتم تاركون لي صاحبي ، إنني قلت: يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً ، فقلتم: كذبت ، وقال أبو بكر: صدقت). رواه البخاري. وإنني لأرجو أن تكون مبادراتنا لإصلاح ذات البين عند وجود الخلاف ، كما فعل الفاروق العبقري عمر بن الخطاب رضي الله عنه! والمعنى الذي أقصده أن المرء المسلم عندما يتجاوز في حق أخيه فليبادر إلى الاعتذار بسرعة! وذلك حتى لا تتسع هوة الخلاف ، وتتطور المسألة ، وتخرج عن السيطرة! والاعتذار ينبغي أن يكون من القلب حتى يصل إلى القلب! ولا يكون باللسان فقط كاعتذار الحيتان التي تلتهم الفريسة ودموع عيونها تهطل!)

أيها الحيتان: ما هذي الوقاحة؟
تلبسون الزيف جلاب الصراحة
تدعون الحب دوماً في البرايا
وتغطون لظلمكم بالسماحة
تخدعون الناس بالآيات تتلى
ولكم صوت تجليبه الفصاحة
وفنون السبك قد أتقنتموها!
وشراك الحبك يا أهل الوقاحة
ورتعتم في دهاليز الطواغي
وحسبتم أن في هذا ملاحاة

وبنيتم في الدنا صرح البجاجة
لم تعودوا ، إنما ازددتهم قباجة
ما كفاكم ما فعلتم من فداحة؟
هل ملكتم في الورى حق الإباحة؟
خنتم الدرب بهاتيك الإطاحة
باتت الأنسات للحيتان راحة
ما تركتم ، لكن ازددتهم كلاحاة!
ولم الأعراض فكم مس تباحة؟
تروا منه سبيلاً للوضاحة
واستفضنا في التفاصيل المتاحاة
ثم لن نفعكم هذي النصاحة
إنما الإفلاس يُودي بالرجاحة
حيث كانت في الدنا أظلم واحاة
لملمت أشلاءكم في الأرض باحاة
قلب هذا الحوت مملوء صباحة
ولم من عالم الذكري مساحة
كالضواري ، فلهم في الغاب ساحة
غرهم جلمك ، والأممر فلاحاة

وصبغتم بالهوان المر عيشاً
وانتظرننا أن تعودوا لصواب
أيها الحيتان ، كفوا واستفيقوا
قد أبحتم لحمنا في كل درب
وأطحتتم بسقوف الدار غدرأ
وطحنتم عظمنا ، لم ترحمونا
وذرفنا الدمع حتى تتركونا
فلماذا الحق هذأ؟ صارحونا
في قراكم ليس يحيى غير قرش
أيها الحيتان عفواً إن أظننا
سوف يأتكم عقاب لا يحيى
ذهب الظلم بما قدتموه
واحاة الحيتان بعات بالتردي
فانسفوا - بالذل - من في الزور غالى
حوت ذى النون براءً من قراكم
كان سجنأ (لابن متى) ليس إلا!
لكن الحيتان منا اليوم صارت
رب سلم ، وامحق الحيتان عدلاً

دموع الخريف

(روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال أبو بكر لعمر - رضي الله عنهما - بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: انطلق بنا إلى أم أيمن - رضي الله عنهما - نزورها كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها: ما يبكيك؟ أما تعلمين أن ما عند الله تعالى خير لرسوله - صلى الله عليه وسلم -؟ قالت: إني لأبكي أن الوحي انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها). إن قصيدة (دموع الخريف) تصف شيئاً من هذا. وإن لله ما أعطى وله ما أخذ وكل شيء عنده بقدر ، ولأجل مسمى. الأمر أمره ، والخلق خلقه ، ولا إله غيره. إن الإنسان الرقيق القلب قريب الدمعة لئِن الطبع. ألا وإن الدموع سمّت وديدن كثير من الناس ، والدمع يُعرب عن ماهية صاحبه ، فمن الناس من يذرف الدمع في سبيل دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، ومنهم من يدمع لمال فاته أو جاه لم يحققه ، أو لصاحب سوءٍ كان يعينه على سوءه ، أو لدار لم يكمل طابقتها الثالث أو الرابع ، أو لمعشوقه لم يواصل معها قصة الغرام والهيام المعهودة ، ومن الناس من يبكي لرغبته في التشفي من عدو داهمه أو باغته أو خرب بيته ، إذ تتأجج فيه غريزة الانتقام المريرة ، ومن الناس من لا تجف دمعه على آلام الموحدين والحنيفية السمحة وعلى ما يلحق أبناء عقيدته من الأذى والتنكيل والعذاب ، ولا يجد من يؤازره أو يخفف آلامه ، أو حتى يجفف دموعه ، فيعمد إلى ربه تبارك وتعالى. ولقد مر زمان العزة والهيبة والمنعة ، ذلك الزمان الذي لم يكن أحد من أعداء الإسلام والمسلمين يحلم بأن ينالهم بأذى ، أذى إلا وهو يضع نصب عينيه ألف حساب وحساباً للعواقب الوخيمة ، التي ستلحق به وبأهل ملته وبدياره يقيناً. تلك الأيام التي قيلت فيها (وامعتصماه) ، فكان المعتصم بجيشه في خدمة من استجارت - على قوله بخلق القرآن وامتحان العلماء الربانيين فيه - تلك الأيام التي قيلت فيها (واحجاجاه) فكان الحجاج على ظلمه وبطشه وفسقه ، في خدمة من استجارت به. تلك الأيام التي قيلت فيها (وإسلاماه) فوجدت أهل الإسلام جميعاً يهبون لنصرة الدين في وجوه أعدائه من التتار أو المغول أو الصليبيين! أما اليوم فكم تقال وإسلاماه ، وامسجداه الأقصى ، واقبلتاه ، وأمتاه المسلمة ، فلا تكاد الكلمات تجد أذانا صاغية! إلى أن صارت دماء المسلمين وأعراضهم أرخص دماء وأرخص أعراض. فقد احتلت الديار وهتكت الأعراض وقتل الأبناء والأزواج وسلبت الأموال والخيرات! والله المستعان على هذه الأحوال!

ما بكائي وانتحابي في الدجى والمنايا ضـ يعنتي والهوى؟
 دامع العينين ، أرثي ما جرى يعلم الرحمن ما قلبي نوى
 ليس للدمعة حدٌ ، يا ترى؟ والظى في الروح يبكي والجوى
 أشتكى لله من نال الهدى! والبلا في النفس غالى واستوى
 ودمي المهـ دورٌ ينعي سـ فكه وغرى التوحيد ديسـت ، واللوا
 إن في النفس جراحاً وأسـى وكذا القلبُ على البلى انطوى

أينما سسرت عذابٌ وأذىً
 من على الأرض كأصحاب الهدى؟
 ثم هانوا ، واستذلوا أبداً
 قدّم الغيرُ عليهم ، فمضوا
 ضُربوا حتى تمادى صقهم
 أيها الصنف تماسك إننا
 والأعداء كلهم صنفٌ علا
 أنسر في البطن والفرج ترى
 سفهونا ، ثم من تغيرهم
 إذا قلت لك: اسمعني تنم؟
 أيها الصنف ، أجنبي ، لا تخف!
 فلماذا اليوم يذرك الكرى؟
 فاهجر الخذل ، ودع عنك العنا
 واترك الغوغاء إن هم أعرضوا
 أيجف الدمع إن هم أقبلوا؟
 وتعاني الروح من فرط النوى
 بأسهم في الناس ولي وانزوى!
 بعد أن كانوا بأسمى مستوى
 وغدوا في الأرض والأعداء سوا
 في انشطار ، وإلى الهلكى أوى
 نعرف الداء ، ونسعى للدوا
 ولهم - في الأرض - بأسٌ وقوى
 وإذا الحـربُ فهـرّ ، ومـوا
 يجعلون النور للكفر شـوا
 كيف لا ينهض أصحاب (زوى)؟
 في سماء المجد هل يسمو الخوا؟
 وتعاني في بيادي مـن عوى؟
 والزم التقوى ، وفارق مـن غوى
 هذه الدرب ، أجنبي هل سوى؟
 كيف يعلوف في البرايا من هوى؟

أراجيف الشتاء

(روى مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس حول ذي الخلصة). قال النووي: (والمراد يضطربن من الطواف حول صنم ذي الخلصة ، أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها). وروى مسلم كذلك من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنه - قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى). وإذن فإنني أكتب (أراجيف الشتاء) لأشير إلى أن الشتاء الذي جاد بالانمحاء والخير ، يوشك أن يرتجف ولا تكون منه قطرة. لقد عاشت الأرض رداً من الزمان تنفياً لظلال الحق المبين والحنيفية السمحة ، وتستروح أرج العدل والحقيقة ويخللها القسط برونقه ، ويتخلل أنوف أهلها عبق الهدى ، وترفل في أفق الأمن الطاهر الوضيء ، ثم ما لبث القوم بعد فترة وجيزة في ميزان التاريخ ، أن بدّلوا وزهدوا في القيم التي عاشوا عليها دهرًا. وأنا أتعجب كيف وصلت الأمة إلى هذا الحد من الانحطاط والتردي حتى غزاها ذلك الفصام النكد الممقوت! ويصدق مقالتي ما قاله الأستاذ عبد الجواد يسن في كتابه: (مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة) حيث يقول: (إن الأمة التي قامت على الإسلام في القرن السابع للميلاد ، أضحت اليوم خبراً من أخبار التاريخ ، ينظر إليه البعض منا في عجب وانبهار ، لا يكاد يصدق أنه بمقدور البشرية ، أن تسمو إلى تلك القمة السامقة الرفيعة التي تسنمتها بالإسلام في ذلك العهد البعيد. ولا يكاد يصدق بعد ذلك أن بمقدورها - إن هي حاولت - أن تعود فترتقي هذه الذروة من جديد. أصبحت هذه الأمة قصة تروى ، وتاريخاً مضى في الغابرين! وإذا الزمان اليوم كالزمن البعيد يوم جاء هذا الدين للبشرية أول مرة. فقد جاءها حينذاك وهي تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض ، ظلماً في عقيدتها وتصوراتها ، وظلمة في شرائعها ونظمها وكذلك ظلماً في أخلاقها وقيمها. وها هي ذي اليوم تتخبط من جديد في هذه الظلمات العاتية بأعيانها. ظلماً العقيدة والتصوير ، وظلمة الشرائع والنظم ، وظلمة الأخلاق والقيم. لقد واجه الإسلام يوم جاء للناس في القرن السابع للميلاد مجتمعاً جاهلياً. وها هو يواجه في القرن العشرين مجتمعاً جاهلياً. السمات هي السمات ، والصفات هي الصفات. خلل العقيدة هناك هو خلل العقيدة هنا ، وصور الشرك المتعددة هناك ، يقابلها أيضاً صور للشرك جديدة هنا ، وغياب الشريعة الربانية هناك ، يماثله غياب الشريعة الربانية هنا ، وفساد الأخلاق هناك ، يضارعه فساد الأخلاق هنا. ومع ذلك فإن هذين المجتمعين الجاهليين يختلفان في سمة أساسية بارزة. وذلك أن المجتمع الجاهلي الأول كان مجتمعاً واضح المعالم محدد السمات ، من حيث موقعه الظاهر البارز خارج دائرة الإسلام ، تلمح فيه للنظرة الأولى سمة الجاهلية وخلقها ، لا يزعم الناس فيه أنهم مسلمون ، وإنما هم في ظاهرهم وباطنهم ، وعلى ألسنتهم وجوارحهم كفار مشركون يسجدون للأصنام والأوثان والأشجار والأحجار ، ويلحفون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، الشرع عندهم ما شرعه الكهان والآباء والأجداد ، والحكم عندهم ما قضت به الأهواء والشهوات في وضح وسفور. وأما مجتمع الجاهلية الحاضرة الذي يواجهه الإسلام اليوم فهو مجتمع باهت المعالم مختلط السمات من حيث موقعه المتأرجح عند تخوم الدائرة لا هو يدخلها فيستقر في قلبها ، ولا هو يأبى إلا أن يقيم بقربها كي يمس حدودها. إنه مجتمع يزعم الناس فيه أنهم مسلمون. بل إنك لترى من بعضهم تلك الهبة المضرية العارمة إذا ما قاربتهم فلمست منهم ذلك الوصف الأخير. وإنك حينئذ لتسمع قائلهم يقول: أولست ترى المساجد تملأ أرحابنا؟ أولست تستمع الأذان؟ أوليس يخطف ناظريك المهطعون إلى الحسين؟ أو ما ترى أسماءنا ومصاحفنا ومسابحننا واحتفالاتنا بالأولياء؟ أولسنا نقرأ القرآن على الموتى ونحتفل بيوم ميلاد الرسول؟ ولسنا ننكر على هذه الجاهلية شيئاً من ذلك ، وإنما ننكره عليها قولها إن ذلك وما يشابهه يثبت لها الإسلام ، وذلك أن الإسلام لا يقبل من مجتمع من المجتمعات أن ينسب إليه حتى تقوم

فيه أركانها وشرائطه ، تلك التي بينها الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - وقامت على أساسها دولة الإسلام أول مرة! هـ. جزا الله الأستاذ عبد الجواد عنا خير ما جزى معلماً عن طلابه. فلقد علمنا الله على يديه الكثير والكثير من دقائق الإسلام وهدى القرآن والسنة ، في مرحلة كنا أحوج ما نكون إلى من يهدينا السبيل! هذا ، ويعرج الدكتور عبد العزيز غنيم على سمات مجتمع الجاهلية فيقول: إن العرب كانوا في شبه الجزيرة بدوًا يسكنون الصحارى ، ويتنقلون عبر نواحيها الشاسعة ؛ طلبًا للماء ، وسعيًا وراء الكلا ، وحضرًا يقطنون القرى ، ويستوطنون المدن ، ويحوزون أرزاقهم من التجارة أو الزراعة أو منهما معًا ، ولم يكن أولئك ولا هؤلاء يشكّلون دولة لها نظمها وأجهزتها ، ولها قوانينها ودساتيرها ، وإنما كانوا قبائل ، لكل قبيلة سيد ، ولكل سيد مجلس يُعاونه ويشير عليه. ولا خلاف بين المؤرخين في أن الرابطة كانت قوية بين القبيلة وبين أفرادها ؛ فقد كان الفرد يقف إلى جانب قبيلته راشدة وغالية ، وكانت قبيلته تقف إلى جانبه ظالمًا ومظلومًا ، وكانت تطير من أجل ذلك الهامات ، وتتدفق الدماء ، وتشتعل شبه الجزيرة بالمعارك والحروب. وكان منهم الصرحاء ، وهم الذين يولدون من أب عربي وأم عربية ، والذين يضربون بأنسابهم إلى جذم القبيلة أو إلى أصلها الأصيل الذي تنتهي إليه وتتسمى باسمه أو بلقبه ، وكان منهم أيضاً الموالي ، وهم أربعة أصناف: 1 - الحليف: وهو المقيم في القبيلة. 2 - المُجَار: وهو المقيم فيها بصفة مؤقتة. 3 - العتيق: وهو من حرّره سيده بمال ، أو لعملٍ جليل قام به في السلم أو الحرب الهجين: وهو ابن العربي من جاريته البيضاء ، فإن كانت أمه سوداء فهو الغراب. أما الموالي ، فهم وإن كانوا في منزلة أدنى ، ومكانة أقل. وهناك مجتمع آخر كان يعيش في شبه الجزيرة ، وكان يرفض عاداتها وتقاليدها ، وهو مجتمع الصعاليك ، ويقول المؤرخون: إنه كان يتألف من الشذاذ وخُلَعَاء القبائل ، ومُحترفي السطو والقتل ، وكان مقره رؤوس الجبال. وتبقى الحياة الدنيوية ، ولا خلاف بين الكُتّاب في أن العرب منذ الحكم الخزاعي لمكة حتى بعثة النبي صلوات الله وسلامه عليه! قد كانوا وثنيين يعبدون ما ينحتون من الهياكل والتمائيل ، وكانت لهم بيوت يحجون إليها ، وينصبون أصنامهم حولها ، وكان أشهر هذه البيوت بعد البيت الحرام الذي بمكة: بيت الطائف ، وبيت صنعاء ، ورضاء ، والأقيصر ، وذو الخلصة ، وكعبة نجران. هـ. ومن هذه المماثلة بين المجتمعين أدركنا مدى التشابه المقيت المكشوف! فأنشدت هذه القصيدة البكائية أنعي فيها مجد الأمة ، وأنشدها العودة إلى ذلك المجد التليد ، وأسأل الله أن يعيد لها مجدها وعزها وكرامتها!

كيف عاد القهقري هدي السماء ثم عانى القوم من قبيظ البلاء؟
 كيف هذا النور والى وانزوى؟ كيف غالى في الأغاليط الغباء؟
 كيف هذا النجم بالجهل خبا واحتوت أقوامنا ریح الفناء؟
 صار فينا اسماً ، وبتنا ننتمي للهدى زوراً ، فقلنا ما نشاء
 وادعينا أننا في نكبة تقصم الظهر ، وما منها شفاء
 وتظاهرننا بجهل قاتل يحجز النور ، ويجتث المضاء
 وتعمدنا كذا طعن الهدى نبتة قامت ، فأشهرنا البراء

هذه النبتة منا ، ولنا
فتكرنا لها في حسنة
فغرقتا في متهات الشقا
ليت شعري ، من صخور نحن؟ لا
رحل الحق ، فكانت فرحة
ورأوا في الفسق أسمة غاية
وهذي الشيطان: إني ربكم
فإذا بالقبح يغزودارهم
آه ، والكل سرابٌ وذمى!
صاح فيهم: أن أنيبوا للهدى
ثم عمّت فتنة مسعورة
نزل الغيث ، ولكن من لظى
زهدوا في الدين والدنيا معاً!
فإذا في الغي قومي كُجِبوا
بات قومي للشياطين كلاً
وإذا بالدار ضاعت والحمى
رب ، أدركنا بغوثٍ عاجل
غير أننا قد غرقتا في الغباء
ثم قلنا: ما لنا عنها غباء
يارفاقي: ليس يُنجينا الرياء
من ذمى؟ لا ، نحن من طين وماء!
وأتى الأبطال أفعال النساء
وارتضوا تشريد كل الأبرياء
فاسـتـكانوا ، ثم أعطوه الولاء
لم يعد للشرف في الدار خفاء
وفريقٌ مسلمٌ باهي الصفاء
ناصرٌ اللاهون إياه العداء
تتد الكمل ، وتسعى للبقاء
ثم عاش الناس في أعتى شتاء
ضائق الأرض عليهم ، والسما
وإذا بالظلم فرشٌ ، وغطاء
وإذا الغر ومَن يـدري سـواء
ذهب الجوهرُ عنها ، والطلاء
ثُبَّت القلب إلى يوم اللقاء

رموز وإشارات

(أحياناً يكون الرمز الشعري مهرباً ، وأحياناً يكون لغزاً يشقى به الشعر والقراء ، وتعجم به الفكرة ويخفي مراد الشاعر فيموت شعره. إنني أقول: إن الشاعر الذي يوغل في الرمزية ، يند شعره بكل ما تعنيه الكلمة من معان. وأيضاً الشاعر الذي يعتمد إلى المباشرة في أشعاره يصنع الشيء ذاته في شعره. (وابتغ بين ذلك سبيلاً). فالشاعر الذي يضع شعره بين الرمزية والمباشرة هو الذي يضيف إلى شعره كل أسباب البقاء والإعجاب على مدى الدهر. وعلى اختلاف هذه الأجيال التي تتعاقب ، أدركت من خلال دراسة الشعر في القديم والحديث أن الرمز يجب أن يكون في مكانه ، وكذلك المباشرة يجب أن توظف في مكانها. والشاعر الرمزي الموغل في جُب الرمز العميق السحيق يجعل القاريء لا يستطيع أن يخرج بشيء من خلال اطلاعه على أي قصيدة من قصائده التي قتلها الرمز غموضاً. وكذلك الشاعر الذي يباشر في شعره أكثر من الحد الذي يجعل القاريء لا يفكر ولا يستنتج ولا يعمل الفكر والنظر. إن كل نفس بداخلها تصورات واعتبارات ، وأذواق وفهوم ، وقيم ومعايير ، وأبعاد وأسرار ، وتخيلات وحقائق ، وتقاليد ورؤى ، قد تبدي من ذلك كله ما تتسع له قلوب محدثيها ومستمعيها ، في وقت معين من الأوقات ، وفي ظرف من الظروف ، وقد تخفي البعض الآخر، ريثما تنتهي ظروف مناسبة له ، وضمائر كذلك تلائم ما عندها. وقد تكلفها صراحتها في فترة من الفترات العنت الكثير ، وما لم تكن تحتسب من العذابات ، فتعتمد أسفة نادمة إلى التلميح والرمز والإشارات والغموض والتعريض في اللفظ والقول والعمل والتصرف ، وترى أنه لا بديل عن ذلك ، ولكنها تتخذ لها أسلوباً في التعامل ، إلى أن يحين مناخ تسود فيه الصراحة والصدق ، وتحترم فيه الكلمة وتراعى فيه الأمانة ، ويُتبنى فيه الشعر ، وينشد هنا وهناك ، ليجد من يستمع وينقد وينصح ويقول للمحسن أحسنت لأنه يستحق الثناء والمدح والإطراء ، ويقول للمسيء أسأت لأنه يستحق الذم والتجريح والنيل بالحق. كم أتمنى أن تزول عبارة: (والمعنى لا يزال في بطن الشاعر!) من قاموس النقد الأدبي المعاصر. ذلك أن النقاد عندما يتناولون قصيدة موغلة في الرمزية والإشارة ، أو نصاً غارقاً في الغموض والإبهام ، فإنهم يعمدون إلى وضع الاحتمالات للمعاني التي يقصدها الشاعر ، وبعد إيرادها وذكرها وتفنيدها يذيلون نقدم قائلين: والمعنى الدقيق المراد لا يزال في بطن شاعر هذا النص! الأمر الذي يجعل من الشعر الموغل في الرمز لغزاً من الألغاز الهيلوغرافية التي لا يستطيع أحد فك رموزها! وكأننا في خواتيم القرن العشرين بحاجة إلى شامبليون جديد ليفك لنا رموز حجر رشيد لأنها كتبت بغير العربية! نعم يتخيل الشاعر ، نعم يسمو على اللغة الدارجة السوقية ، نعم يُورد البيان والبديع والخيال والإيحاء. ولكن لا يكون ذلك طريقاً يُوصل إلى الغموض الذي لا تفهم معه مرادات الشاعر من النص. وإذا كان تخيير بين الرمزية الغامضة تلك والمباشرة الواضحة البينة (وكلاهما لا يصح) فليكن إذن مبدأ المباشرة على أنه لا يصح كما ذكرت. ولكنه يوصل إلى المراد من النص الشعري ذاته وهذا شيء مطلوب مرغوب لكيلا نقرأ ما لا نفهم من شعر الرمز والإشارة والغموض الذي تقذف به المطابع كل يوم!)

إن رمزي في حروفي منعطفٌ والجوى - في القلب - يكوي والأسف
ورداء النفس رمزٌ خائفٌ وثيابُ الفكـر تية مرتجف
ونزاع الروح أودى بالهوى وحنانُ النفس عنـي منصرف
وعذاب القلب أدمى أضلعي ونصيبُ الصدق في الدنيا العجف

ورماحُ الجُبْنِ في القلبِ انزوتُ
وخيالُ الوهمِ بالعقلِ مضى
والرفاقُ الصَّيْدُ خانوا رفقتي
ولذا فالرمزُ أمسى مركبي
قد مزجتُ الرموزَ في شعرِ العنا
ثم أعطيتُ يراعِي همّتي
والأمانِي في فوادي غُضّة
وإشاراتِ قريضِي مؤنّي
وحروفُ الشعرِ صَحبي والحمي
أكتبُ الرموزَ ، أوارِي ثورتِي
ثم باتَ الرموزُ دأبِي والردا
فأقدُ جربتُ صدقي والوفيا
فاتخذتُ الرموزَ سترًا لازمًا
أنسجُ الرموزَ خيالًا جامحًا
وليَ الأشعارُ تغضي خجلًا
كمَ ألانَ اللهُ لي من فكرةٍ
ليسَ كلُ الناسِ تدري فكرتي

وفوادي في كروبي ينحسف
واحتواني في ملّاتي الشغف
وإذا بالصحبِ غالوا في الوكف
ثم بات - اليوم - لي الخل الألف
فاستوى رأياً سديداً يأتلف
فاستوى ذراً يُحليهِ الصدف
لم يعد بالقلبِ شيءٌ من أف
من بحارِ الشعرِ كفي تغترف
من معينِ الشعرِ قلبي يرتشف
ثم لي من خلفه كل الهدف
إنني بالرمز - دوماً - ألتحف
فوجدتُ الصدقَ يُودي بالحنف
فلقيتُ الرموزَ أنسِي والترف
وليببُ الناسَ يدري المنعطف
وبذاك الفضلَ إنني أعترف
من خلالِ الشعرِ أضحتُ تُستشف!
وسقيمُ الفهمِ دوماً يعتسف

جريدة الوحدة العربية - 2 مايو 1996م

من نافذة الشعور

(إن الشاعر المؤمن القانت الموحد هو أكثر المسلمين إحساساً بالأحداث التي يمر بها الناس. ربما لأن الخالق القدير قد متعه بعاطفة حساسة ، تتفعل لما حولها وتتأثر به ، وقد تؤثر فيه إن أتيح لها بعض المجال لذلك. وإن شعور الشاعر بأمر ما يُغلب العقل والعاطفة معاً. إنني أكتب (من نافذة الشعور) كي أعرج على هذا المعنى. وأشكو إلى الله المنافقين الذين ابتليت بمعرفتهم في غربتي ، ممن يلبسون للناس جلود الضأن من اللين وهم ذناب لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة ، من الذين إذا تكلموا أخذوا بالعقول والقلوب ، فإن كلماتهم أحلى من السكر. ولقد مرت على النفس أيام كانت فيها أقرب إلى الطاعة وأبعد عن المعصية. وعندما يتذكر الإنسان مثل هذه الأيام ، فإنه يسأل نفسه: ما الذي تغير؟ الزمان هو الزمان ، والنفس هي النفس ، والظروف هي الظروف. فإذا به يتذكر أن في حياته أصحاباً كانوا يعينونه وينصرونه بعد الله سبحانه وتعالى ، ولكن تبدل الحال ، وابتلى الإنسان بالنفاق الكالح وأصحابه من العملاء الخونة وأرباب الدجل والكهانة وقارعي الطبل وحارقي البخور بين أيدي الظالمين وأرجلهم. وكانت أمام الجميع فرصة ساحة لتصحيح المسار وجبر الكسر ورأب الصدع. ولكنهم أضاعوها بالأهواء والمغالطات. وبقيت الذكريات الأليمة شاهدة على غدرهم وخذلانهم. وفي الصحيحين من حديث خالد الجهني - رضي الله عنه - قال: "صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة على إثر سماء من الليل - أي على إثر مطر - فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر! فمن قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا فإنه كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب ، ومن قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب". ولقد قرر أهل العلم أن تعلم السحر محرّم ، بل هو كفرٌ إذا كان وسيلته الإشراف بالجن والشياطين. يقول الإمام النووي: "وعمل السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عدّه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من السبع الموبقات وتعلمه وتعليمه حرام ، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر. وقال أبو بكر الجصاص - رحمه الله -: "اتفق السلف على وجوب قتل الساحر ، ونص بعضهم على كفره لقوله - صلى الله عليه وسلم -: "من أتى كاهناً أو عرافاً أو ساحراً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم -".

لقد ذابت مع الذكرى شجوني
وألمني تذكر سالفاتي
وجاء الليل مكبوتاً يُعاني
وأشباح تورق ناظريه
وماضي العمر لم يرحل بعيداً
وبت مشرداً من بعد صحتي
على درب الأذى خلق كثير
وإنني في اللظى لازلت أحييا
وحرقت الدموع سنا عيوني
وودعت الكرى عبر السكون
وفي خدي دمع يحتويني
تعبني في سرائره شجوني
أيا ليل قد خابت ظنوني
غريقاً في دجاجير الأتنين
ونار الخذل تحرق في يقيني
ويحيا القلب في شوق غبين

أعيدي يا طيوف الشعر أمسي
يوافيت الأماني أسعديني
وغني يا طيوف الشعر صحتي
ودوحة صاحبي احترقت وهانت
وأمواج الخيانة أغرقتنا
وعهد الصدق عني قد تناءى
فعدراً يا ضمير الصدق إنني
إذا لم أرتكب ذنباً ، فذنبني
فإنني لم أمحص بعض صحتي
وما أذنبت لكن عائداتي
ولا حبب يعين على رشاد
ولكن غابرة ، والقوم هلكي
كبير القوم يشرب من دماهم
ويفرغ هزاله في كل عقل
ويضرب كل حر ، لا يبالي
ويمتدح نفسه في كل ليل
ألا والحال هذي ما دهانا؟
شعور صغته شعراً ، ولفظي

أميطي الستر عن ماض دفين
ببعث الشوق في ظل الحنين
غناؤك في خيالي ذو شنون
وهل دوح تعيش بلا غصون؟
وحطمت العمالات سفيني
ولوثت زيفاً أصحابي جبينني
تعرقاني جراحت الفتون
تعشني مركبي ، وطوى حصوني
فصرت اليوم في أمر مهين
وقد أودت بإحساسني دجونني
ولا خل يرد أسى المنون
وقد غصوا بمسرات الجنون
ويترع كأسه بدم الجنين
ويأتي للأصاغر عن يمين
ويُردي الشبل في قعر العرين
ويُمسي الشهم في الكرب اللعين
كأن لم نذق رشف المعين
من القرآن والذكر المبين

جريدة الوحدة العربية - 27 ابريل 1996 م

للبيت ربّ يحميه

كثيرون يتخلون عن نصره الحق وأهله ، مرددين وهم يقرنون تعليقهم بالمشينة: إن شاء الله نصر الحق وأهله. ونحن لا نعقب على هذا القول. ونسأل: وأين دوركم في نصره الحق وأهله؟ اذكروا كلمة عبد المطلب:

اللهم إن العبد يمد يده مع رَحْمته ، فامنع رَحْمته!

لا يغلبني صوابيهم ومِحْمهم غمّ دوا محبّك

جروا خير ولهم والفي كل يسبوا عيالكم

إن كنت تاركمه وقبلت فأمّر ما بدارك!

بهذه الأبيات المرتجلة المرتجلة ، كان عبد المطلب جد النبي - صلى الله عليه وسلم - يجأ إلى الله ، عندما جاء أبرهة الأشرم يريد هدم الكعبة بجيشه. ويرجع هذا التاريخ إلى العام الذي فيه ولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - (عام الفيل). وعبد المطلب يومها قال لأبرهة كلمته المشهورة: أما الإبل فهي إبلي ، وللبيت ربّ يحميه. وأنا أخذ هذا النص حتى يكون عنواناً لهذه القصيدة ، غيرة على الإسلام وأهله. إن الغيرة على كل غال مقدس سمّت كل موحد مخلص ، ولكن الغيرة عندما لا يستطيع صاحبها أن يملك قراراً أو يدفع ظلماً ، ولا تخول له أي أداة للتغيير ، فإنه يصاب بالقمع والكبت ، لولا أمل في الله خالقه ومولاه كبير. ألا وإن الله سبحانه وتعالى أغير على دينه وأوليائه من كل من خلق ، والله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، تعالى الله ربنا عن المثل والمثيل والند والشبيه علواً كبيراً ، ولقد يصور الشعور المفرط القاهر بالغيرة لصاحبه أن غيرته لا حدود لها. ونقول: بل الخالق العظيم المعبود الواحد الأحد أغير على دينه من كل من خلق ورزق ، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين ، له مقاليد السماوات والأرض ، وما كان الله ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء ، وليعلم أهل العناد واللجاج والمناظرة أن الله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والذين يتقاعسون - اليوم - عن نصره الحق متمثلين كلمة عبد المطلب برغم قدرتهم الفائقة على نصره الحق وأهله ، هؤلاء يجب عليهم أن يراجعوا توحيد الربوبية في قلوبهم وعقولهم ، ذلك التوحيد الذي أقر به عبد المطلب لله عز وجل ، فقد أعطى الكل - على شركه في الألوهية - درساً عظيماً في توحيد الربوبية ، عندما أثبت للجميع من أهل زمانه ومن عداهم في الأزمنة اللاحقة ، أن النصر من عند الله وليس من عند هبل ولا إساف ولا مناة ولا يعبوب ولا نانلة ولا اللات ولا العزى! على حين أن أغلب المتشدين المتخاذلين عن نصره الحق اليوم يوقنون ويتلفظون بها صراحة: أن النصر من عند غير الله تعالى. وكبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذباً. إنه بعد أن تستفرغ طاقتك في نصره أخيك ، وبعد أن تكلمت وتملّ ، وبعد أن تستنفد كل ما لديك من الإمكانيات في دعم أخيك والحيلولة بينه وبين السقوط والهلكة ، ساعتها ، وساعتها فقط تقول: لأخي ربّ يحميه! إن عبد المطلب - وإن لم يبرأ من الشرك - إلا إنه برئ من الجبناء!

للبيت ربّ ، فاستترخ والقلب منه ما ينشـرخ

نعيم الكلام حقيقة! قول يُطرّزه الوضاح

لكنم الطغيان لا
ويدمر الدنيا لير
ويذل أقواماً تم
أكل الخلاف جوعهم
يأليت أبرهة استفا
مازال يهذي في الوري
وأتى بجحفة الهذي
جيش أس به بأس يري
هو قد تسلىح بالردى
وإذا به بالذل آ
والله أنقذ بيته
(الله أكبر) ياشيا
غيبتم دين إلا
من حارب المولى المع
فسدت حياة قوم والإ
(البيوت رب)، فاعلموا
ويعود للكون الهدي

يـدرى ، ويصطنع الفاح
ففع باطلاً ، مثل الشبح
زق حقهم ، حتى ذبح
باب - على الباصوى - فتح
د ، ولم يضمد ما جرح
وتراه في الصرعى نبح
قطع المفواوز ، واكتسح
ولله جلالاً يمتدح
وأتى يسابقه الوضاح
ب ، فلم يعارض أو يصح
والأمير بالصبر اتضح
طين الدنيا ، فليم الفرح؟
ه فسادات الفتن الردح
ز ، فلا استقام ، ولا ربح
نسان من ظلم طفح
ولسوف ينزاح الترح
ولسوف يقوى كالصدح

كل معروف صدقة

(إن الصراع بين الحق والباطل ، بين الرشد والغي ، بين الخير والشر ، بين المعروف والمنكر ، بين أهل القيم والفضائل وأهل السوء والردائل ، لا ينتهي إلى يوم القيامة. وهذه سنة ربانية لا تتحول ولا تتبدل. ولكن لا بد من أن نستيقن أن النصر حليف الحق لا محالة في نهاية جولات ذلك الصراع. (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون) ، (وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً) ، (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد). والمعروف الذي يبذله دعاة الحق في جولات الصراع بين الحق والباطل ، هو بيان الحق وتوضيحه للناس ، حتى لا يلتبس عليهم ، وتعرية الباطل للناس بكلاحتة حتى لا يلتبس عليهم. وهم بذلك يودون أكثر الصدقات عند الله. نعم حتى يقاوموا انتفاش الباطل من حولهم. ومهما انتفش الباطل ، وعم الزبد وطم ، فإن الحق في انتصار لا محالة ، وغالب لا مرية في ذلك أبداً. هذا ما تنطق به الآيات والسنن الربانية. بل ومعارك التاريخ الإنساني كله. عن ابن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله وأي الأعمال أحب إلى الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً (في مسجد المدينة) ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهاى له ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام). رواه ابن أبي الدنيا وحسن الألباني إسناده. وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه). رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم في السنة ، وحسنه الألباني. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة). رواه البخاري ومسلم. ولقد يطول ليل الباطل ، وينتفش نهار الشر والعدوان ، ثم يقول الناس: لا مكان للقيم والمثل أبداً ، ولن يسود خير بالمرة. وليست هذه المرات من الغرابة في استقراء التاريخ ، بل قالها بعض أفذاذ الجيل القرآني الفريد للنبي - صلى الله عليه - وسلم -: متى نصر الله؟ وإذا بالرد القاطع الفاصل: ألا إن نصر الله قريب. ومهما أخذ كتاب كثيرون يروجون لفكرة أنه لا أمل قط في انتصار الحق فإن لعنة التاريخ سوف تطاردهم ، وسوف يأتي جيل يغربل ما كتبوا ، وكل معروف صدقة كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ويُقيم الدليل على انحراف منهجهم وتعلّة تصوراتهم! إن انتصارنا للحق لن يدني من أجل ، ولن يباعد من سلامة! كما أنه لن ينقص من رزق ، كما أن تقاعسنا عن نصره الحق لن تزيد في رزق. فلقد خط الله الآجال وحدد الأرزاق. تلك قضية محسومة في حس كل مسلم مؤمن قانت منيب. ورحم الله الشافي (ابن إدريس) إذ كان يقول: (أنا إن عشت فلست أعدم قوتاً ، وإن مت فلست أعدم قبراً فقيم الخوف والجزع!) فلنعش بالمعروف وللمعروف وعلى المعروف ومع المعروف!)

الغدر معقود السمومُ والحقوق يحده العلوُ
والنور يجتاح الدجى يوماً ، ويرتحل الهُدوُ
والشمر من دحر الملا وس يحمل الهدي الفتو

والحسَن ممدوح العُرى
والفجر موعده غداً
والصدق غمال حقه
والعمير والى جأه
واسس تفحلت آماله
غاليه تفي تصويرها
ففجرت ينبوع الضيا
نار الأريج تسعرت
وتزلزلت أرض الشقا
والأفق ساج غربه
لن تخلو الدنيا من الت
والشوق صعب وقع
والله يغفر زلت
ورأيتني والموت آ
فوق الرؤوس مخيم
ولكم جنوت على اللظى
خيرت ما اخترت المضما
يا ليتني الغيت من
لكنم الأقدار فو

وسيدب الخير العتو
فالليل آذاه الدجو
أما العمالقة فالعدو
ذهبت خدعات الصبو
ونمت فجعلها النمو
دهراً ، فأشجاني الغلو
والبرق أذن بالخفو
وأخاف يقتله الخبو
والنصر أذن بالدنو
والشرق منفعة السمو
قوى ، وإن طفح الخلو
وكذا اش تياقي في ربي
سبحان ربك من عفو
ت من سراديب الخبو
بل فوق جدران البهو
حتى احترقت من الجنو!
يا ليتني ما قلت: (لو)!
قماموس عمري لفظ: (أو)!
ق مرادنا ، أرض وجو

وجه من جليد

(كثيرون من الذين لا يعلمون حقيقة الشعر والشعور ، ولم يسبروا كُنه القريض ، قد يتندرون على عنوان هذي القصيدة ويستهنون به. إنه الرمز والمعنى يا هؤلاء الحمقى. أقول ذلك لأنني لما قرأت هذه القصيدة على أدهم ، وقد زارني في بيتي وسألني عن آخر ما كتبت ، فأخبرته عن قصيدة عنوانها (وجه من جليد) ، أزمع إرسالها إلى (جريدة الوحدة) ، لتشرها بعد أيام. فلما سمعها استهجنها واستغرب عنوانها! بالرغم من أنني سمعت منه خاطرة (يسمىها هو قصيدة) تحمل عنوان (وجه من الصومال) ، لا تساوي كلمة من قصيدتي ، إذ لا وزن ولا قافية ولا فكرة ولا مضمون ولا محتوى ، اللهم إلا بعض الكليبات المسجوعة المتراسة! ولأنه في بيتي لم أشأ النيل منه ، بل تغاضيت لحرمة البيت ولقدر صاحبه وحق الضيف. غير أنني سألته عن السبب. فعاب علي احتجاجي الدائم بما قالته العرب في الجاهلية والإسلام. فقلت: إنه ليحتج بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم ، حتى ولو كانوا كفاراً. ويحتج كذلك بكلام قبائل قلب الجزيرة: قريش ، قيس ، تميم ، أسد ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين. ولا يؤخذ عن جاور غير العرب لفساد أسنتهم. ولا يحتج بكلام المولدين والمحدثين. وفرق بين المولد والمصنوع ، فإن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح ، والمولد بخلافه. إن أكثر شيء في الإنسان يشعر بالمرارة والعذاب - بعد قلبه - هو وجهه ، حيث تظهر عليه إشارات الإحساس بكل الذي يلاقه من الخسف والهوان. وإن حاول هو إخفاء كل هذه المعاني ، فإن الوجه يكشف هذه الخلجات التي تعتور القلب والروح من جراء ما يصيب الإنسان من العذاب ولا سيما الوجوه التي تمتلئ بالإشراق والحساسية والملائكية. ألا وإن سيما الوجوه لتدل على أصحابها: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود - تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً). يقول أستاذنا سلمان العودة في التعليق على قصيدة ابن النحوي (اشتدي الأزمة بنفرجي) ما نصه بشئ يسير من التصرف: (الصبر يزداد مع الاقتراب من الغاية ، يؤكد أدهم ، ويضيف آخر أنك كلما ابتعدت عن الغاية قلَّ صبرك حتى يتسلل اليأس إلى بعض النفوس. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). فتدرج من الأمر بالصبر المجرد ، إلى ما هو أعلى منه ، وهو المصابرة ومغالبة الضعف الذاتي والتحديات الخارجية والعوائق ، وثلث بالمرابطة ، دعوة إلى اليقظة والمداومة ، وختم بالتقوى ؛ فهي لبُّ الأمر وزمامه. وقوله سبحانه وتعالى: (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا). والاستيناس ليس هو اليأس ، بل هو دونه من استبطاء الفرج والفتح والنصر. يريد المرء أن يرى نتيجة جهده وسعيه فيتعجّل الخطى ويحس ببطء الوقت في نهاية المطاف. كلما اقتربنا من الهدف زادت جاذبيته ، فنحس بالقلق إزاءه. فالطالب الجامعي وهو على وشك التخرج يستبطن الأيام ، وقد ظل في الدراسة ست عشرة سنة! وآخر الصفحات من المقرر يكاد الطالب أن يتركها ، فقد استنزف ما مضى طاقته وجهده. وحتى الكتاب الذي يقرؤه فتى من باب الثقافة والمعرفة ، ربما همّ بإطراح الفصل الأخير ، لولا أن يتحامل على نفسه ، ويتذكر قربه من الكمال والإنجاز. همم البداية متألفة توافقة مندفعة ، وطول الطريق يستنزفها جزءاً جزءاً ، حتى إذا أوفت إلى الغاية بدا وكأنها نفدت! حين تقترب من المدينة أو ترى بعض معالمها يغلبك الحنين والشوق. كان أدهم يسكن في الدور الثالث ، فيشعر بالتعب في الدور الثاني ، وحين انتقل إلى الدور الخامس صار يتعب في الدور الرابع! هذا ليس واحداً من عيوبك كما تظن ، بل هي جبلة في الإنسان ، فليكن المرء إيجابياً ليدرك أنه كلما قلَّ صبره أوفي على الغاية أو كاد ، فيأتيه الوعظ الرباني (فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا). وليتذكر اليقظ الحي أن كل بداية فهي نهاية

وكل نهاية فهي بداية ، تنتهي مرحلة لتبدأ أخرى. وقال صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه الشيخان عن أم العلاء في قصة وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه: «وما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بي». وقد رجّح غير واحد من أهل العلم أن الرواية الصحيحة: «ما أدري ما يفعل به». يعني بعثمان بن مظعون ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخبره ربه وقال: (لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) ، وقال: (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى). ولا مانع من تصويب الرواية المشهورة في «الصحيحين»: «ما أدري ما يفعل بي» وحملها على أمور الدنيا ، وعلى بعض أمور الآخرة مما لا يجزم به النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال في درجة الوسيلة: «فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو». (رواه مسلم). هـ. وكلما ازدادت المحن والآلام كان ذلك قرينة الفرج القريب. وشتان بين وجه عبد لا يعنيه ما يحدث اليوم للإسلام في الأرض ، ووجه عبد ينفطر قلبه وتنقبض أساريره لما يحدث للإسلام!

قد خمشت وجهكم هذي التجاعيدُ وأطفأت نوره تلك الأخاديذُ
حتى متى نكتوي بالنار تلفحنا ونحن في دارنا حقاً مطاريذ؟
والنفس باكية ، والروح في ألم والقلب غصّ بما يأتي الرعايد
من كل مرتزق في زيفه بطلّ آلت إلى مثله فينا المقاليد
يختال في صلفٍ ، والدار ترفعه ولم تعد قيّم ، ولا تقاليد
كم ذا نرى حُمراً في الهزل صارمة! وإن دُعوا لهُدىً فهم جلايد
تقيم معركة فينا ، وتقعدها وتسغيث من الحُمُر الحرّاييد
ولو علت مثلّ في الدار لانتحرت وأنت تسألني: فيم التجاعيد؟
يا قلب كُفّ عن التهويل ، كن فظناً ولا تغب عنك يا قلبي الأسانيد
قم ، واحتمل في سبيل الله كل أذى وإن قلاك على الدرب العبايد
هم للدفوف سعوا ، لهم بها طربّ وأنت قدوتك الصّحب الصناديد
يا قلب أنت بهذا الدين ملتحذّ فلا عليك إذا غامت ثفافيد

الربيع الضاحك

(إن الحنيفة السمحة لا تشيب ، بل هي شباب دائم حيوي متجدد. إذ هي تمنح الربيع للحياة ، بل وللأحياء الذين اتبعوها وجعلوها منهاج حياتهم. وإن صحت العبارة تمنح الحياة للأموات! إن الناس بدون التوحيد والعقيدة موتى ، ولا يشك في هذا عاقل يفهم الإسلام طرفة عين ولا أقل من ذلك. (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ، (أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) ، (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين). وإذن فهذا الدين حياة العالمين. وصدق شوقي وهو يبين الفرق بين معجزة المسيح عيسى ابن مريم في قومه ومعجزة نبينا محمد – صلى الله عليهما وسلم – في قومه من أعراب مكة والجزيرة فيقول مادحاً نبيناً: (أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له *** وأنت أحييت أجيالاً من الرمم)! فكما أن الربيع يمنح الزهور والأشجار النماء والعز والبهاء والاختضار ، فكذلك الحنيفة السمحة تمنح من يدين بها الحياة ، بكل ما تعنيه الكلمة من معان. والفرق بينها وبين الربيع ، أن الربيع ينتهي ويمضي ليعاود المجيء بعد عام. ولكن الحنيفة السمحة دين الله الخالد. باقية مادامت السماوات والأرض. ولقد يخيل للبعض أن ربيع الحنيفة السمحة قد تولى ولن يعود أبداً ، فلقد أزاحتها الجاهلية الحاضرة ، وصرعته وطرحته أرضاً وأبعدته عن الوجود! وهذا وهم مجرد وهم. وهم قد تنشئه وترسخه في بعض النفوس غلبة الجاهلية ، وتغلبها وتغلغلها في مناحي الحياة! وإذا سلمنا لهم من باب التنزل على ما يقول الخصم ، فإننا يجب أن نذكرهم بوعود نبينا – صلى الله عليه وسلم – من الخلافة الموعودة على منهاج النبوة بعد الملك العضوض والحكم الجبري. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتكونن النبوة فيكم ما شاء الله لها أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم لتكونن خلافة على منهاج النبوة ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم ليكونن ملكاً عضوداً ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه. ثم ليكونن حكماً جبرياً ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه. ثم لتكونن خلافة على منهاج النبوة). وإذن فالمماتلة التي يسوقون لها بعض وجه الحق ، فكما يعود الربيع لإحياء الموات ، تعود الحنيفة السمحة لتحيي الموتى بإذن الله! إن ربيع الحياة بجماله وبهائه يشبه ربيع الحنيفة السمحة عندما يتفياً الناس - كل الناس - ظلالها وعطانتها والربيع يزهر فيه كل شئ ، وكذا الحنيفة السمحة يتجلى عبرها كل شئ. وربيع حياة كل موحد أن يختم له حقيقة بخاتمة السعادة. وإنه لضياح أن يختم لعبد بخاتمة سوء يلقي بها ربه - تبارك وتعالى. ومن أراد الاستمتاع بالحياة على الحقيقة فليحكمها بالعقيدة والتوحيد والشريعة. كالذي يستمتع بالحياة في الربيع دون سائر فصول!)

تبارك ربي القدير البديع ومَن أودع القلب حـب الربيع
تضاحك في الكون مثل الهوى ففراق الهوى ، وابتسام الرضيع
وأرجحه الشوق نحو الصدى فحطرت بالصبحو كل الربيع
وأينعت الأرض في ظله وأوراق أشجارها ، والفروع
محياه في الناس مثل الغنا ترفرف نفحاته في الضلوع

كأن الربيع بمنديله
وأمسى حنوناً بأفراحه
تحبك كل الدنا والورى
ولي فيك من ذكريات الصبا
سنا الأمنيات كمثل الخدا
أحب الربيع ، وأهوى الندى
ربيع الفؤاد انتعاش الهدى
ربيع الحنيفة خير لنا
إذا كان في العمر من فرحة
ربيع الحياة رضا ربنا
إذا رضي الله كان المضا
ومن يعرف الحق يسعد به
هو الحق مثل الربيع الذي
فيسطع كالشمس فوق الدنا
وإن كان في القلب نور الهدى
ربيع الحنيفة ولي ، مضى
ويوماً سيضحك في أرضنا
فجرت بقلبي صنوف الهوى
وباع المحبلة للمشتهي

يُجفّف في وجنتي الدموع
ونور درب الدجى بالشموع
ويهوى نداءك الرطيب القطيع
جمال ظريف ، زكي الينوع
على جانبها انفعالي صريع
ولي بازدهار الروابي ولوع
فكيف ربيع حياتي يضيع؟!
إذا أحرق القلب غدر الجميع
علاها الربيع ببرد الخشوع
لقد فاز من يطفئه البديع
وزال القنوط الأليم المريع
ولوبين - كل الأنام - يجوع
يبيد الظلام بعز السطوع
ألا إنه - بالتحدي - رفيع
لقد يشبه النور عطر الربيع
ومن سُنن الله عود الربيع
حقيق بهذا الربيع ضاليع
فخان العهد الرفيق الخدوع
وآثرت فقري على أن أبيع

البدر ليلة التمام

(عندما تكون الشمس ساطعة متربعة رابضة في كبد السماء ، ويأتي العميان ينكرون ضوءها ، فهل على الشمس لوم؟ وهل يصح إنكار العميان ضوءها ، فتصح المقالة وتنكر الشمس؟ بالطبع: كلا. وإن فالحقيقة لا تموت مهما تخرص المتخرصون ، ومضى كل غاش واش يُدلس ويُلق ، ويُؤلف الأكاذيب ، ويخترع الأباطيل ، وينسج الزيوف ، ويحتال الحيل. إن الحق واضح أبلج ، ناصع لامع ، لا يحتاج إلى كثير جدل. والحق كالبدر ، ليس يتأثر بالشهب ولا بالنيازك من حوله ، كما لا تنال منه ولا من ضوءه الغيوم والسحب ، ولا يحجب ذلك الضوء شيئاً. وإن حدث فليبرهه فقط. ويحدثنا الأستاذ عبد الله متولي عن غدر الوشاة فيقول: (يذكر التاريخ في صفحات سينة ذلك الدور المشين الذي لعبه الوشاة. فأشعلوا النفوس حقداً وأوقدوا للحرب نيراناً. إن شر الناس ذو الوجهين. الذي يأتي هذا بوجه ، وهذا بوجه ، وينقل كلام هذا لذلك على سبيل الإفساد بينهما ، وقد يتقول على أحدهما ما لم يقل ، فيجمع بين النميمة والبهتان. الوشاية يا لها من خلق ذميم وسلوك مشين. فكم تقطعت من أواصر ، وتفرقت من قلوب ، وتهدمت من بيوت ، بسبب المشائين بالنميمة ، الساعين بالإفساد بين الناس ، المفرقين بين الأحبة ، المتتبعين للمعورات! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ، تقول: اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا). رواه الترمذي. غير أن بعض الناس ينسى قيمة اللسان ويتناسى أخطأه ومساوئه فيطلق له العنان بالوشاية ، وما ذلك إلا لمرض في القلب حيث (إنما جعل اللسان عن الفؤاد دليلاً) ، فنجد الواشي ساعياً بالغيبة والنميمة محاولاً الوقية بين الأصدقاء والإخوان ، فلا يروق له بال ، ولا يطمئن له حال إلا إذا قطع الأوصال وفرق بين الناس فإذا بالصدقة تصبح عداوة وإذا بالتفاهم والود يتحول إلى حقد وبغضاء ، والتقارب والتعارف يستحيل إلى تباعد ونكران ، وكل ذلك جزاء الوشاة الذين في قلوبهم مرض يحرك ألسنتهم بالنميمة غير عابئين بما ينتج عن أقوالهم وأكاذيبهم من نتائج سيئة وأفعال مشينة في العلاقات بين الناس). هـ. والزور مهما تزخرف ولبس مسوح الحق فإنه يبقى زوراً كالحا لا حقيقة فيه ولا حق يؤديه ، وأهله إن علت أصواتهم به فهم القوم الأفاكون المخادعون. وعندما ينجح الزور ، وتسود الدعاية ، وتروج الوشاية لا يستطيع الحق أن يدافع عن نفسه. ومن ثم فهو يشبه البدر ليلة تمامه ، ولكن في ليلة شاتية جوها ملبد بالغيوم الشديدة. ويتساقط المطر عبرها ، ولا تستطيع قطرة واحدة أن تجفف دموع البدر الباكي الشاكي ، ولقد يغبط الكثيرون من الناس ذلك البدر على هذا المطر ، وما درى هؤلاء أن المطر ينتفع به غير البدر!)

تضام بالأسى بـدر التمام	فضاعت في الدجى فحوى الكلام
ألا يا بـدر: صبراً ، واحتساباً	ولا تحفل بهاتيك الطوام
لقد غدر الوشاة ، ولم يباليوا	وقد نهبوا أحاسيس العوام
أما قالوا: سنلوي كل غر	ونزرع ثورة عبر الطغام
وقد خدعوا هنا كل البرايا	وغر نفاهم بعض الأنام

بضاعتهم لها قومٌ وسوقٌ
وأتباع لهم في كل وادٍ
وسادنٌ دربهم نفيخ البلايا
يحقق لياؤه ونهاره ، لم
ويشق غزله بمرور دهر
عجيبٌ منك ما تأتيه حقاً
من اتخذوا من المخلوق رباً
يحرّم تارة ، ويحلّ أخرى
ويطعن من يصحح ما افتراه
لكنم يا أيها الأقوام دربٌ
فلا ألقاكم تهذون عندي
وحسبي أنني فيكم غريبٌ
يراعي في الحقيقة لا يحابي
ونور البدر يسري في قريضي
أحاسيسي - بهذا الشعر - تزهو
تعايري على القرطاس خجلي
مشاعرٌ جمّة ، ولها احتفالٌ
أقوم بالقريض عوار قومي
عواطفٌ ثورة بالقلب عجلي

وأموالٌ تؤدي في الحرام
تروج للبضاعة ، والركام
وقال: بأنهم خير الأنام
يذوق بالليل طعاماً من نام
ويمطر غيره برحى السهام
وأعجب منه جمهرة النيام
وأصبح وده خير المرام
ويضرب في سراديب الظلام
ويمعن في دهاليز الخصام
ولي دربٌ على مر الدوام
بما في النفس من قبح الضرام
كمثل الدر في جوف الرغام
شديد البأس ، عات كالحسام
أسيفٌ الصوت يسري كالغمام
وتكبر فيه عاماً بعد عام
فتاة تلك مائسة القوام
وإن الشعر أغنية الغرام
ولا أخشى أباطيل الهوام
وفاقت في السننا بدر التمام

أنذرتهم ولكن

(ويلكم لا تفتروا على الله كذباً ففُسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري). هكذا واجه كليم الله ونبيه موسى بن عمران - عليه وعلى نبينا صلوات الله وتسليماته - السحرة الذين جمعهم فرعون للمناظرة الكبرى بين الحق والباطل. والموعود يوم الزينة ، والدعوة عامة شاملة للرجال وللنساء وللأطفال ، فلم يذكر الداعون في دعوتهم (بيوت الأطفال جنتهم!) وأيضاً مسموح باصطحاب الكاميرات ، فلم يورد الداعون في دعوتهم عبارة (ممنوع اصطحاب الكاميرات!) وإذن فهي دعوة عامة بلا قيد أو شرط ، (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى). وإن كان أصحاب المناسبات يشترطون عدم حضور النساء أو عدم اصطحاب الأطفال أحياناً فهنا في يوم الزينة وفي باحة قصر فرعون بالتحديد في ساحة المناظرة ، الدعوة عامة للجميع (رجال - نساء - أولاد أو حتى خدم وجواري). والحقيقة أن إنذار موسى للسحرة لم يوتِ ثمرته إلا هناك في نهاية المطاف! الأمر الذي لم يدر بخلد موسى النبي الرسول ساعة دعاهم. لأنه كم دعا قبلهم من الكفرة والمشركين ، فما استجابوا. وإذن فالإنسان المخلص لدينه ولعقديته ينذر ويبين ، ويحدد معالم ما أودعه الله في قلبه ، فلا يعيش بقلبين لأن الرب - تعالى - لم يجعل لرجل قلبين في جوفه ، فإذا كان له قلب واحد فينبغي على هذا القلب الواحد أن يتوجه بالعبادة لرب واحد ، فإذا ادعى أن له قلبين فهي غطرسة النفاق وكارثة الرياء إذن. والداعي من يبذر البذور ، والله هو الذي ينبتها ، ويكتب لها الحياة. وليعلم كل موحد جيداً ، أنه لا يهدي من أحب ، ولكن الله يهدي من يشاء. ألا وإن واجب الداعي الإنذار والبيان ، وإقامة الحجّة الرسالية التي يكفر تاركها بعد توافر الشروط وانتفاء الموانع! وفي شأن إقامة الحجّة يقول الأستاذ أبو عبد الرحمن عيد فواد: (بعث الله نبيه بالحجة البينة الواضحة ، فأثار السبيل ، وكشف الظلمة ، وترك أمته على محجة بيضاء ، ليلا كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك! ولأجل ذلك بعث الله المرسلين ، وآتاهم الآيات والبيّنات ، {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً} ، وأما أولئك الذين لم تقم عليهم حجة الله لعدم وصول الرسالة إليهم ، فأولئك يرفع الله عنهم - بعدله - عذابه ، فيقول: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً} ، وقد رفع الله الإصر والعذاب عن أولئك الذين لا يقدرّون على فهم حجته ، لعدم أهليتهم لتقبلها وفهمها ، قال - صلى الله عليه وسلم -: (أربعة يحتجون على الله يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة). يقول ابن تيمية: "فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهى ، وإذا انقطع العلم ببعض الدين أو حصل العجز عن بعضه كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه ، كالمجنون مثلاً وهذا مصداق قول الله: {وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إنّ الله بكلّ شيءٍ عليم} ، وقوله: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً}. فقد أخبرت الآياتان باستحقاق العبد العذاب بعد تبين الهدى له ومشاقته له ، والجاهل إنما ضل عن الهدى ، ولم يتبينه ، لذا نال رحمة الله!)-هـ.

أعطيته من دمك الكثيرُ حتى تحشُرَ رجبِ الصِّدورِ
وبذلت ، لِمَ تَكُ مُقْتِراً وبكيسَتِ بالغريمِ
أنذرتك لِمُعربٍ ونصرت بالصدوت الجهيـرِ

لَم تَخْشِ بِأَسْأَأ ، أَوْ أَدَى
وَعَلَا نَذِيرُكَ فِي الْوَرَى
وَعَلَا وَعِيدُكَ فِي الْوَدْنَا
لَكِنَّ قَوْمَكَ فِي عَمَى
لَيْسَتْ عَلَيْكَ مَلَامَةٌ
وَالْحَقُّ لَيْسَ بِهِ يَنْ
وَالْفَنَاءُ صَاحِبُ هَمَّةٍ
وَالنَّاسُ هَذَا سَمْتُهُمْ
مَنْ كَانَ يَنْصَحُهُمْ رَمَوْ
فَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِمُعْرَضِ
وَيُرِيدُ تَحْرِيفَ النُّصُوحِ
وَيُحْجِّمُ الْعَقْلَ الْوَذِي
فَاتْرَكَهُ فِي إِعْرَاضِهِ
وَالشَّمْسُ سَاطِعَةُ الْبَرِي
مَا ذَنْبُهُ إِذَا مَعْرُضاً
أَنْذَرْتَهُمْ ، لَكِنَّهُمْ
وَالْمَوْتُ بَعَثَ رَفْرَهُمْ
دَعَاهُمْ ، فَأَلَيْسَ وَرَاءَهُمْ
وَالْحَقُّ فَوْقَ غُرُورِهِمْ

لَمْ يَسْتَبِدْ بِكَ الْغُرُورُ
أَسْمَعْتَهُمْ صَوْتَ الضَّمِيرِ
قَلْبَتِ: اسْتَجِيبُوا لِلْبَشِيرِ
يَكْفِيكَ أَنْ كُنْتَ الْبَصِيرِ
بِالْمَدْحِ إِنَّكَ لِلْجَدِيرِ
وَالزُّورُ يَقْبَلُ الْهَقِيرِ
هُوَ رَهْنُ هِمَّتِهِ أَسِيرِ
مَنْ ذَا الْخَلِيقَةِ لِلنَّشُورِ
هُوَ بِحَرْبَةِ الْجَهْلِ الْمَرِيرِ
فِي جَهْلِهِ أَبَدًا يَمُورِ
صَلِّ لِيَرْضَى الْقَلْبُ الْحَسِيرِ
يَهْتَجُ فَاجِ فِي دَرْكِ الْقَصِيرِ
وَدَعِ الْجَدَالَ ، وَمَنْ يَثُورِ
ق ، وَلَيْسَ يَبْصُرُهَا الضَّرِيرِ
أَفْكَارُهُ مَثَلُ الصَّخُورِ؟
سَكَنْتُ قَلْبِي وَبُهِمُ الْقَبِيرِ
وَالْحُمُوقُ كَالسُّيُوفِ الْمُبِيرِ
إِلَّا التَّعَالِي ، وَالظُّهُورِ
وَلَسَوْفَ تَنْكُشُفُ السُّتُورِ

صيف الأغاريد

(إنه لا يسعد بهزيمة الحق إلا من ختم على قلبه بخاتمة النفاق. وإنني لأعجب من أهل الحق ، من أصحاب ذلك الدين ، من الغرباء ، من النزاع من القبائل ، من ذوي العلم والفقه والبصيرة ، وهم يحزنون إذا ما أصيب الجاهليون بشيء من البلاء والعذاب بما كسبت أيديهم. على الرغم من أن أهل الباطل كانوا قد زغردوا وهللوا وانتشوا فرحاً وطرباً عندما أصيب أهل الحق ببلاء أوقعه عليهم الجبارون في الأرض لحكمة يعلمها الله. وإنني هنا أسجل تعجبي في مستهل هذه القصيدة لأثبت لأهل الضلال أنهم لا يبادلون أهل الحق ذات شعورهم ، والسبب هو أن الخلاف بينهم هو خلاف العقيدة وكفي ذلك بياناً. (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) ، (ها أنتم هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور). وإذن فأهل الحق أولى بهذا الشعور ضد أهل الباطل! وعندما اندحر النور ، وغاب من الواقع الملموس المحسوس المأنوس. ونأت عن الأنظار - في الواقع - حقيقة ذلك النور. وغرد لغيب ذلك النور في الواقع المشهود المعهود كثير من الناس ، وصادف ذلك قدراً أيام صيف حار عاتٍ رهيب على الأرض كل الأرض ، كانت هذه القصيدة ترجمة لما أحس به من شماتة أهل الباطل في أهل الحق! كما أنها احتوت على وصية غالية للدعاة أن لا ييأسوا من طول الطريق وكآبة المنظر وثقل التكاليف وسوء الأحوال ، والبلاء الذي يلقي بجرانه فوق كاهل الدعاة ، وهم يقاسون في سبيل نشر الحق ما الله به عليم من التضحيات العظيمة. والحق أنهم يجب أن يوقنوا أن الأمور تجري بمقادير قدرها الله تعالى ، وأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن! أقول ذلك وقد ابتليت مثلهم علم الله - عز وجل - . ثم أزيد فأقول: (وهل أهل الباطل لا يتألمون ولا يقاسون ولا يتكبدون في سبيل نشر باطلهم بين الناس؟) والجواب نستمتع إليه من الله الذي خلقنا وخلقهم وخلق العالمين ، إذ يعزي أهل الحق ويبين معاناة أهل الباطل فيقول: (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون!). نعم نحن نرجو من الله ما لا يرجو أهل الضلال ، نحن نريد على بلاننا الأجر الذي هو الجنة. لكن أهل الباطل لا يرجون شيئاً. إنهم يعبدون الدنيا ولها عملوا ، فلا ينظرون إلا إلى مواضع أقدامهم في هذه الدنيا ، فلا يعترفون بقيامة ولا جنة ولا نار. (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر). ومن هذا المنطلق فإننا أهل الحق يجب أن لا نتعاطف مع أهل الباطل ولا نواليهم ولا نحبهم. نعم نتعامل معهم ونقبل هداياهم ولكن لا محبة ولا نصرة ولا ولاء ولا مسالمة ولا مهادنة بيننا وبينهم ، ماداموا محاربين للحق وأهله.)

اليواقيتُ تغشيتها الرمالان ثم غاص الكون في قيح الخبان
والخطوبُ اليوم تترى ، واللظى وسارت في النفس آلامٌ ثقّال
أرقبُ الدنيا ، فلا ألقى بها غير أشباح يُذريها الخيال
فأراق النور ، فحالت ظلمة وطغى الإفلاس فوق الإبتذال
وعذابُ النفس يكوي طيفها وبكاءُ الروح يشوي الاحتيال

أشرفتُ شمس الهدى دهرأ مضي
وإذا الدنيا بهاءً ، وسنا
وإذا الإنسان خلقاً آخر
كيف هذا النور قد جاء الدنيا؟
وإذا الأتـذال فـيهم زلزلوا
وإذا الأصـنـامُ أـرداهـا هـدى!
وإذا الأعـرافُ ولـت ، والهـوى
يبذلون النفس في رفع الهدى
ثم عاش النور أعتى ، حقبة
زغرد الناس ، وقالوا: مرحباً
كان صـيـفاً للأغاريد إذن
ليس يرضى العيش إلا هـزلاً
يرفض الحق ، ويحيى مـغـرضاً
إنما الدنيا سراب ، فانتبه
دعك ممن أعرضوا ، يا صاحبي
كم دعوا ودأ ولاتاً والهوى
وارتضوا غير المعالي عيشة
فاعتصم بالله ، وابـرأ مـنهم

فأباد الحق نغرات الضلال
وإذا الكون جمالاً في جمال
وإذا الضلال ماجوا في الجـدال
كيف يمضي دونما رجعى الضلال؟
وتمادوا في متاهات السـؤال
وإذا الأوثان تحبـو في الرمال!
وإذا بالمدار مـلأى بالرجـال
يشـترون النصر في أرض القتال
وعلى الحق اعتدى أهل الشمال
رحبوا بالزيف ، باتوا في دلال
وقطيعاً سادراً في الانحدار
ماله في هذه الدنيا مثال
جرت في هذي البرايا والفعال
قبل أن تغشاك أماد الزوال
إنهم - للشرك - قد شـدوا الرحال
وارتضوا رباً سـلوماً أو نوال!
ثم ساروا في دُجـنات المال
إنما يكفيك حسنى ذي الجلال

قوافل الدموع

(كثير من الشعراء جُل هم الواحد منهم بكل ما أوتي من شعر ، أن يُبلور للناس حياته في قالب شعري يأخذ شكل الديوان. وكأن كل قصيدة تمثل يوماً من أيام الشاعر ، ومناسبة من مناسبات حياته. وكل قاريء للديوان يُحس بين الفينة والأخرى أن هذا الشاعر أو ذلك ، يفرض شخصيته فرضاً على القاريء. نعم لا مانع من أن يكتب الشاعر عن مواقف من حياته ، إذ شعره يعكس جانباً كبيراً من حياته ولا شك. ولكن ليس كل موقف يصلح لأن يُحكى في قصيدة ما. والشاعر الذكي العبقري هو الذي يوظف تجربته الذاتية ، لينتقل بها إلى التجربة العامة التي هي جراح أمته وآلامها التي تنزف دماً. وقليل من الشعراء من فعل هذا الشيء. إنني إذ أكتب (قوافل الدموع) فإنني أسكبها على آلام أمي التي تسكن فوادي قبل أن أسكنها أشعاري وقصائدي. إن الشاعر إنسان صاحب ضمير حي ، وقلب وهبه للحق. ووظفه للذود عن حياض العقيدة وبيضة الشريعة ، والإنسان صاحب الإحساس والقلب ، يتأثر بما حوله من الأوضاع والمستجدات. وهذه الخصلة أروع ما تكون في شخص ما ، تكون في شاعر صادق. حيث يعيش ذلك الشاعر الصادق لغيره لا لنفسه. وإن تحدث في قصيدة ما عن تجربته التي يعيشها ، فإنه سرعان ما يخرج إلى الآم الآخرين. وليس بشاعر من كان كل الذي يكتبه فقط يتحدث فيه عن نفسه. وكأنه يرى الآخرين بلا مواقف وبلا مشاعر وبلا تجارب! وإنني لألمس في هذا النوع من الشعراء لوناً من الأنانية ، إذ الواحد منهم لا يرى إلا نفسه! وبعضهم يزيد الأمر إسفافاً فينشر صورته وصور بناته وزوجه بكامل التبرج والزينة ، الأمر الذي تمقته كل نفس عفيفة محترمة وقافة عند كتاب الله وسنة رسوله. وأسأل: لماذا صور النساء في الديوان؟ هل عجزت قصائد الشاعر عن التأثير في وجدان القارئ ومشاعره وعواطفه وأحاسيسه ، فاستعاض الشاعر بصور حريمه زوجاً وبناتٍ عن ذلك؟! أم أنه التكلف الزائد الذي يبين للقراء هزال الصلة التي تربط ذلك الشاعر بحريمه اللاني كان ينبغي عليه سترهن والحفاظ عليهن ، بعيداً عن عيون الناس؟! وإذا كان الشاعر لا يغار على حريمه ، فهل يغار على أعراض بنات أمته من المسلمات المؤمنات؟ أما إنه إن كان قد فرط في عرضه هو فأراه لأعراض المسلمين أشد تفريطاً. وتلك بدھية مستفاعة من الواقع نفسه. وقد وجدنا جُل هؤلاء الذين لا يغارون على أعراضهم ، جعلوا من أعراض الأمة سوق نخاسة أو ماخور دعارة ، فعليهم من الله ما يستقون. وتلك قصائدهم في القديم والحديث تشهد بما أقول. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأسأل الله أن يقي الأمة شرهم وهزلهم وتذنيهم وسفاهتهم.)

الدمع يعصف بالقلوب والحزن يجتاح الأحاسيس ودروب
والعبد يرفل في الرخا والحزن تصفح الخطوب
وابن الأراذل سيدي وابن الأماجد في الكروب
ودموع عيني جمّة أجبرت قوافلها الذنوب
أبكي على ما نحن فيه من الكوارث ، والحروب
أبكي على الأطفال تُذبح ، والدماء لها وجيب

والأمهات تعبىء الأنس
والأخت يهتاك عرضها
والكهل يندم أنسه
والدار يعصرها اللظى
والراية الخجلى تحج
والمجدد ينتحر احتسار
وعقيدة كانت تلت
وشريعة كانت تولد
أبكي على الآهات تش
أبكي على الأحبار باربا
وقوافل الدمع الكئيب
وتعد ذب الحبر المسر
وتعرق ل الشوق المع
يشا قلب جفّ الدفع فاد
أن يرفع الله البلا
ويعيد للحمق اللوا
ويرد ش أن كتابه
حتى تجف دموعنا

ات ، والبلى نصيب
ففي كل صقع مسرتريب
ففي الناس أدركه المشيب
فتودع الأم ل الرطيب
ر لونها ، عبر النوب
بأ ف في تلافيف الغيوب
م الشم من عهد قريب
ف بين أجناس الشعوب
وي عزمنا ، ولنا نحيب
عواديينهم ، فطغى الهيب
بة تحرق القلب العطيب
جى في يراعات الأديب
ذب في دياجير القلوب
ع الله ع لأم الغيوب
ويجزع الكفر الزنوب
فهو والمه يمن والمجيب
ويقبل مزلقنا الجديب
وتتوج الهدي الشعوب

دموع إبليس

(مهما تباكى أنصار ابن سلول ، وأتباع مسيلمة الكذاب ، وسدنة الباطل من عبيد فرعون الطاغية في عصرنا هذا ، مجاملين لأهل الحق ، فإن تباكيهم هذا مكشوف مردول ، لا يعبر عن شيء من الصدق. لأن الخلاف بين هؤلاء الضالين وبين أهل الحق هو خلاف العقيدة ، وليس هو خلافاً في فرع من فروع ذلك الدين ، كما يحلو لكثيرين أن يظهره. إنه خلاف عقيدي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ ماضيه ومعاصره ومستقبله. إنني أكتب (دموع إبليس) من هذا المدخل. لأثبت أن دموعهم - والحال هكذا - هي دموع إبليس ، بعد أن صُرف الناس عنها دهرأ طال أمده. وإن أهل الحق يعرفون هذه الدموع ، ويعرفون من يذرفها متصنعاً ، وقلبه مترع بالأحقاد والضغائن على أهل الحق لا يطيق رؤيتهم البتة. وليس هذا بالغريب المستبعد في شأن قوم لا يحبون الحق ولا يعملون به. والدجل على العامة والدهماء قد ينطلي على بعضهم ، ويستسيغه بعضهم الآخر لسذاجته وضعف بصيرته. ولكن أهل الحق لا ينطلي عليهم ذلك ولا يستسيغونه البتة. ذلك أن لدى أهل الحق بصيرة ورؤية. فهم يرون كل أمر بمنظار القرآن والسنة. وشتان شتان بين الفريقين! فريق يرى الأمور ويبصرها بمنظار الجاهلية ، وفريق آخر يراها بنور الوحيين كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، إنه لأمر يذهب بالعقل ، عندما يبكي أناس على شيء أو قضية ليسوا من أهلها! وأولى أن يبكي اليوم على الحنيفية السمحة أهلها ، لا المدعون لها ، ولا المنافقون ولا العملاء ، ولا المتظاهرون بأنهم أهلها . وإن من يصدق أن غير أهل قضية يكونها فهو سفیه لا يعرف طبيعة النفاق ، كما لا يعرف طبيعة المنافقين. وقال ابن خلدون: (الحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل إنما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل). وقال لاوتسي: (نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف). ويقول علي الطنطاوي: (عندما يسود الحق تسخر الخيل لأعمال المزرعة ، وعندما يسود الباطل تسخر الخيل لخوض المعركة). وقال أحمد شوقي: (يا من أمرهم دينهم بالجهاد حتى يفتحوا العالم ، ويهدوا البشر إلى دينهم ، ففعدوا حتى فتح العدو بلادهم ، وفتنهم عن دينهم! يا من حكم أجدادهم بالحق أقطار الأرض ، وحكموا هم بالباطل في ديارهم وأوطانهم! يا من باع أجدادهم نفوسهم لله بأن لهم الجنة ، وباعوا هم الجنة بأطماع نفوس صغيرة ، ولذا نذ حياة ذليلة! يا أيها الناس: ما لكم نسيتم دينكم ، وتركتم عزتكم ، وقعدتم عن نصر الله فلم ينصركم ، وحسبتم أن العزة للمشركين ، وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين؟)

أواه أواه من صنع الأبيليس! هزل السكرى ، وأغلال الكوابيس!

كم ذا أراهم هنا يبكون تجربة! ليسوا بأهل لها ، يا للأبيليس!

وإن ذكرت لهم من أمرهم طرفاً مما تعجّ به روس المفاليس

يُدجلون بها ، والناس ما علموا إذ أتقنوا في الورى حبك الأحاسيس

على مصائبنا تبكون يا همجّ بل تذرفون لنا دمع المتاعيس

مننا وبالأسى رهط يصدقكم! ضاعت على دربنا كل المقاييس

قد غرّكم صمتنا في الدار يا خُشب
 مهما ادعيتم فإن الحق فاضحكم
 ماذا جنيتم سوى الدنيا وزخرفها
 لا ينظلي زيفكم ، إلا على رجل
 والعاقل الفذ من يسعى على وجل
 أما التكالِب في الدنيا فقاتلكم
 يا عابدي المال فيكم خصلة عظمت
 ألبابكم في بريق المال قد حُست
 كم ذا رأيت لكم بين الورى شُبها
 فما وجدت لكم في الصّيد من شبه
 وكم بحثت لكي ألقى لكم مثلاً
 وقد فضحت بأشعاري طريقتكم
 لكي أنقب عن أوباش جوقتك
 مثل الخنافس أنتم في تزلفكم
 تلتقون لكم في السبك تصدية
 أنتم على دُورنا ناراً لهباً
 همّ الجحيم على من كان مهتدياً
 والأسد تعرف تمثيل العمّاريس
 والنور يُبدي لنا بعض النواميس
 ولبس زينتها تحت القلائيس؟
 لا يعرف الناس إلا في القراطيس
 يرجو نعيماً وظلاً في الفراديس
 والطين مبالغ أحلام المناحيس
 إن النقصود لها دق النواقيس
 أصبحت دونها أشقى محابيس
 كأنكم عبرها مثل المتاريس!
 أنتم ظلام ، وهم مثل الفوانيس!
 وقد قرأت وأعيتني قواميس!
 غاص اليراع بأظلاف الجواميس
 حتى رأيتم خالف الجواسيس
 وكالبعوض علا متن البناقيس
 وتقتنون السجايا بالخلايس
 يا ضيعة الجيل من خزي الحماقيس
 وهم على من طغى مثل الطواويس

ولات حين مناص

(لما قال رجل لعمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه-: إني أعرف فلاناً. فقال عمر معقباً: نعم ، لعلك جاورتَه. قال الرجل: لا. فقال عمر: لعلك صاهرتَه. قال الرجل: لا. فقال عمر: لعلك سافرت معه. قال الرجل: لا. فقال عمر: لعلك أقرضتَه وأقرضك. قال الرجل: لا. فقال عمر: لعلك عاملتَه بالدرهم والدينار. قال الرجل: لا. فقال عمر غاسلاً يديه وفمه من الحوار العقيم والمعرفة المدعاة: أنت لا تعرفه ولا يعرفك ، فقط شاهدت ركوعه وسجوده في المسجد ثم ادّعت معرفتك به! إن هذه الفراسة العمرية لتغيب كثيراً عنا اليوم في الحكم على أناس بالسلب أو بالإيجاب دون الوقوف على المحكات التي يوزنون بها. قال الله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خُدُولاً). عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء: كحامل المسك ، ونافخ الكير. فحامل المسك: إما أن يُحْدِثَكَ ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة). حديث متفق عليه. ومن هنا رحلت أضرب على ذات الوتر! إن هذي القصيدة لتنكأ الجرح ذاته. (ولات حين مناص) تلك العبارة التي هي إفراز من إفرازات الندم على الشيء. أحياناً يتعرف على الإنسان إنسان آخر ، ويتخذُه صديقاً حميماً ، ويسود بينهما الإخلاص ، ويُبلي كل منهما البلاء الحسن في عشرة صاحبه بالمعروف ، فيسعد بذلك الطرفان. وفي أحيان أخرى يتسرع الإنسان ، فيختار صديقاً في ظاهره ، عدواً في باطنه ، وهو لا يدري. فيندم على سوء اختياره أشد الندم. ويتمنى لو لم يكن ذلك الاختيار! ولات ساعة مندم ، لأنه تسرع ولا بد من أن يدفع ثمن تسرعه واستعجاله في اتخاذ زيد أو عمرو صديقاً! ومن هنا فلا بد من أن يُعرض الواحد منهم على المحكات العمرية التي ذكرناها في صدر المقدمة (مجاورة - مصاهرة - سفر - إقراض - معاملة بالدرهم والدينار!) أو ما شابه ذلك. ذلك أن كثيراً من الناس له جلدٌ وصبر على أداء مائة ركعة ، على حين أنه يعز عليه أن يُحمل على التصدق على فقير مسكين بعشرة دنانير! وإذن فلنمحص أصدقاءنا وأصدقائنا قبل أن نتخذهم أصدقاءً وأصدقاء ، قبل أن تحين ساعة الندم ولات حين مناص!)

نَادِمٌ ، وَالدمْعُ أدمى أمنيّاتي	والمنايا أقبلتْ تسببي حياتي
وإذا القلبُ أناختَه الرزايا	وسعى في الروح تضليلُ الوشاة
وانطلى الزورُ على نفس تعاتي	وسرى في العقل تجريحُ الغواة
يسقط الإنسانُ في الأرض سريعاً	ويسود الزيفُ ، حتى في الصلاة
ندمٌ في القلبِ أدمى ناظريه	من أباطيلِ بأفواه الجناة
وكذا في النفس حُزنٌ يحتويها	ثم يحيا في الهنا بعضُ الغتاة
أمزجُ الإحساسَ بالصبر احتساباً	غير أن الصبر أودى بقناتي

كنت أرجو في اصطباري كل خير
حيث لم يرحم عذابي وانتحايي
بات قوتي من عطاء الغير مناً
يا قريضي أين ضاع الصبر مني؟
أيها الشعر كفاني ما أعاني
وهو الباذل ديناً للظواغي
نافق الدنيا ، بما يهذي ويلغو
ليتني لم أتخذ وغداً صديقي
يصبغ الألفاظ بالشهد المصفي
يطفيء النور ، ويسقي الزيف عمداً
يخدع الأقوام ، يسعى في البرايا
ليت شعري ، أبهذا الوصف خلق
صحبوني - فترة - ثم رموني
ندم القلب ، ولكن بعد ماذا؟
آه ، والدمعة حرى في يراعي
وأنا لازلت أحيى في شقائي
وعلى أنات قلبي الوغد يحيا
رب خفف ما ألقى من بلاءٍ

وإذا بالصبر زادت مُعضلاتي
من رمى بالسهم قلبي ، وثباتي
وأعاني الحزن من بين الخداة
لا تسألني أين ضاعت أغنياتي؟
بات غيري من أساطين الدعاة
صار مرفوع اللوا بين الأبياة
وغدا القلب لديه كالصفاة
غادرٌ يلبس جلباب التقاة
ومضلٌ يرتدي ثوب الهداة
ويراه الناس من بين السقاة
زاهداً يشكو البلايا ، كأنعاة
ينفخون الزيف في دنيا الغفاة؟
وغزوا بيتي ، فسحقاً للغزاة
بعد أن عصت ببلاوي شكاتي!
وطيوف الشعر ملئت ذكرياتي!
بعد أن ذابت جميعاً أمنياتي
فمتى يقتص من جلف البغاة؟
وانتقم من كل جبار ، وعات

(القوقعة الدامية)

(إن هذه القوقعة فتاة فاقت العقد الثالث من عمرها. وكان من قدرها أنها ورثت المال الكثير الذي لا تعرف له قدراً ولا مقداراً! فانصرفت عن الحق ، وزاغت فأزاغ الله قلبها ، وبات المال سبباً في إشقائها ، وأصبحت متكبرة متغترسة مغرورة ، فأوغلت في الانصراف نحو شهواتها ونزواتها ، ورأت في العنوسة الخير كله ، وتوهمت أن كل من يقترب منها إنما يريد المال فقط ، وعاشت في الأرض الفساد. واتخذت من العيب طريقاً إلى اللعب بالرجال (أستغفر الله ، بل بأشباه الرجال) ، من أزواج صويحباتها ، تغازل هذا وتلعب بذلك وتواعد سراً بذاك! وذلك أنشأه فيها ودعاها إليه واستعبدها في الانخراط فيه الفراغ القتال! وراحت تجري هنا وهناك تنشد المتعة ، فمن صُقع إلى صُقع ، ومن بقعة إلى بقعة ، ومن ديار إلى ديار ، طلباً للمتعة. واعتقدت في ظل هذه المتاهة أنه ليس وراء الزواج سوى قضاء الوطر! واعتقدت اعتقاداً يقينياً أن كل رجل يرتبط بامرأة على سبيل الزواج منها على كتاب الله وسنة رسوله إنما يريد ذلك الرجل إشباع غريزته فقط. وصدق حافظ إبراهيم حيث قال:

عَفَوا تَعَفْ نَسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيْقُ بِمُسْلِمٍ
إِنَّ الزَّيْنَاءَ دَيْنٌ إِذَا أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ
مَنْ يَزْنِ فِي بَيْتِ بَأْلِفي دَرَهْمٍ فِي بَيْتِهِ يُزْنِي بِغَيْرِ الدَّرَهْمِ
مَنْ يَزْنِ يُزْنِ بِهِ ، وَلَوْ بِجِدَارِهِ إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لِبَيْبَاءَ فَافْهَمْ
يَا هَاتِكَا حُرْمَ الرِّجَالِ وَسَالِكَا طَرِقَ الرِّذَائِلِ عَشْتِ غَيْرِ مُكْرَمِ
لَوْ كُنْتَ حُرّاً مِنْ سَلَالَةِ مَا جِدِ مَا كُنْتَ هَاتِكَا لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ

وظلت الضحية الحمقاء على هذه الحال ، إلى أن أصبحت أشبه بالقوقعة الدامية ، فهي من حيث الظاهر قوقعة لكنها فارغة منقوخة بالهواء في حين أنها من الداخل ممتلئة بالدم المتجلط الذي لا يبعث الحياة لها ، قوقعة كان البحر قد لفظها وطرحها على الشاطئ ، لا خوفاً عليها أو تعظيماً لشأنها - ولكن لأنها قد لفظت أنفاسها الأخيرة ، ولم تعد تنعم بالحياة. فلنتعرف على القواقع: القوقعة في حقيقتها حيوان ذو جسم رخو يكون مغطى دائماً بصدفه حلزونية. وتزحف القوقعة على عضو عضلي يسمى القدم. وفي الرأس توجد الملابس أو المجسات ، والعيون والفم والأسنان الصغيرة. وهناك أكثر من 80 ألف نوع من القواقع. ويكون بعضها أصغر من رأس الدبوس ، بينما يصل طول بعضها الآخر إلى 60 سم. وتعيش القواقع في كل مكان تقريباً ، في الغابات والصحاري والأنهار والبرك وكافة أجزاء المحيط. وتأكُل القواقع أنواعاً عديدة من الغذاء. فالقواقع البرية تتغذى بالنباتات المتعفنة ، بينما تتغذى القواقع التي تعيش في الأنهار والبحيرات بالنباتات المائية والحيوانات الميتة. وتتغذى بعض القواقع البحرية بالأعشاب البحرية ، ويتغذى بعضها الآخر بالحيوانات الميتة. والقليل من القواقع البحرية طفيلية تعيش داخل أجسام نجم البحر أو داخل الحيوانات البحرية الحية التي يطلق عليها المرجان. وقد تعيش القواقع إلى عمر يتراوح بين سنتين وعشرين سنة. ولدى كل القواقع البرية رنات. ويستخدم القواقع البري قدمه العضلية للزحف من مكان لآخر. وتتحرَّك عضلات قدمه باتجاه خلفي متعرج مما يدفعه للأمام. تمثل العديد من القواقع غذاء مهماً للأسماك والطيور والقشريات ، مثل جراد البحر والكركند.

ويرى العديد من الناس أن قواقع الحقائق الحلزونية المعروفة باسم إسكارغت من الأطعمة الشهية. وتحمل بعض قواقع المياه العذبة ديداناً تسبب داء المنشقات أو البلهارسيا. وبعض القواقع تحتوي على السم! ويُستخدم السم لقتل الأسماك والضحايا الأخرى ، إلا أن هذا السم قد يقتل الإنسان أيضاً. ويمكن أن تحمل القواقع البحرية ، التي يأكلها الإنسان ، أمراضاً مثل حمى التيفوئيد والتهاب الكبد ، وذلك إذا أخذت من مياه ملوثة مجاورة لمياه مجاري الصرف الصحي. والبحر لا يحتفل إلا بكل كائن حي محب للحياة. أما الكائنات الميتة فسرعان ما تطفو على السطح وتذهب للشط لتشهد النهاية. وقد صدق الشابي إذ قال يصدق ما أقول: (فلا الأفق يحضن ميت الطيور ولا النحل يقرب عطب الزهر). ولا يشعر بذلك إلا شاعر يحس بالآخرين كما يحس بنفسه ويزيد! وفكرت كثيراً في كتابة قصيدة أهديتها إلى هذه القوقعة ، لكن منعت ذات السبب ، وهو أن تظن القوقعة أنني أبتغي المال على عادة الشعراء المرتزقة. حيث إن الواحد منهم يشيب بمثل هذي ويتغزل في محاسنها ، وإن لم تكن فيها مسكة من الجمال! وإن هو إلا خيال الشعراء في الصنعة ورغبتهم الجامحة في استنزاف المال! ولكنني إن كتبت في هذه المسكينة المفرطة ، فإنني أنتقدها وأعيب عليها سلوكياتها المنحرفة التي لا يقرها عقل ولا تجنح إليها إلا كل ساقطة كاسدة تافهة! وفي النهاية غلبنني يراعي على الكتابة ، فكتبت لها خصوصاً ولكل قوقعة دامية أعرضت عن ذكر الله وما نزل من الحق فقسا قلبها ، وصرفها مالها عن ربها ورسالتها في الحياة ، وكان ذلك المال سبباً في تعاستها! أهدي هذه القصيدة ، آملاً أن تهديها إلى الحق.)

هواء ملء جوفك يا أخية
 فلوذي بالسراب ، وأنت حية!
 ألا تبكين عمراً قد تولى؟
 أغرتك الحياة الجاهلية؟
 عجيب منك هذا ، صدقيني
 وأعجب منه خبيته الغوية
 جمال في حضض اللهو يرسو
 وقد أكلت أنوثتك البهية
 وحسن في سراب الزهو يطفو
 وكبر فيك يذهب بالبقية
 وعاطفة يورجها التجني
 وبيات العجب في دمها سجية
 وإحساس يهدده التشفي
 فلم يعرف ثباتاً ، أو روية
 ويحيا في مصائبه شعور
 وصاحبة الشعور به حفية
 ويسعى في غرائزه شباب
 ويوغل في السراديب الدنية
 وتجري نحو منحرفها فتاة
 ولا تدري متى تأتي المنية
 وتمضي في دروب الشوك عجالى
 وتنظرم من خلال المشربية
 وتلبس من ثياب الوهم ثوباً
 يُجملها ، ويُخفي العجبية

ليجعل للورى فيها شهية
تضمخ في دماء النرجسية
كان لها طيوفاً شاعرية
ليعلم (قيس) زينتها الخفية
وأنت بذك وادعة خلية
لها في العشق فلسفة طرية
فباتت عن مآربها قصية
وتجنى وحدها الثمر الزكية
وتحيا في مطامعها هنية
شقاء الحب عاشقة ثرية
بربك إن هذي جاهلية
فتأتين الأفاعيل الغبية
وتأسره الأراجيف الخوية
وودع كل معنى العاطفية
وما من غاية لك أو قضية
وتفتنها الدروب اللولبية
وأنت بكل منقصة رضية
له نقصاً ، فيالك من ضحية!
قلاك اليوم عز الأدمية
وليس لها شموخ أو هوية

وفوق الثوب عطر من هشيم
وقد تضع اللآلى فوق جيد
وإن نطقت فرمش العين يهذي
وتضرب فوق هذي الأرض تيهياً
تضيع ضحية ، وتموت أخرى
أجل ، والله ما أشقاك أنثى
تحاول أن ترى خلاً وفيهاً
وتزرع في طريق الناس شوكتاً
ويشقى العشق منها ، والضحايا
أما يكفيك من شرّدت منهم؟
أحتالين في إظهار حسن؟
أما يكفيك ما يبدو عياناً؟
وعقلك من ثرى الأطلال يلغو
وقلبك في خرائبه أسير
وروحك في لظى الأنغام نشوى
ونفسك في قرار الدعر بلها
وتحت حذائك الدنيا استكانت
عشقت المال حتى لم تطيق
طغى إفلاسك المغرور حتى
فأنت الآن (قوقعة) تعاني

وتبـرأ منـك حـواء الأبيـة
يُضـل بـكـيـده كـل البـريـة
وكـونـي فـي حـديـثك منـطـيـة
ويُضـحـكـني - لـذا - شـر البـليـة
وإن قـتـلـت فـلـيـس لـهـن دـيـة
وجـمـع المـال لـيـس العـقـريـة
فخـالـي عـنـك هـذـي العـنـتـريـة
فإن الخـطـف مـخـبـثـة رـديـة
وخـالـي عـنـك تـلـك البـنـديـة
وهـل تُجـدي مـع القـدر الرـويـة؟
فهـذـي مـثـل تـلـك أيا عـمـيـة!
وضـلـت غـيـر هـا يـا ذـي الدـعيـة؟
سـيـزهد فـيـك مـن يـبـغـي الحـيـة
أليـس لـديـك فـي الخـيـرات نـيـة؟
فليـسـت تـأتـي مـا جـئـت التـقيـة
ولـيـس هـنـاك فـطـرة يـعـرـبيـة
ولـيـس هـنـاك (حـفـصـة) أو (سـمـيـة)
وعـاش الكـل عـصـر الفـوضـويـة
لقد غـرـتـك عـيـشـتـك النـديـة
تـخـبـي السـر ، لـيـسـت بـالنـسـيـة

وأنتِ اليـوم - فـي الدـنـيا - ضـبابٍ
وأنتِ اليـوم شـيـطـانٌ رـجـيم
رويـدك ، إن حُـسـنـك فـي ذبـول
كفـي هـزلاً ، فـشـطـرُ العـمـر ولى
ألا إن القـواقـع فـي انـحـطـاطٍ
كفـي عـبـثاً ، فأنـتِ اليـوم تـكـالـي
أمـومـثـك انـزوت فـي الفـلـس دـهـراً
وكُفـي خـطـف أزواج الـولايـا
وكُفـي الصـيـد فـي جـيـل بئـيـس
سـيـقتـلك الرـصـاص بـلا تـرو
وكُفـي السـيـر مـن أرض لـأخـرى
تـرـين بـدارك الهـدي المـصـفـي
فتـوبـي ، إن حـسـنـك فـي انـزواعٍ
وإن الله ذو عـفـو ، فتـوبـي
لقد أـردـاك أن لا بـعـضُ تـقـوى
ولـيـس هـنـاك زـجـرٌ أو وـعيـد
ولـيـس هـنـاك خـوفٌ أو ضـمـيرٌ
ولـيـس هـنـاك حـدٌ أو أمـيـرٌ
ألا تخشـين أخـذاً بـالنـواصـي؟!
وذاكـرة أشـد مـن الرواسـي

فكيف اليوم تنسى كل شيء؟
من استطاع الزواج عليه فوراً
فهل أصبحت صخراً أو رماداً؟
ولكن للحديث عُرى وأهل
أليس تود روحك من أليف
ويرفع شأن ضائعة تعاني
أليس يريد قلبك ثغر طفل
ويحمل في العيون بكل حب
ويمالك افتخاراً ، واحتراماً
يغار عليك في عصر المطايا
ويصبح بين كل الناس شهماً
رويديك ، واسم تقيمي أنت أدري
يغار الناس فيك ، وليس مثلي
أراك سألت عنّي بلا حياء
مكانك ، لست منك ، ولست مني
ومثلك كم قوارين تهاتوت!
وقوقعة أراها في أساها
رماها الموج فوق الأرض عزلى
وعاشت دون هدي أو رشاد
وليس المال نافعها ، ولكن

أليست تذكر الآن الوصية؟
سواءً كان فحلاً أو ولية
أليست فيك ملهبة الصبية؟
وأكفء ، وأفئدة سمية
ينير العمر - عمرك - والخلية؟
ويجعل منك مسالمة عليّة
يقبل في الصباح ، وفي العشية؟
ويبسّم كالأزهار الجليّة
ويجعل منك أمّاً عبقرية
ويدرأ عنك أسقاماً شقية
يحب الخير ، والدرب السوية
بماتاتين ، ليست مسرحية
تحيّره البتول البربرية
ورحمت تقيمين الألعية
وإن قالت شفاهي: يا أخية!
كذا كم من قواقع سامرية!
وليس تحس بالمحن القوية
وقدمها لقاتلها هدية
لقد خبثت ، سلوكاً والطوية
هي النفس المخادعة الدنية

أحبيها ، وأختصر التحية
هجوتكِ رغم أنفي ، يا أخت
وأنتِ بما أقدمه حريّة
أما طابّت أماسنا الشّـتية؟
وأخفي عبّرة الأخت النجيلة
فقد ذهبّت لياليك الشّـجية
فأنتِ كريمة لسّت المطيية
وقد ماتت يُنوعتك الفتية
فوفي الوعد ، إن كنت الوفية
وهذي - صدّقي - أحلى معية
ولسّت أريد مالاً أو هدية
وخلي عنك كبر المظهرية
وخفي للأمرور الجوهريّة
لتذهب كل دعوى عنصرية
أكون موحداً أسمي مزية
فبالتوحيد تأتي الأفضلية
وأمنحه الولاء ، والأولوية
حسببتك من صماتك أعجبية!
أراها في الأنعام الجرهمية
ولا مضرية أو أسلمية

جعلت قصدي هذي إليها
فإن السيل قد غطى الروابي
وقدمت النصيحة ، لم أقدح
وسُخب الخير في شعري تناغي
فناجى الله في ثلث أخير
وكفني عن مغاللةٍ ولهو
وخلي عنك أفعال المطايا
وأيام الصبا ذبلت ، وشاخت
وعدت بأن تتوبني ، أين توب؟
رعاك الله إن أخلصت حقاً
وتلك نصيحتي لك ، فاقبلها
خذيها من تجاربي وقابلي
دعي عنك المظاهر ، وانبذيها
لحواءٍ وآدم كل حبي
لمن عبّد المهيم كل خير
رغيم أنف من زهد البرايا
أقدم من يوحد في ولائي
وكم خدثت فيك القلب حتى
وخلق منك لا حصراً ، وليس
ولا قرشية بين الصبايا

يَكِيل المَدْح ، بِل والمَكْرِمِيَّة
تَقُول: اسْتَأْجِر النَفْس الأَبِيَّة
أَلَا فَضْفُضُ المَدْيَنِيَّة
يُجَمِّلُهُ عَفَافُ المَرِيْمِيَّة
لَأَنَّكَ لَيْسَ عِنْدَكَ أَشْعَبِيَّة
وَلَيْسَ عَلَيَّ الفَنُونُ الأَجْنَبِيَّة
فَلَمْ تَجْرُحْكَ سِوَايَ أَوْ رَزِيَّة
يُضِيءُ الرُّوحَ فِي الحَالِ الدُّنْيَا
وَأَرْجِعُ لِلْمُدَمَّاةِ الزَّرِيَّة
أَحْذَرُهَا مَصْصِيرَ الأَكْثَرِيَّة
سِوَى غَزَلِي ، فَيَا لَكَ مِنْ عِيَّة!
وَقَدْ وَلَدْتُكَ لِأَوْهَامِ حَيَّة
تَعَاظِمُ مِنْذُنْ بِرَحِ الرَّمِيَّة
جَحْوَدٌ ، وَانْحِلَالٌ ، وَأَذِيَّة
هِنَاكَ أَدَى وَمَنْ فِي العَطِيَّة
وَتَرْجِعُ عَنِ غُرُورِ القَيْصَرِيَّة
وَتَدْرِكُ نَفْسَهَا قَبْلَ المَنِيَّة؟
خَتَاماً (سَلْمِي) يَا كِسْرِيَّة

وَمَا زَالَ اليِرَاعُ لِكُلِّ فَضْلِي
وَفَاضِلَةُ تَشِيرُ عَلَيَّ أَيْهَا
قَوِيٌّ ، ثُمَّ مَأْمُونٌ لِدِينَا
لَقَدْ عَطَرْتَ هَذَا الشَّعْرَ فَخِرًا
عَلِمْتَ الآنَ كَيْفَ اخْتَرْتَ هَذَا؟
وَعِنْدَ أَبِيكَ قَدْ رُبِّيْتَ حَقًّا
وَلَمْ تَرْمَنْكَ وَجْهًا عَيْنُ إِنْسٍ
وَفِي (القِصَصِ) الكَرِيمَةَ كُنْتَ نَجْمًا
عَلَى مُوسَى السَّلَامِ وَزَوْجِ مُوسَى
لَقَدْ أَطْلَقْتَ لِلذِّكْرِ يِرَاعِي
وَلَكِنْ لَيْسَ تَقْبَلُ مِنْ كَلَامِي
كَأَنَّكَ - فَوْقَ هَذِي الأَرْضِ - أَفْعَى
كَسَّهْمٍ قَدْ أَصَابَ القَوْمَ عَمْدًا
وَلَا حَمْدَ ، وَلَا رُشْدَ ، وَلَكِنْ
وَإِنْ أَعْطَيْتَ فَلأَهْمِ وَأَعْطَى
وَاسْأَلْ: هَلْ تَعُودُ إِلَيَّ صَوَابٌ
وَتَعْتَنِقُ الهُدَى دِينًا وَدُنْيَا
أَمْ الدُّنْيَا طَوَّهَتْهَا ، دُونَ عَوْدٍ؟

في أوراق الماضي

(تزوجها لجمالها فقط ، وكان الرجل الأشيب الطاعن في السن ، وتزوجته لماله رغم شيخوخته تلك ، ولم يكن يعنيه إلا الذي تزوجها من أجله ، وهي كذلك لم تكن ترجو وتأمل سوى الذي تزوجته من أجله ، فلقد أعماها بريق ماله مثلما أعماه بريق جمالها. وبعد سنين شاء الله منهما الولد ، ورزقا طفلتين كالوردتين اليانعتين المفتحتين ، وفجأة لم يتمالك نفسه الكهل عندما لاح له في أفق شهوته الذي كان قد نسج خيوطه بكلتا يديه جمالاً صبية في عمر الزهور كما يقولون. ذلك أنه عاش للذي يشتهيهِ فقط ، وبالرغم من أنه تزوج قبل هذه الجميلة اثنتين من قبل ، لكنها النفس ساعة تستعيد صاحبها ، والأبواب يفتحها الله على مصاريِعها على من ينسى حظاً مما ذكره الله به. جاء في صيد الفوائد بقلم الأستاذ أحمد محمد عبد المنعم عبد الله ما نصه: (معظم الأزواج إلا من رحم الله ، يتخذ زوجته مجرد جسماً يقيم فيه شهوته ، ويتناسى أن هذه الزوجة لها حقوق عليه قبل الواجبات التي عليها. وكأنه متزوج فقط جسماً بلا روح. وحينما يمر الزمن ويذهب جمال هذا الجسم ، نجد الزوج يتناسى الروح ويعيش مع جسم وروح بقلب ميت لا حياة به. فلا حب ولا مشاعر ، بل مجرد حياة روتينية مملة. ونجد بعدها الزوج يفكر في الزواج للمرة الثانية. لأنه يتزوج فقط من أجل الشهوة. وليس من أجل إقامة حياة كاملة متكاملة. يبتغي بها وجه الله ، فيكون الجزاء من جنس العمل. فيجعل الله تعالى في حياته الرضا والسعادة ولكنه تزوج من أجل شهوته. فكانت النتيجة أن جمال الجسم الذي يشتهيهِ ذهب مع الزمن كما هو حال الدنيا. فذهبت العلاقة بأكملها . وأطلق العنان لقلبه الذي لا يشتهي إلا جمال الجسم. قال الله تعالى: (وجعل بينكم مودة ورحمة). أنت أيها الزوج من تقتل هذه المودة والرحمة. فالله جعلها في الزواج فاستثمرها ولا تتركها. وتذكر أن الزواج لا بد أن يكون باختيار صحيح من البداية في الزوج الصالح والزوجة الصالحة. والعفة تكون للعفيف. فإذا كنت قبل الزواج غير عفيف واستغفرت الله على ذنوبك. وطلبت من الله العون أن يجعل هذا الزواج معيناً لك على العفة. فسوف يكرمك الله. ولا تحزن ولا تغضب ولا تسخط إذا ابتلاك الله في زوجتك. فالزوجة الصالحة هبة من الله. والزوجة الأخرى سواء كانت "نكدية" أو أو.. فهذا ابتلاء من الله. المتزوج يتزوج من أجل عمارة الكون. بالذرية التي سوف ينجبها بفضل الله. وأيضاً ليعبد الله في الكون هو ومن هم في رعيته: "الزوجة والأولاد". وأيضاً ليخرج للمجتمع نماذج من الأجيال التي تعبد الله حق عبادته وتتماشى مع تطورات العصر من تكنولوجيا وعلم. وأيضاً لتحقيق نصر الأمة الإسلامية. فالأمة لن تنتصر وفيها زوج غليظ وزوجة نكدية وأبناء يجهلون تعاليم دينهم ولا يطبقون دينهم ويتماشون وراء هؤلاء وهؤلاء الذين لا يريدون إلا فساد أخلاقهم وهزيمة الدين بهم. من يتزوج لمجرد أنه يعف نفسه عن الحرام بالزواج لا نلومه ، ولكن نلومه إذا كان تفكيره أن الزواج فقط مجرد متعة ، ويتناسى أن زوجته إنسانه ولها حقوق عليه. في الحب والحنان والرومانسية والإنفاق والكلمة الطيبة والمتعة. وفي المقابل سيجد زوجة ترضيه وتحضنه وتحتويه وتكون بجواره في كل خطوات حياته. فأحرص على أن تكون هذا الزوج الجميل الذي من صفاته الحسنة ، اقتداءً بالحبیب المصطفى صلى الله عليه وسلم في بعض أخلاقه).هـ. وإذن فهي سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل ، (نعود لقصتنا وقصيدتنا!) ، تزوج الكهل أبو العشرين الرابعة ، فطلبت الثالثة الطلاق ، حيث عاش الزوج للتي تزوجها أخيراً ، مثلما عاش معها من قبل مهملأ الزوجة الثانية في ترتيب الزوجات. فطلق الثالثة بناء على طلبها ، ولكنها بلغت من قسوة القلب مبلغاً لم يبلغه فرعون ولا قارون ولا هامان! حيث نسيت أو تناست طفلتها ، وعاشت للذي تشتهي ، فرحت

أنشدها أن تربي الطفلين لله تعالى الذي لا يضيع ما عنده ، إذ إنهما لا ذنب لهما في الذي حدث. ثم إن الكهل الأشيب لم يكن إرضاء الله بغيته من هذه الزيجات ، كما لم تكن العفة مطمحه من الزوجات اللاتي تزوج منهن. نعم ، ما أريد بزيجة من هذه الزيجات وجه الله ، لنقول أن لإحداهن الحق في الاعتراض على سلوكيات ذلك الزوج. إذ كل منهن وضعت نصب عينيها الدرهم والدينار ، ووضع الرجل نصب عينيه الجمال الأنثوي. فمن أين يأتي حق الاعتراض ، والمسائل شبه محسومة؟ وزواج الواحدة منهن أشبه بالصفقة التجارية؟ حتى ليتمكن القول بأنه كان يشتري الحسنة منهن من أهلها نظير مبلغ من المال مقسوم بين طرفين الأول هو الأهل والثاني هو الزوجة نفسها ، ويضاف إلى ذلك أن الطرف الثاني كان يتدلل ويتعجج ويتبختر على الزوج الثري فيطلب المزيد من الذي يعطيه! ومن فوق ذلك المزيد مزيداً! ومن هنا أتى الربط بين شراء الجمال والحسن والاستمتاع بهما. واستطاع ذلك الثري بثرائه أن يشتري ما يريد بالمال الذي يشتهي ، الجمال وأهله. حتى إذا كانت إحداهن قد أحست بالكارثة يوماً ، فطفقت تقلب أوراق ماضيها ، فأدركت أنها كانت مجرد سلعة أو لعبة روجت وبيعت لمشتريها ليستمتع بها ، ثم ترمى لبيح عن أخرى. ولكن علة إضافية صاحبت هذه الزوجة وكانت ثافية الأثافي كما يقولون ، وهي أن أباه كان كهلاً هو الآخر ، وكان قد اتفق مع العريس الغني الأشيب الكهل أن يزوجه هو الآخر ابنته ، فيكون النكاح شغاراً ، فلا يسمى لأي من الابنتين مهر! وإنما هو البديل (هذه بتلك)! ذلك النكاح الذي كان معروفاً في الجاهلية الأولى ، وحرّمه الإسلام. ثم عاد اليوم عند من يزعمون لأنفسهم أنهم مسلمون! وبعد دخول الكهل بابنة رفيقه الكهل حنث في الوعد ، وتعلل بأن ابنته لم توافق! فأنشدت لها هذه القصيدة مقرأً وعاتباً ومستهجناً ذلك المنهج الآسن المنحرف من جانب ثالث زوجات الكهل المتصابي ، ومادحاً تربية الزوجة الأولى للطفلتين البرينتين ابتغاء وجه الله تعالى. بالرغم من أنهما ابنتا ضررتها! ذلك المعروف الذي فر مدبراً من عالمنا ولم يعقب. إنما هذه الزوجة الأصيلة كانت قد نظرت للطفلتين نظرة بريئة براءة وجهيهما! إذ إنه لا ذنب لهما في الذي حدث. وهذا يعني أن الزوجة الأولى التي احتضنت ابنتا زوجها كانت قد آثرت ما عند الله لكافل اليتيم. ذلك أنهما في حكم اليتيم اللطيم (أي في حكم من مات أبواه). ولم تجعلها حرباً شعواء على من حولها برينين كانوا أو مذنبين. فبارك الله فيها وجعلهما لها ذخراً ، وادّخر لها الأجر عنده سبحانه. ولنعد للعاشقة الولهانة فنقول:

اعشقي من شئت ، مات النعم
 وارجمي بالنعـل مـن يغتـنم
 عربدي في الأرض ، لا تنتبهي
 سوف لا تأسى عليك القـيم
 والهثي خلف الدنيا ، واهزلي
 وابذلي الروح لمن يبتسم
 أنت في الدنيا فصام نكد
 أنت في هذي البرايا صـنم
 أنت حسن في الوري محتظر
 وإذا حـول القـوام الغـنم
 أنت عرض ضائع منتهك
 شـجـه - في العالمين - الـنهم
 وجمال يشرب الطيف هو
 ورضاب تحتويه الحـمـم

وشعورٌ في اللظى لم تحتجب
 والخدين الكهل يسعي قدماً
 وقليبٌ في الحنايا لجبٌ
 وشفاةٌ في أسى نشوتها
 آه ، والنظرة منها شبحٌ
 فوق هذا الوصف كانت سمة
 باعها للمشتهي والذها
 واشتراها المشتهي في شره
 ثم لم يدفع لذاك ابنته
 عجباً كيف الحياة اندحرت
 طاعنٌ في السن يحيى شبقاً
 وترفق بمشيب نهم
 يا أبا العشرين أخبر قلمي
 قد غزاك الشيب ، كن منتبهاً
 كيف تحيا في ثرى أخيلةٍ
 فاطرح الشهوة ، قد ولى الصبا
 أيها الأشيب ، دع عنك الهوى
 اترك الغادة هذي ، والجوى
 ولها في كل يوم موعدٌ
 عشقت يا صاح ، لا تعبأ بها
 واشتهاء الإلف هذا ضرم
 لبيت شعري ، هل تزل القدم؟
 والصدى في جوفه يرتطم
 بدد الإحساس فيها الألم
 إنما حاز الجمال العجم
 نبرات الصوت فيها رخم
 ثم أرغى في جواها العدم
 والأماني والتهماني قسّم
 بدلاً كان الزواج الشبم!
 ثم غاصت في الحضيض الهمم؟
 ارحم النفس ، أيا ذا الهرم!
 بلظى العشق ، براه السأم
 يكتب الأشعار فيك القام
 صاح يوماً يحتويك الندم
 يزرع الأوهام فيها الصمم؟
 وأجنبي ، فم هذا الهمم؟
 لك في كل المخازي رقم
 عشقها - في قلبها - يضطرم
 ولها في كل ليل زلم
 وارمها ، كم في هواها رمم!

فلمَ إذا - الـيوم لا تنـتقم؟
بعد عشق للهوى يا تهم؟
وإذا الـدمع إبـساء ودم؟!
زمجرت في ناظريك الـنقم
خربت بيتاً ، وغاض الـرحم
أرجحتها في هواها (نعم)
غمّة زالت ، وغار الـسقم
وتلقاهما الـأسى ، والظلم
إن خطب العشق - حقاً - عمّ
وغزت جوف الفؤاد الـتهم
ولها في الكيد سُوم وفم
ساعة خانت ، وضاعت ذمم
أنبت الإحساس فيها الـكرم
بين أهل الحى هذا علم
يا ابنة الأعراب أنت الـحرم
صمتها الفياض نعم الكلام!
وحلاها - في البرايا - تمم
وصداها - في الصبايا - رخم
ويحار - في مداها - الفهم
حبذا - يا (حمّذ) - هذي السيم!

وكوى العشاق فيها حسنها
كيف يحاو ، يا صديقي فمها
أذا طلقتها تبكي أسى
ارحم القلب أيا (قيس) الهوى
ثم (ليلى) في هواها تنتشي
كم تسالت برجال خدعوا!
طلقت في التو ، قالت: مرحباً
لم تسأل في طفلتها أبداً
خيم الشيطان في عالمها
وقسا القلب العقيب ، وانزوى
وإذا الأفعى تحلى جحرها
حسناها في كل عين لقمة
ثم ربّث طفلتها غادة
زينة النسوان ، يكفى أنها
أحصنت فرجاً ، وكانت مثلاً
وإذا قالت ، فليست تفتري
حسناها خاف ، فليست سلعة
تكره الـذل ، ونار ظلمها
تمقت الجور ، وإن كان الردى
صبرت صبراً ، على زير النساء

كابدت في العيش ، عانت كربها
صَدَقْتُ فِي الْخُبِّ دَهْرًا ، وَالْوَفَا
ثُمَّ طَالَ اللَّيْلُ ، يَا أَسْرَتِي
أَحْسِنِي لِلطَّفَاتِينَ ، وَأَصْبِرِي
أَنْتِ فَوْقَ الْغَلِّ هَذَا ، فَاصْمَدِي
لَا تَقُولِي: طَفَلَتَا مَنْ عَشَقْتُ
فَاعْمَلِي لِّلَّهِ ، لَا تَرْمِيهِمَا
أَحْسِنِي ، فَالِدَهْرُ هَذَا دَوْلٌ
وَلَعَلَّ الدَّهْرَ يُبَالِي غَادَةَ
قَدْ يُعَادِيكَ (سُـهَيْل) أَوْ (مُنَى)
مِثْلَمَا رَبَّيْتُ - قَبْلَ - غَيْرَهُمْ
فَكَذَا رَبَّيْتُ الْفَتَاتَيْنِ ، وَلَا
وَأَذْكُرِي عَهْدًا تَوَلَّى بَيْنَنَا
وَاحْذِرِي مَنْ ظَلَمَ طِفْلًا ، وَارْفَقِي
وَاقْبَلِي مِنْ قَصِيدِي ، وَالصَّادِي
مِنْ أَمَانَةِ الرَّحْمَنِ أَنْ سَطَّرْتَهُ
(حَمْدٌ) فَادْعِي اللَّهَ لِي ، لَا تَكْسَلِي

لا تطيق الصبرَ هذا الأمام
ثم سادات بعد عز سؤدم
ليلٌ كيدٍ ، ليس فيه السلم
لا يعاجلك الخطا ، واللمم
أنت بذل - في الدنا - محترم
رجلني ، والعشيق لا ينكتم
إنها ضانت ، وأنت الكرم
عند (حمد) من بنات حزم
ويجزيها بما ينم تقم
ثم لا يقريك إلا اليتم
وعطاء (الحمم) فيهم علم
تذكرني الضرة ، أنت السلم
إن بالتمم ذكارتهم في الغمم
إن عقيب الظلم حقاً ندم
وعلى تغريدتي يختتم
وبه إخلاصنا ينسجم
إنني ضيفاً ، وأنت الرحم

وحمزة لا بواكي له

(إن كون الحرب سجالاً في أحد ليعطينا دروساً عظيمة الوقع في العقيدة والتوحيد ، يقول الله عز وجل: (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل: هو من عند أنفسكم. إن الله على كل شيء قدير. وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيأذن الله. وليعلم المؤمنون ، وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون). وهذا في اعتقادي خير ما أقدم به لهذه القصيدة العصماء التي رثيت فيها عم نبينا الحمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه. حيث إنه في غزوة أحد عاد الكل يبكي وينتحب ، ونظر النبي - صلى الله عليه وسلم - فوجد النسوة يبكين ذويهن ، بينما حمزة لا يبكيه أحد فبكاه النبي - صلى الله عليه وسلم - بنفسه وأمر النسوة أن يبكينه. عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين انصرف على بني عبد الأشهل فإذا نساؤهم يبكين على قتلاهم ، وكان استمر القتل فيهم يومئذ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لكن حمزة لا بواكي له ، قال: فأمر سعد بن معاذ نساء بني ساعدة أن يبكين عند باب المسجد على حمزة فجعلت عائشة تبكي معهن ، فنام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاستيقظ عند المغرب ، فصلى المغرب ثم نام ونحن نبكي ، فاستيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعشاء الآخرة ، فصلى العشاء ثم نام ونحن نبكي ، فاستيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن نبكي ، فقال : ألا أراهن يبكين حتى الآن ، مروهن فليرجعن ، ثم دعا لهن ولأزواجهن ولأولادهن). وفي رواية أخرى: قال محمد بن عمر: ونزل في قبر حمزة أبو بكر وعمر وعلي والزبير ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالس على حفرتة وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (رأيت الملائكة تغسل حمزة لأنه كان جنباً ذلك اليوم). وكان حمزة أول من صلى رسول الله عليه ذلك اليوم من الشهداء وكبر عليه أربعاً ، ثم جمع إليه الشهداء فكلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة ، فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة ، وسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) البكاء في بني عبد الأشهل على قتلاهم فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لكن حمزة لا بواكي له فسمع ذلك سعد بن معاذ فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل ، فساقهن إلى باب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبكين على حمزة ، فسمع ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدعا لهن وردهن ، فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميت إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت على ميتها. واليوم لا يبكي على الحنيفة السمحة أحد ، اللهم إلا النفر القليل من الناس. ألا فليبكها كل موحدٍ قانتٍ ، يرتقب نصرها صباح مساء ، بينما يبكي الكثيرون على بطونهم ودنانيرهم ومتاعهم وفرص حياتهم ، وينتحب الأقلون على دماء الحنيفة.)

لقد بكت النساء رجالهنه
وحمزة ببات تبكيه الأسنة
أرى أسداً تضرج في دماء
لرؤيته لقد تأسى الأجنة
بكاه المصطفى بالدمع حيناً
وكانت فتنة تغتو لفتنة
ودمغ نبينا غال علينا
وموت الأسد في الميدان محنة
وحمزة في القلوب له مكان
وقد غفرت خطيئته بطعنة
وأمسى سيد الشهداء حقاً
وصارت بعده للخالق سنة

وكم أودت بقلب المرء إحناة!
 وكم نصب الأعادي من أكناة!
 تواجهه الدغاول والأعناة
 وتلحق غيرهم في الكون لعناة
 يقدم كل وادٍ منه حفناة
 ونصرُ الله يأتي منة منة
 ويُردع كل طاغوت وقيناة
 ولن تلقى لذي الأصنام رناة
 تصورنا به خُمق وجناة
 أيأتي الفتح غضاً فوق جفناة؟
 وقد كانت لدين الله جناة
 ونصنع من سراب الخذل شحنة
 ولم نغسل بماء التوب سحنة
 وقد زالت عن السلم الدجناة
 وأزكى الله في القلبين فطنة
 ويوماً يدخل الأصحاب جناة
 وأزهق نسوة ، ورجالهنه
 وخأفف نسوة ، ربي لهنه
 وكفّر زللة بدرت وهناة
 وخمشت الفؤاد جراح فند
 وكم عانت حنيقتنا عذاباً!
 ويبقى الدين في الدنيا غريباً
 وأنصار الحنيفة في عناء
 وحتماً للحنيفة كم ضحايا!
 تعيد الحق منصوراً عزيزاً
 ويوماً سوف تنقشع المخازي
 ويُدحر كل شيطان رجيم
 قريبٌ نصر مولانا ، ولكن
 ولو كنا الأعززة ما اتكنا
 دماء الصبح نزهقها جهاراً
 ونحن اليوم نشربها عياناً
 وقد تاب الجناة ، وما أنبنا
 ومن قتل الشهيد أتته تقوى!
 فهندٌ أسلمت ، وكذا (ابن حرب)
 ثلاثتهم صحابة من هنادنا
 وكم أبلى (ابن حرب) في جهاد
 وحمزة في جان الخلد يحيا
 إلهي فارض عن بطل شهيد

جريدة الوحدة العربية - بتاريخ 16 / 3 / 1996م

الأمل الكئيب

(لا بد من أن يوفق أهل الحق أن الله ناصر هذا الحق ، طال الزمان أو قصر. إن قصيدة (الأمل الكئيب) تعالج هذه القضية. أما لماذا (الكئيب) فالجواب هو أن كآبة الأمل ناشئة من شيئين: فأما الأول فهو ما يقوم الشيطان بإلقائه في أمنيّة كل إنسان ذي أمل. وأما الثاني فهو استعجال النصر أو استبطاؤه لدرجة اليأس أحياناً. إن قولنا فلان حزين ومكتئب يفيد غلظ الهم وضخامة الكآبة ، وقولنا البث يفيد أنه ينبث ولا ينكتم من قول العرب أبثته ما عندي وبثته إذا أعلمته إياه! وأصل الكلمة كثرة التفريق! ومنه قوله تعالى: {كالفراس المبتوث} وقوله تعالى: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}. فعطف البث على الحزن لما بينهما من الفرق في المعنى. إن الحسرة في حقيقتها غم يتجدد لفوت فائدة ما ، فليس كل غم حسرة. وأما الأسف فهو حسرة معها غضب أو غيظ وغضب! وأنا لنبصر بالغضبان المتلهف على الشيء لا يكاد يهدأ حتى يتحقق له مراده. ثم كثر ذلك الاستعمال حتى جاء في معنى الغضب وحده في قوله تعالى: {فلما آسفونا انتقمنا منهم} أي أغضبونا. واستعمال الغضب في صفات الله تعالى مجاز ، وحقيقته إيجاب العقاب للمغضوب عليه. والمسلم يجب أن لا يفقد الأمل في ربه ، بل عليه أن يحسن الظن بالله! قال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ؟ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ؟ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (*) (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ؟ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ؟ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ؟ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (*) (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ؟ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (*) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (*) بَلِ إِذْ أَرَاكَ عَالِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلَّ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلَّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ.) أتناول في قصيدتي (الأمل الكئيب) الأمل الذي تحتوشه شياطين الإنس والجن ، حتى يُصبح باهتاً هزياً في قلب صاحبه في فترات ضعف الإيمان وغلبة الهواجس والوساوس ونزغات الشياطين وهمزاتها. إن المسلم الموحد يؤمن بالله الحكيم الخبير الذي يدبر كل شيء بحكمة وتقدير (إنا كل شيء خلقناه بقدر). طال عليّ كشاعر ليل القهر ، واحلولت الحال ولم يكن أمام القلب إلا التعلق بما عند ربي ، حيث اكفهر العزم وانتفش الخطب واشحوب الأمل بين ناظري. وكل رأس مالي الثقة في الله ، واليقين في موعود الله ، فرحتُ أحاطب أزمتي وأقول لها: اشتدي الأزمة تنفرجي!

إذا الحق يوماً علتَه الخطوبُ فثق أنه سوف يغدو المهيبُ
 وإن الحنيفة لا تختفي فقط يعتريه سرابُ الشحوب
 يعز عليها بكاءُ الهُدى ويقسو عليها انفعالُ القلوب
 حنيفةً قراطيسها ويفهم - ماذا أقول - اللبيب
 وحبز الحنيفة في سيفه ويذبحها في العيان الرقيب
 وحامي الحنيفة أمسى لها خووناً أكولاً فظيعَ النيوب
 وطال على الحق هذا الكرى وتلفحه في الأتنام الخطوب

وأسأل أين العدالة من أين النماء؟ وأين الرخاء؟
 وعانى الإخاء ، وعانى الإبا حنائك يا أملاً في النهى
 وإن يراعي بـراه الأسي قد اشحوب الأمل المرتجى
 ويقطع في الروح أن لا أخ يزود عن المرء في محنة
 يعيد إلى القلب عهد الصبا يحسن الفؤاد لإقباله
 حلّم إذا القلب يوماً شكى وحتى يحين به الملتقى
 ومهما تعالي صياح الشقا سيغلب حق السماء الدنا
 وإنني إذا ضاق أمري فلي سينتصر الخير ، كن واثقاً
 ومهما علا باطل في الدنا فيوماً سيمحى ، فكن موقناً

عذاب يُعشّي الحياة عصب؟ وقد عرقل الحق قحط جديب
 فأين الرجال لتلك الخطوب؟ ورفقاً بقلب أسيفٍ أريب!
 وأغلت الشمس في الغروب وطالت على القلب أعتى كرب
 لطيف العزاء أنيس ربيب وإن بعُد الأهل كان القريب
 ويطرح هزل الحياة الرتيب وإن مرض القلب كان الطبيب
 وإن ملت النفس كان الحبيب إليه سلام الفؤاد العطيب
 وزالت ندوب ، وجدّت ندوب وينتصر المؤمن المسـتجيب
 برب السماء رجلاً لا يخيب أيا صادقاً في الجميع الكذوب
 وأغرق بالموبقات الدروب بنصر الإله القريب المجيب

جريدة الوحدة العربية في 25 / 3 / 1996م

لا تنبشي يا أختاه دموعي

(تزوجا على حب في الله كبير. وكانا سبباً في إسعاد العائلتين. وكان جزاء معروفهما الإساءة من كلا الطرفين. فطالبتها بأن لا تبالي بهم ، إذ إنها وزوجها قد قدما الخير لكل ابتغاء وجه الله – تعالى .- فإذا كان الأهلون ليسوا بأهل للمعروف والخير ، فإن الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة. وإذا لم يشكر الناس معروف زيد فإن الله يجزي على الإحسان إحساناً ، ويشكر لمن فعل الخير ابتغاء مرضاته. فطفقت هذه الزوجة المسكينة تسأل زوجها وتجادله وتشتكي إلى الله – عز وجل - ، وتقول: لماذا هذه الروح المنكرة للمعروف؟ ولماذا هذه الطبيعة التنكرية للإحسان؟ فقلت: المرء يعمل مع الله ويبتغي ما عنده ، فلا ينبغي له أبداً أن يحزن أو يقول: لم يعترف الناس بجميلتي عليهم وإحسانتي إليهم. أقول: إن هم أخطأوا بعدم اعترافهم بالجميل ، فإن هذا لا يعني إحباط العمل عند الله بالمن على الناس! يقول الأستاذ بسام عودة عن نكران الجميل والمعروف ما نصه بتصريف: (إن الإنسان سيؤدي إلى الآخرين بعض ما يحتاجون إليه ، كما إنه سيأخذ منهم بعض ما يحتاج إليه. وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الاعتراف بالجميل ، وعدم نكرانه. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أُعطيَ عطاءً فوجد فليجز به ، ومن لم يجد فليثن ، فإن من أتى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بما لم يُعطه كان كلابس ثوبي زور". أما أن يحسن الآخرون إلى أحدنا فلا يجدون إلا نكراناً ، فهذا دليل على خسة النفس وحقارتها. إذ النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران! بل إنها على الدوام وفيّة معترفة لذوي الفضل بالفضل. فحين لا يقر الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه ، سواء من الله أو من المخلوقين فهو منكر للجميل جاحد للنعمة. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك). [رواه الترمذي]. ومن ثمرات صناعة المعروف:-

- 1- صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا والآخرة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة). [رواه ابن ماجه]. وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو أمامة: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب). [رواه الطبراني]
- 2- دخول الجنة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف). [رواه الطبراني]
- 3- مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب وأهوال الآخرة. عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلتق الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا. قالوا: تذكّر ، قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن يُنظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر ، قال: قال الله: عز وجل تجوزوا عنه). وفي رواية عند مسلم (فقال الله أنا أحق بذا منك ، تجاوزوا عن عدي). هذا ، ومن ثمرات نكران المعروف:-

- 1- نكران الجميل سببٌ لدخول النار. – فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أريت النارَ فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن". قيل: أيكفرن بالله؟ قال: "يكفرن العشير ويكفرن الإحسان! لو أحسنتُ إلى إحداهنَّ الدهر ، ثم رأيتُ منك شيئاً قالت: ما رأيتُ منك خيراً قط". 2- نكران الجميل سبب العقوبة وزوال النعم. قال الأصمعي رحمه الله: سمعت أعرابياً يقول: أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف.
- 3- نكران الجميل سبب لهجر أحبائك لك بل والناس تنفر منك. 4- نكران الجميل سبب لمرض القلب الحسي والمعنوي . ومن آداب صناعة المعروف:- 1- شكر الله عز وجل أولاً ، إذ هو المنعم الحقيقي. قال الله تعالى: {يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}. 2- شكر صاحب المعروف. فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله). [رواه الترمذي] 2- أن يقبل المعروف الذي أسدي إليه. فعن خالد بن عدي الجهني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بلغه معروف عن أخيه

من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه) هـ . ثم إنني أزيد الأمر وضوحاً فأقول: (إذا كان هذا سمت كثير من الناس مع ربهم تبارك وتعالى ، فلم التعجب من حاله مع بعضهم البعض؟) ألم نطالع: (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) ، (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره) كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون؟) وإذن فلا عجب ولا غرابة!

الدمعُ يحكي الذي في القلب من شجن
لا تنبشي الدمع ، هزّ الدمع عاطفتي
كفي بكاءً على الأطلال ، واصطبري
دعي الفريقين كلاً في مزاعمه
وفندي للورى ما حيك من شُبّه
لا تجعلى اليأس يسري في عزائمنا
لنبدل اليوم ، فالتسويف قاتلنا
هم أحدثوا فجوة كبرى تهددنا
فهل نفيق من التضبيع جنادلنا
إن الفريقين كلاً صاغ مازقتنا
تقاسموا الدّور كلّ شدة منزره
كنا ضحية ما شادوه من نقم
حتى غدونا لكل الناس موعظة
ولا اعتذار يُواري قبح من خذلوا
فحسبنا الله يا أختاه ما طلعت

ويستجيش الذي في الروح من محن
وأزلفح الجوى في السر والعلن
حتى نواجه ما نلقاه من فتن
فما لأيهما - والله - من منن
وقشقشي ما افتري اللوام من دخن
واليأس يُزكي الذي في النفس من إحن
وليس أسرع من تعاقب الزمن
وعلوننا بقيل طيب مرن
حتى غدونا بثوب منه مُمتهن؟
فكل حزب له باع من الغبن
بنيّة خبثت ومقصود عفن
وكل ريح تخط السير للسفن
خضنا الغمار بلا مال ولا وطن
ولا نكوص عن الإحفاف والوهن
شمس ، وشقسق عصفور على فنن!

تحية للشاعر / كامل أمين

(في السنة الثالثة من دراستي للأدب الإنجليزي ، في كلية الآداب بجامعة المنصورة وذلك عام 1984م ، وكان الدكتور حلمي بدير أستاذ الأدب المقارن بالكلية قد أحالنا إلى ملحمة عين جالوت للشاعر الجهد كامل أمين ، في محاولة من الدكتور لوضع مقارنة بين الشعر الملحمي أو ما يعرف بشعر البطولة في الآداب العالمية (العربي والفرنسي والإنجليزي) لأن يجعلنا كطلاب نضع أصابعنا على مواطن الخلاف والاختلاف والتفاوت بين الآداب العالمية ، لا أن تكون المسألة على طابعها التقليدي الذي يقدم فيه الأستاذ المعلومة للطالب جاهزة ، أو ما يعرف في الغرب اليوم بالتعليم القائم على الترضيع! كالألم التي ترضع طفلها ، فهي تلقمها ثديها فقط ، ويتولى هو بفطرة الله سحب الحليب ومصه! لم يكن الدكتور حلمي بدير ليفعل ذلك بنا. أما كامل أمين في سطور: فهو شاعر الملاحم الإسلامية العملاق عاش "88 عاما". ولد كامل أمين في طنطا في 5 يوليو 1915م. عاش حياته في ملحمة موصولة الحلقات ، بارزة السمات منذ كان جده والده الحاج إسماعيل "عكاما" أي جمالا للمحمل المصري في زمن الخديوي إسماعيل ، وحتى لحوقه بالرفيق الأعلى مروراً بتمرده على هذا الواقع المفعم بالصعاب ، ورميه بنفسه في أتون الجهاد على أرض فلسطين الباسلة. صدر له أيضاً: - ديوان "نشيد الخلود" - "ملحمة السماوات السبع" - "المشاعل" - "الملحمة المحمدية" - "عندما يحرقون الشجر" - "مصباح في الضباب" - "النور الأخضر" - "ملحمة عين جالوت" - "ملحمة القادسية" "مسرحية إخناتون". اشترك مع متطوعين بكلية الحقوق ضد العدوان الثلاثي عام 1956م. يقول عنه الدكتور حلمي القاعود ما نصه بتصريف: (قبل ربع قرن تقريباً ، رأيت رجلاً أبيض الشعر ، متواضع الهيئة ، يدخل مكتب رئيس التحرير لإحدى المجالات الأدبية ، ويتحدث حول أعماله الشعرية ، وقصائده التي يرشحها للنشر ، عرفت أن الرجل هو الشاعر (كامل أمين) ، كان له موقف من الحياة والمجتمع ، يقوم على التصور الإسلامي ، ويرفض التصورات العلمانية والماركسية التي كانت سائدة في الواقع الثقافي آنذ ، وهو ما جعل القوم المهيمين على الصفحات الأدبية في الصحف والمنابر الثقافية ودور النشر الرسمية ، يقفون منه موقفاً سلبياً ، ويرفضون نشر إنتاجه الشعري والأدبي. وفي مرحلة تالية ، أتيح له أن يجد فرصة مناسبة لنشر بعض أعماله ، سواء في الصحف أو المجالات أو دور النشر الرسمية ، ولكن عودة الماركسيين والعلمانيين إلى الهيمنة مرة أخرى حجبته عن القراء وعن الساحة الأدبية بصورة شبه كاملة! وقبيل وفاته في الأسابيع الماضية اشتد به المرض ، فتوسطت له كاتبة إسلامية عند بعض ذوي النفوذ من مثقفي السلطة وكتابها كي يُعالج لدى المستشفيات المتخصصة على نفقة الدولة ، ووعده هؤلاء بعلاجه ، ولكن مرّ الوقت ، والمرض يرعى جسد الشاعر المسن الفقير ، وتجاهل ذوو النفوذ من مثقفي السلطة وكتابها أمر الرجل ، حتى قضى نحبه ، دون أن تكلف الصحف الرسمية وغير الرسمية نفسها عناء نشر خبر في سطرين عنه ، ولم تستطع أسرته أن تنشر نعيّاً له! وبالطبع لم يكتب أحد عنه شيئاً ، لا مقالاً ، ولا تحقيقاً ولا متابعة ، مما يحظى به صغار الأدباء اليساريين والعلمانيين ، عندما يصابون بالكحة أو الأنفلونزا! وسمعت أن الكاتبة الإسلامية التي توسطت من أجل علاج شاعرنا الراحل ، أعادت الكرة مرة أخرى من أجل نشر إنتاجه الشعري والأدبي الضخم ، ولكن القوم لن يسمعوا لها لسبب بسيط جداً ، وهو أن كامل أمين "ليس يسارياً ولا علمانياً" ، وقبل ذلك وبعده ، فهو يعبر عن تصور إسلامي يرفضه اليساريون والعلمانيون أجمعون!) -هـ. أعود إلى كامل أمين الشاعر فأقول: المهم أنني انطلقت إلى المكتبة الجامعية والأيوبية ومكتبة الجامعة ومكتبة

الشامي بالمنصورة لأشتري ملحمة عين جالوت لكامل أمين. فلم أجدها ، فالتمستها في الدار القومية للطباعة والنشر في أول السكة الجديدة بالمنصورة ، وما هو إلا أن وجدتھا ، فطالعتها في أسبوعين ، على طول صفحاتها فقلت: والله إن هذا الشاعر يستحق مني تحية على هذا الجهد العظيم. فكانت هذه القصيدة ترجمة لشعوري الذي تولد بعد قراءة ملحمة عين جالوت! رحم الله الشاعر كامل أمين وأدخله الجنة!

يَا مُبْهَجَ الْأَبَابِ وَالْأَسْمَاعِ وَمُطَهَّـمِ الْأَلْفِظِ بِالْإِبْدَاعِ
يَا صَانِعاً زَبَدِ الْقَرِيضِ صِيَاغَةَ أَزْرَتْ بِكُلِّ حَذَاقَةِ الصَّنَاعِ
يَا شَاعِراً صَحْبِ الْقَرِيضِ يِرَاعُهُ فِي رِحَالِهِ مَوْفُورَةَ الْإِمْتَاعِ
أُبْحَرْتُ فِي بَحْرِ الْقَصِيدِ مُشْمِراً عَنِ سَاعِدٍ قَدْ فَاقَ كُلَّ شِرَاعِ
أَهْدِي إِلَيْكَ تَحِيَّةَ شِعْرِيَّةِ قَدْ صَاغَهَا بَسْنَا الْوَدَادِ يِرَاعِي
فِي (عَيْنِ جَالُوتِ) رَصَدْتِ وَقَائِعاً مَصْبُوغَةً بَعْدُوبِيَّةِ الْإِيقَاعِ
هَذَا الْمَلْحَمُ رُصِّعَتْ بِحَقَائِقِ إِنْ التَّمَّاسِ الْحَقِّ خَيْرَ طِبَاعِ
أَبْيَاتِهَا عَشْرُونَ أَلْفاً زِينَتْ بِبِرَاعَةِ التَّصْوِيرِ وَالْأَسْجَاعِ
كَمُلِ الَّذِي قَدْ صَاغَهُنَ مَوَاهِبَا فَابْنُ الْأَمِينِ بِشِعْرِ (يَعْرَبِ) وَاعِ
وَأَمَانَةَ التَّأْلِيفِ سَمَتْ نِتَاجَهُ إِذْ إِنَّهُ لَهُدَى الْحَنِيفِيَّةِ دَاعِ
تَارِيخِ مَصْرَ يُصَاغُ شِعْراً نَيْراً وَيَصُورُ الْفَرَسَانَ مِثْلَ سِبَاعِ
وَتَرَى الْقُصُورَ بِهَا الْجَوَارِي وَالْمَلَا وَتَرَى عَلَى الْأَصْقَاعِ بَعْضَ قِلَاعِ
وَالْبَيْضِ فِي أَيْدِي صُقُورِ الْأَرْضِ لَا تَدَعِ الْفِرَاعِينَ غَيْرَ سَقَطِ مَتَاعِ
وَالخَيْلِ فِي الْهَيْجَا يُزْجَرُ ضَبْحُهَا كَمَا يَفْتَحُ الْإِسْلَامُ بَعْضَ بَقَاعِ
مَنْ عَصَرَ فِرْعَوْنَ إِلَى قَطْرِ الْهُدَى بِيِرَاعِ صَدَقِ لَيْسَ بِالْخِدَاعِ
حِيناً يَبْشُرُ بَانْتِصَارِ رَائِعِ وَتَرَاهُ حِيناً مُبْكَيَ الْأَسْمَاعِ

من وحي الطبيعة

(الطبيعة وما أدراك ما الطبيعة. تلك التي أخذت عقول وقلوب وأقلام الشعراء ، وسبت مشاعر وعواطف وأحاسيس الأدباء والكتاب على مرّ العصور وكرّها. والتي استقى منها كثير من الشعراء صورهم وإباعاتهم وإبداعاتهم. وكنتُ أعجب بها صغيراً ، منذ عشت في (كفر سليمان البحري) وهي إحدى أعمال محافظة (دمياط) ، وتقع على نيل مصر العظيم الذي هو من أنهار الجنة وأطول أنهار الدنيا! كما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم -. عشت في هذه القرية الدمياطية بعض سني طفولتي مهاجراً ، نزح مع عائلته طفلاً من بورسعيد مسقط رأسي. على حين كان انتمائي لأبي وجدي لأبي للصعيد وبالتحديد سوهاج – الكولة – مركز أحميم ، وانتمائي لأمي لمركز دكرنس – المنصورة – الدقهلية. يعني ليس لدمياط سوى المقام حيث أقيم أبي ، وانتقل أبي والأسرة إلى كفر سعد التي هي على مقربة من كفر سليمان البحري سنة 1975م ، وكنت في الصف السادس الابتدائي. فلم يشأ الله لي قط أن أحرم من الطبيعة الخلابة. حيث القرى المزروعة من حولنا في كفر سعد (التوفيقيّة – كفر سعد البلد – العباسية – المحمدية – الفؤادية – كفر البطيخ – رأس الخليج – كفر شحاته – السوالم – البساتين). كما أنني تعلمت ودرست في الجامعة بالمنصورة في كلية الآداب. واستمتعت بالطبيعة طفلاً وشاباً وطالماً جامعياً. وتعلقت بالطبيعة الأسرة الساحرة. وطبعت بصماتها على خيالي وذكرياتي وأشعاري التي كتبتها وتدوّقتها صغيراً. وكنت أستعذب التذكّر في المزارع ، وذلك عبر سنوات التحصيل المدرسي والمذاكرة في السنوات الثلاثة الثانوية. وذات يوم جلست أحتسي شراباً بارداً ، ونظرت إلى صفحة كون الخالق المبدع القدير من حولي ، وأخذت أقرأ في كتاب الطبيعة المخلوقة من حولي ، وطالعت الطيور والزهور ، والورود والنسيم ، والبحر والشمس ، فقلت في نفسي: سبحان ربي الخالق العظيم ، الذي خلق هذه الأكوان والأطيّار والأزاهير. إن الكون كتاب مفتوح يطل الموحد من خلاله على قدرة الله تعالى ، سبحان ربي العظيم الخالق القدير الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فكانت هذه القصيدة ثمرة هذه الجلسة. فبعد مطالعة القرآن الذي هو كتاب الله المقروء ، طالعت الطبيعة التي هي كتاب الله المنظور المشهود! وبالربط بين قراءة هنا وأخرى هناك أنشدت أقول:)

الطيْرُ في جو السماء يلى الشفقُ والنور ساج في يواقيت الأفقُ
والعطرُ في الأجواء فواح الشذى والزهر يضحك ، يُرسل الأريج العبق
والوردُ محبوبُ السريرة باسمًا تزهبه الأغصان ، نعم المرتفق!
وربيعُ أيام الحياة متوجّجُ تاج الوقار يسُدّ أماد الشفق
أما النسيمُ ففارسٌ يحمي الحمى ويُريل من دنيا السقيم أسى الأرق
والشمسُ ناعمةُ المُحيا والسنا وشعاعها في كل صُقع ينطلق
والبحرُ كالأسد الهصور مزجراً والموجُ يعدو ، ثم يُضنيه العرق
والليلُ كالضيف الأريب على الدنا فرش العباءة في تيّات الطرق

أما النهار فشاعرٌ ذو ثورةٍ
وعقارب الأوهام تلسع جلده
وأرى الضباب على التراب معذباً
أما السحاب فزورق متأرجح
والطل من بعج الجبين مغررٌ
مطر الحياة على الفؤاد كما السنا
وهواء هذا الكون عذب سائغ
وأديم هذي الأرض كالنجم خبا
هذي الطبيعة ، والمُهيمن خالقٌ
والكون مربوبٌ له ولأمره
الله أكبر ريا طبيعة كبرى
ويراعي المسكين يقصُر حبره
وأريج شعري في جمالك قد سرى
ولهيبُ أشرعتي تلجج في الثرى
ومدادُ نظمي فوق قرطاسي غفا
وعبادة الكلمات خجلى تنثني
رفقاً أيا هذي الطبيعة ، إن لي

يبكي الفضيلة في السراب ، ويختنق
مسكينٌ يا هذا النهار المحترق!
وثعالبُ الإجمام تجري تستبق
في التية أردثه المصائب والرهبق
بالحزن ، لم ينطق بشيءٍ من رمق
وعلى تراب الأرض يسطع كالورق
كحريق زهر يمانع لا يفترق
من ذا رماه بعلةٍ فس يحترق
سبحان ربك ، بعد خلق قد رزق
فالكمل يملك أمره رب الفلق
لا يحتويك اليوم شعري في الورق
واللفظ يعجز أصله والمختلق
وعبيرُ أخيلتي ببحرك قد غرق
وشعاع تجربتي تدثر في الخرق
ورمادُ أسناتني يعرقله الغسق
ولهات صوتي في البيادي ينطلق
- في الشعر - أحياناً تُشبخ وتنطق

جريدة الوحدة العربية 4 إبريل 1996م

تماسيح الظلام

(روى مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يُقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء). واتفق مسلم والبخاري على حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن الله ليُملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته ، ثم تلا: "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة. إن أخذه أليم شديد"). وروى البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئٍ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته. وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه). وعموماً المواجهة في المواقف مرة وشاقة ومكلفة ، ولكنها مريحة جداً لكل من الطرفين. وليت كل طاعن غادر أثيم يطعن في الظلام ، ليته يكف عن طعنه ونيله من الآخرين بغير حق! فإن كان لا بد من أن يغدر ويطعن فليغدر وليطعن في النور ومن الأمام. وكم هو فظيع ورهيب وغال ثمنُ الطعن في الظلام ومن الخلف. والمواجهة على أي حال أحد أساليب الرجال النجباء ، وإنما عادة التماسيح وسمتها الطعن من الخلف وفي الظلام ، ثم بعد أن تطعن تستدل فريستها وضحيتها وتمتن عليها بأنها صاحبة نعمة وفضل عليها ، وتبدأ في حبك المسرحية الهزلية باصطناع الدموع التي لا تنظلي إلا على السفهاء. ومهما تزيأ زيد أو عمرو بغير زيه المعروف به بين الناس ، وتحدث بغير لغته وألفاظه ، وتصرف بأسلوبية غريبة لم تعهد عليه من قبل ، فإنه لا بد مكشوف مفضوح ، بارادته أو بغير إرادته. فإلى كل تماسيح الظلام أقول:)

غاصبين الحق مسفوحاً طعينا	في ظلام الجبن باتوا مُشرعينا
قطعوا الأحشاء ، والسرر الـدفينا	بالغوا في طعن قلبي ، لم يبالوا
أغرقوا الربان - عمداً - والسفينا	لعبوا بالنار ، واجتروا المنايا
قاتل الجبار هاتيك الـدجونا	شيمة الغدار من خلفٍ يُداجي
يعلن الحق ، ولا يخشى المنونا	مزق الغدار شهماً لا يُحابي
ويصون العِرض معواناً أميناً	ويذر النور في سمع البرايا
زرع القران في فيه اليقيناً	لا يخون الصحب - كلا - صدقوني
إن في أشعاره حقاً مبيناً	ينسج الشعر رطيباً ، والمعاني
ليت شعري هدموا الحصن الحصينا	خاناه الأصحاب - جهراً - واستكانوا
يسحق الأُسُدان سُحقاً والعريناً	ثم راح الموج يمشي في الـدياجي

أيهما التمساح ، خانتك الليالي
والأمماني بانداث ، والبلايا
سوف يمضي كل شيء وانتقام
والدجى ماض ، ولن تلقى ستاراً
والألى قد أيدوك اليوم ها هم
وعذاب الخذل آذاكم جميعاً
أيهما التمساح فابحث عن كلام
لا تلحن ، ليس يخفي ما توارى!
لا توار الزيف ، أنت الزيف حقاً
تصفع الحق الذي في القلب نور
أيهما التمساح ، دع عنك الشكاوى
وانس أياماً تمضت في أساها
آه من تغريير هذا وانفعالي
أيهما التمساح ، فارقب ملتقانا
سوف يقضي بيننا بالحق رباً!
غرك الإمهال ، كنت المسكتينا
أتظن العمر كهفاً يحتوينا؟
فأرحم القلب ، ودع عنك الجنونا
ذاك عين الحق ، دع عنك الظنونا
في رياء الخذل ذابوا نابحينا
عاً ، والنفاق المريجتاح الجبينا
فيه تبرير الأذى ، كف الرنينا
أمركم في الخلق ما عاد الكنينا
واترك الآن الدعاوى والأيننا
هكذا الضلال ، ردوا المرسلينا
ليس فضلاً منك أن لا تشكتينا
أنت أشمت الأعداء والفتونا
لست ألقى في الورى الخل الرزينا
عند رب الناس مولانا المتينا
دمم اللهم تمساحاً لعينا!

جريدة الوحدة العربية 10 / ابريل / 1996م

الصديق المخذول

(روى الترمذي (والحديث صحيح) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المسلم أخ المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضته وماله ودمه ، التقوى ها هنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى» (رواه مسلم) ، فأخوة الإيمان فوق أخوة النسب ، وفوق أخوة القبيلة والعشيرة ، وفوق أخوة الوطن وفوق كل الأخوات الأرضية! تسمو على جميع الوشائج والعلاقات. قال النبي صلى الله عليه وسلم «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرَّصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيَنْ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». (رواه مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا ، مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيظُهُمُ الْآنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ آيَةَ: الْآئِلَةُ الْأُولَى يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». (رواه أبو داود. إن مثل هذه الأقوال كان يجب أن يكون لها أكبر الأثر ، على سلوكيات من يعلمونها ، ويدعون الناس إليها ، ويحملونهم على العمل في الحياة بمقتضاها. ولكن للأسف الشديد ، إن أبعد الناس عن ذلك النور النبوي ، هم أغلب دعاة اليوم من الذين يحققون ويدققون ويخرجون هذه الأحاديث إلا من عصم الله. والسعيد من أسعده الله بطاعته وطياعته نبيه - صلى الله عليه وسلم - والشقي الغوي من أشقاه الله بمعصيته التي منها وأحد صورها خذلان المسلمين. والخذلان نقمة كبيرة ، لا يشعر بخطورها إلا من خذله صديقه ، ووجد منه ما كان يحذره من عدوه. والمال وراء أغلب شهوات الخذلان ودوافع النفاق وعذابات الرياء ومحن الخيانة. ولقد يقدم المنافق أحد أصفيائه لقمة سائغة لعدوهما بغية أن يسلم الأول من كيد من يشك في حدوثه مستقبلاً ، معطياً من هذا المنطلق الحقيير المرذول لنفسه حق الاجتهاد ، وخاب وخسر! لأن المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه.)

يا أيها القلبُ الحبيبُ	أعيذكُ إيـلامَ بنـيسن
خـذل الصـديقُ ، وأنـت في	أوج التعاسـه والنكـوس
والخـذلُ أقرُّ عـادةٍ	يعتادهـا المـرءُ الخـسيس
إنـي ابتليـتُ معـارفـي	وزعمـتُ أنـهم الشـموس
فوجدتُ أكثـر مـن عـرفـ	تـ يصـب خـذلي في الكـؤوس
ويصـبني بالخـذل ، هـل	أمسـى التـخـاذل كـالطـوقس؟
عانيت مـن خـذل الصـديـ	ق ، ولم أخـن ، وطفـى الـوطيس

فتحرق ~~ت بالكري~~ ~~د رُو~~
في النار - ~~دوماً~~ - ~~يكتوي~~
والصدق ~~غال~~ ، ~~والوفا~~
والحرر ~~عان~~ ~~دهره~~
والخذل ~~نار~~ ~~في~~ ~~الدنا~~
نار ~~على~~ ~~كيد~~ ~~الخبو~~
وس ~~يكتوي~~ ~~بالنار~~ ~~ك~~
كن ~~حبيبي~~ ~~في~~ ~~فكرة~~
حتى ~~إذا~~ ~~خان~~ ~~الصدى~~
وتحولت ~~كل~~ ~~الدنا~~
وتحول ~~الأصل~~ ~~حائب~~ ~~ص~~
كل ~~الذي~~ ~~يجري~~ ~~تس~~
مت ~~في~~ ~~جحيمك~~ ~~لن~~ ~~أكو~~
لا ~~تأت~~ ~~لي~~ ، ~~كلا~~ ، ~~فقر~~
أنت ~~الذي~~ ~~أوديت~~ ~~بالإ~~
حولت ~~عُرس~~ ~~ي~~ ~~مأتماً~~
شوهت ~~سُمة~~ ~~ماج~~ ~~د~~
من ~~فرط~~ ~~ظلم~~ ~~ك~~ ~~للورى~~
يومياً ~~تدور~~ ~~عليك~~ ~~دا~~

جِي ، ~~والف~~ ~~وأد~~ ~~غدا~~ ~~الحب~~ ~~يس~~
والحق ~~ذ~~ ~~كم~~ ~~أدمى~~ ~~النفوس~~!
والعز ~~ز~~ ~~في~~ ~~الدنيا~~ ~~نفيس~~
أب ~~دا~~ ~~تغش~~ ~~يه~~ ~~النح~~ ~~وس~~
ع ~~ات~~ ~~تض~~ ~~رُمها~~ ~~بئ~~ ~~يس~~
ن ~~فظيعة~~ ، ~~ولها~~ ~~مس~~ ~~يس~~
ل ~~مُخ~~ ~~ذل~~ ، ~~نذل~~ ~~عب~~ ~~وس~~
وتص ~~ور~~ ، ~~رغم~~ ~~الدر~~ ~~وس~~
ق ~~ص~~ ~~ديقه~~ ، ~~ذهب~~ ~~الأث~~ ~~يس~~
كهف ~~أ~~ ، ~~كأش~~ ~~باه~~ ~~الرم~~ ~~وس~~
ع ~~ى~~ ~~مثلما~~ ~~ترعى~~ ~~التي~~ ~~وس~~
ببه ~~الض~~ ~~غانن~~ ، ~~والفا~~ ~~وس~~
ن ~~لك~~ ~~الص~~ ~~ديق~~ ، ~~أو~~ ~~الجا~~ ~~يس~~
آني ~~غدا~~ ~~نعم~~ ~~الأن~~ ~~يس~~!
نس ~~ان~~ ، ~~والقا~~ ~~ب~~ ~~التع~~ ~~يس~~
وطغ ~~نت~~ ~~خاص~~ ~~رة~~ ~~الع~~ ~~روس~~
ول ~~ك~~ ~~الدعا~~ ~~ية~~ ~~والمُك~~ ~~وس~~
أودع ~~ت~~ ~~فكرت~~ ~~ك~~ ~~الرو~~ ~~وس~~
ن ~~رة~~ ~~الأسى~~ ، ~~يا~~ ~~ذا~~ ~~الي~~ ~~وس~~

الفيروز المصعوق

(لو كانت الرجولة تشتري بالمال ، لاشتراها عدماؤها من الأسواق ، كما يشتررون متاعهم بالدرهم والدينار والجنيه والدولار. ولكنها طبيعة وجبلة ، يولد بها الإنسان من رحم أمه. يقول الله ذاماً المنافقين: (ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أؤذي في الله ، جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين؟). ويقول: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم). إن كثيراً من أهل زماننا ليقولون مثل هذا بألسنتهم ، وبعضهم يقول مثل هذا بأفعاله وأعماله. نعم ، التقيتُ أناساً كثيرين يقطفون ثمرات الأعمال التي عملها سواهم ، ثم ينسبوننا لأنفسهم في وضح وسفور وجلاء ، ظانين أن الأمر معمى على الناس كل الناس. والحقيقة لا ولم ولن! وفريق آخر يحب من أعماق قلبه أن يحمد بين الناس ، ويشار إليه بالبنان ويثنى عليه ويمدح مدحاً لم يمدحه أحد من العالمين ، على أشياء لم يفعلها ، وأقوال لم يقلها. إنه شعور مدمر رهيب ، ذلك الذي يعيشه مخلوق بمشاعر إنسانية ، عندما يزرع المعروف والخير في عالم يعج بالشر ، ثم يرى غيره ممن لا يستحق النعمة ، يتمتع بثمار كان قد غرس بذورها المخلصة من قلبه ، ولقد تحدثت عن الغدر والنفاق والخيانة والعمالة والارتزاق والرياء كثيراً من قبل ، ولا أريد أن أكرر ، وإن كررت فأراني مرغم على ذلك مضطر إليه! إن هذه الطفرة في شعري جديدة ، ألا وإنني قد عرفت بها ، حتى ليشعر القارئ معها أن موضوع قصائدي واحد لا يتغير أبداً! إنه الصدق الفني المخلص. بل إن الشعر من غير الصدق لهو الكذب الموزون المقفي! ولقد تخيلت حَجراً من الفيروز كان من قدره أن يجد حوله كَثبان الرمال ، فهاله الموقف! والفيروز كحجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق كلون السماء أو أميل إلى الخضرة يُتَحلى به ، ويقال لون فيروزي أي أزرق إلى الخضرة قليلاً ، عندما وجد ذلك الحجر الفيروزي نفسه محاطاً بالرمال والأترية من حوله ، شعر بالامتهان الشديد! فطفقت أعزبه وأصبره وأعلله بهذه القصيدة!)

شاطيءَ الأحزان قد أثلجتْ صدري
بالأريج العذب عطر كل جبري

كي يُناغى بالقصيد الحلو جرحي
ويُواري في سُويدا القلب صبري

إنما (الفيروز) منما ، وإلينا
وعلى أناته أبذل فجري

أيها الفيروز ، هل تبكي علينا؟
نحن نقضي العمر في عسر ويسر

وإذا الأصحاب خانوا ، واستكانوا
واستباحوا العِرض في سر وجهر

فلجّل الصاحب يوم لا يُحايي
هكذا الدنيا ، فكفكف دمع شعري

وإذا الآلام من حزنك صاحت
والفؤاد العذب يهذي أين نصري؟

ولمّا إذا كل بدر يتغنى
وأنا في صعقتي يُواد بدري؟

ولماذا أستر الأَهَاتِ حَرَى؟
ولماذا أزرع الآمالِ نشوى
ولماذا أكتوي بالروعِ وحدي؟
ألنني في البرايا أتغنى
أم لأنني لم أجِد للنور خلقاً؟
وكذا البسمة غابت عن شفاهي
أقطع الأُميال لا ألقى سواها
وإذا الشوك نفاقٌ في طريقي
بعدما كانت شعاعاً في الدياجي
وإذا الفيروز مصعوق الحنايا
ولباب الشعر ولى ، والسجايا
دمعتي لهفي ، وقلبي في البلايا
لو كتبتُ الشعر في حُسن الصبايا
لاشترى الأقوام شعري بانفعال
أيها الأقوام مكبوتٌ يعاني
إنني لله أشكو ما أعاني
إن أكن أذنبتُ ، فالرحمن ربي

ولماذا في الورى يُهتك ستري؟
ثم يَجني خير ما أزجيه غيري؟
ولماذا يخنق الصرخة قهري؟
وأعبي الوجد في أحشاء صدري؟
إنني مستضعفٌ ، والعجز عُذري
والمنايا في الدجى تحفر قبوري
تزرع الأشواك في طيات سيري
وإذا الأشعار أشعار (المعري)
أصبحت في الشوم ، كالأنهار تجري
وإذا الشيطان في الأذهان يسري
ورياح النحس عمت كل فكري
ويُعاني من نفاق الصحب عمري
أو كتبتُ الشعر في فسق وهجر
واستراح الشعر من نهبي وأمري!
فيم تحتارون؟ - حقاً - لست أدري!
مؤمن بالله ، هذا كل ذخري
مخلفٌ يُسرّاً سيأتي بعد عُسر

التوبة المزعومة

(أحد العابثين المستهزئين يسعى في خراب بيت أخيه ، ويفعل الأفاعيل ليتم له مراده الأثيم ، فلما تم له ذلك راح يتعلل ، ويختلق المعاذير ، ويدعى التوبة على هواه: (فلا رد للمظالم ، ولا إعادة للحقوق التي ضاعت بفعلته). وما أشبهه باخوة يوسف عليه السلام إذ قالوا - قبل توبتهم -: (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين). وما أشبهه بالفاسقين الذين يطلق عليهم (النجوم) في زماننا: يرقص الواحد منهم ويغني ، وهي أيضاً ترقص وتغنى وتسكر وتفحش وتدعر العام كله ، حتى إذا جاء رمضان صام أو صامت لتطهير الذنوب! وقد تعمد أو يعمد إلى الحج والعمرة كذلك لتطهير الذنوب. (أهو خداع الناس؟) ربما! والناس سوف تصدق إلا أهل الإيمان والتوحيد ، فهؤلاء لا يخدعون. وإن كان خداعاً لله عز وجل (يخدعون الله وهو خادعهم). فالله لا يخدع ولا تنطلي عليه حيل العابثين. وإنني أقول لهذا العابث: إن الله الذي حرّم عرض المسلم وماله ودمه بغير حق هو - عز وجل - الذي شرع التوبة لعباده المذنبين. فمن أراد أن يتوب فليكن ذلك منه ، على مراد الله وشرعه ، ووفق كتاب وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -. وإلا يكن ذلك كذلك فلا توبة هناك ولا تائبين. وادعاء التوبة شئ ، والتوبة النصوح شئ آخر. ومن علامات قبول التوبة انشراح خاطر بها ، وذلك بعد رد المظالم التي إن لم تكن تؤدي في الدنيا فإنها سوف تؤدي يوم القيامة ، ذلك اليوم الذي لا درهم فيه ولا دينار. كلما تكلم إلى جلسانه قال: أذنبت ذنباً عظيماً ، وإن ضميري يؤنبني ، ولا أكاد أنام من تذكري هذا الجرم وذلك الزلل. وأرسل رسله للمظلوم الذي طعنه في عقيدته وأهله ورفاقه وسلوكه ، دون أدنى مثقال حبة خردل من حق له في الذي فعل. وجاءت الرسل رسولاً تلو الآخر للإصلاح بينهما ، وكم كانوا خيرين وسمحين وطيبين! ودارت مناقشات أثبت عبرها الثاني (المظلوم) براءته كالشمس في رابعة النهار وكالبدر ليلة تمامه ، وعادوا إلى الأول (الجاني) فاعترف ثم أخذته عزته بالإثم ، وغره حلم المنتقم الجبار القهار العزيز القوى عليه. وصبر المظلوم في الانتقام وتأييد الناس عقلائهم وسفهاءهم له رغم وضوح ظلمه - أخذه الكبر ، وقال: إنني كنت أجتهد ولم أذنب فيما فعلت. فوقع في تناقض عميق تغرق فيه الأمم ، وأصر المظلوم على شروطه التي منها: رد المظلمة المعنوية وكذا المادية ، ثم أن لا يترتب على الصلح هذا أي صلاحيات ، ريثما يندم الجاني على جنائته ، ويبلي في الصحبة بلاء حسناً ، مثلما أبلى في الوقيعة. فقال الجاني: لن أفعل ، فرد المجني عليه قانلاً: موعداً يوم القيامة ، والحكم لله العلي الكبير. يصف الأستاذ سعد العثمان الظلم بقوله: (لا شك أنّ الظلم مرتعه وخيم ، والظلم من أقبح المعاصي وأشدّها عقوبة ، وقد حرّم الله جلّ جلاله الظلم في كتابه الكريم ، وعلى لسان نبيّه الأمين صلى الله عليه وسلم. ومن يستعرض القرآن الكريم والسنة النبوية يقف على مئات الآيات والأحاديث التي تحدّثت عن الظلم والظالمين ، وتوعدت الظلمة ولعنتهم لعناً كبيراً ، والظالم الذكي الحصيف ، من يسارع بطلب العفو والمغفرة والمسامحة ممن ظلمهم ، قبل فوات الأوان ، والعضّ على الأنامل والشّفاه ، فما يزال في الدنيا حيّ يرزق ، ومن ظلمه قريب منه ، يمكنه الوصول إليه بكلّ سهولة ، ولا يكلفه الأمر عنت ولا مشقّة ، فقط قليلاً من التنازل عن الكبرياء والعظمة ، وقليلاً من التواضع والأناة والرحمة ، والمستفيد الحقيقي هو الظالم نفسه ، لو فقه وفهم وعلم). هـ. سطرت هذي القصيدة أرثي فيها الحق وأهله. وأيضاً لأبرهن على أن ذلك المظلوم لم يخل بين الجاني والتوبة كما يدعي! ومن ذا الذي يستطيع أن يحول بين عبید الله والتوبة؟ ولكنه اللجاج والمماحكة المكشوفة ، لكي يتوب الجاني أو يزعم لنفسه أنه يتوب - إن صح التعبير - بالثمن البخس. الأمر الذي ترفضه الشريعة ، لأنه مادام زيد قد تسبب في خسارة عمرو بألاف خمسة من الدراهم مثلاً فعليه إن أراد أن يتوب إلى الله بأن يرد الألاف الخمسة التي كان هو سبباً مباشراً في تغريمها لعمرو دون وجه حق. نحن لا نتدخل بين الله وبين عباده ، إن شاء الله

غفر وإن شاء أخذ بالذنب ، هذا شأن الله مع خلقه. ولكننا نتكلم عن الشق الآخر الذي يخص العباد (رد المظالم). وهذا لا علاقة له بالشق الأول الذي هو محض حق الله تعالى. إن الله يتسامح معه فيما هو من شأنه تبارك وتعالى ، وأما ما كان من شأن العباد من الحقوق ، فإنه لا يتسامح فيها ، بل يأمره بأن يرد المظالم لأصحابها. وما هو - يومها - إن أراد ذلك بمستطيع! فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء ، فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه). رواه البخاري. وعن عبد الله بن عمرو ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه). متفق عليه. والذكي العبقرى من تاب وأتاب ورد المظالم لأصحابها من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله! والغبي العاجز المخذول المهزوم من ضحك على نفسه وأوهم ذاته أنه كان يجتهد فأخطأ ولا شيء عليه!

هل صادم المظلوم عزم المثرب؟
يا أيها المحبوس في سجن الهوى
فلم التمحك والتجني والأسى؟
أتخال رب الناس يخدعه الورى؟
وتقول: إنى فى طريقك صخرة
وتقول: إنى قد بدأت عداءكم؟
إن النفاق على جبينك رسمة
وكان قلبك فيه أنك د شقوة
يا ليت شعري من صنيع منافق
ويظل يتلو الآى فى المحراب ، لا
ويصوب دمع العين عبر رياته
وهو الغريب عن البكاء وأهله
وهو الطريد من التائر بالبكا
أو ليت شعري كيف يزعم حزبه

أم أن دعوى التوب كذبة خبز؟
إنى اش تكتيك للمهمين يا غبي!
ولم ادعاء التوب من فم مؤرب؟
يا للدعي المستريب المثرب!
تند الإخا ، وتسد باب المقرب؟
أنت العدا ، تعيش خلف الغيب
ويسيل من شفقتك مكر الثلب
وأرى ابتسامك مثل لسع العقرب
بيدي لأهل الخير وجه اللباب
تلقاه غير مرتل مس تعذب
وكانه لآى لم يتنكب
أتراه فى التمثيل لم يتقلب؟
سمت الموحد غير سمت المطرب
أن انتصار الدين فى الوجد الغبي؟

بِنِدَا الْجَهَادِ مَهْلِكٌ وَمَرْحَبٌ
قَدْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا كَمَا الْمَتَّغَرِبُ
دَنَسَ السَّرِيرَةَ ، فِي الضَّلَالَةِ مِدْأَبُ!
ظَهَرْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِأَخْبَثِ أَثْوَبِ
ق ، وَقَوْمَهُ فِينَا كَمَثَلِ الْأَذْوَبِ؟
سُمِّمَ النَّفْسَاقُ يَسِيرٌ سِيرَ الدَّيْدَبِ؟
مَنْ كَلَّ نَذَلَ خَائِنٌ مَتَذَابُ
قِمَّ فَنَاءً عَنِ صَفِّ قَوِي مُرْعَبِ
تَجَرَّدَ مَنْ كَلَّ خُلُقٍ طَيِّبِ
وَتَنَدَّ عَنِ إِفْلَاسِكَ الْمَتَّعَصَبِ؟
حَارِبَتْ تَوْبَتَكُمْ لَنِيْلِ الْمَأْرَبِ!
نَصَرَ الطَّوَاغِيَّ بِالنَّفْسَاقِ الْأَجْرَبِ؟
لَكُنْمَا شَرْطُ يُرَى فِي الْمَذْهَبِ
مَّ صَادِقٌ وَنَدَامَةٌ وَتَوْبُ
تَجَدُّ الدَّلِيلُ مِنْ وَرَاءِ كَالْكُوكِبِ
زَادَ الْمَوْحِدُ فِي الْيَبَابِ الصَّيْحِبِ
ح تَرِ الْحَقِيقَةَ عَبْرَ نَصْحِ مُسْهَبِ
بَعْدَ الْكِتَابِ ، نَخِيرَةَ الْمَتَّأَدَبِ
إِنْ كُنْتِ (سُؤْنِيًّا) بِهَا فَتَأَدَبِ
عَدَّة ، تَوَجَّهْ بِالْأَدْمُوعِ النَّحْبِ

لَا يَنْصُرُ الْإِسْلَامَ بَعْدَ اللَّهِ غَيْرُ مَوْحِدٍ
هُوَ لَيْسَ يَعْجَبُ بِالْحَطَامِ ، وَلَا الدُّنَا
لَعَنَ النَّفْسَاقَ ، فَكَمْ لَهُ مِنْ عَاشِقِ
إِنَّ النَّفْسَاقَ لَنَبْتَةٌ مَلْعُونَةٌ
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ لَا نَخْشَى النَّفْسَا
أَوْ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ فِي أَحْشَانِنَا
حَتْمًا يُحْصَى كُلُّ صَفِّ مَوْمِنٍ
يَا أَيُّهَا الذَّبَانُ ، فَارِقْ دَرَبِنَا
لَا تَفْتَرِضْ فِي نَفْسِكَ الْأَخْلَاقَ ، أَنْ
أَتَذُودَ عَنِ دِينِ الطَّوَاغِيَّ جَهْرَةً؟
وَأَرَاكَ تَزْعُمُ أَنَّي بِصَلَابَتِي
مَا مَأْرَبِي فِي مَجْرَمِ مَتَطَاوُلِ
أَنَا لَمْ أَحَارِبْ تَوْبَةَ ، يَا مَدَّعِ!
رَدُّ الْمَظْهَامِ بَعْدَ إِقْلَاعِ وَعِزِّ
ارْجِعْ إِلَيَّ (الْمَغْنِيَّ) ، طَالَعِ شَرْطَهُ
وَارْجِعْ إِلَيَّ (سَبِيلَ السَّلَامِ) ، فَإِنَّهُ
وَارْجِعْ إِلَيَّ النَّوَوِيَّ فِي شَرْحِ الصَّحِيحِ
هِيَ سُنَّةُ الْمُخْتَارِ ، حِكْمَةُ رَبِّنَا
وَارْجِعْ إِلَيَّ الْفَارُوقَ فِي أَخْلَاقِهِ
لَمَّا أَحْسَنَ بِذَنْبِهِ فِي جَنْبِ قَا

يرجو السماح بعزيمة وترهب
 ح من البكاء ، ومن نحيب المذنب
 يُرضي العجوز ، ومن يخف يتقرب
 يتبرك سبيلاً للعدا المتشعب
 ث الظلم من تلك العجوز العوزب
 كيف اعتديت؟ وكيف لم أتجنب؟
 إن الخيانة شيمة المتقالب
 فعنه إلى فمه كسير المنكب
 في جوف أكفاني ، وهذا مرغبي
 أو شئت طيبه بطيب الزرنب
 بوركت من شهم رقيق طيب!
 ك مسام ، وأراك لما تنسب
 والتابعين ، وقبل تتبع النبي
 نهج المثوبة والهداية تكسب
 إن ادعاء التوب سمث العطب
 من رام جناة ربه لم يلعب
 ت إلى الذي أبوابه لم تحجب
 مما وضعت بكأسنا فلتشرب
 طمعاً تضائل عند شهوة (أشعب)!
 وطعنات طعن الفاجر المتغلب!

ومضى إليها باكياً متأوهاً
 قالت: أبيعك ما جنيت وتستري
 وتبسم الفاروق أن بدراهم
 نادى على أركان دولته ، ولم
 قال: اشهدوا أنني بديناري اشتري
 يا شاهدي تعالينا لشهادة
 اكتب أيام من أحضروك ، ولا تخن
 وتقدم الفاروق للقرطاس يبر
 ويقول: يا ولدي عليك بوضعه
 إن شئت عطر حرفه بمنيتي
 اللهم ، فاقبل توبة عمريه
 إن كنت تزعم يا عميل الدرب أن
 أو كنت تتبع الصحابة والهدي
 فاصنع كما صنع الخليفة ، وانتهج
 لا تدع التوب الذي لم تنوه
 لعبت أصابعكم بنار نفاقكم!
 والله يقبل توبكم ، إن شئت تب
 لكن بشرط التوب ، لا بدجى الهوى
 إنني أراك طمعت في تشيتنا
 وبذات جهدك واستعنت بمن طغى

وأَجْرَ فِي قَدَمَيَّ قِيحَ التَّوْرِبِ
فِي مِثْلِ جُبْنِكَ يَا شَبِيهَ الأَرْنَبِ
وَزَارَتْ فِي المِيدَانِ مِثْلَ الأَشْهَبِ
فِي صَخْرَةِ التَّوْحِيدِ ، لَمْ أَتْهَيْبِ
لَا تَثْبُتَ الإِسْلَامَ ، حَتَّى (لِلصَّبِيِّ) !
وَكِذَلِكَ قَدْ سَجَلَتْهَا لِلغِيَابِ
سَلْفِيَّةً ، قِيلَتْ بِأَرْضِ الجُنْدَبِ
لَنْ ، وَتَرَعَوَى - طَوْعاً - وَبَيْنَ الأَكْلَابِ !
بِشَيْهَاتِهَا نَفَرَتْ ، وَلَمَّا تَطْرَبِ
فَرَّتْ ، وَآلَمَهَا فِرَاقُ المَسْرَبِ
فَالتَّيْسُ خَالِقُ اللهِ لَمَّا يُذْنَبِ
مَوْلَى ، فَالْمُكَفِّرُ ، وَلَمْ يَتَصَلَبِ
يُزْجِ النِّفَاقَ مَنْمَقاً كَالزَّغْدِ
وَحَصَدَتْ سَحْرَ (السَّامِرِيِّ) بِمَحْطَبِيِّ
وَوَقَفَتْ فِي التِّيَّارِ ، لَمَّا أَنْدَبِ
فَتَنَكَّرُوا ، وَنَصَحَتْ مَنْ قَدْ ضَاقَ بِبِي
أَقْوَامِنَا ، هُوَ مَنْ سَرَابِ مُجْدَبِ
يَا ، مَنْ نَسِيحِ خَائِنِ مَتَذَبِ
نَدْرِي النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ وَالأَجْنَبِي
وَنَزَعَتْ ثُوبَ نِفَاقِكَ المَتَذَبِ

إِنِّي بِشَوْكِ نَفْسِ أَقْمِ مَتَسْرِبِ
عَاجِزْتُ جُبْنَ القَوْمِ ، لَكِنْ لَمْ أَجِدْ
وَجْهَرْتُ بِالحَقِّ الَّذِي أودِعْتَهُ
وَصَدَمْتُ قَطْعَانَ النِّعَانِ جَهْرَةَ
أَعْلَمْتُهُمْ أَنَّ الشَّعَائِرَ وَحَدَّهَا
وَأَدْلَيْتُ فِي كُلِّ سَمْعٍ قَلْبَهَا
زَادَتْ عَلَيَّ العَشْرِينَ زَبْدَةَ رُؤْيَا
شَتَانِ بَيْنَ النَّاسِ تَفْهَمُ مَا يُقَالُ
إِن التِّيَّوسَ إِذَا رَمِيَتْ الأَدْرَبِي
وَكِذَا الحَمِيرَ إِذَا هَتَفَتْ أَلَا اعْقَلُوا
أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ مِنَ الخَطَا
وَالكَلْبَ صَنْعَةَ رَبِّنَا ، وَيَسْبِحُ
بِلِكْمَانِ مَسْتَسَلِّمٌ لِمُ اللهِ ، لَمْ
قَلْبَتْ: الحَقِيقَةَ ، لَمْ أَنفَاقُ بَرَهَةَ
وَذَبَحْتُ عَجَلَ (السَّامِرِيِّ) ، وَلَمْ أَخُنْ
وَهَمَسْتُ فِي آذَانِهِمْ: أَنَّ أَسْلَمُوا
فَصَرَّخْتُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الكُرْسِيِّ يَا
أَمَّا العَمِيلُ فَعَنَدَهُمْ صَنَعُ الدَّعَا
هُوَ مَتَقَنَّ مِنَ النِّفَاقِ ، وَلَمْ نَكُنْ
حَتَّى إِذَا كَشَفَتْ حَقِيقَةَ خَائِنِ

وهتكت ستر المس تطيل القط رب
وأبنت درب مخداع متنك
هي أزمة مرت ، ولم تترسب
في التوب ، تزعم أنك الحر الأبني!
أترى إلى الطود العظم الأثلب
سي الشعر ، حتى إنني لم أغضب
لما أذفوع عنك أو أتأرب
قبحت من نذل عرفت وتولب!
وأعد نفسك للقيامه ، وادأب
ولأمر ربك ، فاصطبر وتأهب
فأنا حيا لك كالغمام الصيب
إنني سألت الله كل المطلب
من كان في درب الهدى فليغلب
لون الشمامة كاختلاط الأعقب
وب منك حقيقة قد خاب ظنك يا غبي!
(هل صادم المظلوم عزم المثرب؟)
بل إن دعوى التوب كذبة خبزب
إن الشذى يا صاح عند الهيدب
ور بمقمع ، كالمثقن المتدرب
من بعد أن دنست جوف المذنب؟

وهو الصفيح ، ولا يساوي درهماً
وفضحت باطل مجرم متنسك
ها أنت توهم عابديك بتوبة
قدمو إلي ، وأبلغوني عزمكم
أبلغتهم شرطي ، ولم أك حاذراً
أنا بعضه ، أنا كله ، ما اهتز فد
لما اعترفت قبالتني في مجلس
فيم الدفاع ، وأنت خائن جمعنا؟
كف ادعاء التوب ، واحقن فتنة
إن القيامه لن تجامل مجرمأ
هون عليك ، ولا تخف مني العدا
لا أشتكك إلى الطواغي ، فاسترح
إن التحاكم للطواغي ردة
كف شمامة عازل متلون
أظنني صدقت دعوى التوب
من أجل ذلك قلت في بانيتي
ما صادم المظلوم عزمة تانب
أتريد مني العطر فواح الشذى؟
أنت الذي كسرت جونات العطر
أتريد مني المراء عذبا سائغأ

قد كنت في تلويثه سبباً يُرى
 هل بعد ردم البئر يصفو ماؤه؟
 هل بعد أن علت الوعول بغابةٍ
 إن النفسوس إذا تناسكر حبهـا
 فأعلم أيها هذا الدعي طويتي
 أنا قد رفعت عقيرتي عنكم لئـي
 والله يعلم نيتي وسريري
 أحقرُ بأعس خائن متسبب!
 أيروم إنسان به من مشرب؟
 يبقى مكيان لائق بالأرقب؟
 مثل الزجاجاة: كسرهما لم يشعب
 إذ - بعد هذا التو - لما أكتب
 يوم قيامةٍ ، فيها مذلة أنكب
 إنني نصحت ، ولم أكن بالهيب

بعض معانى المفردات غير المطروقة

الأشهب: الأسد. الترهب: التعبد. الزرنب: شجر من الأشجار العطرية طيبة الرائحة. المسارب: المراعي وهي جمع مسربة أي المرعى. القاطب: الأسد. القرطب: الذنب. أكلب: (أي كلاب) جمع من جموع كلمة كلب. الحاصب: هي الرياح تحمل كثيرا من التراب. الأحقب: الحمار الوحشي. يتأرب: يتشدد جدا. التأوب: هو الرجوع . الجندب: الجراد. الراسب: الثابت الذي لا تستطيع قوة تغير حاله. يتأهب: يستعد. عانب: أي معيب. مدأب: يدأب في الشيء أي يواظب علي فعله. ثالب: أي مخطيء معيب فظيع الغلط والعيب. المتعصب: أي المتشدد. ذخيرة: أي زاد. المغني: هو كتاب المغني في الفقه الحنبلي للعلامة المعروف أحمد بن قدامة المقدسي. سبل السلام: هو كتاب شرح فيه العلامة الصنعاني كتاب بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني. سلفيا: أي يتبع السلف الصالح - رضى الله عنهم - . واصب: أي شديد النكير والفضاعة. توبة عمرية: أي منسوبة للفاروق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه. شرح الصحيح: أي شرح النووي لصحيح الإمام مسلم رحمهما الله عز وجل. الطواغى: جمع طاغوت ، وهو كل عات فاجر في الضلال ، وكل ما أو من عبد من دون الله وهو راض بعبادة غيره له ، وكل ما صرف عن عبادة الله تعالى ، وكل من صد عن سبيل الله.

الآن حصص الحق

هذا الشعار الجميل الطاهر (الآن حصص الحق) ، أي ظهر وانجلت عنه الدياجير التي كانت تحجبه عن الناس هنا وهناك. حصص الحق وظهر وكان لا بد من البداية من أن يظهر للعيان. إنها سنة الله عز وجل - التي لا تتبدل ولا تتغير: (بل نفذ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) ، (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً). والمخرج في هذه الدياجير التي نعيش - هو بيان الحق ، مهما أرغى الباطل وأزبد ، وهاج وماج ، وانتفش مخفياً الحق في تلافيف الزيف والخداع. إن الحقيقة لا تموت مهما طال الزمن ، ومهما شوش عليها المشوشون ، ومهما أخفاها المبطلون. والذي كان ينظر إلى يوسف - عليه الصلاة والسلام - في سجنه كان يظن أن حقيقته قد ماتت ، وأن سيدة القصر قد انتصرت. ولكن الله سنن ، ولما شاء ربنا - تبارك وتعالى - بيان ذلك الحق حيث اكفهر الحال ، وأكل النسوة وشربن على رماد الحق والحقيقة. واهتز العرش (عرش عزيز مصر). وذات يوم أتى يوسف رسول الملك ليُخرج يوسف من سجنه بأمر الملك ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم). ومن هذه النقطة الفاصلة بدأ الحق يظهر وينبج. وقالت امرأة العزيز بكل صراحة وشجاعة: (الآن حصص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين). وهكذا كل حقيقة ، لا بد من أن يسخر الله من ينتصر لها ويظهرها ، وإن لم يكن من المسلمين! ومهما حاول المزيفون طمسها وزخرفة الزور على حسابها وتلميع البهتان فوق لمعانها ، وتشويه صورة أهلها الوضيئة ، فإن الحقيقة هي الحقيقة لا بد من أن تظهر يوماً ما. وإن الذي كان ينظر إلى يوسف وهو في الجُب ، ولا غرابة في اعتقاده من أنه لا نجاة ليوسف بعد ولا خروج. وكذلك الذي ينظر إليه وهو في القصر مع المرأة يقول: إنه لا نجاة من الوقوع في الهم والسوء ، وكذلك الذي ينظر إليه وهو في السجن يقول: لا خروج. لأن خروجه يعني براءته ، وبرأته تعني إدانة امرأة العزيز! بينما إدانته ولو وهو بريء تعني براءة امرأة العزيز وإن كانت مدانة ومخطئة! ولكن الله غالب على أمره. إن أمور المخلوقين تجري بمقادير قدرها رب العالمين الذي خلقهم وخلق الحياة. ومخطئ من ظن غير ذلك. إن الخلق عيال الله (أي عالية على الله ، وليس المعنى أبدا أنهم أبناء الله ، فالله - عز وجل - لم يتخذ صاحبة ولا ولداً) ، والخلق عياله ، فهو - عز وجل - المتكفل بهم والمتولي شؤونهم والمدبر أمورهم. ولا يقع لهم في هذه الدنيا شيء إلا والله أرادته وقدره وقضاه! وكل أمر يحدث لهم من خير أو شر إنما هو لحكمة ولغاية أرادها الله منه. والذي يقرأ سورة يوسف - عليه الصلاة والسلام - بعين بصيرة ونفس منقذة وعقل مسترشد مستنير وقلب واع يدرك أن الله يصنعه صناعة ليكون عزيز مصر القادم. والأنبياء والمرسلون يصنعهم الله على عينه ، (ومن الصناعة الابتلاء والتمحيص والاختبار) ، ويصطفيهم من عباده. فننوقن أن كل أمر حدث ليوسف - عليه السلام - إنما كان لحكمة يعلمها الله - عز وجل -. فليعتبر بهذا التحليل كل مؤمن مسلم موحد اليوم. وهو يسير إلى الله ويلقي ما يلقى من الجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض اليوم ، فليعلم أن هذه البلاءات لتخفيف الذنوب ورفع الدرجات ليس إلا!

أبْنُ الْكَرِيمِ لَهُ مَرَادٌ كَيْ يَعْلمَ الْقَوْمَ الْحَيَاذُ
ارْجِعْ لِرَبِّكَ ، واسْتَبِنْ عَمَّنْ فَقَدْنِ ضَيَا الرِّشَادِ
قَطَعْنَ أَيَّ دِيهِنِ يَعِ لَمْ رَبَّنَا ، مَا إِذَا الْمَرَادِ

فاسأل أيها هذا الرسـ	ول ، ورد ربك للسـداد
سائله ماذا قد جرى	أخبره عن ذلك المـزاد
حتى إذا كان التذكـ	ر ، جنتني جـزل الفـؤاد
وقد استجاب ما يكهم	ونراه قد جمع العباد
وأجاب سؤال مبرر	من كل عيب أو فسـاد
ودعا النساء لتوه	والشعب يهـرف كـالجراد
ففي كل زور يستطيعـ	ل لسـانـه ، وبـل واد
فتلوثت بالزيف والـ	بهتان هاتيك الـبلاد
وينال من صـديقه	وعلى الخنا مثل الرمـاد
قط على أسد الوغى	ولده فراغنة شـداد
أما (زليخا) أعلنت	في التـوتبرئة الجـواد
قد حصـص الحق الـذي	عاني ملازمة الرقـاد
راودته عن نفسه	وبذل كل الإجتـاد
حتى أنال مـأربي	وهو العـليم بمـأراد
كان الصـدوق ، ولم يـزل	وحمـاه رحـمـن العـباد
وأنا أقاسي زلتني	عانيت من طـول السـهاد
صلى عليك إلهنا	يا ابن الكـريم إلى معـاد

جريدة الوحدة العربية - 28 مارس 1996م

في ظلال النخيل

(كم من رسائل للدراسات العليا مُنحت في النخيل وجمالها ومراحل نموها وفوائدها وملاءماتها لوظيفتها والمعلقات التي كتبت فيها ، وذلك في قسم الأدب العربي من غير ما جامعة عربية وأخرى غير عربية. وكم من مقالات نشرت ، وكم من استطلاعات مصورة دونت ، وكم من قصائد كتبت في النخيل. وفي ظلال النخيل يحلو الكلام. وحُق لرجل (صعيدي) مثلي أن يحب النخيل ، ويتغنى بها في أشعاره ، ويكلمها بلغة شاعرة ، وتكلمه بأسمى من لغته ، ويكون بينهما حوار! إذ النخيل في صعيد مصر ذات شأن آخر عن غيرها في أي مكان في مصر أو في الدنيا بأسرها. إن النخلة عند الصعيدي الحر ، سواء كانت في حقله ، أو في داره ، أو في الطريق الذي يمر به تعني عنده الشيء الكثير. فقد تعني الحياة بأسرها. ليس فقط لانفتاحه بثمرها وجريدها وأكمامها وليفها وسعفها وأقحافها وخصوصها ، بل لأن هناك معاني تتجسد في سويداء الفؤاد منذ القدم. وردت النخيل في القرآن الكريم في عشرة مواضع تقريباً ؛ (1. قال تعالى: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيِينَا بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ). باسقات: طوالاً أو حوامل . لها طلع: ثمرها ما دام في وعائه. نضيد: متراكم. 2. قال تعالى: (ومن النخل من طلعها قنوان دانية). قنوان: عدوق وعراجين. دانية: متدلّية. 3. قال تعالى: (وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ). مختلفاً أكله: ثمره المأكول في الهيئة والكيفية. 4. قال تعالى: (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ). ذات الأكمام: أوعية التمر وهي الطلع. 5. قال تعالى: (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). سكرًا: خمراً ثم حُرِّمَتْ بالمدينة. 6. قال تعالى: (وزرع ونخل طلعا هضيم). هضيم: ثمرها نضيج. 7. قال تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل وغير صنون يسقى بماء واحد). نخيل صنوان: نخلات يجمعها أصل واحد. 8. قال تعالى: (وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ يَجِدُكَ النَّخْلَةَ سَاقِطًا عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا). رطباً جنياً: صالحاً للاجتماع. 9. قال تعالى: (وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قَنَوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). 10. قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ). ومن هنا استندت إلى نخلة عالية في الإمارات ، محاولاً تذكر نخيل الصعيد ، إنها نخلة باسقة سامقة استهوتني من بين النخيل ، ووسط المروج رحّت أتحدث إليها ، وأستمع بظلها ، على أنها غير ذات ظل ، وأتملى من أريجها على أنها غير ذات أريج!)

←	يا نخلة بين المروج	تعطي الثمار مع الأريج	→
←	من فـرطـرونقها غـدث	تصغي إلى صوت البـروج	→
←	أكمأها قـد سـبـحـت	أبدأ كتليبة الحـجـج	→
←	حيـرت مـن كـتب القـصـا	نـد فـي الصـحـاري والمـروج	→
←	وإذا تـرى طـالع النـخـيل	لـ تـؤزـه الـريـح الخـجـوج	→
←	أدرـكـت سـحر جـمـالـها	يشـدو بـمنظـرـها البـهـج	→

وهي القوية لا تخا
والظلم منتشراً كمثل
حتى إذا طابت ثم
وإذا ظفرت بما تجو
فهي الحلاوة والجمما
وكذا النسيم مغرداً
والطير يسعى في الفض
والرمل تل فوق ت
والبحر يضحك كالهوى
والنمل فوق الرم
والغيث في رحم الفض
وبفضل ربك قد مطر
ومساء ليلتنا أرا
والنخلة الشقراء با
سبحان من خلق الجمما
سئنان المليك وصنعة
خلق وأمراً ، ليس يو
وسيبعث الأكران - بع

خلها أخاديذ الثجا
ل ربابة ، وبلا عجا
أز ، فالسقوط بلا ضج
دنخيلة عند الأجا
ل ، أراه من أحلى مزج
والعطر منتشراً لجوج
ساء مخلقاً ، ولله هزج
ل ، مشرقاً باهي النعوج
والريح دامعة النج
ل أسراب ، هي الجيش الوثج
والسحب جادت بالثلوج
نا ، في الروابي ، والمروج
ه ، مزجراً يطوي الولوج
سمة المحيا والنشج
ل ، وقتق الطالع النضج
ما الأمر - كلا - بالمريج
مأ بالمريب ، ولا العريج
د - الموت في يوم الخروج

جريدة الوحدة العربية - بتاريخ 21 / 3 / 1996م

حوار مع جبل عرفات

(في صعيد جبل عرفات تذرف الدموع وتسكب العبرات ، عندما نتذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخطبته في حجة الوداع. وهناك في عرفات يكاد كل شيء يجده المسلم كما هو. فلم تتدخل يد الإنسان بصوارفها ، لتصرف القلوب والضمان عن عرفات برماله وصخوره وترابه ، بطبيعته كما هي. وليوم عرفة فضل عظيم ، إذ ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يوم عرفة هو أفضل يوم عند الله تعالى. عندما يقف الحجيج في عرفات ينتصب أمامهم مسجدة "نمرة". و"نمرة" هو جبل نزل به النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في خيمة ، ثم خطب في وادي عرنة بعد زوال الشمس ، وصلى الظهر والعصر قصراً وجمعاً ، جمع تقديم وصار ذلك سنة متبعة! وبعد غروب الشمس تحرك منها إلى مزدلفة. ويحيط بعرفات قوس من الجبال ووتره وادي "عرنة" ، ويقع على الطريق بين مكة والطائف شرقي مكة المكرمة بنحو 22 كيلومتراً ، وعلى بعد 10 كيلومترات من مشعر منى ، و6 كيلومترات من المزدلفة. عرفة" أو "عرفات". هو مسمى واحد عند أكثر أهل العلم لمشعر يعد الوحيد من مشاعر الحج الذي يقع خارج الحرم ، وهو عبارة عن سهل منبسط ، به جبل عرفات المسمى جبل "الرحمة" الذي يصل طوله إلى 300 متر ، وبوسطه شاخص طوله 7 أمتار. أحيط هذا الموقف بجدار طوله من جهة القبلة 13.3 متر، والجدار الذي على يمينه ويساره 8 أمتار، أما الجدار المقابل للقبلة فدائري غير مستقيم. وفي أول عهد الخلافة العباسية ، في منتصف القرن الثاني الهجري ، بني مسجد في موضع خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يعرف الآن بمسجد "نمرة". توالى بعدها توسعته على مر التاريخ وصولاً للوقت الحالي ، فأصبحت مساحته 124 ألف متر مربع. مؤلف من طابقين مجهزين بنظام للتبريد والمرافق الصحية ، حيث يتسع لأكثر من 300 ألف من المصلين. ويأتي الحجاج يوم عرفة إلى مسجد "نمرة" ليستمعوا إلى خطبة خطيب المسجد ، ثم يصلوا الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، ثم يشرعوا بالدعاء والتضرع ومسألة الله تعالى حتى غروب الشمس. وبـ"عرفة" جبلها المشهور ، وهو أكمة صغيرة شبيهة بالبرث ، يصعد عليها بعض الحجاج يوم الوقوف وليس الوقوف على الجبل خاصة من واجبات الحج ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وقفت ها هنا بعرفة ، وعرفة كلها موقف. أما وادي "عرنة"، فهو من أودية مكة المكرمة والجزء المقدم من مسجد "نمرة" يقع في هذا الوادي ، وهو خارج عن عرفات وداخل في الحل وليس بمشعر. وهو حد فاصل بين الحل والحرم. وفي عرفات مسجد "الصخرات" ، وهو أسفل جبل "الرحمة" على يمين الصاعد إليه ، وهو مرتفع قليلاً عن الأرض يحيط به جدار قصير وفيه صخرات كبار وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة وهو على ناقته. إن هذا الحوار (أحادي الجانب) هناك عند جبل عرفات حيث ينتاب المعتمر أو الحاج شعور بروعة الموقف واجتماع القوم كما لو كانوا يوم حشر. وانشغلت بالدعاء والاجتهاد فيه. كتبت في بعض ساعات عمري عبر زيارة خاطفة لجبل عرفات. وتذكرت مجد الإسلام. وتذكرت كذلك عز المسلمين وكلمتهم ، فرحتُ أتحدث إلى عرفات عن حال آل إليها المسلمون ، أحسست بأن عرفات يعتب علينا ، وذلك أثناء عمري الأولى عام 1994م.)

عرفات - في ليل الجزيرة - يرتبكُ والريخُ تخترق الغيوم ، وتشـتـبـكُ
ودهى الجزيرة حزنه وعويله وعلتْ صخورَ الشهم أقدامَ الحَمَك
يبكي صاحبة (أحمد) في لوعة! وتأوهاتُ المدع ليست تنبتُ ك

فيه الرذالة من شياطين الحُكْم؟
أركانه في حاضرات المُعْتَرِك؟
إن في الصباح أو المساء أو الغَسَك
بل أين دين الله؟ ماذا حل بك؟
حتى الظهور لعالم عشق الحَلَك
وجحافل الإسلام لَمَّا تشترك
هيا أجنبي ، واتتد ، لا ترتبك!
وشريعة تهدي الأنعام ، لها نسك؟
تند الأعداي في غياهب البرك؟
بل أين مجد في الورى صعب الدرك؟
وغزوة ، عبر المسالك والهالك؟
ومسرربل ، والقلب مبتسئ ربك
وقضيت ربحاً من حياتي في الزمك
حبست حروفي في غيابات الحنك
تقصيركم أرسى حوالى الشرك
زرعت هنالك تدعي بعض السكك
عن في العمالة والتجسس والدعك
راحوا بغير جريمة إلا النسك
ذهبوا ، وحل محلهم بعض البُكك
وأرى رفاقك قد تسألوا بالضحك

دمع على الإسلام ، كيف تطاولت
دمع على التوحيد كيف تبدلت
دمع على الإيمان كل دقيقة
(عرفات) أين سمونا وإباؤنا؟
إن الحقيقة في صخورك زيلت
(عرفات) أين لوا الجهاد وجنده؟
(عرفات) أين المسلمون وعزهم؟
وخليفة الإسلام أين؟ وصولة
والخيل أين وفارس ، وكتائب
وغنائم الفرسان أين ، وفيؤهم؟
أين الأسارى بعد إثنان شهدت
أنا تائة عبر التلال وحائر
ومداد أقلامي دمي وقريحتي
حتى إذا غلبت دموعي فكرتي
فأجابني عرفات في صمت الضحي
فامش الهوينى ، إن كل شجيرة
وهي العميلة تنقل الآثار تم
ترب الجزيرة فيه من أمثالكم
وكذا الذين أراك تسأل عنهم
إنني أراك قتلت نفسك بالأسى

هُوّن عليك ، فإن ربك ناصرٌ دينَ الحنيفة في دهاليز العاك
فاذهب لشأتك ، واستعن يا صاحبي بالله دعك من الجهالة والبَعك
فإلله ربك ناصر جند الهدى ما دار نجم في ثنيات الفاك
كفكف دموعك ، وامتلل لمقالتني ثقب بالذي رفع السما ذات الحبك
إنني عرفتك حافظاً أدب اللقا تزن القريض ، كأنه بعضُ الفاك
وكذا عرفتك عالماً أدب الدعا تدعو الإله ، وفيك أناتُ الحشك
فزد البكاء مع الدعاء ، فإنه يُرضي المليك ، لكي تباهي بالمأك
إن الجزيرة كالغيممة تستغي ث ، ولا مغيث من البلاء سوى الملِك
والله ربك ليس قط بغافل عما جرى ، فلم التصايح والحسك؟
أنا منذ غاب النور عني دامعٌ أشكو إلى المولى دموع المعترك
وأتابع المهدي ، أنظر جندهُ حول الخليفة كالغمام المؤترك
رباه عجل بالخلافة ، إنني يغلي بقلبي الشوقُ ، ينبض ، يأترك!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

يأترك: من الأراك الذي يستحکم ويتخضم. شجر مؤترك: أي كثير ملتف بعضه حول بعض. ينبتك: ينقطع.
البرك: جمع بركة وهي مستنقع الماء. البعك: الحماسة والفظاظة والغباء. البُكك: الحُمرة النشيطة. الحسك:
الحقد والعداوة وكذا البغضاء والكراهية. الحشك: شدة النزغ. الحكك: أصحاب الشر ومقترفوه. الحلك: شدة
السواد. الحمك: رذال أي قوم. الحنك: باطن أعلى الفم من الداخل. الدرك: من الإدراك واللاحق. الدعك:
الحمق والرعونة. رجل ربك: أي الرجل يختلط عليه أمره. الزمك: الغضب. السكك: الصمم. النسك: المناسك
أو الشعائر. الشرك: حبال الصيد. المعترك: مكان العراك. العكك: شدة الحر وذلك مع سكون الريح. العسك:
الغسق. الفلك : مدار النجوم. الفلك: جمع فلك ، يعنى مرادف أفلاك. النبك: جمع نبكة وهي التل الصغير.
الهلك: جمع هلكة وهي السنة التي يسود فيها الجذب وقلة النماء. ذات الحبك: السماوات ، وهي مأخوذة
من قسم الله تعالى في القرآن: (والسماوات ذات الحبك).

دمعة عند الكعبة

(الدموع في المواقف المؤثرة سمث المؤمن الموحد ، وإن لم تسكب العبرات عند الكعبة ، فأين تسكب؟ الكعبة بيت الله الحرام الذي طاف حوله آدم ونوح ، ورفع قواعده إبراهيم وإسماعيل. يقول الله - عز وجل - في معرض الحديث عن الكعبة: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد. ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم). الكعبة ذلك المكان المقدس العظيم. (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهُدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم. ومن دخله كان آمناً. والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. ومن كفر فإن الله غني عن العالمين). وكانت مفاجأة حلوة جدا لي وأنا في المدرسة الراهدية بعجمان في الإمارات أن اقترح بعض الزملاء العمرة في نصف العام فشاركنا. وكانت عمرة رائعة برفقة الأساتذة : علي عامر ومحمد عبد المنعم ونزيه الشماط وعبد الرحمن حرصي وعلي سعد. وهناك عند الكعبة يذرف الموحد العبرات ويسكبها في وعاء تقصيره وتفريطه وخطاياها ، لعل المولى يغفر له ما قد سلف. وذات يوم من أيام عمرتي ، رحت أنظر إلى بيت الله الحرام ، نظرة متأثرة بواقع المسلمين ، الذين تنتهك أعراضهم ، ويذلون في كل صُقع من أصقاع المعمورة. ورأيت هذا الكم الهائل من الزائرين والمعتمرين ، الذين يعلم أقلهم عن دينه حقيقته ، ويجهل الأكثرون تلك الحقيقة التي علمها الأقلون ، فاستعبرت باكياً على هذه الأحوال. وتذكرت الصحابة وما كانوا عليه ، فرحت أرثيهم في قصيدي تلك ، وأحسست أن الحرم المكي يبكي معي ، وينتحب على أحوال المسلمين المتدنية! وأحسست كذلك أن الكعبة تجفف دموعي التي ذرفتها عندها ابتغاء وجه الله تعالى. ذلك أنني تذكرت من خلال رؤيتي لكل أطراف المسلمين وأجناسهم ، إذ كانوا يتوحدون عند هذه الكعبة ، وهم يعبدون رباً واحداً ، ويتبعون نبياً واحداً ، ويتجهون إلى كعبة واحدة ، مؤدين نسكاً واحداً! وتساءلت في نفسي: لماذا لا يتوحدون كما توحدوا بالأمس القريب؟ وكما توحدوا عند الكعبة التي هي قبلتهم وقبله آبائهم وأجدادهم ، لماذا لا يوحدهم ذلك الدين؟ هل الخلل في الدين؟ حاشا لله! إنما الخلل خلل المسلمين في تطبيق ذلك الدين. الأمر الذي يحول بينهم وبين الوحدة التي تخيف عدوهم وتجعله يعمل لهم ألف حساب وحساباً! ومن هنا أحسست أن الحرم بات يشكوهم إلى الله تعالى ، ويطلب إليهم أن يعودوا لسابق مجدهم وعزهم وصلاتهم! فطفقت أبتهل داعياً الله أن يرضى عنهم وأن يلحقنا بهم غير خزايا ولا فاتنين ولا مفتونين: آمين.)

يا أيها الحرمُ الكئيبُ المرتعدُ
 إني عليك أسيرُ دمعي ، أرتعدُ
 إني أراكَ بأرض مكة باكياً
 ما من بكائك في ديار القوم بُد
 تبكي الديارَ وأهلها ورجالها
 ودموعُ وجدك تشبكي ، والأمرُ جد
 وأسرتَ في البلاء يا حرم الهُدى
 وأصابع الماسون لَمَّا تبتعد
 وذبول قيصرَ في الديار كما اللظى
 تحثو التراب على انفعالات الأسد
 أما نعاة ضلالهم فهمُ الندى
 يُردي الهداية في ثنّيات الأمد

وتقلبوا في جُود من هو يستبد
وقيامة صغرى لمن هو ينتقد
حتام يأخذ ربنا أهل الوقْد
يا عز ما ترك الأوائل للولد
والصف بات لكل صدق يفتقد
لما يعيشوا في غيابات الوبد
ومضى الزمان ، كذا الجواري والحفد
والكأس ، والخمار ، حتى والخرد
وإساف ، والأوثان ولت ، والخند
ولى ، ولم تبك السماء على الرُدد
والزوج يفتح جيدها حبلى المسد
والموت فوق الكل سيف مُحفد
حرم الهدى ، عشراً ، وعشراً بالعدد
هذي الديار؟ وهل ترانا نتحد؟
عزيزة ، ليست تخاف أذى أحد؟
كيف الخروج ، وأمرنا اصطحب العقد؟
ضل الرفيق ، وثمَّ قد ضل البلد!
ماذا يخبئ غيب قيوم صمد؟
حاب الدنا ، والزور ينخر في الجسد؟
من ذا يعين على الرشاد ويجتهد؟

وتنكروا للحق أي تنكروا
هم طوعوا أي الكتاب لباطل
هم أوقدوا ناراً لكل موحد
لم ينقموا إلا صحيح عقيدة
قد أشتموا فيهم عتي عدوهم
أكلوا بأي الذكر حلو طعامهم
أبيات (عُتبة) في المجاهيل اختفت
وكذاك (شيبه) قد تولى رهطه
وديوار (عُقبه) و(الوليد) تغيرت
حتى أبو جهل بصيحة كفره
وكذا (أبو لهب) صريع حمية
ومضى (أمية) في بقية من طغى
أناسائل إياك أسئلة أيا
كيف السبيل لنصرة الإسلام في
هل من سبيل تحفظ الأعراض فيه
كيف النجاة من المخازي هذه؟
كيف الرحيل من الديار وأهلها؟
ماذا وراء الخطب هذا ، ياترى؟
ماذا هنالك والتردي عمّ أر
أين الرجال ، ألم يغد إلا النساء؟

أين الرجال ، وقد عدتُ صحابتي؟
أين الإباء اليعربيّ وقد عدتُ
ما من مُقبلٍ عثرتي ، وترنحي
حرمي الحبيبَ أطلتُ شعر محطم
ومشاعر الحزن الأليم تهزني
هذا القريض أزفة شوقاً إليـ
حزناً عليك ، على الكسيرة كعبتي
اليوم هامت حولنا الأصنام شتـ
شكل الديار وأهلها الإسلام ، لـ
حتى الخيام ، فلا تُرى كخيامهم
وثغور كعبتنا تسمر عندها
صَدُوا عن الخير العميم مريدَه
أحسست يا حرمي بقلبك باكيأ

وبحق من رفع السماء بلا عمد!
تُ مثيله في المسلمين ، فلا مدد؟
إنني الكسير ، وليس لي إلا الأحـد
يهوى الحياة بشرطِ يعلوها الرشد
وأراني في الأحزان لست المقتصد
كك ودمعتي ، ويكاد قلبي ينفصد
ما عاد في نفسي الأسيفة من جلد
سي ، والديارُ تنصّلت ، فهي الزبد
كنّ ثم فرقَ بين زور والسدد
وكذا النساء بكل قبح تنفرد
من كان للشيطان رداءً والسند
ياليت شعري من أمور كالبدد
من أجل ذلك قلتُ: إنك ترتعد

بعض معانى الكلمات غير المطروقة

الأمَد: الغاية والمنتهى. الجلد: الصبر والمثابرة معاً. الحفد: الخدوم. سيف محتفد: سريع القطع. السدد: الاستقامة. الحند: جمع حنود وهي الإحساء أو الآبار. رشد: الرشد هو مرادف الهداية. الخرد: جمع خريدة وهي البكر الحبيبة التي لم تمس. الردد: القباح والحثالة من الناس. مسد: الحيل من المسد أي من الليف والنار معاً. السند: هو ما قبلك من الجبل وعلا من السفح. ينفصد: أي يتشقق. الوبد: أي شدة العيش وشظف الحياة. الوقد: النار.

حراء

(أتاحت لي الفرصة أن أصعد جبل النور ، وهناك وقفت أعلاه قبالة غار حراء ، ووجدت جموعاً كثيرة غفيرة ، كل مرادها من حراء التبرك والدعاء والصلاة فيه والتمسح بصخوره من الداخل ، نعم وقفوا كل يأخذ دوره كأنه المنسك ويزيد ، فتذكرت الأوائل بعلمهم وإقبالهم ووقوفهم على الدليل الحق ، وقارنتهم بكثير من الأواخر حيث الانصراف والإعراض والتولي عن الحق وأهله ، وانتظرت دوري ، ونزلت إلى الغار ، وجلست فيه بعض الوقت وعندها أخذتني الذكريات ، فأخذت أناجي حراء وجبل النور بلسان المشفق وبإشفاق اللسان في لوعة الشعر ، وكذلك في شعر اللوعة إلى أن نزلت من الجبل ، وكان سعودي قد استغرق خمساً وأربعين دقيقة ، بينما استغرق نزولي ربع الساعة! وعدت إلى الكعبة المشرفة. وإنما كان سعودي وهبوطي ومعابنتي لحراء الوقوف على الذكريات لا التبرك ولا الدعاء ولا الصلاة هناك! يقول الدكتور راغب السرجاني عن غار حراء ما نصه بتصريف: (تفكر رسول الله في غار حراء وكان صلى الله عليه وسلم من هذا المكان يُشاهد الكعبة ؛ ذلك البيت المقدس الذي يعلم - كما يعلم كل العرب - أنه بيت الله الحرام ، وأن له مكانة عند الله وحرمة لا يُدانيها أي مكان آخر في الدنيا ، ولعلَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم كان يتفكر - أيضاً - في هذا الغار في طريقة إصلاح هذا المجتمع الفاسد ، الذي انتشرت فيه عادات قبيحة كثيرة كان من أهمها السجود للأصنام من دون الله عز وجل ، وكذلك طغى كثير من العادات القبيحة على معاملات الناس ، فظهر الظلم ، والجور ، والإباحية ، وشرب الخمر ، وإهانة طوائف كثيرة من طوائف المجتمع الضعيفة. ومع أن هذا الاختلاء كان يُريح نفس الرسول صلى الله عليه وسلم من الواقع البغيض الذي كانت تعيشه مكة ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل ذلك طوال السنة ؛ إنما كان يفعله في أوقات معينة ، وكما تقول الروايات أنه كان يختلي بنفسه شهراً في السنة ، وهو شهر رمضان ، وبعد البعثة المباركة لم يُعد الرسول صلى الله عليه وسلم يختلي في غار حراء ؛ ولكنه عاد إلى هذا الاختلاء بشكل مخفّف في المدينة عندما بدأ سنّة الاعتكاف ، وقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم: "المُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ ، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ". ولكن في الوقت ذاته ينبغي للدعاة أن يكونوا حريصين على الاختلاء بأنفسهم ، ولو أياماً معدودة في السنة ؛ لكي يُصلحوا من أحوالهم ؛ لكي تكون لهم القدرة بعد ذلك على إصلاح أحوال الناس. وقبل أن تغادر هذه النقطة لا بدّ لنا من وقفة مع موقف خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فهي كانت تُساعده فيها ؛ مع أن الأمر مستغرب في مكة ، وليس معتاداً بين الناس ، ومع أنها رضي الله عنها لا شك كانت متضررة بغيابه ؛ فزوجها يتركها شهراً كاملاً ، لا يعود إليها إلا بضع ساعات يتزوّد فيها لرحلة جديدة ، ومع أنه من الطبيعي أن تخاف عليه ، وهو في ذلك المكان الموحش ، فإنها كانت تُشجّعه وتُسانده ، وهذه - في الحقيقة - صفة من أهم صفات الزوجة الصالحة ، حيث تقف مع زوجها فيما يحبه ، وتؤيِّده وتُشجّعه ، وتكون عضداً له في اختياراته ؛ فهذا - لا شك - من أقوى الأمور التي تجعل الرابطة بين الرجل وزوجته من أقوى الروابط مطلقاً.) هـ وأشكر الدكتور السرجاني استنباطاته وتعليقاته الظريفة التي ألقناها وعهدناها فيه ، وأعود لحراء فأقول:)

يا حراء القلب ، ياعذب الأرجح يا أليفاً وسط عشاق الخمَج

في ضميري أمنيات تكتوي! في فؤادي الحرج جرح يعلج!

إنما الإسلامُ في أيامنا
 بات يشكو أهله في حُرقةٍ
 كيف شمسُ العزبات تنزوي
 كيف جيل الحق أرداه الهوى
 كيف (فاروق) المعالي لم يثر؟
 أين (صديق) التحدي ، إنها
 أين (مقدادٌ وسعدٌ والبراء)؟
 أين (سيفُ الله) والجنْدُ الألى
 أين (قعقاعٌ) له بأس المضا
 أين (عمرو) الحق؟ قد شط النوى
 والمثنى أين؟ أدماني الجوى
 ثم (زيدٌ) أين؟ أين حديثه؟
 كيف هذا الهدي أضحي لا يرى؟
 ثم باتت أمتي تشكو الغشا
 إيه يا هذي الأسيرة في الدنا
 ما لهذا الأسرحدٌ ، ياترى؟
 يا صخور النور عزّي غارنا
 واسكبي فحوى التسامي في النهى
 سائلتي التاريخ ، دقي بابيه
 واهتكبي الأوهام ، لا تستكتمي
 بات يشكو علّة ، لا تنفـرج
 كيف ضاعوا في متاهات الهَمَج؟
 ثم نور الكون ولى ، والوهج؟
 ثم راح الخُمق يسري ، والهـوج؟
 إن هذا الخطب يستدعي الزعج
 ردةً سادات ، وفسقٌ قد برج؟
 أين صبحٌ للتسامي ينبج؟
 قوموا بالسيف من يبغى العوج؟
 و(الطفيل) خلفه؟ يا للخرج!
 واللظى في القلب يجتاح الخُجج
 إن شوق لقائه حلـو الأرج
 إن سُولي في فـوادي يرتعج
 ما لهذا الخطب حل يندرج؟
 في جحيم الكرب أمسيت تختلج
 إن قيـد الأسر بالبلوى امتزج
 ما لهذا الضيق يوماً من فرج؟
 دمري في النفس بركان العـرج
 واركبي متن العبير المبتهج
 مزقني ستر التـردى والخـلج
 إن ظل الوهم فينا قد خرج

وارجمي الشيطان في أصقاعنا
كم تصبرت كثيراً ، فطغى
لم تكوني للتجني مرتعاً
كم توارى في حراءٍ (أحمد)
لم تذلي عنه شيطاناً طغى
نحن - عبر الخوف - ولت ريحنا
لم تمت ، في حين قدمات الورى
أغلب الأقوام ضلوا يا حرا
كيف عم الزيف هذا أرضنا؟
ليت شعري ما الذى عنا اختفي؟
كيف قانون الأعداء عمنا؟
كل درب فيه ألوان الهوى
والغناء المر يغشى ساحة
إن في الغيب المواتي فرقة
تنصر المهدي تعلي ملة

أم سيبقى في ربنا المنبلج؟
واستابح الحق بالكيـد السمج!
قد حفظت العهد في بطن الحجاج
يذكر الرحمن ، يدعو ، يتهج!
فلماذا الصمت في هذي اللجج؟
بينما كم في الصحاري من مهج!
حياة في صمتها عبر الأبرج
كل دار فوقها رمز الخمج
كيف بالإسلام زور يندمج؟
إن حول الشر سور منزلج
كيف ظلم ها هنا لا ينزعج؟
والدنا غصت بأصناف الهزج
والخنا ، بل والربا ، ياللدجج!
تملاً الأفاق نوراً ينبج
وتزيد النور في القلب البهج

بعض معانى الكلمات غير المطروقة

الخمج : الفتور وفساد الدين والخلق. يعتلج: يضطرب. الهمج: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير. الوهج: الاشتعال. الهوج: التهور والطيش معاً. الزعج: القلق والاضطراب. برج: تقول العرب ، برج هذا الأمر إذا ظهر واتسع. ينبج: من قولهم بلج الصبح إذا أضاء وأشرق. الحجج: أي الجراح المسبورة. الأرج: ريح الطيب. يرتعج: أي يرتعد. يختلج: أي يضطرب بشدة. الخلج: أي الفساد. سمج: من قولهم رجل سمج أي قبيح.

القصيدة الدالية (مولد النور)

(إن الأولاد نعمة كبرى ، لا يدرك قيمتها إلا من فقدها. إذ الولد كنز أبيه ، كما كان الأوائل يرون. وعندما يكون الولد أو الفتاة على دين وتقوى ، يكون كل منهما ذخراً في الدنيا والآخرة: (أو لد صالح يدعو له). والحقيقة أن الله قد رزقني بالولد الأول فسميته: عبد الله ، فلما كان الثاني حملاً تمنيت أن يكون ولداً حتى يكتمل حديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لأسميه: (عبد الرحمن). كما صح عند الإمام مسلم في الصحيح ، حديث النبي - عليه صلوات الله وتسليمه - : (أحب الأسماء إلى الله ، عبد الله وعبد الرحمن). ولقد استجاب الرحمن الدعوة ، وحقق الأمل المأمول المنشود والأمنية المرتقبة ، وكان عبد الرحمن ، وأتم الله النعمة ، وجعلهما صالحين مؤمنين قانتين. آمين. قال الله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يَزُوْجَهُمْ ذَكَرَانًا وَنَثَاءً ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا). وإذن فالولد نعمة وهبة وعطاء وفضل رباني خالص. هو الذي يخلق سبحانه ، وهو الذي يرزق ، وهو الذي يوجد ، وهو الذي يُمد. (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ، ذكر الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) ، والحافظ ابن كثير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ ، قَلَّ شُكْرُهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْعِبَادِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئاً فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ لِقَوْلِهِ: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ". يقول الأستاذ أحمد الفراك في وصف نعمة الأبناء ما نصه بتصرف: (يأتي الطفل إلى الدنيا حاملاً "هدية" ربانية إلى أسرته ، تسعد بابتسامته المغردة قلوب الأهل والأحباب ، يحمل للمستقبل بشرى الخير ، يرطب بلمسته الناعمة على آلام والديه ، يملأ الدنيا مرحاً بحركاته العفوية وضحكاته البريئة. ويجعل "العضو الأسري الجديد" أبويه يصدقان على قول الواهب سبحانه وتعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، ويأملان بأن يكون وليدهما غرساً مثمراً لحصاد الآخرة! عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له". وكتبت داليتي الشهيرة الجهيرة ، والتي عنوانها: (مولد النور)! وأسأل الله أن يكون مولد نور بحق على أبيه وأمه. وأن يكون ذخراً للإسلام والمسلمين. ألا وإن ظروف تأليف هذه القصيدة صعبة للغاية ، ولربما لم تمر علي في حياتي كلها إلى الآن ظروف مثلها. ومن هنا فسوف ينعكس هذا عليها بالطبع. وكنت أنوي تأجيلها إلى حين. ولكنني خشيت أن تدبّل العاطفة. فاهتديت إلى كتابتها اليوم. وأعد عبد الرحمن بكتابة أخرى في المستقبل ، عندما يشب ويحمل الحق ، ويتبع الإسلام منهجاً في الحياة. وساعتذ ستكون القصيدة الموعودة أظلى وأجمل!)

يا عابد الرحمن أخلص واصمد	وبهذي ربك والرشد استرشد
إن المنايا شاهرات سيفها	ليست تحب سماع رأي مخصد
من يزرع الخيرات يجن رطيبها!	من يبذل الطاعات دوماً يحمد
أمسك لساتك عن وشاية عابث	يلقي الوشاية كالبعير الجرهد
إيالك أن تمنن بخير سؤقته	لمريده ، عاز على المسترشد
وكن المغيبت لمن أراد إغاثة	وأعد عباد الله ، لا تسعد تعبد

عوناً وردعاً ، ياله من سُؤدد!
ك قد أتى ، وأراك فذ المَحْتَد
أو تستسبغ الوهم من متهود
ه تعش به ، ودع سقيم الحرمد
ك فسيحة ، فيها رطيب الخرد
ك مذمة ، أجمل بطل أمجد!
ك مسلماً ، أنعم بشهم أرشد!
لد جهبذ في الحق صلب سمهد
فوق احتمال ، من هنا فليحمد
فيه الخيانة ، ديدن المترصد
دوماً تذود عن الهدى بتجاد
وكتاب ربي من أذاه منجدي
كرهاً يرى - بين الورى - كالصيخد
ق بخشية المتوضيء المتهدد
في ذات ربك - صاح - فلتستشهد
واحد من العيش الرغيد الأغيد
بك يا فتى ، فاصبر لأمر السيد
فلأنت - بعد الله - ذخراً للغد
عبدان صدقاً للمليك الأوحد
ويكبدان الخصم كل تفؤد

وأحب كل المسلمين ، وكن لهم
عذراً بُني ، فمذ أتيت وأمر رب
لما تكن تغنى بذل معربد
يا عابد الرحمن دينك فالتمس
يا عابد الرحمن جنات الملبد
فاعمل لمرضاة الرحيم ولا عليه
نعم الغلام أراك إن وحدت رب
شاء المليك لنا امتحاناً يوم مو
والله ربي لا يكلف أنفساً
والعصر عصرك يا بني تعددت
ابني الكريم أراك فوق رؤوسهم
أنا أكره الشيطان عمري كله
وذاك أكره في الورى أعوانه
فاكرهه ، إن الله مولانا أح
واجهر بكرهك نزغة وجزوده
إياك أن تأسى على شيء مضى
إذ ليس أخطأك الذي هو قد أصا
يا عابد الرحمن أمك فارعها
وأخوك صنة ، ولا تخنه لحيطرة
قلبان في جسد يعاني محنة

ذل قلبه ، من زمرة المستأسد
عواضعه ، فغدا كمثل العرْجُد
بل كان سِلاماً وسَطِ شتى الأفْهُد
ولأمرهم أغضى ، ولم يتفق
كانوا له نوراً يُرى كالفرق
وصغيرهم في الغدر مثل الفرْهُد
أشتم برهط واجف كالصَّفرْد
أبئس بجمع جعظري عنْكَد!
جرحت ، ومن يُجرخ يُعْث ويضمْد
أيامهم ، زينت بسُنة (أحمد)
زمن تولى ، مثل وادٍ مُرْصِد
أصف الطريق بهالماء المدمد
وبقيت أبكي ما جرى للأكبُد
كلا ، وما بارزته بالمصْيد
إن التخاذل في السورى كالأسعد
كأحباك ، والشوق لم يتفصد
وشربتم دم عبقري أمجد
متفحماً في النار غير مُقدد
ويح الفؤاد الواجم المتفصد
ه ، ولا تسن في أي رأي أرمد

وأبوكمما قد أحرقت نارُ التخوا
خذلوه في كل المواقف لم يرا
هو لم يعارضهم بُني دقيقة
هو كان سالمهم على طول المدى
هو كان خادهم ، ولما يعصهم
واليوم خانوا الدرب ، قد غدروا به
لم يذكروا إخلاصه يوماً لهم
لم يرحموا طفلين لَمَّا يكبرا
لم يرحموا زوجاً تراهم قدوة
لم يذكروا حلو الليالي في دجى
ثاوا أنا أبكي سوالف أنسنا!
قد كنت في أفيانها متحفزاً
ذهب الجمال بفرحه وبترحه
أنا ما جرحت أخاً بأي تنقص
أنا ما دفعت أخاً لأي كرية
أنا قد بذلت النفس في ذات الملي
فشو ويتموني في جحيم ريانكم
وأكلتم لحمي بكل شراهة
وتفطر القلب الجموخ عليكم
يا عابد الرحمن: دينك فانتهج

وتعلم القرآن تنج من الهوى
وأمامك الفرق الكثيرة في الورى
واحذر مداهنة التحزب ، إنها
وامش الهوينى فوق هذي الأرض لسـ
وَكذلك لسـت ببـالغ فوق الكـثيـر
يا عابد الرحمن قصّر في الأما
انا لا أعقّد فيك نظرة مسـلم
ووصيتي من كل قلبي فامتثل
لكنما هي همسة من والـد
سبب الجفاء إطالة الأحلام في
يا عابد الرحمن صدقت الأما
فأطع أبـاك ، وكن لنفسك حازماً
هو واقعيّ ، ليس يحلم مثلاً
وكذا الصقور ، فكم لها من عزة!
فالصقر كم في الصقر من عجب لذا
هو جرب الأحلام دهرأ فاكثوى
هو طائر عذب الشكاة مزركش
هو ليس كالمطـاوس يمـلاه الغـرو
لكنما هو واقعيّ في عقيـر
شاهدتها ، مع قومها للشمس قد

واعمل به ، والزم رياض المسجد
لا تمش في وادي الهوى المغنـد
تودي بعقل المرء مثل الصرخد
ت بمحدث فيها خروقا ، فاهتد
ب الصلـد - هذا اليوم - طول الخنجد
ني ، إنها بلوى الفؤاد المهتدي
حبي إليك أيما فتى لم ينفد
هذي النصيحة - يا فتى - لم تعهد
قد عاش يشكو من جفاء سـرمـد
هذي الدنا ، والمرء غير مـخـاد
ني ، فانزويت بأهـة المتغلـد
كن كالجمان على التراب الأمرد
ويهيم في طير هنـاك مغـرد
وكذاك كم في سيرها من مشهد!
آثرته ، أكرم بطير أصـيد!
وحصانـد الأحلام مثل العجـاد
يختال في هنادامه كالأصـيد
ر ، وليس كالمتبـذل المتـردد
دته ، يـذكرنا بقـول الهدد
سجدوا سجوداً ، يا لكفر السجد؟

أولى بذلك ربنا ، هو مُخرج
يا عابد الرحمن حدد بُغية
ولدي الحبيب فإني جربتها
إياك أن تهوى متاع غورها
هي تشبه الأمل الضحوك بطيها
ابني الحبيب: لك الفضائل جمّة
فاربأ بنفسك أن تكون مذللاً
واجعل إجابة من يعيبك إفكه
وارج الهداية في إطاعة ربنا
ما خاب عبدٌ قد أطاع إلهه
واحذر مصاحبة الوشاة ، فإنهم
إنى أريدك أن تعيش العمر حـ
إنى أريدك أن تعيش على الكفـ
فأبوك قد برت الوشاية عزمه
أعلمتهم في الناس سري فاستبا
فظويت صفحتهم ، ولم أعبأ بهم
بل هم يريدون الوصول على حسا
وإذا أتاك من الخلائق فاسق
فعليك بالتبيان ، لا يغررك تنـ
وتحر في طلب الحلال ، وكن لما

للخُـبـء في أكوانه بتفـرد
من هذه الدنيا ولا تتـردد
فوجدتها كالأرقم المستحصـد
أبئس بشـر تخـبط وتـأود!
فتـروح أو تغـدو بثـوب مجـسـد
ولأنـت نبتت من فنام سـجـد
واربأ بقلبك عن غـموم الحـسـد
واشمخ بأنفك عن تطاول قمهـد
وذرى التعفف في العبادة فانشـد
إن العبادة طاعة للسـيد
سبب الشقاء على الدوام السـرمـدي
رأ ، لا يهمك من متاع أجـرد
عاف ، فاست تحلم بالرياش العسـجـدي
ويح الوشاة من الجُموع الحـسـد!
حوا كل خير ، يا صغيري فاشهد
قد بات أمر القوم غير مـعـقد
بصحابهم ، هم كالعجاج الأربـد
يُنـبـيـك عن قوم بغوا أو مشهد
ميقُ العبارة بالخيال العسـجـدي
لك واعياً ، أنعم بكل حفنـد!

وتجنب الجهل عمرك كله
ولأمر ربك فاصطبر ، كن راضياً
وابذل على الأيام معروفاً ، ولا
عيناك فلتحفظهما عن كل خا
إحاذ عينك في الحرام جريمة
والخاطر الحيران فاكظم غيظاً
واعلم بأن هديتي هذي إلي
ما كنت أنوي أن أسطر شطرة
لي موعد مع عابد الرحمن في
وختام دعوانا أن الحمد الكثير

فالجهد داعية الفنا المتوقد
عند المصيبة فالقدير استجد
تمنن به ، فالمن داء الأكد
نن نظرة ، فالغض ستمت المهدي
حاذر تردى كل غر ملحد
كيف الحياة بخاطر متغلد؟
ك ، أرفها (دالية) لم تسرد
لكنما قدر المليك الموجد
أخرى تكون عظيمة كالعسد
ر لربنا المهي الميبت السيد

بعض معانى الكلمات غير المطروقة

أوبد: وحوش. مستأخذ: مستكين. يؤطد: يؤسس. الأبرد: النمر. ثوهد: أي الغلام المراهق. جلمد: أي غليظ. جوامد: هي حدود بين أرضين. مجمد: بخيل. أجاود: جمع جواد. متحد: معتزل الناس. حرد: أي قصير. محارد: مشافر. حرافد: هي كرام الإبل عند أي قصير. حرافد: هي كرام الإبل عند العرب. أصاعد: مقابل أهابط. خنفدد: هو صاحب مال ولكنه كريم يبذله في أوجه الخير. حارد: معتزل الناس. أبرد: بخيل. صفرد: هو أبو المليح (طائر جبان). أصايد: جمع صيد. الأصيد: الملك. العنكد: الصلب الأحق. سم متغلد: أي متعمق. فراقد: نجوم يهتدى بها. فرائد: جمع فريدة. متفصد: أي يتفصد عرقاً إذا كان يتصببه. أفهد: جمع فهد. قلاند: جمع قلادة. حافد: خادم. يوم محتمد: أي يوم شديد الحر والقيظ. حنجد: أي جبل الرمل. خراند: بنات أبار. سمهد: أي يابس. السمهد: هو الجسيم من الإبل. الصيخد: أي عين الشمس. صراند: هي النعاج أمراضها البرد. الصرخد: أي الخمر. مهند: أي السيف. أرمد: أي مصاب بالرمد. سرمد: أسود للغاية. سرمدي: دائم الاستمرار أي خالد. السيد: اسم من أسماء الله الحسنى ، أشار إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله: (السيد الله).

قال: معاذ الله!

(إنه ليفترض في الزوجة المؤمنة أن تتخير من الصويحبات من تحفظها في غيابها ولا تلعب بزوجها. استغلت هذه الساقطة رحيل زوجته والأولاد ، فهاتفته وألحت في أن تأتي لتعد الطعام له. ثم منت وأغرت قائلة: إذا احتجت إلى شيء فنحن في الخدمة! وطبعاً كانت اللهجة واضحة ، وكانت النبوة ذات دلالة على جدية المتحدثة من هزلها ، وكانت المرأة إلى الهزل أقرب منها للجدية. فتعجب الرجل من الحديث وصاحبه والتوقيت. وأبى إلا أن يلقتها درساً قاسياً ، ينفعها في مستقبل الأيام فأردف قائلاً: أنا لا أحتاج اليوم شيئاً ولن أحتاج إلى شيء غداً! وشكراً لك ، ولا تكرري الاتصال مرة ثانية! ورفع بصره إلى السماء ، وتذكر من كان في موقف هو أعتى من هذا (في القصر وأمام ملكة جميلة قد غاب زوجها!) ، والآن هذه لا تزال في بيتها ، والفتنة بها لم تبدأ مقدمات أولى خطواتها. فماذا قال الأول حتى يقول مثلما قال؟ وكيف تصرف الأول حتى يتصرف مثله؟ فقال: معاذ الله! مثلما قال ابن يعقوب عليهما السلام. وصرف نفسه عنها ، كما صرف ابن يعقوب نفسه عن امرأة العزيز! فجعلت عنوان القصيدة: معاذ الله! ويبقى فارق وحيد بينه وبين يوسف خلاف كونه نبياً وابن نبي وهو أن ابن يعقوب لم يكن قد تزوج يومها بعد! يقول الأستاذ محمد أبو خليف تحت عنوان العفة ما نصه بتصرف: (العفة تعني التنزه عن الرذيلة والفحشاء بين الرجال والنساء ، واقتصار العلاقة بينهما في حدود الزواج الشرعي الذي يحفظ حق الأسرة ، ويضمن سلامة وصحة النسل. تعني العفة حفظ النفس عما يقبحها وعما يشينها بكرامتها ، ولذلك عدة مجالات: فحفظها عن الوقوع في الفواحش إعفاف لها ، وحفظها عن سؤال الناس إعفاف لها عن الوقوع في سبب المذلة ، والكف عن المحارم وخوارم المروءة إعفاف لها. وهكذا ، قال النووي في شرحه على مسلم: "وأما العفاف فهو الكف عن المحارم وخوارم المروءة". وأنواع العفة عن المحارم وتشمل: ضبط الفرج عن الحرام ، وكف اللسان عن الأعراض. العفة عن المائث وتشمل: الكف عن المجاهرة بالظلم ، وزجر النفس عن الإسرار بالخيانة! ومن ثمرات العفة: البعد عن الخبث والفواحش. وتحقيق المروءة التي ينال بها الحمد والمجد والشرف في الدنيا والآخرة التي تقود إلى عدة ضمانات منها: - الارتقاء في سماء الفضيلة ، والبعد عن حضيض الرذيلة ، والوقوف بالشهوات عند الحد الذي خلقت من أجله ، وفق المنظور الشرعي ، والمفهوم الأخلاقي. - حفظ الفروج عن الفواحش مما تزكو به النفوس ، وتسلم به المجتمعات ، ويحفظ به الأمن ، وتصلح به الأعراض. - الفلاح بثناء الله تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ" - الفوز بالجنة والنعيم المقيم في الآخرة " أَوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" - قوة القلب ونعيمه وطيب النفس وانسراح الصدر ؛ فصاحب العفة مستريح النفس مطمئن. - السلامة والنجاة من نار السموم: ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرس في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفت عن محارم الله. - وفرة العقل ونزاهة النفس وكمالها وعزها وقلة الهم والحزن والغم. - صون الأعراض وصيانتها عن الحرام والرذيلة ومواضع الآثام. - تنمية روح الغيرة في النفس والتي هي سياج منيع لحماية المجتمع من التردّي في مهاوي الرذيلة والفاحشة. وتتحقق العفة بعدة أمور ، منها: - تحقيق الإيمان الذي يُنشئ مملكة الضمير في نفس المؤمن ، فيستحضر الخوف والحياء وتذكر الآخرة واستشعار عظمة الله ، ويكون باعثاً على قمع الشهوة في النفس ودرئها عن تجاوز الحد معاذ الله إنّه ربي أحسن مثواي. - تربية النفس بالصوم ؛ فإنه مما يُعين على زكاة القلب ، وطهارة النفس ، وبه تنحصر وتضيق مجاري الشيطان. - توعية الجيل المسلم بتعزيز المنافع

والمصالح التي تنشئ العفة ، والتزام أمر الله عزّ وجل في الحياة اليومية . - التقرب إلى الله سبحانه بالتواضع
بعد الحرص العظيم على الالتزام بالواجبات ، والوقوف الجازم عند الحدود والفرائض.)هـ.

أراك هتكتِ الستر ، أرجحكِ الغدرُ
فما للهُدى نهْيٌ عليكِ ، ولا أمرُ
رأيتكِ تحتالين في حَبكِ حياةٍ
عليها الهوى ثوبٌ يرصغُه الجمر
تحيتتِ ميعاداً لإشباع شهوةٍ
وزخرفتِ أقوالاً يؤججها الدعر
وخنتِ التي غابت بإغراء زوجها
ودارتِ رحى الإغواء يدفعها الغدر
وغاصت حرابُ الغي في صدر أيم
فأرداكِ يا بلهَاء في المحنة المكر
تلاعبتِ حتى قلتِ: عانتِ صبابة
وجعلتِ طعامي سُلاماً لتعففي
وباح بما عانيتِ في الكَبوة الثغر
كفأكِ هراءً ، إنما الهزلُ منحَرُ
مجيئكِ موتٌ ، وأنتِ ناسي بكِ القبر
ولفظك - في سمعي - السكاكينُ والنحر
تحاللتِ من دين ومن عريبةٍ
وما ردكِ الإحسانُ ، كلا ، ولا العُمر
أفيقي ، فمثلي ليس سهلاً وقوغه
فلا يلعبن - يوماً - بك الطيشُ والخمر
فإن (معاذ الله) في القلب حارسٌ
وشاهدها عندي القراباتُ والشعر
ويعرفني قومي بكل خليفةٍ
وفيهم أنا الأخلاقُ والحزمُ والبدر
وهذا بفضل الله ، لا فضل غيره
ولستُ الذي يُعليه بين الورى الفخر
بنعمة ربّي إنني متحدثٌ
له الحمدُ إذ أعطى ، ومني له الشكر
أفيقي ويوماً سوف ترجع زوجتي
لتعرف من خانة ، وزايلها الخير
لتختار فضلي ، لا تبيعُ عفافها
وخيرٌ لها إن أجمتُ ساقها البتر

ثم قست قلوبكم

(إن قسوة القلوب داءٌ يصاب به أهل الغفلة من الذين يصرفهم الشيطان عن مولاهم الحق تبارك وتعالى. وكان ينبغي عليهم - إن كانوا ناصحين لأنفسهم - أن ينصروا طائعين غاية وجودهم - التي هي عبادة الله - على عبادة غيره من الأهواء والشهوات والعادات والتقاليد والأمزجة! ولكن نظرا لقسوة قلوبهم من أثر ما يرتكبون من المعاصي والموبقات ، أصبحوا لا يستجيبون إلى أي هدى! وترى الواحد من هؤلاء يفرط في الصلاة فيؤديها مجرد حركات لا خشوع فيها ، ويرى الفرائض والواجبات التي فرضها الله عليه كأنها أثقال ينوء بها ظهره فيسرع ولسان حاله يقول: أرتاح منها. يقول الأستاذ خالد سعود البليهد - عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة - تحت عنوان قسوة القلب ما نصه بتصريف: (مما يدل على انتشار مرض خطير وهو "قسوة القلوب" قال سبحانه: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ، وقال: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة). قال ابن عباس: "فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمل قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات. فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج لئنها أو أشد قسوة من الحجارة". والقلب القاسي أبعد ما يكون من الله ، وصاحبه لا يميز بين الحق والباطل ، ولا ينتفع بموعظة ، ولا يقبل نصيحة؟ وقد اعتنى الشارع الحكيم بهذا العضو الخطير وسعى إلى تطهيره ، وتنقيته من الشوائب ، وحث العبد على إصلاحه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب). متفق عليه. وقال: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). رواه مسلم وإذا قسى القلب وأظلم فسد حال العبد وخلت عبادته من الخشوع ، وغلب عليه البخل والكبر وسوء الظن ، وصار بعيداً عن الله ، وأحس بالضيق والشدة وفقر النفس ولو ملك الدنيا بأسرها ، وحُرِمَ لذة العبادة ومناجاة الله وصار عبداً للدنيا مفتوناً بها ، وطال عليه الأمد! ولذلك كله أسباب منها: - الإعراض عن الذكر: قال تعالى: "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى". وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كالحى والميت). رواه البخارى. - التفريط في الفرائض: قال الله تعالى: "فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية". - أكل الحرام: ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له؟" رواه مسلم. - فعل المعاصي: قال تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". وورد في السنة أن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكته سوداء حتى يسود قلبه. - المجاهرة بالمعاصي: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل أمتي معافي الا المجاهرين". متفق عليه. فالعبد إذا جاهر بالمعصية بارز الله واستخف بعقوبته فعاقبه الله بفساد قلبه وموته ، أما المستخفي الخائف من الله فهو قريب إلى الله. - الرضا بالجهل وترك التفقه بالدين: قال تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء". فالجهل من أعظم أسباب القسوة وقلة الخشية من الله. - اتباع الهوى وعدم قبول الحق والعمل به: قال تعالى: "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم". وقال: "ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم". - النظر في كتب أهل البدع والتأثر بمذاهبهم: فإن الاشتغال بها يصرف المسلم عن الكتب النافعة ويحرمه من الانتفاع بها. وقال الشافعي: المرء في العلم يقسى القلوب ويورث الضغائن. - الكبر وسوء الخلق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر". متفق عليه. - الاغترار بالدنيا والتوسع في المباحات: فالإكثار من ملذات الدنيا والركون إليها مما يقسى القلب وينسيه الآخرة كما ذكر أهل العلم. - كثرة الضحك والانشغال بالهوى: فإن القلب إذا اشتغل بالباطل انصرف عن الحق وأنكره واشتبه عليه. وفي الحديث: "إياك وكثرة الضحك فإنها تميت القلب وتذهب

بنور الوجه." رواه الترمذي. - مخالطة الناس وفضول النظر والطعام والنكاح: فالقلب يصدأ وتذهب حلاوته ويقل فيه الإيمان بالإكثار من ذلك.) هـ. وقد وصف الله المنافقين فقال: {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى}. ويسمع آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر ولا يخشع قلبه ولا يخبت ، كما أنه يغفل عن قراءة القرآن ، وعن سماعه ويجد ثقلاً وانصرافاً عنه ، مع أن الله تعالى يقول: {فَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيد}. لهذا الصنف من الناس أنشدت أقول:

ليت شعري ، كيف استكانت قلوبُ
 للثدي حتى محتها الخطوب؟
 أو غلت في التيه المقيت ، فزلت
 واستبدت لَمَا طوتها الدروب
 واستفاقت على ضياع مناهها
 واعتلاها الوهم البهيم الرهيب
 لم تراجع قرآنها ، فتزكي
 ويحها ، عن عصيانها لا تتوب
 يا قلوباً إيمانها - اليوم - يُزوي
 وسناها - في الموبقات - يذوب
 أكثرى الاستغفار ، ثم أنيبي
 يفسد القلب عندما لا يُنيب
 كل قلب تطفو عليه ذنوب
 والذكي من لم تمثه الذنوب
 كل قلب معرّض لافتتان
 أسقيم من يزوي ، ويخيب
 إنما يقسو القلب حين يُدسى
 وثبات القلوب شيء عجيب
 وتردى القلوب يُورث ذلاً
 ولهاذا أذعو ببتبيبت قلبي
 كي يكون - فوق المنايا - هماماً
 هكذا الإيمان العميق سياج
 طاعة الله تمنح القلب عزاً
 ثبت الله كل قلب تقى
 إن ربي هو السميع القريب

فأما اليتيم فلا تقهر

(إنه لا خير في قوم ولا مجتمعات يُهان فيها اليتيم. أراد ذلك المحسن الكريم والسخي الرحيم مصاحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - في جنة النعيم ، فكفل ابن أخيه بعد موت الأخ عشرين عاماً. وظل ينفق من ماله على هذا اليتيم ابتغاء مرضاة الله ومرافقة نبيه - صلى الله عليه وسلم - إنفاقاً سخياً ، حتي قالت له أم ذلك اليتيم: جزاك الله خيراً ، ويكفي هذا ، فإن فلاناً (وسمت يتيمها) قد بلغ أشده واستوى ، وأصبح قادراً على الكسب بعد تخرجه من الجامعة واستلامه وظيفة. وأنا يكفيني معاش زوجي. فاحترت في أي العبقريتين أشد الشعر: في المنفق المحسن الكريم الذي تخطى إنفاقه الحدود وجاوز الأوصاف! أم في عبقرية الأم العفيفة التي أعلنت في سفور وجلاء أن هذا القدر يكفي! وخشيت أن أكتب في تعفها ، فأكون قد غبت المحسن المتصدق الجواد كافل اليتيم. وأخيراً ارتأيت أن أشيد مفتخراً بالمحسن ، فكتبت له هذه القصيدة ، مؤثراً مطلع المتنبي في مدح سيف الدولة! وعلى البحر الطويل والقافية الميمية: (على قدر أهل العزم..). قال الأستاذ الدكتور حسن عبد الغني أبو غدة تحت عنوان معاملة اليتيم ما نصه بتصرف: (حث الله تعالى على رعاية اليتيم ؛ لأنه جزء من قوة الأمة ، وعنصر من عناصر الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم. قال الله تعالى: {ويسألونك عن اليتامى ، قل إصلاح لهم خير ، وإن تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح}. وأمر سبحانه بإكرامهم ، ونهى عن قهرهم وإذلال نفوسهم ، حتى لا ينفروا ممن حولهم فيضيعوا في أنفسهم ، ويحقدوا على مجتمعهم ويعادوه. قال تعالى: {فأما اليتيم فلا تقهر}. واعتبر الذين يمنعون اليتيم من حقه أو يدفعونه احتقاراً وزجراً أو يستعلون على جانبه الضعيف تسلطاً وامتهاناً ، اعتبرهم ممن يكذب بعدل الله ويستخف بجزائه في اليوم الآخر. قال سبحانه: {أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم}. وهكذا جعل الإسلام بر اليتيم وحسن تربيته والقيام على شؤونه من معالم الإيمان الكامل ، وبوأ فاعل ذلك مكانة عالية في جنات النعيم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - أي متجاورين - وأشار بأصبعه السبابة والوسطى". رواه البخاري والترمذي وأبو داود. فمنزلة كافل اليتيم كمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم في جنة عرضها السماوات والأرض. ومما شرعه الإسلام في معاملة اليتيم المسح على رأسه مؤانسة وملاطفة ، حتى يشعر بقربه من الناس وحبهم له ، لعل هذا يُخفف من بلائه ويشحذ عزيمته. أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مسح رأس يتيماً ، لم يمسه إلا الله ، كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات". وروى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمسح رأس اليتيم ثلاثاً ويدعو له بالخير والبر. وأخرج ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما علم باستشهاد جعفر بن أبي طالب طلب أن يؤتى بأبنائه إليه ، فأتى بهم كأنهم أفرخ ، فاحتضنهم وشمهم ، وذرفت عيناه عليهم ، ثم أمر بالحلاق فجئ به فحلق لهم رؤوسهم. إن كفالة اليتيم لا تقتصر على النواحي الغذائية فقط ، بل يتسع معناها ليشمل احتضانه وتعليمه والاهتمام بصحته وإعداده نفسياً وتربوياً لمواجهة المستقبل والأخذ بيده نحو الفضيلة ، وتقوية روحه وعقله ، وزرع الأمل في نفسه ، ومعاملته بصدق وإخلاص ، والحرص على مستقبله وسلوكه ، كما يكون حرص الأب على مستقبل أبنائه وسلوكهم. لقد حرص الإسلام على رعاية من لا آباء لهم وإكرامهم ، ولم يكتف بالوصية المجردة من أجل ضعفهم ، بل إنه فصل وصاياهم ووضح أساليب تنفيذها ، ودعا إلى ممارستها واستحضار ثلاثة أمور هي من الأهمية بمكان بالنسبة إلى الأيتام ، وهذه الأمور هي: الرفق العام بهم ، والمحافظة على أموالهم إن كان لهم أموال ، والإنفاق عليهم إن لم يكن لهم أموال. فأما الرفق بمن لا

آباء لهم من اليتامى ، فقد شدد الإسلام على رعايتهم بالموودة والعاطفة الصادقة ، تعويضاً لهم عن بعض ما افتقدوه ، وتخفيفاً للمصيبة التي يعانونها وهم صغار لم تقو أعوادهم بعد على مجابهة الحياة وشدائنها ، كما منع إيذاءهم والإضرار بهم ، أو النظر إليهم نظرات قاسية تنفرهم ؛ لأنهم إن تعودوا النظرات الجافية المبغضة ، وأعوادهم لا تزال غضة طرية ، تولد في نفوسهم النور من الناس فيكبرون وقلوبهم ممتلئة حقداً على المجتمع ؛ لأنهم عاشوا فيه منبوذين ، فلا غرابة أن يتولد في أنفسهم الشذوذ والانحراف ، والجفوة والعداوة ، بدلاً من الألفة والمحبة. ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه". رواه ابن ماجه. وفي سبيل تحقيق هذا النوع من الرفق وتنفيذه رغب الإسلام في مخالطة اليتامى ومواكلتهم ودمجهم في المجتمع ، ومباركتهم بالمحبة وإشعارهم بقرب الناس منهم. قال تعالى: {قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم}. أما الأمر الثاني: وهو المحافظة على أموالهم إن كان لهم أموال ورثوها أو أهديت إليهم ، فيتوجب على كافلهم العمل على تنميتها واستثمارها وزيادتها بالبيع والشراء بما يعود عليهم من الربح الحلال والمال المبارك. قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الطبراني: "اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة"! أي حتى لا ينقص ماله بأخذ الزكاة منه عاماً بعد عام. ولقد شدد الإسلام في المحافظة على مال اليتيم لنلا يتجرأ أصحاب النفوس الضعيفة على الصغير العاجز ، الغافل القاصر. قال تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً}. ووعده النبي صلى الله عليه وسلم مد اليد بالسوء إلى مال اليتيم من أكبر الكبائر. فقال فيما رواه الشيخان: "اجتنبوا السبع الموبقات - أي المهلكات - قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات". وأما الأمر الثالث المتعلق باليتيم فهو الإنفاق عليه إن لم يكن له مال ، فقد أوجب الإسلام نفقته على قريبه الغني ؛ لأنها من توابع صلة الرحم ، وخصوصاً إذا كان فقيراً محتاجاً. وقد اعتبر القرآن الكريم الإنفاق على اليتيم من أقرب القربات إليه سبحانه قال الله تعالى: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى}. وقال: {فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسبغة يتيماً ذا مقربة}. ولم يكتف الإسلام بتلك الدعوات المستمرة إلى إنفاق المال على اليتيم وإطعامه وشراء ما يحتاج إليه ، بل نظم ذلك قضائياً وأوجب على أقربائه الأغنياء كفالتة والإنفاق عليه إذا لم يكن له مورد يعيش منه ، فإذا توانى هؤلاء الأقرباء الأغنياء عن هذا الواجب الديني والاجتماعي ، أخذ منهم بالقوة عن طريق القضاء تحقيقاً للتكافل الأسري الاجتماعي. هـ. نشكر للأستاذ أبو غدة. هذا ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن الجنة تجب لما يقوم برعاية اليتيم وكفالتة والقيام على شئونه ، فيقول صلى الله عليه وسلم: (من ضم يتيماً بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة). رواه أبو يعلى والطبراني وأحمد مختصراً بإسناد حسن. وصدق الله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه ، فقال صلى الله عليه وسلم: (أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك). رواه الطبراني ، وصححه الألباني. وإذن فعلامة خيرية المجتمع أنه لا يهين اليتيم ولا يقهره! بل يسهر على مصالحه ويكرمه ويحسن إليه! فلئن كان له أب واحد

قد توفاه الله تعالى ، ففي المجتمع المسلم الصالح صار له مائة أب وأب كلهم يتسابقون في وده والإحسان إليه ابتغاء وجه الله تعالى! واحتساباً للأجر والثواب عنده سبحانه وتعالى! ولنتابع القصيدة!

على قدر أهل الخير تأتي المكارمُ وتنمو إذا فاح العطاءُ البراعمُ
ويحيا سعيداً من مات عنه والدٌ إذا حاطه - عند المصاب - الأكارم
يُعيرونه عطف الأبوة حانياً وهذا العطاء لا تشتريه الدراهم
هو اليتم يُزجي للمساكين بأسه فيلحقهم منه الردى والهزائم
فجفَّ بكف الجود شكوى يتيمة فإن السجايا تصطفها العزائم
وكافل أيتام أراد مثوبة وكم رويت - بالصالحين - المراحم!
وعشرين عاماً بالعطاء تزينت وبالصيد - بين الناس - تسمو العظام
يريدون رضوان المليك وجنة ويشفق من احتاط ، والدمع ساجم
يخاف رياء يمنع البذل أجره وتؤذيه - بين العالمين - المظالم
يريد اصطحاب المصطفى يوم بعثه فهذا بما في جنة الخالد عالم
فلم يقهر الأيتام ، بل كان راحماً وبالرحمة المثلَى يسود الأوام
هو الرفق في الدنيا يفوح نضارة وكل جميل لا محالة غانم
وأجر اليتامى - في القيامة - نافع وهذي وصايا الله حقاً دعائم
تحبُّذ إكرام اليتامى وحبهم وأنات أيتام الكرام قواصم
وأبئس بأقوام شقيّ يتيّمهم! وأمواله - بين اللئام - غنائم
وأنعّم بأقوام سعيدٍ يتيّمهم! وأمواله - بين التقاة - كرائم

أصنام وعاكفون

(قبل البعثة سادت الأصنام في مكة وغيرها ، حول الكعبة وفي البيوت. وطهر الله الكعبة والبيوت والأرض من الأصنام ببعثة خير الأنام محمد النبي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم عادت الأصنام في ثياب جديدة وفي صور شتى تتناسب وعظم الجاهلية وتعقيد أساليب الحياة بها. ولن أتعرض للصور الساذجة لأصنام الجاهلية الغابرة ، كما أنني لن أتعرض لصور الأصنام في الجاهلية الحاضرة. ولكن أشير هنا إلى خلاصة في التعريف الذي يحتوي على القاسم المشترك بين الأصنام قديماً وحديثاً ، فأقول بأن كل شيء أو شخص أو مذهب أو شعار أو فكرة أو مبدأ أخذ مكان الله في القلوب فهو صنم. وأسأل ما الفرق مثلاً بين هبل كنموذج لأصنام الجاهلية الغابرة ، والحاكي كنموذج لأصنام الجاهلية الحاضرة؟ كلاهما يصرف الناس عن الله والحق. سادت الأصنام وراجت عبادتها بين فئام كثيرة من الناس ، وذلك بسبب غياب التوحيد والعقيدة. ولقد كانت صور الأصنام على زمان الجاهلية الأولى ساذجة إذا قيست بصورها المعاصرة. ورحم الله صاحب الظلال فوالله ثم والله ما كان لي من علم بصور الأصنام المعاصرة ولا بحقيقة عبادة الأصنام في الجاهليتين الغابرة والحاضرة ، حتى من الله تبارك وتعالى عليّ بهذا الرجل العظيم. وسيظل عند كل - من لم يُطالع تراث هذا الرجل - شيئاً من القصور في فهم حقيقة الألوهية والربوبية والعبادة والدين ، حتى يطالع بدراسة مستفيضة تراث ذلك الرجل بُغية الوصول إلى الحق ، لا بغية تصيد الأخطاء والعثرات. وهناك سطور طالعتها في منتدى الطريق إلى الله عن الأصنام المعاصرة ، أوردها هنا بتصرف يسير: (قبل بعثة النبي كان الجهل وتغيب العقل ، هو الفكرة السائدة ، فالكل كان يعتقد أن العقل لا مجال له في التفكير في العادات والتقاليد والموروثات ، وإنما تطبق كما هي وتردد كما هي! وكأنها منظمة البيغاوات ، جيل بعد جيل لا يسعه إلا التردد! فأدى بهم ذلك إلى الاندفاع في حب الصالحين ، ثم تطور الأمر فقاموا بعمل الأصنام تمجيداً للصالحين ، ثم بعد ذلك أصبحوا يعبدونها ، ولم يكن غريباً عليهم أو مستهجنأ أن يقوموا بصنع تمثال ليتخذوه إلهاً! فالفكرة طبقت من قبل ولم يكن أي اعتراض ولا استخدام عقل من أي فرد فيهم! حتى جاء الإسلام فألغى فكرة عبودية الأصنام ، ودعا إلى توحيد الله الواحد القدير. وبالمثل ما فعله الأفراد قبل الإسلام هو نفس الطريق لظهور الديانة البوذية ، فكان بوذاً رجلاً صالحاً بزعم قومه ، وعند موته ميزه الناس فبنوا له تماثلاً وأخذوا يتبعونه فصار بذلك إلهاً الآن في الديانة البوذية! فنحمد الله أننا هدانا الله إلى طريق الإسلام والدين الحنيف. ولكن في الاعتقاد السائد بين الناس في هذا العصر أن الأصنام لم تعد موجودة تماماً فطالما لم يوجد تمثال ويلتف حوله البشر بالهتافات والذبائح والقرايين فهذا التصور يستنتجون منه أنه لا يوجد أصنام في هذا العصر! والحقيقة للأسف مخالفة لما يقولون تماماً. فالعصر الحديث الآن ملئ بالأصنام التي يعبدها الناس ، ولكن ليس بالمفهوم الجاهلي وصورته في وضع الصنم الحجري والسجود له والصراخ حوله وذبح القرايين له وكل هذا الهراء المذموم الممقوت ، وإنما أصنام اليوم تختلف نوعياً. فأصنام اليوم يعبدها الناس دون أن يشعروا ودون أن يدروا تماماً ، ولكن يعتقدون أنها شئ عادي تافه لا يهم. ولكن الحقيقة أن تأليه الأصنام في هذا العصر أصبح أسوأ من عصور الجاهلية الأولى ، ففي العصر الجاهلي كان الفرد إذا أراد عمل صنم جديد يمكنه أن يحطم صنمه القديم ، أو يلقي به ليأتي بالجديد ، فالفكرة عندهم ليست أهميه صنم بعينه ، أو عبادة صنم واحد ، وإنما كانت فكرة الأصنام ما هي إلا لهو بالعقول ودرجة من الغباء تصل إلى عدم الاهتمام! ما هذا المعبود وما هي صورته؟ وهل يدرك أم لا؟ ولكن أصنام اليوم قد بولغ في تعظيمها! فبالنسبة لهم الصنم لا يُمس أبداً؟ ولا تناقش

عابده فيه؟ فأصنام اليوم ليست من الحجر ولا من العجوة ، ولكن أصنام اليوم يمكن أن تكون أشخاصاً. فيمكن أن تكون المرأة بالنسبة للرجل صنماً ، كما يحدث الآن فنجد المرأة للرجل ما هي إلا صنماً يعبده ، ويقدم له القرابين ، ويهتف بالحب والمشاعر ، ولكن ليس لحب الصنم ولكن تعصباً له. فأوامرها لا تعصى! إن قالت لرجل أبواه معه في ذات البيت: لا أريدهما ، واذهب بهما إلى دار العجزة والمسنين فبدلاً من عصيانها يطيع صاغراً! وبالمثل فنحن الآن نعيش في زمان أصنام الشخصيات! فمننا من يكون بالنسبة له شخصية ما لا تخطئ أبداً! فهو يراها كاملة متكاملة. لا تخطئ أبداً فهو يرفع صاحبها فوق مستوى البشر العاديين ليضعه في منزلة إله يعبده. وأي شخص يتكلم بسوء عنه لا يمثل له إلا كافراً بالملة وعابداً لغير الصنم. هذا هو حالنا الآن فبالنسبة لنا هناك أصنام لا نحاول أن نضعها في صورة الإنسان ، وإنما نضعها في صورة الملاك الذي لا يخطئ ، وإن قال كلمة فكلمته دائماً هي الصحيحة ومن يناقش الكلمة فيصبح عدواً للصنم وخارج عن الملة الصنمية فيقتلونه أو يأخذون من كل قبيلة رجلاً ليقتلوه. والمجتمع لا يدرك أنه يمجّد الشخص لدرجة جعله صنماً ، ففكرة الأصنام ليست مقتصرة فقط على أصنام الجاهلية الخشبية والحجرية ، وإنما فكرة الأصنام يمكن أن تكون مجرد فكرة. لذلك فعليك يا صديقي ألا تمجّد شخصاً وتجعله في مرتبة سامية صنماً ، وإنما كل ما عليك هو الاتفاق أو الاختلاف مع الفكر أو الشخصية من ناحيه الفكر والأساس ، وليست من ناحية موقف أو كلام يأكل به عقول الناس. فتنهبوا أيها الناس للأصنام العصرية). هـ. وأما الدكتور مصطفى محمود فيقول تحت عنوان الأصنام المعاصرة: (نحن نقول إننا في عصر العلم وإنما خلفنا الجاهلية وراعنا بأصنامها وأوثانها. ولم يعد هناك من يعبد اللات والعزى وهبل ولا من يسجد لبعل. انتهى الشرك إلى غير رجعة. ولكني أقول بل منا من هم عبدة أوثان يسجدون ويركعون ويحرقون البخور ويرتلون التسابيح والابتهالات في كل لحظة لأصنام لا حصر لها. نحن في الجاهلية بعينها ولو تكلمنا بلغة الإلكترونيات. ولو مشينا على تراب القمر. إنما اختلفت أسماء الأصنام. واختلفت صورها ونوعياتها. وتستررت تحت ثياب الألفة. ولكنها هي الأصنام بعينها. ماذا يكون جسد المرأة العاري اليوم. وهل هو إلا صنم رُفِعَ إلى مرتبة الإله المعبود المعشوق المرتجى. لقد أصبحت صورة الجسم العاري ماركة مسجلة تروّج بها أي بضاعة. صورة المرأة العارية هي تعويذة التاجر التي يرسمها على إعلانات السجائر وإعلانات الخمور والصابون والبيرة والكاميرات والساعات والحرير والأقمشة حتى أدوية الزكام وشفرات الحلاقة ومعاجين الأسنان. وهي عامل مشترك في كل أفيشات السينما والمسرح. وهي على أغلفة المجلات وعلى كروت المعايدة وفي جميع الفاترينات بمناسبة وبدون مناسبة. وهي على علب الشيكولاته وعلب البونبون وزجاجات العطر ونجدها بدون سبب في إعلان لتروس الماكينات. ونفاجأ بها في إعلان سيارات تفتح لنا الباب وفي الطائرات تقدم لنا طبقاً من الجاتوه مع ابتسامة. وإلى جانب مطحنة بن تقدم لنا فنجاناً من القهوة. بل وفي إعلان عن أسياخ الحديد الصلب تدعونا لنبني بيتاً جديداً. وهي دائماً عارية أو نصف عارية. وكأنما لا وسيلة لجذب الانتباه إلا باستخدام هذا المعبود الجديد. ولا طريقة لشد العين إلا بالتلويح بهذا الوثن. إنه الذكر والابتهال ، والتسبيح العصري الذي تسفح فيه الدموع وتنشد الأشعار وترتل المزامير والأغاني والرباعيات والسبعيات وتؤلف المسلسلات والحلقات كل حلقة تشدّ الذهن وتثير شهية المستمع والمتفرج. أما الصنم الثاني أو لعله المعبد أو الكاتدرائية العظمى أو جبل الأولمب الذي يتجمع فيه حشد الآلهة العصرية فهو فاترينة البضائع الاستهلاكية التي تتلحق حولها العيون مشدوهة مبهوره مسبحة تكاد تركز للثلجة والريكوردر والتلفزيون والساعة الذهبية والسوار الماسي. والابن يقتل أباه والأخ يسرق أخاه والموظف يختلس والصانع يغش والصراف يزور والمزيف يزيف في سبيل هذه الفاترينة الوهاجة ،

فاترينة الأحلام. الكل يتهددون ويسهرون الليل يصلون لها. وكل شيء يفنى ما عدا وجهها ذي الجلال والإكرام ، المُضاء دائما بالنيون والفلورسنت في حي المال والتجارة من كل مدينة. أما الصنم الثالث فهو الهيكل. هيكل الفكرة المجردة والنظرية والمذهب الذي يركع فيه المرید المتعصب. لا يرى حقاً إلا ما تقوله بنود نظريته ولا يرى صدقاً إلا ما يأمر به مذهبه فإذا سمع من يتكلم عن مذهب آخر فهو عنده خائن مارق فاسق يستحق أن يحرق حياً. وهو يعيش بفكر مقلوب ومنطق معكوس ، فالإنسان عنده يجب أن يوضع في خدمة النظرية لا النظرية في خدمة الإنسان. وهذا هو عابد الصنم الأجوف المجرّد وعابد قصاصات الورق والشعارات الطنانة الكاذبة. وهو أحد مجانين هذا الزمان. وصنم آخر شائع هو الدكتاتور المستبد الجالس على العرش ومن حوله بلاط الهتافين والمصفقين وحملة المباخر والمجامر والمسبحين بالحمد والمنافقين والكذابين وقارعي الطبول وناقخي الأبواق. تزفه الأناشيد والأهازيج في كل مكان. ويلقن الأطفال في مدارسهم: أنه الرزاق والمنقذ والمعين الذي يطعمهم من جوع ويؤامنهم من خوف ويكسوهم من عري وأن عليهم أن يتوجهوا إليه بالتسبيح والتحميد كل صباح. وأن عليهم أن يحفظوا كلماته ويعبوا وصاياه ويلتمسوا رضاه. وربما كانت أشيع أصنام هذا العصر وأكثرها انتشاراً هو صنم (الذات). عبادة النفس واتباع الهوى. والمرأة التي تعبد جمالها. والرجل الذي يعبد أناقته. والممثل الذي يفتتن بشهرته. والفنان العابد لفنه. والبطل المبهور ببطولته. والمتحدث اللبق الذكي المعجب بنفسه وبذكائه. ونجم السهرة المزهو بشخصيته. وصاحب الملايين الفرحان بملايينه. والمال في أكثر الأحوال وفي هذا العصر المادي صنم في ذاته تقدم له القرابين من دم الجميع. وقد يختفي صنم (الذات) وراء صنم أكبر هو (العصبية) للعائلة أو القبيلة أو الطائفة أو العرق أو العنصر أو الملة وكلها أصنام. وكلها عبوديات. وكلها شرك. وعابد الله لا يكون عبداً لله إلا إذا تحرر منها جميعاً وأسلم قلبه ووجهه خالصاً من جميع الشواغل والعلائق والتبعيات والمنازعات. القلب لله (بلا منازع) ، هذا هو الدين. أما ما نحن فيه فهو جاهلية. جاهلية العلم التي جاءت بأصنامها الجديدة ونصبت أوثانها العصرية وأقامتها مكان اللات والعزى وهبل وبعل وأقامت لها الهياكل ووظفت لها السدنة والكهان وقدمت لها النذور والقرابين. ولو أننا جلسنا إلى أنفسنا وصارحنا أنفسنا في لحظة صدق لوجد أكثرنا نفسه في إحدى خانات عباد الأصنام يسبح دون أن يدري لوثن من تلك الأوثان الخفية التي أقامها عصر المادة في قلوب الناس).هـ. والحقيقة أن الناس كانوا بعد آدم يعبدون الله وبعد قرون طويلة كان هناك خمسة رجال عُرفوا بالصلاح في الدين فلما ماتوا اشتاق لهم قومهم فقالوا: نجعل لهم تماثيل ونضعها في المجلس الذي اعتادوا الجلوس فيه ونجلس نتحدث وكأنهم معنى لم يفارقونا ولم يعبدوهم ولم يتقربوا إليهم بشيء بل كانوا مجرد تماثيل كالصور اليوم تذكرنا بالعظماء وبعد مرور قرون أخرى على هذا الحدث أخذ كل جيل جديد يُضيف شيئاً من التعظيم للتماثيل حتى جاء جيل قالوا ما هذه التماثيل إلا آلهة عبدها أسلافنا فعبدوها وقلدهم الناس في كل مكان بعبادة الأصنام. فكان في زمن نوح خمس من الأصنام هم (ود وسواع ويعوق ويغووث ونسر). هؤلاء كانوا رجالاً يحبهم الناس ، فلما ماتوا ذهب الشيطان الى أهلهم ، وتجسد في صورة رجل طيب ، وقال لهم: يمكن أن أصنع لكم تماثلاً يشبه من تحبون. إلى أن عبدت الأصنام! وسادت بعض أسماء أخرى في العرب مثل: اللات ومعناها الخصوبة ، ويقال: اسم رجل كان يلت السويق للحاج. والعزى هي كوكب الزهرة ، وهو الكوكب الذي رآه إبراهيم. ومناة وكان مختص بالمصير والقدر. وهبل ويعني الشمس ، وكان من أعظم الأصنام. وإساف ونائلة وهما إله الحب لأنهما كان على شكل رجل وامرأة. وأظن أنه قد أن الأوان لأن يصح المسلمون مفهوم الصنم ، خاصة في هذا الزمان الذي قل خيرُه وكثر بلاؤه وشره! وأصبحت الأصنام تأخذ صوراً متعددة بحيث يصعب

على كل من يريد تحديدها الإمام بحقيقتها وكنهها! ولنتابع قصيدتنا! وسواء كان الصنم مرئياً محسوساً
ملموساً أو غير ذلك فيكفي أنه أخذ اهتمام الله في القلوب!

حطم الأصنام البشير النذير ثم عادت لها نباح جهير
صمتت دهرأ في حياة عبيد في دروب الشرك الجليّ تسير
صمموها - من الصخور - افتراءً وحلا - للمسـتهزئين - الصـفير
جعلوها في كعبة الله قسراً والخزايا - حول الصخور - تدور
صنعوها من التمور ، فلما أذن الجوع الثمة ت ذى التمور
كيف صاغوا معبودهم دون وعي؟ صار ديناً هذا الضلال الحقيـر؟
ثم زالت أصنامهم ، واستبيحت وهـداهم هـذا البشـير النذير
ثم صاروا بالهـدي أطيب قوم وجمال الإسلام حقاً قريـر
ثم عادت أصنام أهل التردى في زمان يحار فيه البصير
كل بيت أصنامـه شاخصات تعرض القبح ، والقطيغ يمور
زُخرفت أصنام الغفاة ، وبيعت والقطيغ - عن الرشاد - ضرير
عاكف يـرجو متعة وانشراحاً بالمعاصي ، هـذا بتاك جـدير
ألهـذا الدرك البئيس تردى في بيوت كأنهن قبور؟
هل سبيل إلى النجاة ، فنعلو؟ هل يعود - إلى الحياة - الضمير؟
هل نرى للأصنام يوماً مريراً ونراها - من التحدي - تبور؟

خلجات في النفس

(التفت هذه السلاسل من الحيف والجور حول عنقي ويراعتي ، ردحاً من الزمن ، فكبلت أشعاري ، وامتصت دمائي وجففت مداد قريحتي ، وما كفاها بل راحت تساومني بعدُ على البقية الباقية من الأريحية في ضمير شعري. وعند ذلك رحت أهمس في أذناها وأقول: لا ، يا سلاسل الجور. إنه لا سبيل إلى الضمير والروح والوجدان والإحساس والعاطفة. والحق أن هذه السلاسل كانت بمثابة سُحْب دخان تحول دون رؤية الأشياء على حقيقتها ، والحمد لله أنها انقشعت بعيداً. فتخيلتها فتاة تغوي قلبي بجمالها وبدلالها ، فأثرت السلامة بعيداً عنها وعن إغوائها المقيت الرخيص. لأنها لن تخسر شيئاً في الحالتين. بينما الخاسر الأكبر هو أنا إن تماديت في ترك العنان لها! وكانت هذه نصيحة من الأخ السوداني الزول حسن أحمد عباس التيجاني ، حيث كنت قد اعتدت أن أقرأ عليه من أشعاري في (لجنة التراث والتاريخ في دبي) ، قريباً من شاعر الإمارات الأول حمد بن خليفة بو شهاب. ونصحتني الأخ حسن بأن لا أسترسل في الشجون كثيراً ، في محاولة منه لدفع عجلة الشعر نحو الأمام والتفائل ، من باب تفاعلو بالخير تجدوه! وأرشدني الأخ حسن إلى أن الاعتصام بالقرآن يعصم من كل هذا! فنبه مني غافلاً. فرحتُ أقول لسلاسل الجور:)

احرقني ظلك ، فميم الحذر؟ منذ فجر اليوم جفَّ المطر!
صدقيني لن يعود الملتقى عكّر الذكرى بقلبي الكدر
وسما ذكراك عانت ظلماً إنما بالقهر مات القمر
إنني - خلف التسامي - اكتوي في الدياتيحتوي السفر
شارد الذهن ، أناجي فكرتي ويوز الروح في الحذر
مثقل النفس ببأوى أملتي ويمسج الكيد فوق البشور
يا فتاتي فيك غاصت حُرقتي في سطور الوهم ذابت فخر
إنني قدمت خيرى دائماً ثم أذاني - لديك - الضرر
كم سهرت الليل كُلي ألم ثم يُعطى للأعادي الثمر!
كم بذلت المال ، بل والعصا بما كي يسود الحق ، بل والسمر!
كم نفحت الخير في شعري سنا وتلظيت ، دهاني السهر!
كم أمطت الستر عن أحياتي والصدى أفضى ، وغاص الغجر!
إنني صارحت من ناواني فأعدت للصريح السغر

يا فتاة الوهم لا تنتظري
 تذكرين العهد يا أنستي
 أعطني الأشعار ، إنني وجلّ
 ليس مأموناً على عاطفتي
 لم يكن في الله حباً صادقاً
 أنت مزقت المروءات سدى
 كيف ترجو من فوادي خلة؟
 والمنايا - فوق روعي - جبلّ
 أيها الخداع ، دع ما تشتهي
 ثم تنور الجفا أودى ضحى
 أيها البانل شعراً هدرأ
 خيم الظلم ، وسادة غابرة
 لا تعاند ، منك كانت عثرتي
 عبثت بي في الورى أدمغة
 كم بأفاق الهوى زلت بنا
 وأباطيل الهوى كم هزلت!
 آه ، واللوعة زادي والصدى
 كنت أرجو فيك أسمى غاية
 كلما واجهت ظلماً لامني
 قلت: ويح الشعر ، يكفي وخزه
 عودة الذكري ، فهذا قدر
 يوم لقياننا ، وقال الأشر
 قلت: كلا ، واحتواني الخطر
 رفقة يحو ضاياها الوطر
 ولذا ولي ، وولى الأثر
 ثم قلت في الدنيا: ما الخبر؟
 إنه في حزنه ينفظر
 والظلم في عزمتي يستعر
 إنما جو الصفا يعتكر
 بالهوى ، حتى متى أصطبر؟
 كفكف الهزل ، أيا ذا النمرا!
 يؤخذ الدرر بها والعبر
 وكذا غارت بشعري الحفر
 يستحي منها الوفا والفطر
 وعن الأخطاء حاد البصر!
 أظلمت شعري ، وغاب السحر
 وطوى قلبي السراب العكر
 لم يكن يؤذي اليراع الضجر
 ابن وادي النيل ، بل يعتذر
 ويح جمر الوزن! ويح الصور!

يَوْمَ صَغَتَ الشَّعْرَ فَيَمُنْ فَسَقَتْ
وَإِذَا الشَّعْرَ تَحَلَّى بِالْهُدَى
يَا أَبَاطِيلَ الْهُوَى ، لَا تَفْرَحِي
فَاخْنَقِي بِالْكَيْدِ شَعْرِي غِيْلَةَ
إِنَّمَا الْأَيَّامُ هَذِي دَوْلٌ
وَإِذَا أَيَّامُ ظَلَمِي كَابِرَتْ
يَمْلَأُ الْعَدْلُ صَدَاهَا وَالْوَدْنَا
فَدَعِي شَعْرِي يَعَانِي صَدْمَةَ
وَابْحَثِي عَنْ هَازِلٍ مَبْتَدَلٍ
سَوْفَ لَنْ آسَى عَلَيْكَ ، انصُرْفِي
إِنْنِي - فَوْقَ الْمَعَانِي - أَلْقَى
حَبِّرِي أَوْرَاقَ شَوْقِي كَذِبًا
كُلَّ مَا أَحْدَثَتْ فِي قَلْبِي هِنَا
لَسْتُ مِثْلَ الطَّيْفِ أَهْفُو شَذْرًا
مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ، أَرْجُو عَفْوَهُ
وَكَمَا الْقُرْآنَ أَتْلُو آيَهُ
حَطَّمِ اللَّهُمَّ عُنُقَ الْخَنَا

أَسْعَدِ الدُّنْيَا ، وَفَاضِ الظَّفَرَ
كَشَّرِ الشَّيْطَانَ ، قَامِ الْخَفَرَ
إِنَّمَا بَرَجَ الْخَنَا يَنْفَجِرُ
إِنَّمَا فِي قَوْسِ صَبْرِي وَتَرُ
مَرَّ مِنْهَا مَا بِهِ مُزْدَجِرُ
صَدَّقِينِي: سَوْفَ تَأْتِي آخِرُ
وَيَفِيضُ الْقَسَطُ ، بَلْ يَنْتَشِرُ
وَدَعِي وَخِزْ الْجَوَى يَنْتَحِرُ
إِنَّمَا الْجَدُّ غَدَا يُحْتَضِرُ
وَلِنَفْسِي - الْيَوْمَ - لَا أَنْتَصِرُ
كَيْفَ مِنْ فَوْقِ النَّزْرِ أَنْحَدِرُ؟
إِنْ صَدَّقِي - الْيَوْمَ - لَا يَنْدَحِرُ
فِي خَيَْالِي وَالنَّهْيِ مَسْتَطِرُ
إِنْنِي غَالٌ ، وَخَسْفِي عَسِيرُ
وَلَمَنْ يَطْغَى أَعْدَتْ سَقَرُ
إِنَّمَا الْقُرْآنَ فِيهِ النَّذِرُ
أَنْتَ رَبُّ عَادِلٍ مَقْتَدِرُ

عبرة غالية الثمن

(يغفر الله للزميل الدكتور (محمد ياقوت) ، إذ كاد أن يؤدي بحياة زميل دراسته في جامعة المنصورة. بدافع الفضول والبحث عن العلم والمعرفة والاستطلاع. زرت مشرحة كلية الطب مع زميل لي في كلية الطب ، واسمه محمد ياقوت من ويش الحجر - الدقهلية ، ويوم هذه الواقعة كان محمد طالباً في سنته الثانية بكلية الطب ، وكنت قد تعرفت عليه في المدينة الجامعية في المبنى (ج) بالطابق الرابع في يناير 1981م. وكنا نلقب طالب الطب بالدكتور وطالب الهندسة بالمهندس وطالب كلية الآداب بالأستاذ ، باعتبار ما سيكون إن شاء الله. ووجد محمد ياقوت أنني ذو نهم في طلب العلم والمعرفة ، حيث إنني كنت دائم التنقل بين كليات جامعة المنصورة المختلفة ، فمن كلية اللغة العربية إلى كلية أصول الدين إلى كلية الحقوق إلى كلية التربية ، مصطحباً أقالمي وأجندة كنت قد خصصتها للعلم والآداب حباً في العلم وبحثاً عنه! وهذا لأن كلية الآداب التي التحقت بها ، لم تكن لتتبع نهمي في البحث عن العلم. فعرض عليّ محمد ياقوت أن أرافقه إلى محاضرة عملية لهم في المشرحة ، ووافقت وليتني ما وافقت! وما هو إلا أن نظرت عيني الجثث المقطعة ، وأذكر أنني أغمضت عيني أحد الموتى فأغلقتا ، وفتحتهما فانفتحتا ، وأمسكت بذراع أحد الموتى وتركتها تهوي على الطاولة وبعدها أفقت في مستشفى جيهان في المنصورة. وبدأ التحقيق الذي انتهى بالابتسام ، وبدأت رحلة المعاناة! إنما كان هدفي من هذا الاستطلاع هو التفكير في بديع الخلق: والقرآن يدعونا للتفكير (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُم عَذَابَ السَّعِيرِ). والسيدة عائشة ما أعجب ما رأيت من رسول الله ، قالت: قال لي رسول الله: (يا عائشة! ذريني أتعب الليلة لربي قلت: والله إنني أحب قربك ، وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بل لحيته. قالت: ثم بكى حتى بل الأرض. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي ، قال: يا رسول الله ! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد أنزلت على الليلة آية ؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب). صحيح الترغيب والترهيب. ولقد كانت تلك عبادة إبراهيم. (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ). وسئلت أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبو الدرداء فقالت: (التفكير والاعتبار). وقال عامر بن عبد قيس: سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله يقولون: إن نور الإيمان التفكير. والحسن يقول: تفكر ساعه خير من عبادة سنة. وعمر بن عبد العزيز يقول: التأمل في نعم الله وخلق الله من أفضل العبادة. وبشر الحافي يقول: لو تفكرتم في عظمة الله ما عصيتم الله. ويقول الإمام ابن كثير في التعليق على الآية: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) والمعنى: لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي (أنزل إليك) يا محمد (من ربك) هو الحق) أي: الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً ، لا يضاد شيء منه شيئاً آخر ، فأخباره كلها حق ، وأوامره ونواهيه عدل ، كما قال تعالى: (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً). أي: صدقاً في الإخبار ، وعدلاً في الطلب ، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما انقاد له ، ولا صدقه ولا

اتبعه ، كما قال تعالى: (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون). وقال في هذه الآية الكريمة: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) أي: أفهذا كهذا؟ لا استواء. وقوله: (إنما يتذكر أولو الألباب) أي: إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة جعلنا الله منهم [بفضله وكرمه]. يقول تعالى مخبراً عن اتصف بهذه الصفات الحميدة ، بأن لهم (عقبى الدار) وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة). هـ. وجاء في جمهرة العلوم في التعليق على الآية ذاتها: تفسير قوله تعالى: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ). قال أبو جعفر مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ: (القول في تأويل قوله تعالى: {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب}). يقول تعالى ذكره: أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك يا محمد حق ، فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه ، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حجة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه. حدثنا إسحاق ، قال: حدثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله: {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق} قال: هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه ، قال الله: {كمن هو أعمى} قال: عن الخير فلا يبصره. وقوله: {إنما يتذكر أولو الألباب} يقول: إنما يتعظ بآيات الله ، ويعتبر بها ذوو العقول ، وهي الألباب ، واحدها: لبّ). [جامع البيان]. أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة - رضي الله عنه - في قوله: {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق} قال: هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه ، {كمن هو أعمى} قال: عن الحق فلا يبصره ولا يعقله {إنما يتذكر أولو الألباب} فبين من هم فقال: {الذين يوفون بعهد الله}. [الدر المنثور]. قال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: (وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر - رضي الله عنه - في قوله {أولو الألباب} يعني من كان له لب أو عقل). [الدر المنثور]. قال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911 هـ): (وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن - رضي الله عنه - قال: إنما عاتب الله تعالى أولي الألباب لأنه يحبهم! ووجدت ذلك في آية من كتاب الله تعالى {إنما يتذكر أولو الألباب}). [الدر المنثور]. وأما قوله تعالى: (الَّذِينَ يُوَفُّونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ). قال أبو جعفر مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ (ت: 310 هـ): (القول في تأويل قوله تعالى: {الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق} والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب}. يقول تعالى ذكره: إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألباب الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم بها {ولا ينقضون الميثاق} ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه ، فيعملون بغير ما أمرهم به ، ويخالفون إلى ما نهى عنه. وقد بيّنا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهد فاعنى عن إعادته في هذا الموضع. - حدثني المثني ، قال: حدثنا إسحاق ، قال: حدثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة قال: {إنما يتذكر أولو الألباب} فبين من هم فقال: {الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق} فعليكم بوفاء العهد ، ولا تنقضوا هذا الميثاق ، فإن الله تعالى قد نهى وقدّم فيه أشدّ التقدمة ، فذكره في بضع وعشرين موضعاً ، نصيحة لكم وتقدمة إليكم وحجة عليكم ، وإنما تعظم الأمر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل ، فعظموا ما عظم الله. - قال قتادة: وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له). [جامع البيان]. هـ. وإنما أردت من وراء تردي على الكليات المختلفة تعلم العلم من مصادره! ذلك أن كلية الآداب لم تكن لتشبع نهمي بالوضع الذي كانت عليه. ومن هذا المنطلق ذهبت للمشرحة مع زميلي محمد ياقوت لأتعلم ولأتذكر ولأخذ العبرة والعظة. فكانت عبرة غالية الثمن! وكانت هذه القصيدة على البحر الطويل

ترجمة لها! والله الحمد قد استلهمت قدرة الله تعالى في خلق الإنسان! وأدركت هوان الدنيا مهما بالغت في الزخرف والزينة! ولو كان ذلك بعد حين: المهم أنني أدركت حقيقة الحياة الدنيا فزهدت فيها جداً!

رأيت حسام الموت يُردي التكبرا
تذوب له وجداً مدامع خاطري
أخاف المنايا إن أتنني مقصراً
وأخشى مجيء الموت والقلب غافل
ويظلم قبراً، لم تنوره طاعتي
نظرت إلى الموتى، فكانت بليّة
وكان اختبأراً، لم أقارف مثياله
وأغرى فؤادي ما اعتراني من الهوى
وما بي على ما قد تجشمت قدرة
شغلت بدنيا كم تموج بأهلها!
لذا لم أطق مما وجدت تحملاً
فلما رأيت الناس حولي تلثموا
سئلت: لماذا ذلك الأمر، يا فتى؟
فقلت: وهل حكرّ عليكم علومكم؟
فقالوا: تعلم في حدود تطبيقها
ويبدي الذي قد كان - في النفس - مضمراً
وللموت وخزٍ يُذهب الأنس والكبرى
وأشفق أنني قد تغشيت منكراً
ويدمع قلبي أنني ساكن الثرى
وأني الذي لَمَّا أحافظ على العرى
تزيل غرور النفس فوراً لَمَّا ترى
وذي عبرة كانت وعيداً ومنذراً
تفرست في الموتى، فلم أدر ما جرى
لأن فؤادي - عن صدى الموت - أدبرا
فكانت لي الدنيا سبيلاً ومحوراً
لأنني ضعيف همة، بل وجوها
وكان اجتماعاً من سنا الشمس أظهرها
وكان سواً مسـتريباً منفـراً
وهل جثت الموتى تباع وتشترى؟
فقد تدفع الأثمان موتاً مقدرًا

الإسلام هو الحضارة

(إن حضارة الغرب لم تغن عنه من الله شيئاً. فلقد استطاع الغربي أن يطير في الفضاء مثل الطائر ، ويسبح في الماء مثل السمك ، ولكنه للأسف الشديد لم يستطيع أن يعيش فوق هذه الأرض كإنسان! وما ذاك إلا لتمرده على أوامر الله تعالى. فهل هذه هي الحضارة؟ ضلت أقوام ترى الحضارة في مجرد البنايات الشاهقة ، وفي الحياة الراقية ، وفي رفاهية العيش ورغد التعايش ، بعيداً عن هدي السماء. إن هدى الله الإسلام هو الحضارة الحقيقية التي تشبع جسم الإنسان وعقله وروحه وجوارحه وأحاسيسه ومشاعره وعواطفه. وليست الحضارة الغربية المادية الإلحادية الديوثية العُهرية المعاصرة بحضارة. تلك الجاهلية التي لم تشبع في الإنسان أحاسيسه ومشاعره وعواطفه وجوارحه بقدر ما أشبعت شهواته ونزواته. ولو كان فيها خير لكانت نفعت أهلها بذلك الخير. إنما هي انحلال وفساد وفراغ وإلحاد. إن الإسلام هو الحضارة التي تجعل صاحبها ومتبعها سعيداً ومسروراً في الدنيا وفي الآخرة. ذلك أنه يُقيم الحياة بشقيها المادي العمراني والروحي الخلقى. يقول الأستاذ ألب أرسلان في تعريف الحضارة في بحث له عنها ما نصه: (الحضارة هي الجهد الذي يُقدّم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته ، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معاً! فالثقافة هي التقدم في الأفكار النظرية مثل القانون والسياسة والاجتماع والأخلاق وغيرها ، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيراً سليماً. أما المدنية فهي التقدم والرقى في العلوم التي تقوم على التجربة والملاحظة مثل الطب والهندسة والزراعة ، وغيرها. وقد سميت بالمدنيّة ؛ لأنها ترتبط بالمدنية ، وتحقق استقرار الناس فيها عن طريق امتلاك وسائل هذا الاستقرار ، فالمدنية تهدف إلى سيطرة الإنسان على الكون من حوله ، وإخضاع ظروف البيئة للإنسان. ولا بد للإنسان من الثقافة والمدنية معاً ؛ لكي يستقيم فكر الأفراد وسلوكياتهم ، وتحسن حياتهم ، لذلك فإن الدولة التي تهتم بالتقدم المادي على حساب التقدم في مجال القيم والأخلاق ، دولة مدنيّة ، وليست متحضرة ؛ ومن هنا فإن تقدم الدول الغربية في العصر الحديث يعد مدنية وليس حضارة ؛ لأن الغرب اهتم بالتقدم المادي على حساب القيم والمبادئ والأخلاق ، أما الإسلام الذي كرم الإنسان وأعلى من شأنه ، فقد جاء بحضارة سامية ، تسهم في تيسير حياة الإنسان. والحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ ، وقواعد ترفع من شأنه ، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي ، وتيسّر الحياة للإنسان. والفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، وإذا صلح صلح المجتمع كله ، وأصبح قادراً على أن يحمل مشعل الحضارة ، ويبلغها للعالمين ، ومن أجل ذلك جاء الإسلام بتعاليم ومبادئ تُصلح هذا الفرد ، وتجعل حياته هادئة مستقرة ، وأعطاه من المبادئ ما يصلح كيانه وروحه وعقله وجسده. وبعد إصلاح الفرد يتوجه الإسلام بالخطاب إلى المجتمع الذي يتكون من الأفراد ، ويحثهم على الترابط والتعاون والبر والتقوى ، وعلى كل خير ؛ لتعمير هذه الأرض ، واستخراج ما بها من خيرات ، وتسخيرها لخدمة الإنسان وسعادته ، وقد كان آباؤنا على قدر المسؤولية ، فحملوا هذه الحضارة ، وانطلقوا بها يُعلّمون العالم كله ويوجهونه. والحضارة الإسلامية بهذا التصور تصبح على ضروب ثلاثة. * الأول: حضارة التاريخ (حضارة الدول): وهي الحضارة التي قدمتها دولة من الدول الإسلامية لرفع شأن الإنسان وخدمته ، وعند الحديث عن حضارة الدول ينبغي أن نتحدث عن تاريخ الدولة التي قدمت هذه الحضارة ، وعن ميادين حضارتها ، مثل: الزراعة ، والصناعة ، والتعليم ، وعلاقة هذه الدولة الإسلامية بغيرها من الدول ، وما قدمته من إنجازات في هذا الميدان. * الثاني: الحضارة الإسلامية الأصيلة: وهي الحضارة التي جاء بها الإسلام لخدمة البشرية كلها ، وتشمل ما جاء به الإسلام

من تعاليم في مجال: العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والقضاء ، والتربية ، وغير ذلك من أمور الحياة التي تسعد الإنسان وتيسر أموره. * الثالث: الحضارة المقتبسة: وتسمى حضارة البعث والإحياء ، وهذه الحضارة كانت خدمة من المسلمين للبشرية كلها ، فقد كانت هناك حضارات وعلوم ماتت ، فأحيائها المسلمون وطوروها ، وصبغوها بالجانب الأخلاقي الذي استمدوه من الإسلام ، وقد جعل هذا الأمر كُتاب العالم الغربي يقولون: إن الحضارة الإسلامية مقتبسة من الحضارات القديمة ، وهما حضارتا اليونان والرومان ، وأن العقلية العربية قد بدلت الصورة الظاهرة لكل هذه الحضارات وركبتها في أسلوب جديد ، مما جعلها تظهر بصورة مستقلة. وهذه فكرة خاطئة لا أساس لها من الصحة ، فالحضارة الإسلامية في ذاتها وجوهرها إسلامية خالصة ، وهي تختلف عن غيرها من الحضارات اختلافاً كبيراً ، إنها حضارة قائمة بذاتها ، لأنها تنبعث من العقيدة الإسلامية ، وتستهدف تحقيق الغاية الإسلامية ، ألا وهي إعمار الكون بشريعة الله لنيل رضاه ، لا مجرد تحقيق التقدم المادي ، ولو كان ذلك على حساب الإنسان والدين كما هو الحال في حضارات أخرى ، مع الحرص على التقدم المادي ؛ لما فيه من مصلحة الأفراد والمجتمع الإنساني كله. أما ما استفادته من الحضارات الأخرى فقد كان ميزة تحسب لها لا عليها ، إذ تعنى تفتح العقل المسلم واستعداده لتقبل ما لدى الآخرين ، ولكن وضعه فيما يتناسب والنظام الإسلامي الخاص بشكل متكامل ، ولا ينقص من الحضارة الإسلامية استفادتها من الحضارات السابقة ، فالتقدم والتطور يبدأ بأخر ما وصل إليه الآخرون ، ثم تضيف الحضارة الجديدة لتكمل ما بدأتها الحضارات الأخرى.هـ. ويقول الأستاذ ياسر تاج الدين حامد عن الحضارة وأسسها في الإسلام ما نصه: (الحضارة: هي جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في مجتمع من المجتمعات ، أو في مجتمعات متشابهة. فهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني. كانت فترة ظهور الإسلام هي الفترة التي أعادت صياغة الإنسان في الجزيرة العربية ، وأرست لبنات حضارة جديدة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، ووضعت الأساس لبناء الإنسان في الإسلام. وكان الوحي هو الذي يعيد صياغة الفرد في معتقداته وأفكاره ، ويزكيه ، وينشئ الروابط ، ويؤسس الصرح الذي يقوم عليه بناء الأمة. وصدق الله العظيم إذ يقول: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). ولقد قامت هذه الحضارة على أسس ودعائم منها: # أولاً: عقيدة التوحيد: حيث أرسى الإسلام مفهوماً للتوحيد عندما خاطب مشركي مكة ذاكراً لهم أنه لا يكفي ما هم عليه من توحيد الربوبية ، أي: الإقرار بأن الله هو رب كل شيء وخالق كل شيء ، بل لا بد أن يقترن هذا الإقرار بالتوجه بالعبادة لله وحده لا شريك له من مخلوقات الله. وقد ترتب على هذا الإقرار آثار إيجابية في بناء المسلمين ، لأن الناس عندما يقبلون على الخضوع لله وحده فإنهم سيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويجاهدون في سبيله لإرساء قيم الحق والعدل والمساواة والكرامة والعلم النافع. # ثانياً: العدل: وقد ركزت نصوص القرآن والسنة على قضية العدل ، فمن الأمثلة القرآنية قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) ، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا). ومن الأمثلة الواردة في السنة النبوية ؛ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن عز وجل - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا". # العلم: حيث جاء الإسلام ليعيد ترتيب العقل الإنساني ، ثم يطلقه ليعرف ربه من خلال رسالات الأنبياء والمرسلين ثم من خلال آيات الله في الكون

والنفس ، فإن أول ما نزل به الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ، وهو يختص بالعلم ، ومما يدل على اهتمام الإسلام بالعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل فداء أسرى بدر ؛ تعليم الواحد منهم عشرة من أبناء الأنصار القراءة والكتابة ، هذا وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الحث على تحصيل العلم النافع ، مما كان له أثر فعال في بناء الحضارة الإسلامية.

الأخلاق الفاضلة: حيث إن القرآن الكريم دستور شامل لتربية الأفراد والجماعات تربية صحيحة في شتى مجالات الحياة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ، فجعل إتمام مكارم الأخلاق هدفاً لبعثته. # العمل: وهو الذي يشيّد صرح الحضارة. والإسلام يدعو للعمل بل هو دين عملي ، ونبي الإسلام كان يتعوذ من العجز والكسل. ولقد حث الإسلام الناس على عمارة الأرض في شتى الميادين انطلاقاً من قول الله عز وجل: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلْوَلًا فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) ، ومن قوله: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) ، والأحاديث النبوية التي تدعو للعمل والسعي من أجل طلب الرزق وعمارة الأرض كثيرة جداً ، وهي التي دفعت المسلمين لإقامة حضارة عالمية جعلتهم في طليعة الشعوب الحضارية. فهذه هي أسس الحضارة الإسلامية وهي تمثل المبادئ الإصلاحية التي تضمنتها الدين الإسلامي. وبتلك المبادئ أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم لتنظيم هذا العالم وإصلاحه وقيادته إلى الطريق السليم الذي يوجّهه إلى الخير والسعادة ، وينأى به عن الشر والشقاء).هـ. ويرحم الله صاحب هذه الفكرة صاحب الظلال الذي اختصر المدى قبل ألب أرسلان والدكتور ياسر وعرف للإسلام بأنه هو الحضارة بشقيها المادي والروحي! وتحت عنوان: (الإسلام والعقل) يقول الأستاذ موسى ضيف الله المطرفي ما نصه بتصريف: (إن مقياس علو الإنسان وهبوطه ليس هو الإنتاج المادي والعمارة المادية للأرض: (كأنوا أشدّ منهم قوّةً وأثاروا الأرضَ وعَمَرُوهَا). لكنهم كانوا جاهليين ؛ لأنهم رفضوا الهدى الرباني ، وأصابهم في النهاية ما يصيب الجاهلية من الدمار ، على الرغم من كل القوة التي يملكونها ومن أثاره في الأرض وعمارته. إنما مقياس علو الإنسان أو هبوطه هو مقياس الإنسانية الذي يتمثل في التزامه بمقتضيات الكتاب والسنة في عمارة الأرض وفق المنهج الرباني لا بأي منهج سواه. إن الإسلام يعطي العقل مكانه اللائق به بلا إفراط ولا تفريط ؛ فالروية الإسلامية لا تغالي في تقدير قيمة العقل ، فتقحمه فيما ليس من شأنه ، أو تجعله المرجع الأخير لكل شيء حتى الوحي الرباني ، ولا هي تبخسه قدره ، فتمنعه من مزاوله نشاطه في ميادينه الطبيعية التي يصلح لها ويحسن العمل فيها . فتكل إلى العقل مهام خطيرة وواسعة: تكل إليه مهمة حراسة الوحي الرباني الذي تكفل الله بحفظه من كل تأويل فاسد مضل ، وحراسة أحكام الله من الانحراف بها عن مقاصد الشريعة ، وحراسة المجتمع من الآفات الاجتماعية والسياسية والفكرية والخُلقية التي تؤدي إلى تدميره ، كما تكل إليه مهمة التقدم العلمي والبحث وعمارة الأرض ، ولكنها لا تكل إليه ولا تسمح له أن يحيد عن الوحي الرباني).هـ.

ولقد جربت أمتنا كل الجاهليات التي تلبس ثياب الحضارة وبقي الإسلام. نعم ، بقي الإسلام لم يُجرب ليرفع عن كاهلها هذه الكوارث والعثرات والعقائيل والعراقيل التي تحول بين الأمة والصدارة والحضارة والتقدم. وصدق العشماوي عندما فقال: (وقبّح من الفتى أن يكون الرأ س في قومه ثم يصبح ذليلاً) ، وصدق من قال ينعي تقلب الأحوال: (سلامٌ على الدنيا ، سلامٌ على الورى إذا ارتفع العصفور وانخفض النسر!) وأذكر وكلنا يذكر أن أمتنا كانت في الصدارة من الأمم والشعوب والحضارات. وكان قادة الغرب من الرومان يكتبون لخليفته: (خادمكم المطيع). وكان الكل يخشى بأسها وسطوتها! وما ذاك أبداً إلا لأنها كانت تقيم دين الله في أرضها ودنيا الناس ، وتدعو الآخرين إليه ، وتفتح البلاد له وتجاهد في سبيل عزته

ورفعتة وسيادته! ولكنها اليوم أصبحت في ذيل الأمم والشعوب والحضارات ، وهان عليها الهوان ، وفرضت عليها الذلة والمهانة! وما ذاك إلا لأنها لا تقيم دينها المنتسبة إليه بلا مصداقية تعضد ذلك الانتساب. وكان الأحرى أن تعلم أن آخر هذه الأمة لا ينصلح إلا بما انصلح به أولها (الكتاب والسنة). وإذن فالإسلام هو الحضارة! ونعني بهذه المقولة أن الإسلام يقيم شقي الحضارة: الشق التكنولوجي المادي والشق الروحي معاً! وهذا الذي تحتاجه البشرية اليوم: الشق الروحي القيمي الأخلاقي!

اجعلوا الإسلام العظم يسودُ إنه دينٌ مسـتـبينٌ مجيدٌ
دينُ ربي حضارة لا تبارى ليس تحويها قصة ، أو قصيد
أن يعيش الإنسان وفق هداة ذلك عز يسـمـو ، ومجد تليد
وانتصار على الأعداء وفوزٌ وسؤمؤ يطفو عليه الصمود
وتحدي لَمـا يريد الخزياء واجتهاد لا يعتليه البليد
مسلم يحيا - بالحنيفة - عفاً مستتيراً يغار منه الوجود
يحفظ العهد دون خوف البرايا في زمان تغتال فيه العهد
ويفي بالوعد المطبَّق شرعاً في عشير تجتث فيه الوعود
يعبد المولى الحق في كل حال في ديار تدال فيه العبيد
يقتدي بالمختار قولاً وفعلأً وهو - في دنيا الأشقياء - السعيد
شرعُ ربي حضارة ورُقـيٌّ وانطلق لا تحتويه قيود
وأحاديث المصطفى زاد عيش وانفتح ما حددته حدود
وعطاء القرآن نورٌ ويسر إذ عليه من الجلال مزيد
ويقاس الإنسان بالدين هذا مسلمٌ مقـدامٌ ، وهذا مريد!
وتقاس الأصقاع بالشرع هذا دار سـلم بالصالحات مشيد
وديـار عن هـدي ربي تخلت كل صُقع يختال فيه الجحود
انظروا الغرب المارق المتعالي هؤلاء مفكـروه شهود

إنه جاثٍ - في الضياع - ذليلاً
لعبوا بالإنسان سرراً وجهراً
قال: إنى بالموبقات بنيس
أغرقونا بالخمر حتى انتشينا
لا تبالوا ، هذي البنايات شكل
لا تراعوا ، هذي الحضارة زيف
كم يساوي الإنسان إماتدنى
هل سمعتهم بالعُهر أعلى شعوباً؟
نحن ضعنا بما اجترحنا عياناً
أفسدونا سمماً وأرضاً وشعباً
دمرونا بالفن حتى انتهينا
وأفقتنا ، والحزن يطوي قوانا
ففي ديار أردى قواها الخمود
وأدوه ، ماذا يقول الوئيد؟
شباب من هذي الموبقات الوليد
وقراننا بما صنعنا حصيد
إنها صدقاً قائم حصيد
غابة هذي: نحن فيها قرود
ومع الكفر هل تفيد النقود؟
هل شعوبٌ بالموبقات تسود؟
وانحدرنا ، لَمَّا غزتنا يهود
والذي ولي جد ليس يعود
أفهموننا أن الفنون رصيد
فوجدنا ، ماذا يفيد الوجيد؟

دكتور يعمل لحساب شيطون!

(إن دور أستاذ الجامعة هو أن يضع أيدي طلبته وطلباته على الحقيقة ، ويعطيهم مفاتيح التعامل مع العلم والمعرفة. وهذا أمر الله الذي سوف يسأل عنه يوم القيامة. وكانت عادتي التي درجت عليها: أن أناقش وأدافع عن معتقدي ما حييت ، مهما كلفني ذلك من ثمن. وكانت غايتي أن أبين معتقدي في المسألة سواء استمع إلي الخصم أم لم يستمع ، أخذ بكلامي أم لم يأخذ! وأتى الدور هذه المرة على دكتور أخذ يجادل عن حكمة الله في خلقه للجمال الأنثوي. فقال في جملة كلامه: (لقد خلق الله جمال الأنثى ليستمتع به الذكور!). فقلت له: على هدى من الله وكتاب منير كما هي طبيعة الإسلام ، أم على هدى الغرب وإباحيته وانطلاقته البهيمية؟ فعقب قائلاً: (لا فرق بينهما!) فجادلته جدالاً انتهى بإلغاء المحاضرة وما يليها من محاضرات! واستمر الحال شهرين: كل منا يصر على موقفه. فسأل باقي الطلاب أستاذهم قائلين: وما ذنبنا نحن؟ وأنا قلت لن أعتذر له لأنني لم أخطيء ، وأنا متحمل مسؤولية نفسي. واستمر الحال إلى أن حسمه الأستاذ المنصف الدكتور ناشد جرجس حنا (النصراني) رئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب – جامعة المنصورة في العام (1980 – 1981م). وانتصر لي من هذا الأستاذ المسلم! يقول أستاذنا محمد بن حسين بن عمر العمودي: (فهذه جملة من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، تنبيك على خطر وضرر كتمان الحق والتخاذل عن نصرته ، وما يوؤل إليه من مفاصد وعواقب لا تحمد عقباه. من ذلك كتمان الحق والتخاذل عن نصرته ، فيه تضييع حق من حقوق الله تعالى ، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّنَّ مَا يَشْتَرُونَ). عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ). رواه مسلم. وهذه الصفة - أعني صفة كتمان الحق والتخاذل عن نصرته - من صفات أهل الكتاب عليهم لعائن الله تعالى المتتابعة إلى يوم القيامة ، يقول الله تعالى: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ويقول: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ، كما قال تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) أي: لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد ، ذلك لأن الوعيد في كتمان شديد ، يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كتم علماً أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار). أخرجه الحاكم. قال الحافظ ابن الأثير - رحمه الله - في "النهاية": (الممسك عن الكلام ممثل بمن أجم نفسه بلجام والمراد بالعلم ما يلزمه تعليمه ويتعين بالضرورة عليه ، كمن يرى رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يحسن الصلاة ، وقد حضر وقتها فيقول: علموني كيف أصلي ، وكمن جاء مستفتياً في حلال أو حرام ، يلزم في هذا وأمثاله تعريف الجواب ، ومن منعه استحق الوعيد). هـ. عن الحارث الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا ، فَقَالَ عَيْسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، فَأَمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ ، وَإِمَّا أَنْ أَمُرَهُمْ ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ). وعن النعمان بن بشير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا سَفِينَةً ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا ، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمْرُونَ بِالنَّمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا ، فَتَأَدُّوا بِهِ فَأَخَذَ فَأَسَا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ

السَّفِينَةَ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ قَالْتَ تَأْذِينُكُمْ بِي ، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ! فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ!) أخرجه البخاري. هـ. وكانت هذه القصيدة ترجمة للموقف ذاته.)

أجادل مجهالاً ، غدا يتبرم
وعن كل حق ذلك الغر أبكم
وأسكب - فوق النذل - آفاق حجلي
ليُدرِك أن الجهل عازٍ وعلقم
أعلمه أن الحقيقة جوهرٌ
يعطّر آماد النبي يتوسم
وأسمع كل العير حقي ومنهجي
وكيف يخاف العير - في الصدع - هيثم؟
وأصدع بالشرع الذي بين أضلعي
وليت مريض القلب يسمو فيفهم
يروج أفكار اليهود ورجسهم
وعقبى الطواغي واليهود جنهم
تطاول حتى لم أطق منه لفظة
وأشهر سيفاً في التحدي يخيفني
وألقمه فصل الخطاب بلا هوى
فهاج الدعي المستريب مجادلاً
فأعرض عنهم ينشد - اليوم - فتنة
فقلت اعتذاري اليوم غال ، فكفكفوا
وإما يمت هذا العميل فلا أسى
وكل الذي يصبو إليه عفونة
أحاييل صهيون ، وهذا خفيرها
وإننا ليوثّ تحرس الهادي حسبة
وأيد من عن هدى الله أحجموا
يريد اعتذاراً دونه الروح والدم
وإن إبائي - من لظى الخذل - يعصم
وإما يعيش عفياً ، فذاك المسلم
وحشوّ تبدي في سنا الشعر مقم
وليبل المعاتيه الملاعين خلّم
تؤدب من عن هدي رب الورى عثوا

في حانوت الدمى

(إنه ليفترض في صاحب القيم والمبادئ والمثل ، أن يحيا من أجلها ، ويحرص كل الحرص على دعوة كل من افتقدها من الناس إليها ، كما أنه ينبغي عليه أن يجد ويجتهد ، وأن لا يهزل كما يهزل الناس. وكثيرا ما أخذت أولادي إلى حانوت الدمى ، حتى يشتري كل منهم ما يهوى من اللعب والدمى. وهناك أنظر إلى هذه الدمى نظرات بعد نظرات في دهشة. والدمى تقليديا تستخدم كلعب للأطفال ، لكن أيضا يتم جمعها من الكبار لقيمتها الحنينية ، كأن تكون عند أحدهم دمية وهو صغير! وتقتنى الدمى لجمالها ، ولقيمتها التاريخية أو المالية. وتعتبر الدمى أحيانا من الديكورات التي تتواجد في المنازل بكثرة لجمال شكلها وألوانها. واخترعت اليابان والصين أخيراً الدمى الجنسية! ولعنة الله ربي على الظالمين! جاء في الوسيط: الدمية: (اسم) ، والجمع: دُمَيَاتٌ ودُمَيَاتٌ ودُمَى. والدُمِيَّةُ: الصورة. والدُمِيَّةُ: لُعْبَةٌ مُرِيَّةٌ على شكل إنسان أو حيوان يلعب بها الأطفال. كَانَ دُمِيَّةً بَيْنَ يَدَيْهِ: كِنَايَةً عَنِ لُعْبَةٍ يَفْعَلُ بِهَا مَا يَشَاءُ. والدمية في أصل معناها اللغوي هي الصنم ثم ، أطلقت بعد ذلك على الصورة الملونة أو المنقوشة ثم على أي صورة على وجه الإطلاق. وجاء في القاموس المحيط ، مادة بني: «البناتُ: التَّمَاتِيْلُ الصَّغَارُ يُلْعَبُ بِهَا» والظاهر أنها تسمية أخرى. والدمية هي جسم بلا روح يمثل طفل إنسان أو أي شكل آخر له علاقة بالإنسان ، وأحيانا تحتوي على ملامح مستوحاة من الحيوانات أو مخلوقات خيالية. وقد ظهرت الدمى إلى الوجود منذ بدايات الحضارة البشرية ، وتمت صناعتها وتركيبها من العديد من المواد كالحجر ، والبلاستيك ، والمطاط ، والمعدن ، والخزف ، والخشب ، والعظم ، والورق والقماش ، والبورسلين. وأصبح في عالمنا أقوام يشبهون الدمى! ذلك أنني أشاهد في عالمنا ممن يأكل ويشرب ، ويمشي هنا وهناك ، وهو يشبه هذه الدمى التي تحركها أيدي الإنسان. فكذلك أرى هؤلاء الإمعات والذبول والهيئات والأشكال الآدمية أيضا تحركها الأيدي الآدمية ، حتى تذهب كما تريد ، وتقول ما تريد ، وتسكت كما تريد. إن حانوت الدمى يقدم بهذه الأسلوبية صورة شبه مصغرة من عالمنا الذي نعيش. والذي لا يريد أن يكون كالدمية ، فليستعد لدفع الثمن (ثمن بدل الدمية) ، وهو رسم أو ثمن غال جدا قد يكون العمر كله! والسبب أنه خالف قوانين الدمى! وإن أحد الباعة اعتاد أن يبيع الدمى في حانوته ، ودرج على ذلك سنوات ، وذات يوم سأل نفسه سؤالا فقال: ماذا تفترق هذه الدمى عن الذين يشترونها سوى أن المشتريين فقط يتحركون بذوات أنفسهم؟ فقال مجيبا ذلك الهاجس النفسي: وكذلك نرى أن الدمى التي تحركها الأيدي والخيوط. فرد عليه صوت الضمير قائلاً: وكذلك الزبائن المشترون تحركهم أيادٍ أخرى. (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) ، (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا فآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) ، (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أوراها لأوراها ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ، وقالت أولاهم لأوراها فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون). فطفقت أوجه نصيحة شرعية لهذا البائع وأطلب إليه أن يبيع الدمى لمن يشتريها مبيناً مدى التشابه بين الدمى والمشتريين لها.)

بـع ، وأنت المتفيدُ المفلحُ أنت - في الدنيا - اللبيبُ الدردخُ

لا تناج النفسَ عمَّن يشتري إنما النجوى عذابٌ يلفح

لا تجادل عن قطيع شارد
لا تحاول كشف أسرار الوري
يشربون الزيت عذبا سائغا
خشب تسعى بأيدي غيرها
وكذا أظلافها لا تسكتي
فادع الجهل ، وأنكر ما ترى
سر على أربعة ، يا صاحبي
قلب المعيار ، غابت قيمة
ساد عرف الغاب ، والحق خبا
معظم القوم سراب ودمى
ويد المقدور تسعى في الخفا
هذه الأفكار باتت مذبحا
فارحم الحانوت ، إن حار النهى
أعلى الهلكى حريصا تشتكى
بخيوط كباست ألبابهم
فدع المال ، وذر كل الدمى
ثم تب عن بيعها فهي الأذى

إنه في كل عهد يسبح
جوقفة ، والأرض هذي مسرح
وضباب الزور فيهم يصح
وقرون في التردى تنطح
وإذا أخرجت حرفا تذب
كي تعيش العمر حرا تمرح
تصيح الإنسان ، بل تسترح
والذي يقري كمن ذا يجرح
فارحم الدمية ، يا من تفصح
وخيوط في الفضاء تارجح
فلماذا - في الدياجي - ترزح؟
وسعيد بالدماء المذبح
إنما الفكرة نور يطمح
دمر الهلكى ضباب أكفح
فإذا بالجهل فيهم يطفح
واعبد المولى ، فهذا أربح
وبع البطيخ ، هذا أملح!

جريدة الوحدة العربية - 15 / ابريل / 1996م

بيت من الزجاج

(الموحد الحق في زماننا يسبح عكس التيار ، ويغرد خارج السرب ، ويعيش في غير زمانه ، ويحيا في غير مكاته. ففي الوقت الذي يتجه المجتمع برُمته شمالاً يتجه الموحد يمينا ، وفي الوقت الذي ينحدر فيه المجتمع إلى أسفل سافلين في القيم والأخلاق والمبادئ يصعد الموحد إلى السماء بروحه وقرآنه. ومن هنا يصبح في حيرة واضطراب ، لا يستريح منهما إلا إذا سار كما يسير المجتمع الضال الضير ، أو يموت ويفارق بذلك هذه الحياة وهؤلاء الأحياء! لأنه إن سائر الركب ووافق المنحرفين المتطرفين فسوف يضيع ، والنهاية إلى سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر. أو يتبعه المجتمع في الحق الذي هو عليه فينجو. أو يموت ويلقى ربه على ما هو عليه من الحق. وبلغة أوضح: ليس أمامه إلا ثلاثة خيارات ، وعليه جاهداً أن يختار أحدها عاجلاً غير أجل. (إما أن يوافق ، وإما أن ينافق ، وإما أن يفارق) ، وإما أن يتوفاه الخالق (وطبعاً هو لا يملك الموت!) فليس يُعدّ الموت أحد الاختيارات! فأما موافقته فتعني فساد عقيدته ، بإقراره الباطل بانسراح خاطر بدون إكراه. وكذلك النفاق يُعدّ قريب الشبه بالحالة الأولى. وأما الفراق فله تكاليفه ومخاطره ومشاقه ، ولكنه يظل حلاً للخروج من المهالك والمآزق ، التي كان سيتعرض لها إن هو بقي وسط أهل الباطل والضلال. وعندما تنهار القيم ، وتصبح الرذائل هي السمات العام للدار والزمان ، ينقلب صاحب القيم والفضائل إلى مصارع وحيد طريد شريد ، في وجه المجتمع بأسره! ذلك المجتمع الذي لا يساوي انفعال المؤمن القانت الموحد ، ذلك الانفعال الذي يبذله كل لحظة أدرك فيها غياب القيم ، ويرى غير مستقر ، ويصبح بيته بيتاً من زجاج يتقاذفه السفهاء بالحجارة ، فهل يصمد صاحب القيم للرياح؟ وهل يصمد لها بيته؟)

القَلْبُ كـ المَلْح الأَجـاجُ	والحَيْف يجتـاخ الفِجـاجُ
والعـيش صـعبٌ جـلمـدٌ	والعمـر غـشـاه العـجـاجُ
والمـرءُ مـجـنـوز النـهـي	وعـدوهُ يـجـبـي الخـراج!
مـتـربـعٌ فـي حـزـنـه	والقـلب - دـومـاً - فـي اخـتـلاج
والصـحـبُ قـومٌ كـالـدمـي	صـدقاً عـلى قـلبـي سـمـاج
قـيـمٌ تـغـشـاها الكـرى	بـالرغـم حـطـمـها النـعـاج
ومبـادئ تحـت الثـرى	بـالكـاد يـنبـشـها الـدـجاج
وحذيفـة تنـعمـي الـورى	بـالأمـس كـانـت كـالـسـراج
والـيـوم أخـفـاهـا الـلـظـي	عـانـت غـيـابـاً ، والشـجاج
ومرآفـيـةٌ مأسـورةٌ	هـاج الأذى فـيـها ، ومـجاج

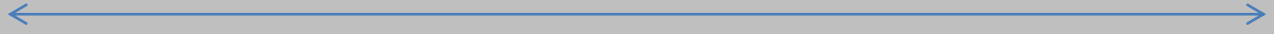
وحواضـرُ ضـاعـت سُـدىً وكواعـبٌ مـثـلُ الزـجـاج
 عـانـيـنُ مـن فـرط الجـوى وشـقـيـنُ مـن بـعد الزـواج
 وحـنـاجـرٌ مـأجـورـة كـم ذـا تـردتُ فـي اللـجـاج!
 والفـجـر مـخـنـوق اللـوا أـلـفـجـر يـقـظتـنا انـبـلاج؟
 والبـدر أـعيـاه الخـنا ومـضـى المـداوي ، والعـلاج
 وضـمـائـرٌ بـيعتُ بـلا ثـمـن ، ولا المـلـح الأـجـاج
 ومـشـاعـر مـصـنـوعـة مـن درهـم صـيغت ، وصـاج
 أو مـن نـفـاق مـعـان مـن سـن أفيـال وعـاج
 لا نـوم ، لا اسـتـقـرار ، بـل حتـى الصـلاة هـنا خـداج
 حتـى مـتى مـتعبـدو ن لـزورق يـجـري ، وتـاج؟
 حتـى مـتى مـستأسـرو ن بخوفنا ، وبـلا انـفـراج؟
 حتـى مـتى مـوتى ، ولا فـرحٌ هـناك ، أو ابـتهـاج؟
 حتـى مـتى صـرعى ، ونحـ يا فـي عـذاب وارـتـجـاج؟
 حتـى مـتى دـين وذنـ يا فـي انـشـطار واعـتـلاج؟
 ضـات فئـامٌ فـرقـت يـسـاقـومي: كـفـوا الازدواج

جريدة الوحدة العربية - 16 / ابريل / 1996م

الحذر الحذر من التطويح

(فرق كبير بين تطويح الناس للدين ، وبين تطويح دين الله لأهواء الناس. ومن هنا يتميز دعاة الهدى عن دعاة الهوى! ويبقى لكل أنصاره ومنهجه ، ولا يمكن الخلط بين المنهجين فالتمايز بينهما يدركه كل إنسان عنده أدنى مسكة من عقل. وعندما يواجه داعية حق مجتمعاً يحوي الكثير من الدعاة المرتزقة الذين يأكلون بدينهم ، ويطوّعون دينهم للطواغيت وعبدتهم من الذين يتبعون أهواءهم ، فإن ذلك الداعية يعاني الكثير. لأن الكل يستهجن ما جاء به ، وكأنه جاء الناس بدين جديد! والسبب في ذلك أن الناس لكثرة إيلاف التطويح والتحريف ترسّخ في أذهانهم أن هذا هو المنهج الحق ، وتأكد لديهم أن الجاهلية هي الأصل ، وما شذ عنها فليس من الدين. لأنهم منذ البداية لا يسألون عن دليل ولا عن اجتهاد. إنما هم استمعوا وأنصتوا لحفنة من المرتزقة الذين يطوعون الدين كتاباً وسنة لانحراف الظالمين ليضفوا - على مناهجهم الجاهلية - الشرعية التامة! ومن هنا يبرز لنا ثقلُ العبء والوزر الذي يتحمّله هؤلاء الدعاة ، كما يتبين حجم التحريف الذي بذلوه وأصلّوه ورسخوه في قلوب الناس ، شأنهم في ذلك شأن دعاة الفتنة من المنافقين والمرتزقة! يقول الأستاذ علوي عبد القادر السقاف عن النفاق وتعريفه ما نصه بتصريف: (اختلف علماء اللغة في أصل النفاق ، فقيل: إن ذلك نسبة إلى النفق وهو السرب في الأرض ، لأن المنافق يستتر كفره ويغيّبه ، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه. وقيل: سُمي به من نافقاء اليربوع ، فإن اليربوع له جحر يقال له: النافقاء ، وآخر يقال له: القاصعاء ، فإذا طلب من القاصعاء قصب فخرج من النافقاء. وكذلك المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه ، وقيل: نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضاً ، لكن من وجه آخر وهو إظهاره غير ما يضمّر ، وذلك: أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج ، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه ، فخرج ، فظاهر جحره تراب كالأرض ، وباطنه حفر ، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر. ولعل النسبة إلى نافقاء اليربوع أرجح من النسبة إلى النفق (لأن النفق ليس فيه إظهار شيء ، وإبطال شيء آخر ، كما هو الحال في النفاق ، وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن ، أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه ، لأن الذي يتحقق فيه الشك الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر ، إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه). أما النفاق في الاصطلاح الشرعي فهو: القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد ، أو هو الذي يستتر كفره ويظهر إيمانه ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً. والمنافق لا بد وأن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه ، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق ، قال تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ، وقل: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) ، إذ أخص وأهم ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن ، وبين الدعوى والحقيقة ، كما قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) ، قال الإمام الطبري: (أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم) ، وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق ، قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ (الزنديق) وشاعت في لسان الفقهاء وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ والمقصود هنا: أن (الزنديق) في عُرف هؤلاء الفقهاء ، هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره ، سواء أبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم ، أو كان معطلاً جاحداً للصانع والمعاد ، والأعمال الصالحة) ، وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة ، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر

ومعاداة الله ورسله ، وهؤلاء المنافقون ، وهم في الدرك الأسفل من النار)هـ. والأصل أن كل داعية يجب أن ينظر أمره ، أهو على بينة من دينه؟ أم أنه مرتزق يطوع الدين للطواغيت ويفرغه من حقيقته ، ويدعو الناس إلى ما يمليه عليه الطاغوت؟ فإذا كان الداعية من النوع الأول فالسمع والطاعة. وإذا كان من النوع الثاني فلا سمع ولا طاعة. وإذا لم يكن سبب ارتزاق إلا إضفاء الشرعية على انحراف الجاهلية وتغييب الطواغيت لحكم الله تعالى فإنه قد وجبت المسألة لمن هذا حاله ووضعه! والله لا يضيع عبداً عظم شعائره وأعلى شرائعه!



وكنت أقول الحق حين غوى الـركبُ	كبا بي جوادي حينما انحدر الصـحبُ
وإن سـليم القلب تطربه الحرب	ولم أك أخشى من تحديّ مقالتـي
ولا يرتضي زيغاً يلي أمره القلب	تهون عليه في الدغول ذاته
وما في اعتقاد الشهم ميلٌ ولا ريب	يحبُّ بلاغ الحق في كل ساحةٍ
فبئس الهوى والناسُ والميلُ والـدرب!	وكيف يرد الناس عن ظل مياله؟
فلا حبذا أمرٌ نهايته الذنب!	ألا إن تطويع النصـوص جريمة
يُغلب هـذي الله ، هذا هو اللب	وإن الدعاة اليوم صنفان: واحدٌ
ليرضى عن الغر الطواغيت والغرب	وآخر أهـواء الطواغي سـبيله
فقالوا: فتى أودى به الكبر والعجب	وكنت أعرّي مثل هذا ونهجه
فحاربتهم دهرأ ، وقـدوتي (القطب)	ولم يُثنني هذا الهراء دقيقة
لذا ألبوا من دينه السلب والنهب	فبت عدواً لا يطيقون ذكـره
فما عاقتني بُعدٌ ، وما ردني قـرب	فسطرت أشـعاري أنـاوي فلـولهم
أبـات إلهـا يُعبـد الأكل والشرب؟	ألا فاحذروا التطويع ، قلباً وقلباً
أليس هنا قومٌ لدينهم هـبوا؟	أمن أجل دنيا نلفظ الحق والهـدى؟
ولم أخش من هـبوا ، ولم أخش من دـبوا	لقد قلت حقي ، والمهيمنُ شاهدي

الحق بين ظلم الأب وعدل الاخ

(كتب الوالد أرضه - التي تزيد عن عشرة أفدنة - لابنه حارماً ابنته الوحيدة من الميراث. وتابعته على ذلك العائلة بأسرها ، حيث لم يكن من بينهم واحد حقاً منصف عادل! وحاول الابن (موضوع قصيدتنا) أن ينصح ويبين الحق لكنه لم يجد من أذن واعية منصتة. وبعد موت ذلك الأب أعطى الأخ حق أخته لها بالمعروف والعدل. ولم يُقر ظلم الأب ، ولم يقبل تغيير منار الحق والعدل. فلما سنل في ذلك قال في ثقة المؤمن وإيمان الوثائق: فعلت ذلك لأحقق أهدافاً خمسة ، الأول هو إقامة العدل الذي أمر الله به ، إذ لا يجوز حرمان وريث من إرثه بحال ، وأبي حرم أختي دون وجه حق له في ذلك. والثاني هو أنني لا أريد لهذه السنة والعادة السيئة - التي ينتهجها مع أبنائه وبناته كل أب ظالم أو أم ظالمة أن تستمر. والثالث هو حبي الشديد لأبي لأنني لا أريد له أن يلقي الله - عز وجل - ظالماً. وقد عاش ما عاش بيننا مثلاً في العدل والتسامح. والرابع هو حبي الشديد لأختي الكبرى التي ما كانت تستحق من الكل إلا الخير ، وقد حرصت أن أبقى على أواصر المودة والمحبة بيننا ، إذ المال يأتي ويذهب ونحن سنزول عنه بموتنا ، هذا إن لم يزل عنا في حياتنا ، وإنما يبقى الخير والعمل الصالح في الدنيا والآخرة. والخامس هو أنني لا أريد أبداً أن ألقى الله بعد موتي ظالماً متجاوزاً لحدوده ولشريعته. فانفعلت لذلك كشاعر ، خاصة ونحن نرى أن كثيراً من الآباء والأمهات قد وقعوا في تلك الكبيرة الشنيعة. يقول الأستاذ حسين أحمد عبد القادر عن العدل ما نصه بتصريف: (إن العدل من أعظم القيم في الإسلام التي أمر الله تعالى بترسيخها وتطبيقها ، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ، وإن امرأة مخزومية سُرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه أن يَشْفَعَ فيها ، فغَضِبَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ! إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطعت يدها) ؛ (رواه البخاري). قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتوطيد العدل ، وتطبيق المساواة ؛ لكي يتبع المسلمون هذا المنهج العظيم ؛ لإقرار الحق والعدل ، ودحض الباطل ، دون اعتبار لنسب أو جنس أو لون ، إنها شريعة الله تعالى التي ينعَم في ظلها الجميع ؛ قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا). وقيم العدل والمساواة عند تطبيقها يتقدم المجتمع المسلم ، ويسعى إلى الرخاء والنمو ، ويستعيد الأمجاد القديمة ، ويعود ليقود البشرية في نشر أسس الدين الإسلامي ، وتطوير العلوم ، وإعمار الأرض ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى ، فالكل في دولة العدل يشعر بالسكينة والأمان ؛ فلا يخشى من الظلم والعدوان. والعدل يتحقق في مجتمعنا المسلم بتطبيقه على الجميع ، فلا توجد محاباة لعلية القوم ، ويتم رد الحقوق للفقراء والمساكين ، فمن أجزم فله العقاب ولو كان من ذوي السلطان والمال ، ومن أحسن فله الثواب ولو كان من البسطاء ، ومن أجمل صور العدل: أن يقوم المسلم بتطبيق العدل أولاً على نفسه ، فيقر بالخطأ ، ويعتذر لمن أساء إليه ، ويسارع بالإحسان ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). ومن صور العدل العظيمة: أن يقوم المسلم بتبني قيم العدل مع الأعداء ، فلا يجور عليهم ، ولا يبخسهم حقوقهم ، فهذا الأمر من أسس التقوى في دين الإسلام العظيم ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ

بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).
 لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس عدلاً ، وسيرته الشريفة ينبوع متدفق لكل القيم النبيلة ،
 وفي القصص النبوي ترسيخ للعدل ، وإقرار بالمساواة ، فما أحوجنا إليهما؟! هـ. المهم أن ذلك الأخ العادل
 قد أعجبني عدله ، عندما أعطى حق أخته. فأنشدت من شعري حكاية على لسان ذلك الأخ المحترم التقى!)

لا تخافي ، إن الردى أن تخافي
 واسـتـريـحي مـن سـؤـرة الإـجـافِ
 كم نصحت ، لكن أبوك تعامى!
 ورماني ببعض الاسـتـخـفـافِ
 قلت: كلا ، فقال: هذا مرادي
 قلت: ظلم ، واعمد إلى الإنصاف
 فتمادى فيما ارتأه صواباً
 فانطلقت إلى الأقارب سعياً
 فإذا بي ألقى التواطؤ منهم
 فانتويت رد الحق ووق رضياً
 أنت أغلى من كل أرض ومال
 ورضاء الرحمن أفضل زادٍ
 فخذي يا أختي الحبيبة حقاً
 ثم كوني على الدوام ملاذي
 جنبيناً ناراً تحرق جليلاً
 وحرماً على القرابة حيفاً
 تذكرين منذ كنت شبلأ صغيراً
 وأنا اليوم مثل أمسي وأحلى
 وأراك في مهجتي وشـغـافِ
 وطيب القلب ، أزهى بعفافي
 وأراك في مهجتي وشـغـافِ

وللأفعى حفيف

(إن كثيراً من بني آدم - اليوم - قد تنازلوا عن آدميتهم ، واحترفوا تقليد الأفاعي وأتقنوا الفحيح والحفيف معاً. وقد شبه الله خلقاً بالحمير ، لأنهم لم يعملوا بما شرع لهم وعلموه عنه عز وجل. وشبهه خلقاً آخر بالكلب ، لأنهم لم يعملوا بما شرع لهم وعلموه عن ربهم. وشبهه آخرين بالأنعام وجعلهم أضل لأنهم قد غفلوا عن إقامة الدين في أرض الله ودنيا الناس. وإن من بني آدم لمن يلدغ لدغ الأفاعي وأشد ، ويلسع لسع العقارب وأشد ، ويمكر مكر الثعالب وأشد ، ويفتك بفريسته فتك الذئاب وأشد ، ويرفس رفس الحمير وأشد ، ومنهم من ريحه أقدر من الخنافس وأشد ، وإذن فالنجاة الحقة يُلَفِّها الله لمن أطاعه. إننا أحياناً نظلم الحشرات والحيوانات والعجماءات بل والهوام عندما نشبه بها المنحرفين من بني البشر. إن حياة هذه المخلوقات ونواميسها تختلف عن حياة ونواميس بني البشر. ألا وإن كل خلق الله جميل ، وساعة يكون المرء بين معارفه وأحبابه وخلاته وأصدقائه وإخوانه ، ويبتلى بالنفاق ، والمنافقين ، ويمتحن بالخيانة والخائنين للعهد والمحبة ، فإنه يجد - بعد الله تعالى - في بعض المخلصين الصادقين عزاءً وسلواناً. ولكن ساعة لا يكون ذلك كذلك فالله المستعان. يعيش الإنسان وحده ، ولسان حاله يقول: (لا أملك إلا نفسي وأخي). وكذلك قال موسى - عليه السلام - . وكذلك حكى الله عن نبيه وخليه إبراهيم: (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين). والنصر للحق لا محالة ولا شك ولا ريب ، رغم حفيف الأفاعي وفحيحها المتلهب. وبذلك جرت سنة الله تعالى في خلقه. وقد يبدو للمخلصين أن الجاهلية قد ترسخت وأرست قواعدها وأصولها في نفوس الناس ، وأنه لا أمل - طرفة عين ولا أقل من ذلك - في إزالتها من الوجود. ويبدأ اليأس في التسرب إلى قلوب الصفوة الموحدة من أبناء وبنات ذلك الجيل الرباني الفريد في خضم الجاهلية الهائج. والله لو كان ذلك كذلك لما أزال الله تعالى من الوجود الجاهلية الغابرة الأولى ، وعلى قوم هم الأقل عدداً وعدداً ، وفي فترة من فترات التاريخ لا تتجاوز العقود الثلاثة منذ بعثة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وحتى وفاته ، مروراً بعصر الراشدين الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - . وكنت قد تخيلت أحد الدعاة الصالحين كان البلاء يُصب فوق رأسه صباً ، وهو صابراً محتسباً موقناً أن النصر مع الصبر ، فأنشدت هذه القصيدة وأنا أتخيله بين الأفاعي أعزل إلا من الإيمان. وأعرف أن الفحيح هو صوت الأفاعي ، ولكنني عنيتُ التهاب النار ، فالعرب تسمى التهاب النار بالحفيف وهذا موجود في اللسان. أسطر هذا في الرد على الاعتراض اللطيف الذي أبداه لي الأستاذ سالم محمد سالم النوبي ، ذلك الشاعر الكبير والناقد الأدبي العملاق الذي شرفتُ وشرف شعري بالمثول بين يديه للتعلم ولمدارسة المزالق والأخطاء والعثرات التي مني بها شعري. وأشكر له ملاحظاته القيمة ، وأدعو له ما حييت أن يحفظه الله.)

سائرٌ ، والقلبُ مجنوزٌ أسيفٌ كيف يحييا المرءُ تحدوه الختوفُ؟
والأفاعي من دمائي ترتوي آه ، والغريبة تجتاح الضعيف
سُمها في النفس يسري كالوبا وثمانين السورى تردى العفيف
تضرب الحق بسيفٍ قاطع وتذكُ النصر والمجد المنيّف
تقمعُ الأفذاذ ، تردى عزمهم وتقصّي العمر في ضرب الصفوف
تكشف المسطور ، ليست تسطيحي ترقص - الدهر - على قرع الدفوف

تكببت النور ، وتجتث الخُطَا
تقرأ الآيات ، لكن في الهوى
وتبيع الحق ، لا تدري سوى
تملاً البطن ، وتجتث الريا
قاتل الله الأفاعي كلها
فالثعبان التي في جحرها
خائنٌ - في السر - يكي ظهرنا
يسكب النيران في أرحابنا
ينسج الأعذار زيفاً خالصاً
وأنا أختار أن لا نلتقي
إنما الإنسان يحيا مرة
ويموت المرء أخرى مثلها
إنما هوى فؤادي من سما
واشترى الأصحاب من سوق الورى
ثابت القلب ، وإن عم الهوى
طيبُ الروح ، أمينٌ صامدٌ
واثقُ اللهجة يحمي إلفه
يبذل النفس ، ليحيا خاله

جريدة الوحدة العربية 5 من مايو 1996م

ترجمة الحقائق

(ورث عن أبيه وجده مهنة تصليح السيارات. وتعلم ودرس في الجامعة. وتخرج في كلية الطب – جامعة دمشق بتقدير ممتاز. وحاول أن يعمل في غربته طبيباً ، فلم يفلح لأنه لا يجيد القرع على طبله الواسطة ، كما أنه لا يحسن العزف على بيانو الرشوة. فعمل في محل تصليح السيارات ، الذي كان يمتلكه زوج أخته المخلص الوفي المحترم. وارتأى زوج أخته بعد سنواتٍ عشرين في الغربية ، أن يعود إلى بلده ، منهياً بذلك رحلة غربته ، وطاوياً بذلك صفحة الهوان في غير بلده. فرحل وترك ورشته بكامل محتوياتها هدية لصهره الطبيب (دراسة وتخصصاً) ومصلىح السيارات (ممارسة وعملاً!). وعمل الطبيب في عيادته (استغفر الله) في ورشته ليُعالج السيارات! وذات يوم قال أحدهم له ، وقد استخدم مصباحاً ذا طرفين لتغذيته بالكهرباء ليفحص كهرباء السيارات: "إنك تشبه الطبيب بسماعته التي يلفها على رقبتك ، مثلما تلف أسلاك المصباح على عنقك!" ، فاصطحبه من يده إلى مكتبه داخل الورشة . وإذا بالشهادات قد غلقت على الجدران. وقرأ الزبون الشهادات الموثقة التي تدل على تخرج ذلك (الميكانيكي) في كلية الطب وليس في كلية الهندسة قسم السيارات! فاعتذر الزبون لأنه جرح شعور الميكانيكي. وراح يسأله عن سبب ذلك ، ولماذا لم يعمل في الطب الذي هو مجال عمله؟ فحكى له القصة كاملة. فرثا لحاله. فكانت ترجمة لحقائق غابت وحقوق انتهكت. وما ذاك إلا لأن الأمر من عقود موسدٍ لغير أهله. وإذن فاحترام الناس وإنزالهم منازلهم ، سنة نبوية وفضيلة سامية ، عظمها الإسلام ، ودعا إليها ، وأصل لها في الكتاب والسنة! قال أستاذنا سعد البريك في إحدى محاضراته عن مبدأ الاحترام ما نصه بتصريف يسير: (الاحترام قيمة إنسانية عامة أولتها البشرية عناية واهتماماً ، لكن الإسلام أعطاها مكانة كبيرة ، جعلتها تمتد لتشمل كثيراً من العلاقات التي تربط بالمسلم بغيره ، بل امتدت لتشمل المجتمع والعلاقات الاجتماعية. وإذا كان المسلم مأموراً باحترام المسلم ، فإنه مأمور أيضاً باحترام غير المسلم ، ولنا في المصطفى صلى الله عليه وسلم خير قدوة حين كتب إلى هرقل قائلاً بعد بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم... فلم يشتمه ، ولم يدعه بما يسيء إليه ، بل أنزله المكانة التي هو فيها. أصدرت منظمة اليونسكو مجموعة من القيم رأت أنها من المشترك بين الإنسانية كلها ، وسمتها بالقيم النشيطة ، وأوصت بأن تتضمنها كل مناهج التعليم في العالم. وجاءت قيمة الاحترام أول هذه القيم قيمة الاحترام. والإسلام كما ذكرنا آنفاً أولى هذه القيمة أهمية كبيرة ، وربطها بتصرفات وسلوك يضمن تحقيقها ديانة وعبودية لله تعالى وليس مجرد قيمة أخلاقية مجردة لا يُثاب الإنسان عليها. وقد تعددت صور الاحترام في الإسلام لتشمل: احترام الذات ، واحترام الوالدين ، واحترام المرأة ، واحترام المجتمع وقيمه ، واحترام العلماء ، واحترام غير المسلمين بحفظ كراماتهم وأدميتهم. * – أولاً ، احترام الذات: احترام الذات هو الصورة الذهنية الجميلة التي يرسمها المرء عن نفسه. وهذه الصورة تتكون من خلال خبراته وتتأثر بقوة بالرسائل التي نلتقاها من الآخرين ، ولا شك أن الطريقة التي ينظر بها الإنسان لنفسه تؤثر في كل نواحي حياته. وإن عدم احترام المرء لذاته يجعل منه عدواً لنفسه. والتقوى تحقق احترام الذات: قال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (لا أرى أحداً يعمل بهذه الآية: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. فيقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك ، فليس أحد أكرم من أحد إلا بتقوى الله). رواه البخاري في الأدب المفرد ، وقال الألباني: صحيح. وعن أبي هريرة

رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: "أتقاهم". رواه البخاري.هـ. ولقد ذكرنا الأستاذ البريك بمبدأ كتبناه كثيراً ، وذلك عندما ذكر اليونسكو ، وهذا المبدأ ملخصه في كليمات أن الأخلاق لا دين لها! وإنما الفارق بين المسلم وغير المسلم في هذه المسألة ، هو أن المسلم يرجو من الله الأجر عليها! بينما غيره لا يرجو عليها الأجر من الله ، بل يفعلها ويلتزم بها من باب القيم الإنسانية التي يجب الالتزام بها! ونعود للطبيب الميكانيكي موضوع قصيدتنا! راح الطبيب يبيّن لزبونه بأن نبي الله ورسوله داوود كان يأكل من عمل يده! وأنه مهما بلغ في العلم ، فما بلغ مبلغ داوود في العلم ولا الرسالة ولا النبوة! وداوود يشكر الله على العمل والرزق. (أن اعمل سابغات وقدر في السرد ، اعملوا آل داوود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور). جعلنا الله شاكرين. فقال الزبون: آمين. فقلت بعده: آمين!

ألا فلتقلها بما لء الفم ولا تخش - بعدُ لظى - اللوم
ولا لن تراني أضيق بها فلسات - بها - تسببخ دمي
ولا لن تكون بها ساخرأ فإني - لطب السورى - أنتمي
أترجم حقاً أعيش له ولم أترك الطب للدرهم؟
وأضرب - في الأرض - مستحسراً على الطب كيف قلا مرقمي؟
وخلفني في السورى باكياً بكاء المعذب والمغرّم
يميناً تجرعتُ مر الجوى! ونار العذابات لم أكمتم
فهُونَ عليكَ ، ولا تعتذر فإن الذي قاتله بسمي
حقائقُ بين الأنعام اختفت تترجم ظلم بني آدم
وتفضح قهراً بليث به وتكسر قيلاً دهى معصمي
وسلوأي (داوود) في مجده فباليدِ ذاق هنا المطعم
نبيّ له الملكُ في ذي الدنا ويحيى كأي فتى مسلم
ألا إنّه قودتي ، فانتبه وسيرته كضياء الأنجم

هذيان الغانيات المراهقات

(أخذن يتجاذبن أطراف الحديث عن الزواج ، فقائلة: إنه عذاب وبلاء ، وقائلة: إنه أغلال وقيود. وقائلة إنه عبث وتيه ، وقائلة: لماذا أشم زهرة واحدة طوال عمري؟ مشيرة بذلك إلى تعدد الأزواج ، على غرار تعدد الزوجات! فكان هذيان غانيات لا قيمة له. بل هو إلى العزيف والهذيان أقرب منه إلى الكلام والثرثرة المثمرة أحياناً! وأكاد أجزم يقيناً بأن هذه الرواسب الفكرية والترسبات الجاهلية رسخ لها ودعا إليها إعلام ساقط مردول سواء أكان مرئياً أو مسموعاً أو سمعمرئياً أو مقروءاً. وكان على هؤلاء البنات إن كن ناصحات لأنفسهن ، مقدرات لقيمة الكلمة حقيقة ، أن يتحاكمن في أقوالهن لكتاب الله ولسنة رسوله إن كن مسلمات. أو حتى إلى المنطق السليم الواعي الذي لا يتعارض أبداً مع الإسلام. وأثر في نفسي أن الكبيرة منهن ذات التجربة في الحياة كانت أخفهن حكمة وأقلهن رشداً رغم أنه كان ينبغي عليها أن تحسن الكلام عن الزواج بحكم تجربتها السابقة قبل أن تصبح عزباء! والأصل أن المسلمة تأخذ كل تصوراتها وأفكارها عن الحياة والأحياء من الكتاب والسنة. وما الزواج وفقهه إلا شأن من شؤون الحياة والأحياء ، له في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – الكم الكبير من النصوص والأحكام! وإذن فلماذا أخذ مثل هذه الأحكام والتصورات عن مراهقات لا تحسن إحداهن كيف تتوضأ؟! إنه باختصار لعدم وجود الحياء! قال الأستاذ نبيل بن عبد المجيد النشمي في كلمة له عن الحياء بتصرف زهيد ما نصه: (لا أظنه جُزافاً أن يكون الاتفاق بين كلمة (الحياء) و(الحياة) في جميع الحروف إلا الحرف الأخير ، وكذلك أن يكون الحرف الأخير تاء التانيث ؛ فلا أظنه إلا دليلاً على عمق العلاقة بين الحياء وحياة الأنثى ، قد يكون تنطعاً وتحميل الكلمات ما لا تحتمل ، لكننا متفقون قبل ذلك على أن العلاقة بين الحياء والمرأة علاقة انتماء ووجود. الحياء بالنسبة للمرأة أبهى زينتها ، وأنصع ألوانها ، وأجمل مواصفاتها ، وأنقى معانيها ، فهي بالحياء تعيش معززة مكرمة مصانة الجانب مرفوعة الرأس محفوظة المكانة تحتمي بحياتها من أسنة السفهاء وأعين السوقة وقلوب الذئاب إذ صيدهم السمين عند من قل حياؤها في الغالب . تعيش المرأة بحياتها فتحفظ نفسها وعرضها ، وكلما حصل نقص في حياء المرأة كلما كان ذلك النقص سبباً في تعرضها لما يجرحها ويعرضها للإهانة وإن لم تشعر أو لم تعترف. والواقع يمتلئ بأمثلة ممن تعرضن للمضايقات بسبب شعور الطرف المؤذي بفقدان المرأة لجزء من حياتها ، فهو يرى فيمن تضع عباءة الكتف مثلاً أنها أسهل في التعامل وألين ممن تضع عباءة الرأس ، ويمكن أن يجد طريقاً إليها ، كما أنه يعتبر كاشفة الوجه فريسة جاهزة ، وأما التي تختلط وتتحدث مع الرجال فهو يرى لنفسه نصيباً فيها ومن حقه أن يؤذيها لأنها عرضت نفسها لذلك (حقيقة مؤلمة لكنها حاصلة). والحياء خلق رفيع ، سام ، شفاف ، عظيم ؛ يدل على نفس عظيمة ، وعقل راجح ، وفضيلة متأصلة ، ولذا فتنازل المرأة عنه والتخلي عن التخلق به نوع من إهانة النفس ودليل على دناءتها. والسقوط في جريمة التنازل عن الحياء يبدأ تدريجياً بما لا تشعر به المرأة ولكنها إذا فتحت بابه يصعب عليها إغلاقه إلا أن يحفظها خير حافظ وهو أرحم الراحمين سبحانه ويوقفها ويعينها ، ثم تكون صاحبة قرار ونفس أبيية. تدخل بعضهن ميدان التنازل مبررة بحجج تظنها مقنعة وهي واهية! ومن ذلك: الحاجة أو التعرف أو شغل الوقت أو ركوب موجة مع البيئة المحيطة أو التذليل على التحضر أو إثبات الثقة بالنفس وكثير منها حقيقتها الهوى ، وتبدأ بخطوة على حذر وحيطة ، وما هي إلا خطوات وربما كلمات وإذا بها تستهين بالأمر ، وتستلذ بالحال وتتوسع في التنازل حتى ما يبقى من حياتها ما يعينها على العودة ، وذلك لأن بحر التنازل لا ساحل له ، وخطوة تجر أختها ولا مغيب إلا أن يشاء الله ،

لذا يصبح اللوم على الحياء واللمز بالانطواء وسام شرف ، في زمن انقلبت فيه المفاهيم وانعكست التصورات. تقبل بالتنازل مثلاً عن شكل جلبابها وحجمه ، ثم عن جزء منه ثم عن إضافة الألوان والتطريزات إليه وهكذا ، في جانب آخر مثلاً تقبل بالحديث مع الأجانب دون حاجة ، وتستطرد بلا مبرر ، وتبحث عن دواع ولو واهية للحديث معهم ، وفي كل ذلك يحصل نوع خضوع وليونة تزيد بزيادة فرصة الحديث. هـ. والحقيقة لأنه لا يوجد عند البعض منهن فضلاً عن الجميع مبدأ الحياء من الله والحذر من عقابه! لذا كان الخوض عن شعيرة من شعائر الإسلام وهي الزواج على كتاب الله وسنة رسوله بهذا المنطق الفج المعوج السئ المسئ. الأمر الذي جعلني أكتب من شعري هذه القصيدة لعزباء متسكعة!

عزباء ليس لها في العيش من هدف
تحسن شوقاً إلى زوج يداعبها
يُثري أنوثتها بالحب ، يُبهجها
حسب الشريعة ، فالقرآن مُرشدُه
لكن هذي إلى الشيطان قد ركنت
تهذي ، وتسالك درب الشر عامدة
كأنها من لظى عقابها أمنت
تحارب الخير ، يحيا في سريرتها
والغانيات لها من العشق منتصت
فبعضهن يرى الزواج ملهبة
وبعضهن يرى الزواج مأسرة
مراهقات فلا ضابط لمصطلح
بضاعة في حضيض الفن قد زرعت
وكم تدمر من تأوي لباطلها!

وتصبغ الفكر بالأرجاس والجيف
يصون عفتها من سوء منعطف
ويسوجب لها تبديده من شغف
إلى الهداية ، وفق المنهج (السلفي)
وجاهرت ربه بالطيش والسرف
وتستطيل على الأخلاق بالصراف
لذاك لم ترتدع يوماً ، ولم تخف
وتدحر الطهر بالتعننت الخرف
لما يُرده تمكُن الكالف
ترجي العذاب ، وتزكي سيء الجنف
طف المزارُ بها من شدة الشظف
ومما اللسان بما أذى بمعترف
وروجت في دجى التلفاز والصحف
وبعد تقضي على الإباء والشرف

أشياء في ظل الحب

(التربية أمر دونه الجبال الرواسي تحملاً وصعوداً ، وفي زماننا أصبح أمر التربية أشق وأشد وأعتى من ذي قبل. ولكن في ظلال الحب والحنان والعطف ، يكون أمر التربية أسهل منه في غياب هذه الأشياء. فهذه أم تعاقب طفلها على كل خطأ ، وبكل حزم وقسوة. إلى أن طفح الكيل ذات مرة فطردت الطفل ذا العاشرة من عمره من البيت. وأخذ ينتحب أمام الباب ، ولما لم يجد بدأ ، وعجز عن كل حيلة ليفتح بها الباب. مضى يلتمس حضناً دافئاً يأوي إليه ، ويداً حانية تربت على كتفه أو تجفف دمعته فلم يجد ، فإذا به يعود وينام على عتبة الباب الذي أغلقته أمه دونه. ولما أن هدا الليل فتحت الأم باب دارها ، فوجدت طفلها هكذا ، فأخذت تقبله وتعترف بقسوتها ورقته. والأصل أن يأخذ المربون التربية من القرآن. وصدق الشاعر الدكتور/ عبد الرحمن الأهدل إذ يصف القرآن وصفاً دقيقاً عميقاً بقوله:

قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَاسْتَأْنَسَ الْفُكْرُ
وَهَبَّ سَحَابُ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
تَأَمَّلْتُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ وَمَا اخْتَوَى
وَفِيهِ إِشَارَاتٌ تُضِيءُ لِمُخْلِصٍ
وَكَمْ قِصَّةٍ فِيهَا عِظَاتٌ وَعِبْرَةٌ
حَلَالٌ حَرَامٌ مُحَرَّمٌ مُتَشَابِهَةٌ
وَشَعَّ سَنَا فِي الْقَلْبِ وَانْتَشَرَ الصَّدْرُ
وَوَالَى ظِلَامُ الشَّرِّ وَانْبَاحُ الْفَجْرِ
وَمَا فِيهِ مِنْ وَعَظٍ يَلِينُ بِهِ الصَّخْرُ
فِيَا لِمَعَانِ رُوحَهَا الصِّدْقُ وَالطَّهْرُ
وَفِيهَا جَمَالُ اللَّفْظِ وَاللَّفْ وَالنَّشْرُ
وَيَنْبُغُ مِنْ طَيِّبَاتِهِ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ

فكثبت هذه القصيدة ترجمة حية لهذا الموقف الظريف الذي يظلمه حب الأم ورقة الطفل. نحن لم نقل ولا نقول ولن نقول أبداً: إن الضرب ليس وسيلة تربوية تؤدب وتزجر وتردع. لا ، بل يكفي أنها مقرورة في الكتاب: (واضربوهن) ، والسنة: (واضربوهم عليهما). ولكن أي ضرب؟ وأي طرد؟ إنه الضرب غير المبرح أي الذي لا يُسِيل دماً ولا يكسر عظماً ولا يُعطل جارحة. وكذلك الطرد الذي يكون من غرفة إلى غرفة في البيت وليس خارج البيت! استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب ، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك! فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال: "عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي! لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب". فقال: أنت أحق أن يهين يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عدوات أنفسهن أتهينني ولم تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إيه يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك". رواه البخاري. قال الحافظ في الفتح: (فقلن إنك أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم). وهو يقتضي الشركة في أصل الفعل ويعارضه قوله تعالى: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك"! فإنه يقتضي أنه لم يكن فظاً ولا غليظاً ، والجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يواجه أحداً

بما يكره إلا في حق من حقوق الله ، وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في الزجر عن المكروهات مطلقاً وطلب المندوبات ، فلهذا قال له النسوة ذلك! (الفج) الطريق الواسع. إن المربي والمربية يصنعان بالحب أضعاف ما يصنع مربون آخريين بالسوط والعصا والطرْد! فليُنْفِظن إلى ذلك أشد التفطن. قال الله جل وعلا: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين". وعن مُعَيْقَب رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرمت النار على الهين اللين السهل القريب" صحيح الترغيب والترهيب. وعن حارثة بن وهب قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري" والجعظري (هو الذي ينتفخ بما ليس عنده) (الجواظ الكثير اللحم المختال في مشيه) الغليظ الفظ. رواه أبو داود. قال ابن كثير: والفظ الغليظ هو غليظ الكلام لقوله بعد ذلك {غليظ القلب} أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لا نفصوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك وألن جانبك لهم تآليفاً لقلوبهم. كما قال عبد الله بن عمرو: "إني أرى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة إنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح". قال الله: "وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ". قال الشوكاني "يقال: خفض جناحه إذا ألنه ، وفيه استعارة حسنة. والمعنى: ألن جناحك وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين ، وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم. {فإن عصوك} أي خالفوا أمرك ، ولم يتبعوك {فقل إنني بريء مما تعملون} أي من عملكم ، أو من الذي تعملونه ، وهذا يدل على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان باللسان لأن المؤمنين لا يعصونه ولا يخالفونه."

موقف صعب فوق حدّ احتمالي	هزّ قلبي وخاطري وانفعالي
فتش الطفل - جاهداً - دون كَلِّ	لم يجد مأوى تصطفيه الليالي
(في ظلال الحب) الجميل تهافت	كل أغلال المشكلات العُضال
لم يكن غير الحب للكرب حلاً	ومبيداً للمعضلات الثقّال
ليس كالأم مصدراً للسلام	إنها ينبوع يبيث المعالي
إنها الإيمان بالله نخرأ	وهي بالتقوى ما لها من مثال
كم تحن إلى الصغار ، وتهفو!	وعطاها يفوق وصف الخيال
كم تجود بما لديها ، وتزجي	كل خير من الجميل وغال!
كم تعاني في عيشها وتجارى	وتقاسي تغنّت الأطفال!
ولهذا فالاحترام جزاء	وقرين رضاشديد المحال

سويغات الهوى المجنون

(أحبها ووعده بالزواج ، ثم تزوجت سواه. فأثر العزبة فأشدت على لسانه من شعري (سويغات الهوى المجنون). ولا أعترف بعلاقة رجل بامرأة بعيداً عن رياض القرآن وظلال السنة وضوابط الشريعة وعواصم العقيدة. وبضدها تتميز الأشياء ، فلنطالع بعض السطور التي تبين حقيقة الحب في ديننا! قالت الأستاذة سهير الجبرتي تحت عنوان الحب من المنظور الإسلامي ما نصه بتصريف: (خلقنا الله عز وجل في هذه الحياة الدنيا ولم يتركنا هملاً بل سن لنا من التشريعات ما يكفل لنا الحياة بلا تخطئ. فهو الأعم بتكويننا وما يدور بين خلجات قلوبنا. فوضع من الضوابط والنواميس ، ما يجعلنا لا نحيد عن الحق "فالحلال بين والحرام بين" ، فليس هناك من مشكلة إلا ولها في القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حل وتبيان. فهناك كثيرون يسألون عن الحب وكيفية علاجه. فالحب في المنظور الإسلامي ليست كلمة تقال ، وإنما هي عاطفة وسلوك واتجاه وطاعة ، فقد يخفق قلب رجل لامرأة ، ويضطرب وجدان امرأة لتعلقها برجل! ولكن ما هي المعايير التي تحكم هذه العلاقات. نقول إن كان الطريق ميسراً إلى الزواج الصحيح دون مخالفة شرعية ، فليس هناك مانع من الارتباط ، أما إن استحال الارتباط بوثيقة شرعية لأي سبب من الأسباب ، فيجب على المسلم أن يعود لعقيدته وانقياده إلى الله تعالى. فالحب للمولى تبارك وتعالى أسمى وأعظم ، ويعلم أنه وضع في ابتلاء عظيم ، ويجب عليه الاستعانة بالله للخلاص من هذا البلاء فلا يترك منافذه للشيطان ليدق عليها ويعلم أن الحب لله تعالى هو حب الطاعة والانقياد والخضوع لكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ، والالتزام بمنهج الله تعالى ، والسير على رضاه. ويتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جنت به}. وقد طلب الله تعالى من نبيه أن يقول للمؤمنين: {قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}. فالناس يحبون الحياة الدنيا وما فيها من زينة ومال ونساء فقال في كتابه الكريم: {زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أُوْثِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ؟ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}. فالمولى تبارك وتعالى علم أن هناك حبا ، ولكن يجب أن يكون هذا الحب بمعايير وفق طاعة الله واتباع المنهج الإلهي. ونهانا عز وجل عن الانقياد إلى الملذات وجعلها أكبر النقم ، وتوعد من يفعل ذلك يوم القيامة {إِنَّ هَؤُلَاءِ يَجُوبُونَ الْعَاقِلَةَ}. فالحب في الإسلام حب بناء ، وليس علاقة هدم. فيجب أن نتعامل مع الحب كعاطفة إنسانية سامية تملأ علينا حياتنا بهجة وسعادة وطهارة وفضيلة لتسمو معها مشاعرنا فتعانق عنان السماء لتبتعد بنا عن الدونية والرذيلة وتقربنا من عالم المثل والفضيلة والعفة! إن لم يكن الحب بهذا المفهوم أصبح مرضاً فتاكاً ينخر في كيان المجتمع لهدم القيم والمعاني السامية الجميلة فتهدم معه الأسر. ويضيع الحق ، وتنتشر الرذيلة. هـ. ولأن هذه القصيدة صيغت فكرتها أيام الصبا ، وأنست فيها عبرة وعظة ، لمن يقعون في شرك الحب على منهج الجاهلية الحاضرة ، ومن هنا كانت فكرة إحيائها وإظهارها للوجود. على أنني قد تنازلت عن الكثير من أشعار الصبا لضعف فني كان ينتاب أغلبها ، وكذلك لعقم فاندتها ، وأخيراً لمخالفتها للتصور الإسلامي الصحيح. ومن ذلك المنطلق أسميتها (سويغات الهوى المجنون) ، ذلك أنني اعتبره بكل صدق هوى مجنوناً ، لا يتحاكم إلى دين الله - كتاباً وسنة - فضلاً عن أن يتحاكم إلى عقل أو رُشد أو حكمة. وطفقت أتخيل ذلك العاشق الذي أسرف على نفسه وفرط في جنب الله تعالى ، يصف لنا تلك التجربة الهائلة

المريرة بين طرفين أحدهما جاد في رغبته الجامحة في الزواج وإن خالف في جزئيات أخرى ، وطرف آخر جعل الهزل غاية ، وفرط وقصر ، وخالف عن سواء الصراط. هذا إذا سلمنا جدلاً بصحة التجربة بينهما. وإلا فهي كلها كانت من ألفها لياؤها على غير هدى من الله ولا كتاب منير. فتخلّيت (رومي) هذا يخاطب (جوليت) تلك موبخاً وعاتباً فأشدت من شعري أقول:

قلبي عليك يذّر نارَ تأسفي والوجدُ - بين جوانحي - لا ينطفي
وغدوتُ في وهمين: وهم صبايةٍ يكوِي ، ووهمُ تغيطي وتشوفي
تعباً لنار الحب ، إن سعيها يُزري بعاشق غادة متعفف
هو ذا جنونُ الحب يحرق مهجتي فأسائل الأطلال كالمتهلف
والعقل أضحي ليس يُدرك رشده فتعني لوثات ، وأخرى تختفي
أواه ، كيف قبلت غيري عاشقاً وأنا الذي قد كنت في حبي الوفي؟
أجبرت؟ لا. أكرهت؟ لا. أنت التي هانت عليك محبتي وتلظفي
أنا لستُ جباراً لأسفك الشقا أنا لستُ في شكواي بالمتعسف
أحببتُ ، لم أك - في المحبة - هازلاً وبذلتُ إخلاصي ، بدون تكلف
وصدقتُ لم أغدر ، وصنتُ علاقتي ونسجتُ أشعاري بأعذب أحرفي
قالوا: شغفتَ بها! فقلتُ: حقيقة وخطي الحبيبة - مدعناً - أقتفي
وأريدها زوجاً على طول المدى إذ لستُ - بالعشيق المجرّد - أكتفي
حتى إذا عشقتُ سواي حقرتُ فعـ لتها ، وهذي فكرتي وتصرفي
سأعيش أحلم - قانعاً - بودادها ولسوف أصبر في جحيم الموقف
هذا البلاء أسوقه متحملاً خذلان من طعنات أريج تعففي

قدوم العيد

(سنة الله عز وجل - في الأعياد الفرحة. ومن هنا شرعت أطلب من كل مسلم أن يفرح وفق ما شرع ربه ونبيه - صلى الله عليه وسلم -. ولقد صدق أستاذنا الطرييري عندما فصل ذلك المعنى فقال: {أي نعمة أعظم ، وأي من أمن وأفضل من أن الله هدانا للإسلام فلم يجعلنا مشركين نجثو عند أصنام ، ولا يهود نغدو إلى بيعة ، ولا نصارى نروح إلى كنيسة ، وإنما اجتباننا على ملة أبينا إبراهيم ودين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين". فهذا العيد موسم الفضل والرحمة ؛ وبهما يكون الفرح ويظهر السرور ، قال العلماء: "إظهار السرور في الأعياد من شعائر الدين" ، وشرع النبي - صلى الله عليه وسلم- وتقريره إظهار الفرح وإعلان السرور في الأعياد ، قال أنس رضي الله عنه: "قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال: إن الله أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر". ومن هنا كانت الفرحة بالعيد منسكا من منسك الإسلام وشعيرة من شعائره. قال الأستاذ رشيد بن إبراهيم بوعافية تحت عنوان: العيد من منظور مقاصدي ما نصه بتصريف: (ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في يوم عيد الأضحى: "إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا" متفق عليه. نعم ؛ لكل أمة أعيادها ومناسباتها الخاصة التي تفرح فيها وتعتز برجوعها وعودتها كل عام ، ولكل أمة خصائصها التي تبالغ في إظهارها يوم العيد: الفراعنة ، البابليون ، الآشوريون ، الرومان ، الفرس ، الجرمان ، اليهود ، النصارى ؛ إذا بحثت وجدت أن لكل قوم من هؤلاء وغيرهم أعياداً تعود فيهم وتتجدد ، تحمل خصائصهم العقديّة والمنهجية والوطنية ، وتبعث فيهم أشياء تحدّثها تلك الخصائص. [الفراعنة (عيد شم النسيم) - البابليون والآشوريون (عيد الخروف) - الرومان (عيد القمر) - الفرس (النيروز) - الجرمان (عيد إستر إلهة الربيع عندهم) - اليهود (الفصح) - النصارى (رأس السنة الميلادية)]. ولنا عيدنا الذي حدّدته لنا الشريعة: أعيادنا من اختيار شريعتنا: وهذا فيه شرف ورفعة لنا ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ، فقال: "قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية ، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم النحر ، ويوم الفطر" [صحيح سنن أبي داود]. فلنا عيدان حددتهما لنا الشريعة بنص الحديث: عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وكلاهما يحوي أبعاداً عقديّة وتعبديّة وحضاريّة. ويميز أعيادنا الانفصال التام بيننا وبين أعيادهم: لأن أعيادهم لا تخلو من مفاصد عقديّة أو منهجيّة أو أخلاقية ، ومن تأمل أعياد غيرنا من قديم الزمان وجد فيهم ذلك ، ويصاحب كثيراً من الأعياد مجموعة أطعمة شعبية هي في ظاهرها عادة قديمة لا شيء فيها ، ولكنها في عمقها وتاريخها تحوي دلالات عقديّة وثنيّة أو منحرفة ، وهذا ما يحتم علينا الانتباه والحذر والمفاصلة التامة بين أعيادنا الشريفة وأعياد غيرنا: [بيض مسلوق ملون ، قرصة الربيع ، سمك مملّح] فما أصلها؟ البيض المسلوق الملون: هذا الاستعمال يمتد من الناحية التاريخية في استقبال الربيع إلى زمن الفراعنة ، حيث كان يسمى عندهم عيد الخلق ، فالبيضة عندهم ترمز إلى الخلق وبعث الحياة ، أما فكرة نقش البيض وزخرفته ، فقد ارتبطت بعقيدة قديمة أيضاً ؛ إذ كان الفراعنة ينقشون على البيض الدعوات والأمنيات ويجمعونه أو يعلقونه في أشجار الحدائق حتى تتلقى بركات نور الإله عند شروقه - حسب زعمهم - فيحقق دعواتهم! عادة السمك المملّح المجفف (الفسخ): عادة فرعونية قديمة لارتباط السمك بالماء والنيل. وبالتالي بالوفرة والحياة التي يبعثها النيل (موسوعة أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات لسيد صديق عبد الفتاح). قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه

الله:- "لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم ، لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نار ، ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك ، ولا يحل فعل وليمة ولا الإهداء ولا البيع بما يستعان به لأجل ذلك ، ولا تمكين الصبيان من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار الزينة ، وبالجملة: ليس لهم أن يخصصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام] (مجموع الفتاوى). ومن هنا أنشدت قصيدتي أخاطب العيد!

جاء العيدُ ، افـرحُ وتـدرُ واسـعدُ - بيـن الأهل - وكبـرُ
واحمد رب الناس ، وعظـم ولذنبك - يا صاح - اسـتغفر
خصّك رب الكـون بعـيدٍ فإني نعم الرحمن ألا اشـكر
شـرع العيد لكـل تقـي فـي تشـريع الله تفـكر
سـن الفرحة فيه لزاماً فتأمل في الشرع ، وأبصر
قدم العيد علينا فرحاً يـمـل بيـن يديه العنبر
يُتحفنا بالفرحة فاحتـ مثـل أريج المسك وأعـطـر
يحنو بالرحمات علينا مثـل الأم يحنّ ، وأكثر
يا عيد الإسلام ، فمرحى قد كنا نرتقب وننظر
حتى جئت إلينا تسـعى وأنـا بالأشـعار أعـبـر
أرجع فيك البصر مراراً حتى عاد البصر يُحَبّر
إن العيد عـظـيم الـذـكـرى وبرؤيه أتياه وأفـخر
وأنا أهتف فـيـمن غـفاً وأبـارك بالعيد ، وأنـذر
وأذّر الشـعر على قـومي فأنـا بالأفـراح أبـشـر
جاء العيد ، ألا فابتشـروا واغتموا العيد ، فـذا أخـيـر

فرحة العيد

(أنشدت هذه القصيدة على لسان كثير من المسلمين ، متخيلاً جمعهم يُعبرون عن فرحتهم بالعيد السعيد. وذلك لأن إسهام الشعراء المسلمين في التعبير عن العيد وفرحته ، لا يزال قليلاً إذا قيس بإسهام الشعراء الجاهليين! الأمر الذي حملني على أن أساهم ولو بالقليل في هذا المجال. وذلك عملاً بحكمة كونفوشيوس الحكيم الصيني: (بدلاً من أن تلعنوا الظلام أضيئوا شمعة.) والحقيقة أن (الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها!) وصدق أستاذنا عبد الله بن سليمان حيث يصف فرحة العيد بقوله: (يأتي العيد لئسبَل على القلب بهجةً وسعداً ، وتلتقي أفئدةً ، وتتلاقى أرواحٌ على خير و طاعة. وحيث إن القلوب لم تزل تتمتعُ بنعيم النشاط في الطاعة ، وتتقلبُ في رياضِ رياضِ العبادَةِ ، ولم تزلْ مُقبِلَةً نحو الخير ، مُدبرةً عن الشر. الكثيرون من الناس يقضون أيام العيد في لعبٍ و لهو ، فتتصرَّم ساعاتهم ، و تنقضي أيامهم بدون منفعة تُجنى ، ولا فائدة تُنال.) هـ. فكانت هذه شمعتي في عالم الظلمات التي أصبحت كالكتبان الرملية. أنشدتها في التعبير عن الفرحة بالعيد لأحمل غيري من الشعراء الإسلاميين على الكتابة في ذات الموضوع. فلقد هالني أن أطالع دواوين كثيرة لشعراء هم أجدر مني وأكثر شاعرية وعاطفة وخبرة وتجربة ، ولا أكاد أجد ولو مقطوعة من أربعة أبيات عن العيد! قال الأستاذ رشيد بن إبراهيم بوعافية تحت عنوان: العيد من منظور مقاصدي ما نصه بتصريف: (الأعياد في الإسلام مرتبطةٌ بالفراغ من العبادَةِ والإقبال على العبادَةِ: أعيادنا مسبوقةٌ بالخروج من عبادتين عظيمتين هما من أركان الإسلام: عيدُ الفطر مسبوقةٌ بصيام رمضان ، وعيدُ الأضحى مسبوقةٌ بيوم عرفة ومناسك الحج ، فيكونُ بذلك الفرخُ في الأعياد فرحاً باكمال العبادَةِ وإخلاصها لله عز وجل. وأما غيرُ المسلمين فأعيادهم مرتبطةٌ بالدنيا ومظاهرها من تغير الفصول وخروج النبات وشم النسيم. [كما في عيد "شم النسيم" يخرجُ الناس جماعات إلى الحدائق والحقول والمنتزهات ؛ ليكونوا في استقبال الشمس عند شروقها ، وقد اعتادوا أن يحملوا معهم طعامهم وشرابهم ، ويقضوا يومهم في الاحتفال بالعيد ابتداءً من شروق الشمس حتى غروبها]. والأعياد في الإسلام محفوفةٌ بالطهر والنقاء والسمو: فهي مظهرٌ من مظاهر شكر الله تعالى ، فيجب أن تكون كذلك ، ولذلك شرع للمسلم أن يتزين فيها ويتعطر ويغتسل: فإن لكل قوم يوماً يتجملون فيه ويخرجون من بيوتهم بزينتهم ويفرحون: عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلبس يوم العيد بردة حمراء" [الصحيحة]. وعن نافع أن ابن عمر: "كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى" [إسناده صحيح: أخرجه مالك]. وعن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الغسل فقال: "يوم الجمعة ، ويوم عرفة ، ويوم الفطر ، ويوم الأضحى" [إسناده صحيح: أخرجه الشافعي]. ولا مكان للمعاصي في الأعياد الإسلامية: بل يعلو فيها التكبير والشكر ، وفيها الصلاة والخطبة وملاقة الملائكة الأطهار في الطريق: [قارن]. قال الإمام المقرئ في كتاب الخطط حول يوم النيروز في زمن الفاطميين: "إذ كانت المنكرات ظاهرة فيه ، والفواحش صريحة في يومه ، يتجمع فيه المؤنثون والفاسقات وبأيديهم الملاهي ، وترتفع الأصوات ، وتشرب الخمر في الطرقات ، ويتراش الناس بالماء ، وبالماء والخمر ، وبالماء ممزوجاً بالقاذورات!" فأين هذا من سمو الموجود في أعيادنا؟! فرق كبيرٌ جداً! والأعياد في الإسلام يظهر فيها الفرح والابتهاج: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه" متفق عليه. والفرحة عند فطره تكون يوم العيد ، لأنَّ الله أدن له في الأكل والشرب والاستمتاع بالحلال بعد أن وفقه للاستجابة لأمره في رمضان. وقد دلت النصوص على أن المسلمين كانوا يفرحون أيام العيد كباراً وصغاراً: ففي

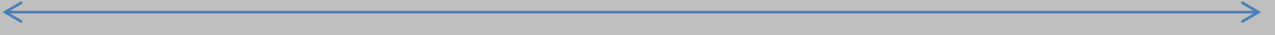
صحيح سنن أبي داود عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية: (النيروز والمرجان) ، فقال: "قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية ، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم النحر ، ويوم الفطر". فُنسِخَ العِيدانِ الجاهليّانِ ، ولم تُنسخ الفرحة ولا اللعب! هـ. ومن هنا رحّت أغني للعِيد على بحر الرمل فقلت:

أيهما العيد تغشيت القرى	فأفاق الناس من عذب الكرى
وإذا الفرحة نور عمهم	وعيون الناس تهوى ماترى
وإذا البهجة في أرواحهم	تجعل الإشراق بـدرأ نيرا
وإذا السعد يسلي أكبـداً	وبه حُـق لها أن تفخـرا
وإذا الذكرى تحلي يومهم	بعد أن عادت بهم نحو الورا
أيهما العيد سعدنا بالهنا	لم تزل فينا بشيراً خيراً
تنشر النور على الناس ضحى	ثم تهدي الليل صـباحاً مسـفرا
في مصلى العيد لقيامهم سـمـت	بالصفاء الغض تأوي للذرى
ولهم في الحج أصفي إخوة	هم - ورب الناس - من خير الورى
أكملوا الدين ، وأدوا حجهـم	طهروا سـمـتاً ، وطابوا جـوهـرا
بك يا عيد فرحنا ، وهم	فرحوا بالعيد في (أم القرى)
للمايك الشكر أن سنن لنا	عيدنا الأضحى البهي المـثـمـرا
رحمة تنزل من رب السما	تجعل الأصقاع روضاً مزهـرا
وأخ الأضحى الشقيق (فطرنا)	بعد صوم الشهر يأتي مـخـبـرا
يا عباد الله هيا أظـروا	إن شهر الله ولي مـدـبرا

البحر المديد والعيد السعيد

(قل أن يصوغ شاعر على البحر المديد بتفعيلاته كاملة. وكان جدالاً بيني وبين أحدهم حول المعنى المراد بالعروض فقلت مستعيناً بالله تعالى ومسترشداً برأي العروضي الكبير سعد عبد الله الواصل: (قد اختلف علماء العربية في معنى كلمة (العروض) ، وسبب تسمية هذا العلم بها على خمسة أقوال: أولاً: قيل هي مشتقة من العَرْض ؛ لأن الشعر يُعرضُ ويقاس على ميزانه. وإلى هذا الرأي ذهب الإمام الجوهري. ويعزّز هذا القول ما جاء في اللغة العربية من قولهم: (هذه المسألة عَرُوض هذه) أي نظيرها. ثانياً: قيل إن الخليل أراد بها (مكة) ، التي من أسمائها (العروض) ، تبركا ؛ لأنه اكتشف هذا العلم فيها. ثالثاً: قيل إن معاني العروض الطريق في الجبل ، والبحور طرق إلى النظم. رابعاً: قيل إنها مستعارة من العروض بمعنى الناحية ؛ لأن الشعر ناحية من نواحي علوم العربية وآدابها. خامساً وأخيراً وليس آخراً: قيل إن التسمية جاءت تَوْسَعاً من الجزء الأخير من صدر البيت الذي يسمى (عروضاً). وأقرب هذه الأقوال إلى الصواب (والله أعلم) الرأي الأول ، فالكلمة مشتقة من العَرْض ؛ لأن الشعر يُعرضُ ويقاسُ على ميزانه. وكنت قد سطرْتُ هذه القصيدة التي خصصت بها قناة المجد الفضائية الكائنة بمدينة دبي للإعلام بالإمارات بناء على دعوة كريمة من الإعلامي موفق المحترم الأستاذ محمد رامي حفظه الله. وكان حوار قد تجاذبنا أطرافه سوياً حول موسيقى الشعر ، فكان الأستاذ يغلب الموسيقى الظاهرة على الخفية! فانتصرت للرأي القائل بوجود نوعين من الموسيقى في الشعر لا نوع واحد! يقول الشيخ مصطفى ابن الحاج عندما سئل عن نوعي موسيقى الشعر ما نصه بتصريف لطيف: (إن الموسيقى الشعرية نوعان داخلية: تخص الشعر والنثر. وخارجية: وهي خاصة بالشعر فقط. * الموسيقى الداخلية: هي ذلك النغم الخفي الذي تحسه النفس عند قراءتها الآثار الأدبية الممتازة شعراً ونثراً! فنغم يبعث على الحماس وآخر يبعث على الحزن والكآبة ، وثالث يثير فينا الحنان ، ولو تساءلت عن مصدر هذا النغم لوجدته يكمن في حسن اختيار الأديب لكلماته ، بحيث إنها عند تجاورها جاءت منسجمة تنساب انسياباً ، فهي متألّفة الحروف لا تنافر فيها ، ويسهل النطق بها ، ولا يعتمد الأديب ذلك إلا قليلاً عند مراجعته لما كتبه ، وإنما يهديه ذوقه الفني الشعري وقدرته الأدبية وكذلك سعة ثقافته وثراء معجمه اللغوي ، لكن هذا لا يمنعنا من محاولة الكشف عن بعض أسرار الفن في هذا الميدان. لاحظ النقاد كثرة أحرف الهمس وهي: (السين والصاد والزاي) ، كما في قصيدة البحري السينية في إيوان كسرى ، فحروف الهمس والسين منها خاصة ، هي الملائمة لمن يتكلم وسط هذا الصمت الذي يوجب الهدوء والاحترام. ومن الملاحظ أن حروف المد وهي: (الألف والواو ، والياء) وخاصة الألف تكثر في أدب الرثاء شعراً ونثراً ، لأن طول الصوت يناسب الحزن. وهناك توازن العبارات في النثر يقابله حسن التقسيم في الشعر. التكرار الذي لا يقصد به غير الموسيقى وجمال الترجم. كثرة النعوت والإضافات والمتعاطفات يعتبرها النقاد ضعفاً فنياً ، لكن لها فائدتان فهي تساعد الأديب على التوسع في المعنى كما أنها تساهم بقوة مشاعرية في إحداث نغم الموسيقى الداخلية! *الموسيقى الخارجية: وهي المتولدة من الأوزان والقوافي ، والتي تدرس في ظل معرفتنا لعلم العروض وهو خاص بالشعر وتشمل الدراسة العروضية: تسمية بحر القصيدة وتسجيل تفعيلاته. قد يميل الشاعر إلى البحر الطويل أو البسيط إذا كان غرض القصيدة جادا يحتاج إلى اتساع تعبيرية. وقد يميل إلى المتقارب أو الخفيف في الشعر الثوري. والكامل والوافر يناسبان شعر الغزل. وصار البحر الكامل خاصة يلانم معظم الأغراض). هـ. أشكر للأستاذ مصطفى هذه الإطلالة في التعريف بموسيقى الشعر العربي والتمثيل لها. ألا

وإن خير ما يغني الإنسان ويطرب له بعد التوحيد ، هو الإحساس بالفرحة الغامرة التي تنتابه في أيام الأعياد! ومن هنا رحت أغني للعيد على البحر المديد بتفعيلاته كاملة! وأغني للعيد السعيد شعراً فأقول:



يا فؤادي جاعك العيد ، فاسعد بالهناء
واسمُ بالأفراح مهما تناعى نورها
فاغمر الإحساس بالحب والتقوى تفز
أنت في الدنيا تباهي رضياً قانعاً
والنفوس الشم في العيد تهوى فرحه
والسعيد الحق من يسلك التقوى صوياً
فرحة الأعياد نوراً تحده الدجى
إننا بالسعد نسمو ، ونجتاز المدى
إيه يا عيد الأماني ، تأمل ما ترى
هل ترى في التيه زاداً لمن يسعى له؟
يا فؤادي ودع اللوم واصبر ، واحتسب
إن حيننا نذكر المجد دوماً والعللا
تدرك الأمجاد يا عيد بالعزم الذي
أيها الجيل انتبه للذي أودى بنا
إن نصر الله يُعطاه من يسعى ولا

واملاً الدنيا حبوراً تحليه الفننى
إنما العيد الجليل اعتلى متن السننا
وامتثل أمر الذي بالسجايا خصنا
بانتشاء النفس والقلب في هذى الدنا
بارك المولى لنا في ليالى عيدنا
والتعيس الحق من يحسب الدين الفنا
فانبرى يكويه بالضوء رداً فانحنى
ثم بالتقوى وبالصدق نجتاح العنا
قد تمادى القوم في التيه ، هذا حالنا
إن خطا في التيه قومٌ جنوا أشقى الجنى
واجتهذ في العيش بالسلم يقلوك الضنا
دون سعي يا ترى هل نرى أمجادنا؟
يجعل الدنيا تناعي ، وتطري فعنا
واجعل العيد انطلاقاً لسامي عزنا
يترك الأسباب - عمداً - ويأوي للعنا

من نفحات الأضحى

(من أغلى مناسبات المسلمين يوم الأضحى ويوم الفطر. إذ هما العيدان اللذان شرعهما الله لهم. إن المؤمن له أن يتمتع بمتاع الدنيا ، لكن بقدر ، وقطعاً يجب أن لا يكون تمتعه كتمتع الذين ينسوا من الآخرة! والذين زينت لهم الحياة الدنيا ، يجب أن لا يكون تمتعه كتمتع الكافر سواء بسواء. فالكافر ليس له إلا الدنيا يركض فيها ركض الوحوش في البرية ، وقد خاصم ربه ، فليس له في الآخرة نصيب ، فأقباله على التمتع الكامل بالدنيا له سبب مفهوم. أما المؤمن فإن الله تعالى عرفه بما له في الجنة من أجر عظيم ، وبين أن الدنيا تفر وتخدع ، وتصرف عن حظ الآخرة. وبذلك فليس له أن يتمتع بالدنيا كتمتع الكافر. فهذه من الفروق الرئيسية بين المؤمنين والكافرين. لكن إذا بات المسلم متمتعاً بالدنيا تمتع الكافر ، سواء بسواء ، فلا تستغرب بعدها أن يُصيبه ما يُصيب الكافر من الضنك والشقاوة. فإن الله تعالى قال في بيان حال الكفرة: {والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم}. وجزاهم على حالهم بالشقاوة ، فقال: {ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً}. فمن تمتع تمتعهم جوزي مثلهم. الليل يمضي ، والنهار يمضي. الساعات تمضي ، والشهور تمضي ، والسنوات تمضي. تحمل فيها الذكريات الجميلة ، والذكريات الأليمة ، ونحن بدأنا من الولادة ، واستمرت بنا الحياة ، وسوف ننتهي ونستقر في حفرة هي القبر! {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}. ولأيام عيد الأضحى أسماء مختلفة منها (تسعة ذي الحجة - يوم عرفة) ، (عشرة ذي الحجة - يوم النحر) ، (الحادي عشر - الثالث عشر من ذو الحجة أيام التشريق). أما بالعامية فيسمى عيد الأضحى بالعيد الكبير. في أيام العيد تتوجه عيون العالم الإسلامي بأكمله نحو مكة المكرمة حيث يقوم ملايين المسلمين بتأدية خامس أركان الإسلام وخاتمها ألا وهو حج بيت الله الحرام ، والذي يأتي تلبية لنداء الله في القرآن الكريم: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق"! اعتاد المسلمون تحية بعضهم البعض فور انتهائهم من أداء صلاة العيد حيث يقوم: كل مسلم بمصافحة المسلم قائلاً: "تقبل الله منا ومنك"! وتتسم أيام العيد بالصلوات وذكر الله ، والفرح ، والعطاء ، والعطف على الفقراء ، وتزدان المدن والقرى بثوب جديد ، كما أن الأطفال يلبسون أثواباً جديدة ، وتكثر الحلوى والفواكه في بيوت المسلمين ، ويتوجب على المسلم أن يقوم بزيارة الأقارب والأهل وصلة الأرحام. هذا إن استطاع الزيارة بحكم قرب المكان! فإن لم يستطع كان الاتصال والتواصل لإكمال فرحة العيد!! قال الله تعالى: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق" ، ألا إن عيد الأضحى أحد أهم مناسبتين غاليتين عند المسلمين ، يوافق هذا اليوم العاشر من ذي الحجة بعد فراغ المسلمين من وقفة عرفة ، الموقف الذي يقف فيه حجاج بيت الله الحرام لتأدية أهم مناسك حج البيت يعتبر هذا العيد أيضاً ذكرى لقصة نبي الله إبراهيم ، عندما أراد التضحية بابنه إسماعيل تلبية لأمر ربه ، لذلك يقوم المسلم بالتقرب إلى الله في هذا اليوم بالتضحية بأحد الأنعام (خروف ، أو بقرة ، أو ناقة) ، وتوزيع لحم الأضحية على الأقارب والفقراء وأهل بيته ، ومن هنا جاء اسمه عيد الأضحى. أما أول أيام العيد فيقوم الحجاج هناك في "منى" بتقديم الأضحيات لوجه الله. ومعهم كل قادر من المسلمين في كافة بقاع الأرض. من هنا كانت تسمية هذا العيد بعيد الأضحى ، وأما ذلك العدد الضخم من الأضحيات التي تذبح وتقدم أضحية ، فهي تيمناً بإبراهيم الذي أوشك أن يذبح ابنه سيدنا إسماعيل تلبية لطلب الله والذي افتدى ولده إسماعيل بكبش ذبح لوجه الله. وتبدأ احتفالات عيد الأضحى بأداء صلاة العيد فجر اليوم الأول من العيد الذي يستمر أربعة أيام. وتصلى هذه الصلاة في مصلى خارج "المسجد". وبعد أداء الصلاة ينتشر

المسلمون ليقوموا بذبح أضحياتهم تطبيقاً للآية الكريمة من قول الله تعالى: "إنا أعطيناك الكوثر ، فصلّ لربك وانحر". في هذا كله كتبت هذه القصيدة.)

ألا يا أيها الأضحى لحسنك أنظّم
وأنت بنظم الشعر - يا عيدُ - أعلمُ
نعيمك يا أضحى على الناس سابع
ودربُك بالإسلام أزكى وأقوم
وإن الهنا - في الدار - دفت طيوفه
وأعطّر آيات الهنا قالها الفم
لقد سطع الأضحى كأفاس صبحه
وأندى التهاني سطرثها المراقم
وما انفك قومي بين غادٍ ورائح!
زياراتهم في العيد فوراً ومغنم
وتهنئة الحب النقي بلاريا
كأن سنا الأضحى العشيق المتيم
ألا إنما الأضحى نشيدٌ ، ولحنه
وهذي أهازيج القريض تزفه
حنانك يا أضحى ، ترفق بمن شدا
ألا وحنينُ العيد غنث طيوره
ترددها في العيد كي تُطرب الورى
ألا أيها العيد السعيد تحية
ومن عالم الذكرى أبثك خاطري
أحنُ إلى العيد البهيج تشوقاً
قصيداً رقيقاً يرسل الشوق عاطراً

هذا بعض (أنين زوج)

(روى البخاري في صحيحه بسنده عن عُرْوَةَ بْنِ الرَّبِيعِ "أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النِّكَاحَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءَ ، فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ ، يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ فَيُصَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا ، وَنِكَاحٌ آخَرُ ، كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهَّرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أُرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ ، وَيَعْتَزِّلُهَا زَوْجَهَا ، وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِنْ أَحَبَّ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ يُسَمَّى نِكَاحَ الْإِسْتَبْضَاعِ ، وَنِكَاحٌ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ دُونَ الْعَشْرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلَّهُمْ يُصِيبُهَا ، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ ، وَمَرَّتْ لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا ، أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا ، فَتَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ ، وَقَدْ وُلِدْتُ وَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانٌ ، فَتُسَمَّى مَنْ أَحَبَّتْ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا ، وَنِكَاحٌ رَابِعٌ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا ، وَهُنَّ الْبُعَايَا كَنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ كُنَّ عِلْمًا لِمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ ، فَإِذَا حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ حَمْلَهَا ، جُمِعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمْ الْقَافَةَ ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ ، فَالْتَأَطُّهُ وَدُعَى ابْنُهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، هَدَمَ نِكَاحَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ" هـ. وإنما قدمت لقصيدتي بحديث البخاري هذا لأثبت لأمي وأم المؤمنين ومحبوبة رسول الله السيدة عائشة بنت الصديق أبي بكر - رضي الله عنهما - أن أنكحة الجاهلية التي ذكرت يا أمنا الحبيبة الغالية ، قد عادت إلى البشرية اليوم بعد أن هدمها النبي العظيم الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم -! وقتنت اليوم في كثير من بقاع الأرض وزادت على الأربعة أنحاء ، فباتت مائة من الأنحاء وربما تزيد قليلاً! وزاد على ذلك كله النكاح المثلي يا أمنا! وعشنا إلى زمان قد اكتفى الرجال فيه بالرجال ، واكتفت النساء بالنساء. ونسأل الله العافية والسلامة. وأزيدك من الشعر بيتاً يا أمنا ، أننا قد علمنا بيقين أن هناك من بني البشر من يضاجعون البهائم والعجماوات! وبات الأمر إلى الحيوانية والبهيمية والعجماوية ، أقرب منه إلى عالم البشر المنسوب زوراً وبهتاناً إلى آدم الأب وحواء الأم! بل إن الحيوانات والبهائم والعجماوات لتتورع عن ذلك! وإن هي فعلته فإنه يعد استثناء في حياتها لا يزيد! ولربما تعلمته من بني البشر من شياطين الإنس! وإن عمت بذلك البلوى في عالم البهائم والعجماوات ، على أسوأ التقدير والافتراض ، فإنها لا تلام عليه! وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين! ويحار المرء في هذا الحال التعيس الذي بلينا به اليوم! فرحم الله زمان الجاهلية الأولى يا أمنا الغالية! وأعاننا الله على زمان الجاهلية الغابرة القائمة الضاربة الأطناب في الأرض اليوم! والزواج الذي سأنشد من شعري حكاية عنه عمد يا أمنا الحبيبة إلى النكاح الذي أبقاه النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وأقرته شريعته واستقرت عليه سنته وشرعته ملته. وهو أن خطب امرأة شابة في عشرينيات العمر وأصدقها وعرس بها ، وذاق من الويلات على يديها ما الله به عليم. وهو الذي كان ينشد من زواجه منها آمالاً ، فإذا بالحياة بعد الزواج جحيم لا يطاق . ولقد يقال بأن النساء أكثر وفاء وقوة تحمل من الرجال! فلننظر الحال حينما تفقد زوجها بعد الوفاة أو بسبب خلاف أسري نشأ بينهما لا قدر الله. فنجد أن المرأة بعد وفاة زوجها تبقى في منزله وتقوم على شؤون أطفالها حتى وإن كانت في سن الشباب ، فمغريات الحياة مهما بلغت لم ولن تغير في قرارها الذي اتخذته بعدم الزواج ثانية إما لوفائها لزوجها المتوفي أو أنها آثرت أن تبقى مع أطفالها إلى أن يشاء الله أم يكون الاثنان معاً؟ هناك نساء ماجدات عزفن عن الزواج ، لأنهن يرين ومن وجهة نظرهن أنه من الصعوبة بمكان أن يعوضها أحد زوجها الأول طبعاً لطيبته ومعاملته الحسنة والملاطفة في العشرة تحت سقف ظللها طيلة حياتهما الزوجية التي قدرها الله لهما. وهنا ترى أنه لا بد من رد الجميل له حتى بعد وفاته. كما أن هناك زوجات فرضت عليهن قيود ومضايقات وآثرت البقاء في عصمة زوجها

تقديراً لأطفالها دون أن تطلب الانفصال رغم أن حياتها معه أشبه بالجحيم المستعر. وربما كان الزواج بينهما بالإكراه وهذه من سمات نتاج الوخيمة خصوصاً على الزوجة! أين زوجة قصيدتنا من هذا الصنف الأصيل من النساء؟ إن زوجها قد اكتأب ، ثم انتحب وأخذ يئن فتخيلته يحكي لنا فيقول:

زوجوني لما كبرت عروسا
وبذلت ما أستطيع لتهنئا
وإذا بالحياة تغدو جحيماً
وإذا بالزواج يبدو عذاباً
وكان الأهلين قد زوجوني
لست أدري كيف ارتضيت زواجاً
زلة أودت بالأمانى ، وفاقت
ما حسبت حسابها ، لا ، وربى
غالبتني الأحزان حتى طوتني
كيف من هذا الزواج يوماً خلاصاً؟
ليس حلّ إلا وقد جاوزته
وكانني عبداً ذليلاً ليديها
إن يكن هذا شأن كل زوج
كنت في الناس ذا إباءٍ وشأن
ثم - بعد الزواج - صرت أسيراً
إنني - من هذا الزواج - برئ

غادة في العشرين تدعى (لميسا)
فإذا بالفؤاد يُمسي بئيسا
وغدا السير في دجها حسيسا
يُترع الضنك للحليل كؤوسا
عرسة - من بين النساء - لا عروسا!
مثل حرب تزجي الشقا والوطيسا؟!
في ضحاياها (داحساً والبوسا)
ويميني ليست يمينا غموسا
والأنين أمسى يذر العبوسا
إنها شرّ صاحباً وأنيسا!
كل يوم تشن حرباً ضروسا
كيف أحيا في سجنها محبوسا؟
فلنعش عزاباً نجير النفوسا
وشموخ يطوي الغشا والرفوسا
في قيود تهدي الأنعام الدروسا
قد يكون الطلاق حلاً لنفيسا

مفاجأة انعكاس الحقائق

(قاطع أخاه ذلك السفيه الحاقد ، على ما يزعم رهط من الحمقى بسبب بغض زوجته لأخيه ، وAIM الله لو كان أماً في الله ورسوله والإسلام ما حدث منه هذا. ولو كان أخاه في العروبة والقومية والعشيرة والدم ما فعل هذا. ما هو أساس الأخوة؟ الاعتصام بحبل الله عز وجل ، وبمنهج الله عز وجل ، وبطريق الله تعالى. والأخوة عبادة ، ولا بد أن نعرف أن الأخوة عبادة من العبادات ، نعم هي عبادة نتقرب إلى الله بها ، مثلما نتقرب إليه بالصلاة أو بالصيام ، أو بالحج. بالدعاء. بالتوكل. فهي شعيرة من الشعائر الجليلة التي وعد الله تعالى عليها فضلاً عظيماً منه عز وجل ، وهي نعمة عظيمة جداً ، نعمة عظيمة لا يحس بها إلا من توافرت فيه شروط الأخوة ، وإلا فاقولها بصراحة: إن كثيراً من الناس اليوم تجده يقول: فلان من أعز أصدقائي ، أو فلان هذا صديق عزيز ، أو فلان هذا كنت أنا معه في السنة الفلانية ، أو في المرحلة الابتدائية ، أو كنا معاً في حارة واحدة ، هذا فلان من أعز أصدقائي ، هذا الكلام - صدقاً - لا يعني مطلقاً أن هذين الرجلين متآخيان في الله ، لا. فقد تكون العلاقة بينهما هي علاقة تجاذب وتقارب وتوافق نفسي فقط ، اثنان يرتاحان كل في صاحبه ، أما الأخوة في الله فهي مسألة أعلى من ذلك بكثير ، فهي مراتب وصفات لا يحس بها إلا من عرفها وذاق طعمها. ولا تفسد هذه العلاقة الحميمة بين الأخوين لا زوجة ولا جارة ولا شقيقة ولا قريبة ولا بعيدة ، ولا أهل الأرض جميعها! ومن هنا برزت مفاجأة للأخ المخلص ، ألا وهي مفاجأة انعكاس الحقائق ، حيث انقلبت الأخوة إلى عداوة وكراهية وبغضاء. والله المستعان على الخذلان وأهله. يقول الأستاذ مصطفى قاسم عباس في مقال له عن الأخوة ما نصه بتصريف: (الأخوة الصادقة كلمة أريجها يعطر الأرجاء ، وعبارة تفيض بالحب والإخلاص والوفاء. أخوة من غير نسب ، وصادقة لا تعرف الخداع ولا الزيف ولا الكذب. حب في الله ، وإخاء لا لمصلحة من مال أو منصب أو جاه. لكن ، يبقى السؤال: هل افتقدنا هذه الكلمة في أيامنا؟ أم نحن كالذين سبقونا ، بحثوا عنها فلم يجدوها ، وجعلوا الخلل الوفي ثالث المستحيلات. وقد تلتقي بإنسان لأول مرة ، فيغمرك إحساس بأنك تعرفه منذ زمن بعيد ، ويدخل قلبك من غير استئذان ، والعكس صحيح ، وما ذلك بعجيب ، فإن روحك قد ألفت روحه ، أما الثاني الذي لم تستسغه ، فربما يكون في روحكما تنافر لا إرادي ، إما أن يقوى مع مرور الزمن ، وبعد التجربة والمعرفة ، وإما أن تحصل الألفة فيما بعد ، وعلى كل حال ، حديث النبي صلى الله عليه وسلم واضح في ذلك وصريح ، حيث يقول: (الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف). (صحيح ابن حبان باب: ذكر الإخبار عن سبب ائتلاف الناس واقتراقهم). إن الأخ الصادق ، والصديق الصدوق يظفر به الإنسان عندما تبني هذه الأخوة والصادقة على محبة الله ، لذلك جعل الله تعالى من السبعة الذين يظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما في الحديث الصحيح: (...ورجلين تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه). (رواه البخاري). فالمحبة في الله هي التي تبقى ، وسواها يتلاشى ويضمحل ، والذي يحب إنساناً ما لماله ، فإنه لا يحبه لشخصه ، بل يحب المال الذي في جيبه ، لذلك عندما يصبح فقيراً ينفض عنه الناس. وكذلك الذي يحب إنساناً لمنصبه ، فهو لا يحبه لشخصه ، بل للمنبص الذي يتسلمه! وعندما قيل لبعض الولاة كم لك من صديق؟ فقال: أما في حال الولاية فكثير. ولما نُكِب علي بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحداً من أصحابه الذين كانوا يألفونه في ولايته ، فلما رُدَّت إليه الوزارة ، وقف أصحابه ببابه ثانياً. هـ. وإذن فالأخوة الحقيقية ليست بالادعاء الأجوف العاري عن الحقيقة! إنما هي بذل وعتاء! يقول صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقَدَف في النار». (متفق عليه). ويقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (متفق عليه). ويقول: «من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه».

(رواه الترمذي). ومن هنا فقد ثبتت رابطة الأخوة بين المؤمنين الموحدين بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. فمفهوم الأخوة الإسلامية أنه امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمِ؟ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». (رواه مسلم). فالمحبة والموالاتة للمؤمنين هي لازم من لوازم محبة الله وأبجدية من أبجديات موالاته ، فمن أحب الله والله وفي الله لا بد أن يحب من يحبه الله سبحانه وتعالى ومن يقرب من الرسل والصديقين والمؤمنين. يقول الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ). وإلا يكن ذلك كذلك فلا أخوة هنالك ولا إخاء! أكتب من السريع!

بان الهوى والقصد والهذف
يا صاحبي عنك حقيقة تكم
لا تعكس الحق الذي انبلجت
لا تنكأ الجرح الذي انقهرت
أنا الذي أسرفت في ثقتي
أمست أحاديثاً أخوتنا
يا حاقداً ، هذي أنايئة
والزوج فيماتدعي كذبت
أنت الذي أفسدتها ، فطغت
كفكف دموع الزور إن لنا
يا صاح أشمت العدا زماناً
يا صاحبي جدد علاقتنا
إن لم تكن وفيك في صغر
لا خير في نذل يناصبنا
والنذل عما قال يختلف
والغمر بالخذلان متصف
آياته ، فالناس قد عرفوا
الأمهه ، فالكيذ منكشف
واليوم يادهقان أعترف
كم جددت ، والطماع يغترف!
في رجسها تشقى وتجررف
إذ إنها بالزيف تعترف
كم غرها التيسير والتررف!
أهلاً على أشلائنا وقفوا
والصحب مما تفتري انصرفوا
فالعمر يا خراس ينتصف
في الشيب هل تغف وتأتلف!
مُر الأذى ، والظلم يقررف

طموح الرؤية القصوى

(إن الأخوة الإيمانية كانت قد ثبتت رابطتها بين المؤمنين بقوله تعالى ذكره (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ، فهي رابطة بعقد الله سبحانه وتعالى ، وإن أول ما يميز هذه الرابطة أنها في ذاته سبحانه وتعالى ، فمفهوم الأخوة الإسلامية هي امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده ، فالمحبة والمواودة للمؤمنين هي لازم لمحبة الله وموالاته ، فالأخوة الإيمانية تفتح لكل موحد باباً عظيماً للأخوة في كل أنحاء الأرض ، وما أجمله من شعور أن نشعر بأن كل موحد على وجه الأرض هو أخ لنا ، له من الحقوق ما لنا وعليه من الواجبات ما علينا ، في أي بقعة كان ومن أي شعب أو لغة كان ما دام على عقده وميثاقه التوحيدي مع الله سبحانه وتعالى ، فالأخوة الإيمانية فوق كل الحواجز والعلائق الأرضية. وفي هذا الماحة إلى ضلال أولئك الذين يفرقون المسلمين والموحدين على أساس ولاعات عصبية ، وجنسيات وتابعيات مقيتة ، تفتت الأمة المؤمنة وتمزقها ، وتضع الحدود والعراقيل التي تفصل بين أبنائها. ورحم الله القائل:

يا أخي المسلم في كل مكان وبلد
أنت مني ، وأنا منك كروح في جسد

وقصة الضحية صاحب قصيدتنا هذي رجل مسكين ، لم تنزل به وبأسرته إحدى الجارات حتى أصبح في البيت خمسين قناة فضائية. وهو البيت الذي ظل مقاطعاً للتلفاز زهاء العشرين سنة. وتعبت الأولاد بجهاز التحكم عن بعد. فأضافوا قنوات أخرى ، وزادوا حبات الطين بلة إذ استرقوا النظر إلى أشياء أخرى في غياب رقابة الأب. فعاد الأب الحريص إلى سابق عهده بعد أن هشم جهاز الاستقبال ومعه التلفاز إلى غير رجعة. فغدا البيت كله يناوي الفكرة بكل قوة ، ويعترض ويتبجح ويتوعد. فقال الأب: كلا ، إنها أمانة في عنقي ، أرهاها إلى أن أموت ، فسأقول لله كلمة العبد المخلص المتكلم في المهد والنبي الصالح الذي رفع إلى السماء وما زال بها: (وكنتم عليهم شهيداً مادمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد). يقول الأستاذ مصطفى قاسم عباس في الأخوة ما نصه بتصريف: نحن نعلم أن المؤمن ليس بالخب ، ولا الخب يخدعه ، فعليه أن يكون حذراً في اختيار الأصدقاء والأصحاب ، فلا يصاحب إلا رجلاً يغفر له الزلة ويقبله العثرة ، ويستتر له العورة ، ويعينه في النكبة ، ويحفظه في الغيبة). أما الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - فهو يرغبنا أن نحصر على مصاحبة ثلاثة ، عندما يقول: "ثلاثة احرص على صحبتهم: عالم متخلق بأخلاق النبوة ، وحكيم بيضت فؤديه ليالي التجربة - والفؤد معظم شعر الرأس مما يلي الأذن ، وناحية الرأس ، والمثنى فؤدان - ، وشهم له من مروءته ما يحمله على نصحك إذا أخطأت ، وإقالتك إذا عسرت ، وجبرك إذا انكسرت ، والدفاع عنك إذا غبت ، والإكرام لك إذا حضرت" (مجلة: حضارة الإسلام - عدد خاص عن وفاة الدكتور مصطفى السباعي). ولأن قليلاً من الناس من يتمثل بهذه الصفات العظيمة ، رأينا وهب بن منبّه ، بعد تجربة خمسين سنة ، يقول: "صحبت الناس خمسين سنة ، فما وجدت رجلاً غفر لي زلة ، ولا أقالني عثرة ، ولا ستر لي عورة". [المستطرف ص: 166]. وأما ابن السمك فقد جعل ثلاث صفات لبقاء المودة ودوامها ، فعندما قيل له: أي الإخوان أحق ببقاء المودة؟ قال: الوافر دينه ، الوافي عقله ، الذي لا يملك على القرب ، ولا ينسأك على البعد [المستطرف ص: 166]. وقد رأينا في زماننا كثيراً من الصفات المذمومة في بعض من يدعون الصحبة الصالحة ، ومع أنه ليس من السهل الإحاطة بها ، إلا أننا يمكن أن نكون متفقيين على العديد منها ، ومن هذه الصفات: - حدة المزاج. - التفطيش عن أخطاء الآخرين ومتابعتها. - الإسراف في تقديمهم. - إظهار البرم من أوضاعهم. - كثرة الثثرة والإفاضة في الكلام ، مما يجر غالباً إلى إفشاء الأسرار وإلى النميمة. -

الأنانية والتطرف في حبّ الذات ، من الأسباب الأساسية للإخفاق في تكوين صداقات جديدة. (عصرنا والعيش في زمانه الصعب: أد عبد الكريم بكار ، ص 311). إضافةً إلى ما هو أعظم شناعةً من هذه الصفات ، من الغدر والخيانة والغيبة والحسد والنفاق وسائر الأمراض القلبية. فعلى الإنسان ألاّ يصاحب من يقع أمامه في أعراض الناس ؛ لأنه سوف يقع في عرْضِهِ ، ولا من ينمُّ له ؛ فإنه سوف ينمُّ عليه ، ولا من يعتاب عنده ؛ فإنه سوف يعتابه. ولا تغترّ بكثير ممن يضحك في وجهك ، فلعلّه سوف يُبكيك يوماً ما. فالمرءُ على دين خليله ، والمرء مع من أحبّ. الأُخُوَّةُ الصادقةُ المبنيةُ على المحبةِ في الله ، وعلى تقوى الله ، هي التي تبقى في الدنيا والآخرة ، فكلُّ صديقٍ عدوٌّ يوم القيامة لصديقه ؛ إلاّ المتقين. قال تعالى: {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}. هـ. وهذه رؤيتي القصوى التي لا أحيّد عنها! واستمر على طموح رؤيته القصوى سائلاً الله التثبيت! فتخيلته يبين لنا طموح رؤيته القصوى شعراً!)

رؤيتي هذي يحتويها اختياري
ورضاً ربي مقصدي وشعاري
ودليلي على كلامي مقام
وأنا مسؤولٌ هنا عن داري
وعيالي أمانة دون شك
وأراني بالحق أزجي افتخاري
لن أطيع المخلوق في سُخط ربي
وأراك أولي بحسن الجوار
أتمارين في الهدى رغم علم؟
لا تقولي: هو بقلبي تمادي
وقصاري رؤياي هجر المعاصي
أنا يا أخت لا أطيق التدني
فأفهمي الرمز في حروف حوار
وأقول بكل صدق بأنني
لست أقوى على دخول النار
(رؤيتي القصوى) قلتها لتفيقي
وتؤدي في التوحق الجار
حقه بذل النصح ، نعم الهدايا!
فأعيرينا النصح خير العواري

من ركام هذيان حرف

(والله لقد صدق الأستاذ محمد المنجد عندما وصف المنافقين بقوله: (إن المنافقين يرون أنفسهم على خير ، ولكنهم في الحقيقة أهل شر ، ذكر الله تعالى من صفاتهم أنهم يتعاونون فيما بينهم ، فقال عز وجل: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} يعني يتعصب بعضهم لبعض ، وينصر بعضهم بعضاً ، وتتواطى أقوالهم بعضهم من بعض ، ماذا يفعلون؟ قال الله بصراحة: {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ، نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} . وإذن فالتناصر بينهم قائم ، والتعاقد بينهم والتماؤ والتواطؤ والاشتراك في الكلام حاصل ، يؤيد بعضهم بعضاً ، مقالاتهم تتابع في نفس واحد ، حُججهم تتكرر في سياقات متنوعة ، ما هو غرضهم؟ {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} . وقد رأينا برنامج العمل الذي ذكره الله في كتابه لهؤلاء المنافقين ، {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} . إذن لا غرابة بأن يسعى هؤلاء إلى الإفساد في الأرض ولا غرابة أن يسعى هؤلاء إلى نشر الشر بأنواعه حتى ذكر الله تعالى في سيرهم وأعمالهم سعيهم لنشر الشهوات ، {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ} . فهم لا يقولون عن أنفسهم أنهم كفار مرتدون محاربون لله ورسوله ، ولا يقولون بصراحة أنهم يرفضون دين الإسلام وأحكامه ، أنهم ليست عندهم الجرأة ولا الشجاعة أن يقولوا أننا لا نرضى بحكم الله ورسوله ، وأن الشريعة لا تعجبنا ، {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} . فما هو مرجعهم؟ حكم الكفار ، حكم الجاهلية ، حكم الطاغوت ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، ما هو الطاغوت؟ قوانين البشر وأهواء البشر. وقد أمروا أن يكفروا به شرعاً ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، هؤلاء إذا دعوا صراحة إلى الدليل من الكتاب والسنة صدوا ، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنْكَ صُدُودًا} . فهناك صدود ، وهناك إعراض ، وهناك رفض ضمني ، يعتمد في صراحته على حالهم من جهة القوة والضعف ، فإذا كانوا إلى القوة أقرب ، كانوا إلى التصريح أقرب ، وإذا كانوا إلى الضعف أقرب ، كانوا إلى الإخفاء أقرب. وأحد المنافقين الشعراء كان قد اعتاد أن ينشد حسب كل طلب. فخرجت قصائده هذياناً. فأهديته: (هذيان الحروف). ولقد درج على هذه العادة القذرة مجموعة من الشعراء الساقطين الذين يكيدون للحق وأهله. ويوما سوف يلحقهم الخزي والعار وسيبطل الله سحرهم ، وسوف يجعل كيدهم في تضليل كما فعل بأبرهة الأشرم وأصحاب الفيل من قبل! قال الطبري: (ألم يجعل كيدهم في تضليل) يقول: ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة (في تضليل) يعني: في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها. وقال الإمام البغوي: (ألم يجعل كيدهم في تضليل) " كيدهم " يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة". وقوله: "في تضليل" عما أرادوا ، وأضل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة ، وإلى ما أرادوه بكيدهم. قال مقاتل: في خسارة ، وقيل: في بطلان وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير: (هذه الجمل بيان لما في جملة ألم تر كيف فعل ربك من الإجمال وسمى حربهم كيداً ، لأنه عمل ظاهره الغضب من فعل الكفاني الذي قعد في القليس ، وإنما هو تعلقة تعللوا بها لإيجاد سبب لحرب أهل مكة وهدم الكعبة لينصرف العرب إلى حج القليس في صنعاء فيتنصروا. أو أريد بكيدهم بناؤهم القليس مظهرين أنهم بنوا كنيسة وهم يريدون أن يبطلوا الحج إلى الكعبة ويصرفوا العرب إلى صنعاء! وقال القرطبي في جامعه: قوله تعالى: ألم يجعل كيدهم في تضليل: أي في إبطال وتضييع ، لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشاً بالقتل والسبي ، والبيت بالتخريب والهدم. والشوكاني في فتح القدير يفسرها: ألم يجعل كيدهم في تضليل أي ألم يجعل مكرهم

وسعيهم في تخريب الكعبة واستباحة أهلها في تضليل عما قصدوا إليه حتى لم يصلوا إلى البيت ولا إلى ما أرادوه بكيدهم ، والهمزة للتقرير كأنه قيل: قد جعل كيدهم في تضليل ، والكيد: هو إرادة المضرة بالغير ، لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشاً بالقتل والسبي ، ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب. وفي التفسير الكبير يقول الأندلسي رحمه الله: (ألم يجعل كيدهم في تضليل) وإبطال ، يقال: ضلل كيدهم إذا جعله ضالاً ضائعاً ، وقيل لامرئ القيس: الضليل ، لأنه ضلل ملك أبيه ، أي ضيعه ، وتضبيع كيدهم هو بأن أحرق الله تعالى البيت الذي بنوه قاصدين أن يرجع حج العرب إليه ، وبأن أهلهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة بأن أرسل عليهم طيراً جاءت من جهة البحر ، ليست نجدية ولا تهامية ولا حجازية سوداء ، وقيل : خضراء على قدر الخطأ. ومن هنا فالشعر في حقيقته شعور وإحساس ، وليس مجرد تقطيع وأوزان وصناعة فقط! ورجوت من وراء قصيدتي أن يستفيق ، ويكتب ما يفيد الناس من الشعر الصادق البرئ العاري عن النفاق. ذلك أنه يوماً سوف يموت! وإنها لقصيرة جداً تلك الحياة!

ألا ييا كاذب الحـ	رِف	قـ لـاك الشـ	عـر ، فـاسـتـتـكـفـ
شـعـوركـ عـابـثـاً	يـهـذـي	وـزـوركـ لـيس	بـبـالـمنـفي
وـزـيفـكـ لـن	يـزـخـرفـهـ	جـمـالـ الـلفـظـ	وـالـوصـفـ
وآيات النـفـاق	بـبـدتـ	عـلـى الأـشـعـار	بـبـالألفـ
وتلفيق الـريـاء	جـثـا	كـمـالـ الـدوران	وـالـلـفـ
قـصـانـدُ لا حـيـاة	بـهـا	تـعـانـي سـكرة	الـحـتـفـ
تـكـلفـهـا	يـسـرـبـلـها	ويـكـوي	الـنـظـمـ بالـضـعـفـ
عـلـى الأوراق	زـبـدتـها	مـن الأوجـاع	لا تـشـفيـ
وأفـكـارٌ (مـفـبرـكة)	ة	تـسـير عـلـى	خـطـا الـظـرـفـ
تـولـدها	مـنـاسـبـة	فـتـنـشـد	خـشـية السـيـفـ
نـشـأذـك	لـلـحـمـتـهـا	مـفـرغـة	مـن الجـوفـ
تـغـنـي	دوـنـمـا	طـلاوة العـزفـ	زفـ
إذا ما	كـانـ شـاعـرها	أسـير	المـالـ والخـوفـ
فـيـفـتـنـون	مـطـربـة	بـرغم السـمع	وـالأـتـفـ!؟

وقــد بانــت رثائــتها! وزــيــفٌ كــل ما تخــفـي
 لــقــد بانــت القــريــضُ هــوى كــقــرع الطــرار والــدــف
 يــغــتــي و فــق أــمــجــبــة تحــب طــلاوة الطــيــف
 لــمــا إذا حــرفــه يهــذي وتــعــقــره رحــى الطــيــف؟
 لــمــا إذا اللــحــنُ يــخــنــقه بحــب لــنــحــو والــصــرــف؟
 لــمــا إذا يــســتــبد بــه شــعــورٌ مــن لــظــى الرــجــف؟
 لــمــا إذا لا يــرى الــدنيا بــعــين الزائــر الضــيــف؟
 و صــدقُ الشــعر مــنقــبــة تنقــيــه مــن الــســخــف
 فــلا تــلقــاه مــبتــذلاً يــســير عــلى هــوى العــرف
 فـمـن مـدح لـشـر ذمـة تـسـوق النـاس بالعـسـف
 و مـن تـأليـة مـن فـجـروا وقـادوا الـدار للنـسـف
 و مـن تطويـع شـرعتنا بـكـل الجـور والعـنـف
 و مـن نـبـذ لـمـلتنا بـشـعر المسـخ والقـذـف
 فقـبـح لـفـظ مـنشدـه وزالـت قـدره الكـف
 قهـرنـا مـن تـسـولكم فـأنتم جـوقـة الصـف
 وأنتم أحقـر الشـعرا وهـذا القـول مـن وصـفـي
 بـرى مـنكم شـعري وإن بـراعتـي تكـفـي
 ومـنكم قـد فـررتـ أنا فـرار الأرض مـن خـسـف

الصعابدة وصلوا!

(كلمة الصعابدة) تعتبر جمعاً عامياً دارجاً مصطبواً يجرى على أسنة الناس ، والأصل أن كلمة صعيدي مفردة تجمع على (صعيديون) مثل كلمة (عميدي) التي تجمع على (عميديون). ولكنني تعمدت أن أجعل عنوان قصيدتي بهذا الجمع العامي ، لأثبت لصاحبه الضال المضل أن أهل الصعيد قد وصلوا منذ زمن بعيد للقامة في العلم وللذروة في الأدب وللذوابة في كل خلق كريم. (أعني الغالب الأعم من أهل الصعيد). ثم أن هناك أعمالاً فنية جاهلية تحمل العنوان ذاته! والساخرون والمستهزون يرددون ذات العنوان: (واحد صعيدي فعل كذا وكذا ، أو واحد من بلدياتنا فعل كذا أو ترك كذا)! إنني لم أكتب (الصعابدة وصلوا) من باب السخرية من أهل الصعيد الكرام الذين أنا ابن من أبنائهم فقط ، أكن لهم كل الاحترام والاعتزاز والتقدير. إنني أكتب (الصعابدة وصلوا) لتكون شاهداً على هذا العصر الذي نعيش فيه. ولأفهم من يتناولون على أهل الصعيد الشم المغاوير الصيّد الأشاوس أن من يتناول على مثل هؤلاء ليس له عندي إلا هذه القصيدة النجلاء الشافية الكافية التي لا أعلم لها في ظني واعتقادي واجتهادي نظيراً في الانتصار لقوم قد افترى عليهم ، وظلموا ظلماً كبيراً. إن الصعيد أرض كريمة مشرفة قد أنجبت المغاوير ولا يشك منصف محايد في هذا الكلام. وقد رجعت إلى التاريخ في أكثر من مرجع وبحث في القديم والحديث فالفيت أهلي أهل الصعيد أهل كرم وعلم ونجابة وعراقة وأدب. وقد أسهموا بكل ما آتاهم الله من علم وأدب وثقافة وأخلاق وقدرات ومواهب في هذه الحضارة الإنسانية التي يرفل الناس فيها. وكنت أظن أبي يُبالغ إذ يحكي لنا هذا الكلام عن قومه ، إذ هو رجلٌ صعيدي عندما كان يذكر من مناقب وعلم وثقافة أهل الصعيد ما يعجز القلم عن تصويره! وكنت أسمع منه هذا الكلام وأنا صغير فأقول في نفسي (لعل الوالد يفتخر بقومه وعشيرته وبلاد قد تربى فيها ، فله بكل هؤلاء القوم وتلك الديار تعلق ككل إنسان). فإذا بي أفاجأ بما لم أكن أحتسب بالمرة. إن كلامه عنهم كان أقل من حقيقتهم ، وأراه ما وفاهم حقهم من المدح والثناء. فقلتُ في نفسي: إنه لا بد من رد الصاع صاعين ، وإعادة القوس إلى باريها ، ووضع الأمر في نصابه ، والشروع في تسطير نص شعري صادق يكون فيه عاطفة صادقة مع الله ، حتى ننتصر لقوم قد بُغي عليهم ، وباتوا في كل صُقع من أصقاع المعمورة محط استهزاء وسخرية من جرّاء ما يحكيه متندرّ سفية عنهم ، معرضاً بهم وناثلاً منهم ، إن هو إلا واحدٌ من فريق الصادين عن سبيل الله. والله العظيم إنني أبدأً لم أشرع في كتابة قصيدة: (الصعابدة وصلوا) ومن ثم ديوان: (الصعابدة وصلوا) من باب القومية التي أنبذها من كل قلبي فقط. ولكن في المقام الأول لأبين أن انتقاص أهل الصعيد بهذا الوضع الذي نرى ، والنيل منهم والاستهزاء بهم في كل صُقع ، وجعلهم أضحوكة للناس في المجالس والمسلسلات والمسرحيات والتمثليات ، وحتى في الكتب

(كتب النوادر والنكت والمُح والفكاهة) ، إن هذه الأشياء وتلك الممارسات في غير محلها. إذ الغالب الأعم من أهل الصعيد هم الجديرون بالاحترام والتقدير والتبجيل. فمن الصعيد خرج الكثير من العلماء والأدباء والشعراء والقراء ورواد الثقافة والفكر والأخلاق والمبادئ. وقد رجعت للتاريخ قديمه وحديثه فأدركتُ صدق الذي أذهب إليه. وسوف أدلل على صدق هذي المقولة. ألا وإنني أفتخر كل الافتخار ، وأعتز كل الاعتزاز بأبني واحد من أهل الصعيد. نعم فإنني منحدر منهم ومنتم إليهم. بل وأنتسب إليهم أباً وجداً لأب وعمومة. فوالدي من (سوهاج) وبالتحديد من (الكولة) مركز (أخميم) ومن بيت (خليفة). وإذن فليست نسبتي إليهم نسبة جوفاء ، كما أنها ليست من رجل يدعي شرفاً ليس يدرك منه شيئاً. وإن كانت أمي من (الدقهلية) من بيت سماحة (وهذه العائلة كذلك لها السودد وكرامة الأصل ونبله وسموه) ، في دقهلية مصر الغالية. ولكن لما كان المرء ينسب لأبيه ، كنتُ صعيدياً لأبي ، أم أننا في زمان عنتره ابن (زبيبة)! حتى ننادى بالأمهات وننسب لهن؟! وولدتُ في (بورسعيد) (تلك المدينة التي لا أذكر أنني عشت فيها يوماً ، ولي فيها من مقومات الحياة أقلها بدهاة: بيت!) بل كان شئٌ من التزاور للأهل هناك. والحقيقة أن أهل أبي متناثرون في صعيد مصر ، كما أن أهل أمي متناثرون في الوجه البحري. وكنتُ قد درستُ في كلية الآداب (جامعة المنصورة). وتزوجت امرأة من (الدقهلية) لأبيها كذلك والذي هو من (بلقاس). وظللتُ أنا وهي ننتسب إلى (دمياط) مقاماً وسكناً فقط. حيث يقيم والدُ كلِّ منا! وإنني أقسم - غير حاثٍ - أنه لو لم تكن لي بأهل الصعيد الشم الكرام الأشراف نسبة لتمنيت من أعماق الفؤاد النسبة إليهم والانتماء إليهم. وهذا لما ألمسه منهم في التاريخ والحضارة من أيادٍ بيضاء ومساهماتٍ عظيمةٍ في رصيد الإنسانية ، من الثقافة والعلم والأدب والخلق والقيم. والحمد لله أن أبي كان قد قسم العرب عربين (كما يقول العامة في مصر): فجعل له بيتاً هناك في مسقط رأسه (الكولة - أخميم - سوهاج) ، وفي هذا البيت زوجة وأولاد ، كما أنه جعل له في (كفر سعد - دمياط) بيتاً آخر فيه زوجة وأولاد. ومن هنا كانت نسبتي إلى الصعيد حقيقية وليست مدعاة مفتراة. ويؤسفني جداً أن ينال من أهل الصعيد اليوم نائل ، وأن يسخر منهم ساخر ، وأن يستهزئ منهم مستهزئ. إلا أن أعلام الصعيد في الحقيقة كثيرون لا يحصون كثرة. وأنا هنا سوف أستشهد ببعضهم فقط لأدلل كما وعدت على فضلهم وأدبهم ومساهماتهم في رصيد الحضارة الإنسانية والفكر الرصين. فمن أعلام الصعيد: * (صاحب الظلال والمعالم) وأخوه (صاحب جاهلية القرن العشرين) من (موشا - أسيوط) وكفي به شرفاً. والحقيقة أن أرض الصعيد لو لم تنجب وتقدم للبشرية إلا هذين الأخوين لكفاها ذلك! ولا أركيهما على الله ، وإن مثلي من الأقرام لا يجد من الكلمات ما يصف به هذين العملاقين! بل بات اسم كل منهما وصفاً لصاحبه! * مصطفى لطفى المنفلوطي ، الأديب العملاق من (منفلوط - أسيوط). * أنور الجندي ، الناقد الأدبي العظيم: من (ديروط - أسيوط). * عبد الباسط محمد عبد الصمد ،

القارئ الجليل المحترم الذي هو غني عن التعريف. من (أرمنت - قنا) ، وكفي به شرفاً عظيماً يا صعيد مصر. * محمد صديق المنشاوي ، قارئ الصعيد الحبيب الذي قد ذاع صيته ، ليس في مصر فقط بل في العالم كله. من (المنشأة - سوهاج). وإنك حقاً لتستمع إلى القرآن غصاً طرياً ندياً في أغلب إذاعات الدنيا وتليفزيوناتها بصوت هذين القارئين (عبد الباسط والمنشاوي) صباح مساء! * عباس محمود العقاد. الكاتب المعروف المشهور أيضاً من صعيد مصر والترجمة الثابتة له ، فهو من أحد أبناء أسوان إحدى مدن جنوب الصعيد. * إبراهيم بن إبراهيم الجناحي ، ذلك المفسر العظيم القدر من فقهاء المالكية المغاوير الكرام من (جناج - جرجا - سوهاج). * أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الأسواني ، ذلك الأديب الفقيه العارف بالهندسة والطب (أسوان وإليها ينسب). * أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي (أبو جعفر) الفقيه الحنفي. من (طحا) ، يعني صعيدي أصيل. * عمر مكرم بن حسين السيوطي الزعيم الشعبي المعروف الذي قاوم الاستعمار ، وثار على الظلم. من أهل (أسيوط). * محمد عبد الجبار الأرمنتي ، المعروف بابن الدويك ، وهو من أهل (أرمنت - قنا) برع في علم الفلك والنجوم. * محمد بن حسن المصري الجرجاوي المتفقه الأديب ، قاضي القضاء ، المتوفي 1877م ، من (جرجا - سوهاج). * محمد بن أحمد كمال الدين بن ضياء الدين بن القرطبي ، المؤرخ النحرير الدقيق (قنا). * محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان بن أبي مريم والذي توفي 947م ، الأديب الفقيه الناظم (من أهل أسوان). * علي بن أحمد مكرم الصعيدي العدوي ، فقيه مالكي كان شيخ الشيوخ في عصره. من (بني عدي - منفلوط - أسيوط). * علي بن أحمد بن يوسف البلصفوري الحسيني ، من أكابر رجال الصحافة في مصر. ولد في بلصفورة - جرجا - سوهاج. * محمد بن محمد بن حامد الجرجاوي المراغي ، المؤرخ الذي فاق في دقته ومهارته المؤرخين العظام ، والأديب الجليل ، وهو أحد فقهاء المالكية الأزاهرة (من أهل جرجا - سوهاج). * محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي ، وهو باحث علامة عارف بالتفسير يعتبر من دعاة التجديد ، تولى مشيخة الأزهر. (ولد في المراغة - سوهاج). * الشيخ علي يوسف ، الصحفي السياسي المعروف والمتوفي عام 1913م ، وكان قد أصدر جريدة (المؤيد) ، ودافع فيها عن الإسلام والقيم والأخلاق (من جرجا - سوهاج). * الشاعر المعروف محمد حافظ بن إبراهيم (شاعر النيل) ، من ديروط (أسيوط) توفي عام 1932 م. وإذا كان أمير الشعراء هو قطب الشعر الأول في مصر ، فإن حافظ إبراهيم يعتبر القطب الثاني ، بشهادة التاريخ والنقاد وشوقي نفسه! * الإمام جلال الدين السيوطي ، صاحب (حسن المحاضرة - الإتيقان - لباب النقول - المزهر - لباب اللباب - نظم العقيان وغيرها) وهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين الخضير الشافعي (ولد في أسيوط وإليها نسب ، وعاش فيها). * شيخنا العلامة علي أحمد عبد العال الطهطاوي (رئيس جماعة أهل القرآن والسنة) المولود في نجع حمد -

سوهاج. * أحمد حسن الباقوري (وإن كان لا يشرف الصعيد كثيراً ، نظراً للمآخذ التي أخذها عليه علماء ثقافات نحارير في زمانه!) ، ولد وعاش في قرية (باقور ، وهي من أعمال أسيوط). * أحمد عبد المجيد هريدي ، مفتي الديار المصرية ، القاضي اللغوي (من مركز ببا ، من أعمال بني سويف). * أحمد عيسى عاشور ، مؤسس مجلة الاعتصام - صاحب الفقه الميسر وغيره من المصنفات التي تشهد لصاحبها بالعلم والفقه (من الشنياب - الجيزة). * أحمد محمد بدوى ، مؤرخ الآثار اللغوي الأديب المعروف ، (من أبو جرج - بني مزار - من أعمال المنيا) صعيد. * جابر أبو حسين ، صاحب سيرة (أبو زيد الهلالي سلامة) وإن كنا لا نتابعه في المخالفات الشرعية من سرد القصة على أنغام الربابة كما هو معروف ، وما قد حوت سيرة (أبو زيد الهلالي) من المخالفات والمبالغات ، ولكن يُشكر للرجل محافظته بصورة أو بأخرى على السيرة الفلكلورية الشعبية كفنّ من الفنون. من (آبار الوقف - أحميم - سوهاج). * جمال الدين أحمد العطيفي ، الإعلامي وال كاتب الصحفي الذي يعرفه القاضي والداني ، والرجل الذي سخر قلمه وأدبه وكلمته للدعوة إلى تطبيق الشريعة في مصر (أبو تيج - أسيوط). * محمد سعاد جلال ، صاحب المجلدات في القياس والسنة وفي علوم الشريعة (من المنيا). * الأستاذ المؤرخ العظيم / محمد الصادق بن إبراهيم عرجون من (إدفو - أسوان) وهو صاحب المؤلفات العظيمة في السيرة والتاريخ ، وأيضاً صاحب المراجع والأسفار في التصور الإسلامي والحياة الأدبية في مصر. * محمد كامل حنة ، الصحفي وال كاتب الإسلامي الغيور ، من (إسنا). * محمود حسن إسماعيل (الشاعر المعروف) صاحب الدواوين. ولد في النخيلة من أعمال محافظة أسيوط عام 1910م ، وتوفي عام 1977م في الكويت ، وعاد جثمانه ليُدفن في مصر. * محمود عبد الرحمن الأبنودي (أبنود - قنا) وإليها ينسب وهو العالم اللغوي الفقيه صاحب منظومة المواهب في النحو والصرف ، وله قصائد كثيرة مشهورة ، وهو غير الأبنودي المعروف. * صالح شرف ، العالم الفقيه (فقيه المذاهب الأربعة كما كان يُلقب) ، وشيخ علماء الصعيد الذي فاق أقرانه في علمي التوحيد والمنطق ، وصاحب التآليف البديعة فيهما ، وهو من (بني عديات - منفلوط - أسيوط). * محمد أبو الفضل إبراهيم من (جزيرة شندويل - سوهاج) ، وهو العلامة اللغوي والمؤرخ المحقق المدقق لكتابات التراث ، صاحب المؤلفات العظيمة والمحققة والمدققة والمنقحة. * عبد الرحمن بن محمد بن عوض الجزيري ، صاحب (الفقه على المذاهب الأربعة) ، ويكفيه هذا الكتاب العملاق ، العالم الأزهرى النحرير المجدد المفرع على الأزهر من (جزيرة شندويل - وإليها ينسب - وهي من أعمال سوهاج). ومن كتبه: (توضيح العقائد في علم التوحيد والأخلاق الدينية والحكم والشرعية ، وكتاب أدلة اليقين في الرد على المبشرين ، وله ديوان عظيم في الخطب ، يعتبر مرجعاً هاماً. هذا ، وإن تجاوزنا أهل العلم والفضل والأدب هؤلاء ، إلى طبقة العوام والسوقة والدهماء والسواد الأعظم من عوام أهل الصعيد فهم إما بُناة حضارة

وعمران ومدنية (بنوها بسوا عدهم المباركة) ، وإما أهل زرع أو رعي أو صيد أو تجارة أو حرف يدوية. وأنا لا أنكر ما في أهل الوجه البحري من الخير والسبق والفضل والعلم والأدب. ولكن الأمر الذي أستهجنه أن ينظر إلى أهل الصعيد على أنهم مضرب المثل في السذاجة والدروشة وضيق الأفق والتخلف. الأمر الذي لا أساس له من الصحة بالدليل الذي أسلفت. وإن وجد عند فئة من أهل الصعيد فيها من هذه المثالب ، فهي فئة قليلة (شأن الصعيد في ذلك شأن كل المجتمعات الأرضية ، فإن كل أرض تحمل فوقها فيمن تحمل الأذكياء والبلهاء والعوان بين ذلك ، كما يشير إلى معنى قريب من ذلك ابن خلدون في مقدمته عند وصف المجتمعات) ، وأن كل ساقط مرذول يقول ليضحك الناس: (واحد من بلدياتنا أو واحد صعيدي فعل كذا ، أو قال كذا) ، ليبيت هذا حكماً عاماً يستغرق أهل الصعيد برمتهم ، إنما هذا عبث. ولقد أقسمت أن أسأل كرام أهل الصعيد من السنة هؤلاء سلاً كما تسل الشعرة من العجين. أقسمت قسماً لا يقل عن قسم حسان بن ثابت بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يسله من أشعار المشركين الجائرة الظالمة المغرضة كما تسل الشعرة من العجين! انتصاراً للحق وإعادة لشأن قوم ظلموا ، وأنا قادر بإذن ربي على إرجاعه ونصرتهم احتساباً للأجر عند ربي لا أريد سوى هذا. وأدعو شعراء الصعيد أن ينقبوا في كتب التراجم والتراث والرجال ليعرفوا عن أسلافهم وأجدادهم من أشاوس أهل الصعيد ، وبعد أن يعرفوا ذلك ، عليهم أن يولفوا المغلقات الصعيدية في الانتصار لأهل الصعيد الأماجد من العلماء والأدباء والسادة الفقهاء والقراء والكتاب الذين جادت بهم أرض الصعيد المباركة. وهو دين في أعناقهم يسألهم الله عنه يوم القيامة. وعليهم أن يعتبروا قصيدي (الصعايدة وصلوا!) نبراساً لهم ، أو نقطة البدء في الملاحم التي سوف يسطرونها ، أو يجب أن يسطروها عن الصعيد وكرام أهله. ولا أدعي لنفسى العصمة ولا الصدارة ، بل أعني أنني قد بدأت وعليهم أن يكملوا! وأحذر كل متندر ومنكت ومردد للفكاهات عن الصعيد وأهله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة بنص أحاديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وبنص آيات القرآن. ولن يشفع للقوم أنهم إنما قصدوا التندر والضحك واللعب. كما لن يشفع لهم أنهم لم يقصدوا إهانة كرام أهل الصعيد. يقول الله عن هذا الصنف من الناس: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب. قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون؟ لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين). وإذن فلا يضحك الشيطان على حسني النية والقصد ، ويوردهم موارد هؤلاء الذين سلكوا سبيل المنافقين في الكذب على الله وعلى الناس ليضحكوا الناس وليفكهاوا المجالس بالنيل من أهل الصعيد. روى أحمد والترمذي ، وصححه الحاكم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (ويلٌ للذي يحدث القوم ثم يكذب ليضحكهم. ويل له ، ويل له). وأيضاً روى الإمام أحمد والترمذي ، وقال حسن صحيح أن الصحابة قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – (نعم غير أنني لا أقول إلا حقاً). وإذن فالضحك

المعقول الذي له ما قد يبهره من المزاحات الصادقة والألغاز البريئة المفيدة والنكات الجادة والطرائف المسلية التي لا تسخر من الآخرين ولا تنقص من شأن كرام الناس ، أرجو أن لا يكون هناك مؤاخذه من الله به. ولقد كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - مزاحات وطرائف وألغاز ليس في شئ منها إسفاف ولا سخرية ولا تنقص ولا استهزاء قط وحاشاه - عليه الصلاة والسلام - وكذلك كان أصحابه - رضی الله عنهم -! بل كل الذي نقل عنه وعنهم هو الطهارة والنقاء والصدق واحترام الآخرين. ولو كان الأمر على خلاف ما أدعي لوجدنا نكات ماثورة عنهم مثل: (واحد بدوي فعل كذا أو عمل كذا) لانتقاص شأن البدو الذين هم من عظماء القوم وعليتهم. ولكن لما لم يؤثر ذلك عن الجيل الأول ، لم يكن مقبولاً قط من الجيل المعاصر! * إنني لا أعني بمدحى أهل الصعيد الكرام بعض ردى العادات والتقاليد التي قد درج عليها بعض أهل الصعيد ، من رثيت العادات المخالفة للشريعة من ثأر أو كرهٍ للبنات أو فخر بالعصبيات والقبائل. إنني أعني المؤمنين الموحدين من أهل الصعيد ، الذين قد صاغهم الإيمان بالله صياغة توحيدية وعقدية جديدة. والله لو كان في زماننا هذا عمرو بن كلثوم ، وكان مسلماً وانتسب لأهل الصعيد لأنشد في قومه المؤمنين معلقة تفوق نونيته لأبي هند تلك. ولو كان السموأل بن عاديء حياً (وكان من أهل الصعيد) لأنشد في أهل الصعيد شعراً يفوق ما أنشد في لاميته في الفخر بقومه والتي منها:

إذا سيّد منا خلا ، قام سيّدٌ قوولٌ لما قال الكرامُ فعوولٌ
وما أخدمت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل

وأنا اليوم أولى ببيتي مهيار الديلمي مفتخراً بقومه ، فأقول: (مفتخراً بالصعيد):

قومي استولوا على الدهر فتىً ومشوا فوق رؤوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم وبنوا أبياتهم بالشهب

وأنا اليوم أولى ببيت المتبى في الرد على أهل النكت من الذين يستهزئون بأهل الصعيد:

كم تطلبون لنا عيباً ، فيعجزكم! ويكره الله ما تاتون والكرمُ

وأنا اليوم أولى بما أنشد أبو فراس في قومه الرافضة إذ كان رافضياً خبيثاً مثلهم:

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا - في المعالي - نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العُلا وأكرم من فوق التراب ، ولا فخر

وأنا اليوم أولى بما أنشد منصور بن الزبرقان بن بدر في قومه مفتخراً بما فيهم من مناقب:

يقولون: بعضُ التذلل عزة وعادتنا أن ندرك العز بالعز

أبى الله لى والأكرمون عشيرتي مقامي على دحض ، ونومي على وخز

وأنا أولى من عنتره بالدفاع عن أهل الصعيد إذا لم أسخر قلبي وأدبي وشعري في الذود عن عشيرتي:

سكتت ، فغر أعدائي السكوت وظنوني لأهلي قد نسيت

وكيف أنام عن سادات قوم أنا في فضل نعمتهم ربيت؟

وإن دارت بهم خيل الأعداي ونادوني أجبت متى دعيت

بسيف حده موج المنايا ورمح صدره الحتف المميت

وأنا اليوم أولى بما أنشد الفرزدق في قومه ، وهو يفتخر بهم غاية الفخر ويجعل الناس تبعاً لهم فيقول:

تري الناس إن سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ولا عز إلا عزنا قاهر له ويسألنا النصف الذليل فننصف

وما قام مناقانم في ندينا فينطق إلا بالتي هي أعرف

وإني لأهمس في آذان المتندرين المتهمين المستهزئين أن يتوقفوا عن مثل هذه الممارسات القذرة ،

وأقول بقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في النصح لبني عمومته:

مهلاً بني عمنا ، مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

مهلاً بني عمنا من تحت أثلتنا سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا

الله يعلم أننا - لا نحربكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

كل له نية في بغض صاحبه بنعمة الله نقلكم وتقلونا

وأقول: إنه لعار من أخيس العار وأوقحه ، أن يعيب على أهل الصعيد إخوتهم أهل الشمال (أعني الوجه البحري). ويكون العار أعتى وأوقح وأرذل إن كان من يعيب أهل الصعيد من جدتهم ومن بني عموماتهم (أمثال أحمد الحداد وفكري الجيزاوي ومسعد القصص) فإن هؤلاء فيما أعلم صعايدة ، فيكونون بذلك قد ذموا قومهم وشجعوا الآخرين على ذلك. وصدق أبو نواس:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها ، كانت على الناس أهونا

نعم ، إذا لم يحترم أهل الصعيد بعضهم البعض ، وإذا لم يكفوا عن قول النكت القذرة عن بعضهم البعض ، فمن ذا الذي سيحترمهم في الأرض بعدما أهانوا أنفسهم بأنفسهم؟ ولهؤلاء من أهلينا وبني أعمامنا المنولوجستات (الصعايدة) أقول بقول أبي فراس الحارث بن سعيد محذراً قومه من التعدي على الحق:

أيأ قومنا لا تشعلوا الحرب بيننا أيأ قومنا لا تقطعوا اليد باليد

فجرح ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

إنني أجعل قصيدتي (الصعايدة وصلوا!) حجراً ألقمه أفواه كل العابثين ، من الذين يهرفون بما لا يعرفون ، كما وأجعلها بادرة على الطريق وخطوة على الدرب لكي يتشجع الشعراء كلهم في الأرض للذود عن أهل الصعيد الكرام المظلومين الذين أصبحوا مسخة على السنة الهارفين الهازلين. لقد يكون لهذه القصيدة يوماً ما شأن ، فأقول: أسأل الله يومها أن لا يجعل الثناء والمدح من أهل الصعيد أو من غيرهم هو أجري إذ كتبت حتى يقال: شاعر ، وقد قيل. لا والله ما أردت ذلك طرفة عين ولا أقل من ذلك. إنني أنشد ما عند الله عز وجل من نصرة عبد سوف يقف بين يديه يوم العرض ، محتاج إلى نصرته وهو يومها أضعف ما يكون. فاللهم أيدني بالحق وأيد الحق بي وانصرتني في الدنيا والآخرة. ولا تفتني بما سيكون للقصيدة من صدى في مستقبلات الأيام. إذ إنها عندي من أضعف وأوهى ما كتبت ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً. وإنني قد أوردت في مقدمتي هذي الطويلة ما قد يغني القارئ عن أبيات للشعراء في الفخر بأقوامهم. ولولا أن الإسلام منعنا من الفخر بالأقوام لكتبت الكثير والكثير عن مناقب ومآثر أهل الصعيد الكرام. ولكنني أدخل إلى الموضوع من بوابة الدفاع عن المظلومين. وهذا مما قد يهون علي أبيات في قصيدتي قد يتوهم أن فيها فخراً من فخر الجاهلية. وقد حرصتُ الحرص كله على أن أجتهد كل الاجتهاد في ديوان (الصعايدة وصلوا) مبتغياً في ذلك وجه الله تعالى والانتصار للحق الذي أدين الله به! من أجل ذلك ألحقت بعض القصائد التي تتعلق بالصعيد وأهله في هذا الديوان حتى لا يتفرق دم الصعيديين في القبائل والأمصار ، فلا يجد من ينتصر له مؤثراً ما عند الله من الأجر! كما حرصت على أن يكون التقديم والختام شعراً لا نثراً ليكون لوناً جديداً يكافئ جميل أهل الصعيد علي فهم أهلي وعشيرتي. وإذا كان حسان بالأمس قد سل رسول الله من قريش كما تسل الشعرة من العجين ، فعلي أن أسل أشاوس وأجاويد وعلماء وأدباء أهل الصعيد من المؤمنين بالله ورسوله من النكت القذرة وأقوال المنولوجستات الحمقى المغفلين كما تسل الشعرة من العجين! طبعاً مع الفارق العظيم بين حسان وبينني ، وبين رسول الله وأهل الصعيد! وكنت - وأعتذر عن ذلك - قد نسيت أن أذكر أن الشيخ محمد محمود الطبلاوي صعيدي من ميث عقبة وهي من أعمال محافظة

الجيزة بصعيد مصر! وكذلك العملاق الفذ فضيلة الشيخ جمعة سليم الجهمي القوصي (طبلاوي الصعيد) من صعيد مصر فهو من قوص وهي من أعمال محافظة قنا! وكم هو شرف للصعيد أن يخرج من بينهم ذلك القارئ المقرئ المبدع جمعة القوصي - حفظه الله - ، ولأنه انتهج مدرسة الشيخ الطبلاوي فأطلقت عليه الجماهير لقب (طبلاوي الصعيد)! وأراه جديراً بهذا اللقب! ومرة أخيرة أعتذر أنني نسيت أن أورد اسمه ضمن أعلام الصعيد الذين ينبغي أن نفاخر بهم! والآن لنتابع الاستماع والقراءة للقصيدة.)

ألا أكْبُرُوا الأَفْـذَاذَ أهْلَ المَحَامِدِ
 وكم علموا مَنْ يبتغي العلم صافياً!
 وكم جاهدوا بالعلم كل مثبّط!
 وكم ناضلوا دون اكتراثٍ بمن طغى!
 وكم بيتوا للجاهلين معالمأ!
 وكم شيدوا للفكر أسْمى منارة!
 وكم أتحفوا الآداب: كلّ بحسبهِ!
 وصاتوا الذي صاغوه ، لَمَّا يُفرطوا
 فخطوا بهذا موثقَ المجد شامخاً
 وباتت لهم في مصرَ أندى مكانةٍ
 ففي كل علم أصّلوا ، بل وجَدّوا
 وما حادوا عن الحق المبين لشهوةٍ
 أشاوسُ في كل المواقف سادةٌ
 غطاريفُ ليس الذل يغشى قراهمُ
 وأبطال هيجاءٍ تسامى إباؤهم
 كراماً إذا حلوا ، وصيّداً إذا مضوا
 كغيثٍ إذا ما أنزلت قطراته

فكم أتحنفوننا بالمعالي الشوارد!
 وكانت لهم في العلم أحلى الروافد
 وينصر ربي كل فذٍ مجاهد
 ولم يعبأوا يوماً بأعتى المكائد
 وكم فصّلوا من مُجملات العقائد!
 وكم نافحوا دهرأ بأرجى قصائد!
 وصاغوا بما أوتوا بديع الفرائد
 فأنعم وأكرم بالخماسة الأجاود!
 ومجدُ الفتى - في الناس - خير المقاصد
 بما أصّلوا من طيبات القواعد
 وأفكارهم مثل الأقحاح النضائد
 ولم يُذعنوا يوماً لأوهى المفاسد
 وإن أوصلتهم للسُّها والفراقد
 ويأوون - حين البأس - جيد الشدائد
 وفي سِلْمهم رُكبأن أغلى الجلاعد
 وتحيا بهم دوح الرياض الهوامد
 فإن له في الأرض أركى الفوائد

وما ارتقبوا منهم جميل العوائد
أبوا أن يعيشوا بالنفوس السوداء
لذا بنوا أمجادهم بالسواعد
ويشتاق أهلهم لهم لعود الأباعد
ويهفون إلى لقي العظام الأماجد
(وأسوان) فيها بهي المشاهد
(وأسيوط) نشوى تستعد لعائد
وأما (قنا) - تا الله - زينت لقاصد
نقي السجايا مستقيم المحائد
يرجع قرآن الهدى في المساجد
وتعظم ربه خالد الذكر واحد
ويجحد ما قد قدموا كل حاسد
وهذا تراث القطب خير شاهد
وبعد (ظلال) القطب خير المقاصد
وفي سائر الدنيا أعز تواجد
له في تلقي العلم رؤية ناقد
له قلم ذاك وهممة رائد
ويوقف - عند الحد - كل معاند
على كل خير ساطع بالشواهد
وبارك في حي أديب وقائد

وصنّاع أعمار لمنفعة السورى
مغاوير لا تلوى عمائمهم ، لذا
وكانوا عصاميين أصحاب همة
إذا اغتربوا كان التصبر سمتهم
ألا ليت شعري ، والصعيد يشوقهم
تأمل تر (الفيوم) تزهو بقومها
(وسوهاج) في شوق تحن لغائب
وفي (الأقصر) الأفراح تحلوا لزانر
وفاخرت (المنيا) بجبل مثقف
وفي (النوبة) الشهباء طيف مسامر
وسائل صعيد الخير عن حب أهله
فلعلم والآداب فيهم مكانة
ألا وابن قطب سيد في صعيدنا
(معالمه) خطت طريقاً لجيانا
بأسيوط للقطب الشهد محبة
وأسفاره في العلم تشهد أنه
وثم شقيق القطب أعنى محمداً
ينافح عن دين المايك مثابراً
وهذي كتابات الشقيق تدلنا
ليرحم إليه الناس من مات منهما

لقد ذل من زكى ذوات الأعابد
 وإيراد أهل الحق أسمى الموارد
 ومن كان في دنياه أفضل زاهد
 فأكرم بثبت للحقائق راصد
 بصوتٍ بأنغام التراتيل صاعد
 وفزنا بصوتٍ بالترانيم خالد
 (أبو جعفر) شيخ التقاة الأماجد
 فما بين أسنانٍ يربي وعابد
 وما بين مفضال يسود وماجد
 وما بين مقدام بيوم التجالد
 وقارئ قرآن زكي المحامد
 ولما تجذ بالشيم أي الولائد
 فكم من ودادٍ للمحبين وارد!
 ولا ذنب لسي إلا تحدي الأوابد
 تعذبني - فيهم - جراحاتٍ واجد
 فقبح من نذل مُضلل وفاسد!
 فلم يعرفوا للحق بعض المرائد؟
 يُروجهما - في الناس - أهل المفاصد
 فإن احتراف اللغو شر الحصائد
 فألفيتهم يُذرون سُوم الأساود

ولست على ربي أزكى عبده
 ولكنّه ديّنٌ على أداؤه
 وفي منقوطة اسأل عن الشهم (مصطفى)
 روائعة في مجدها قد تشامت
 (وعبد الباسط) الشادي بقرآن ربنا
 تناءت عن الدنيا لحونٍ وقارئ
 وسائل (طحا) عن جهبذٍ متفقه
 أولئك أبناء الصعيد نوابغ
 وما بين عملاق يجود وعالم
 وما بين قصاص أديب وشاعر
 وما بين فذٍ ناصح ومورخ
 أولئك قومي ، من يباري سؤمهم؟
 وإنّي وإن قد كنت فارقته دارهم
 أحسن إلي أهلي ودارٍ حرمتها
 ولي في الصعيد الخرقومٍ وعترة
 ينال من الأشراف وغدٌ مُنكّتا
 أضحك - بالبهتان - قوماً تخبطوا
 نكاتٍ وألغازٍ تغذي تخرصاً
 وأحرى بهم أن لو عن اللغو أعرضوا
 تمرست في أهل الخرافة والهوى

فطُوراً يُعاني من هـواهم موخِّدٌ
وطُوراً يُقاسي الصَّيد بلوى هُرائهم
فناسٌ - على الإفلاس - عاشوا حياتهم
وناسٌ طغيت روحُ التجنى عليهم
وناسٌ أقروا الهزل والقبح جملة
وناسٌ على هذا (الصعيد) كواسرٌ
وقد علموا أن الصَّعيد مبرراً
ديارٌ شددت بالمجد في جنباتها
وأمجاده بالأمس واليوم كالسنا
ديارٌ حوت من كل شهم وفاضل
إذا حضروا سادوا المجالس سادة
وإن فارقوا كان الفراق كرامة
وهذا هو التاريخ ينطق بالذي
وليس كلامي من خيال مزخرفٍ
حقائقٌ مثل الشمس في الناس أصلت
وسائلٌ عن الأبطال قومي تراجماً
وأهل الهدى منهم كراماً أعزة
رجالٌ ، وأبناء الرجال حقيقة
وحدثت عن الغادات في كل بقعة
ذوات حجاب ، فالعباءات أسدلت

فيشقى ويُجزى كأس سم وصارد
ويُجأهم خم خزي النكات البوائد
فما عصم الحمقى نقبي الموارد
فباؤوا من البلوى بسوء المقاصد
فيارب سلم من نوايا الحواسد
ينالونه مثل البغاة الرواصد
وأن له - في السبق - حسن العوائد
كشمس تبدت في السعود الفرائد
وأخباره كم من طريفٍ وتالد!
لهم في لقاء القوم صدرُ المحاشد
وكل لبذل الخير أشجع عاصد
لأفئذ قوم كالرواسي الرواكد
أسطره بالشعر في جوف كاغد
ولست أنا - في الشعر - أول وارد
ولكن لأهل الزيغ بعض المصايد
تجدهم كراماً دون أدنى النداء
صناديد هيجاء ، وأهل شذائد
وليسوا إذا حقق اللقا كانواهد
ربيبات علم ، والكتابات شاهدي
وإن كن فقن اليوم سن القواعد

ويقرآن قرآن المليك تعبداً
وبعد يُرَبِّين الصغار على الهدى
تجاوزن ما في ذي التقاليد من عمى
تعلمن قال الله قال رسوله
سوى أن يكون الأمر في غير طاعةٍ
فتعصي جميع الناس مهما تعصبوا
لكنّ تحياتي بنات (صعيدنا)
ألا فليُكف المغرضون عن الهوى
فدقق وحقق يا جهول عن الألى
ولا تغمر الألباز زيفاً مزركشاً
ألا إنهم دكوا الحقيقة بالهوى
فألغازهم هذي نخيرة من غوى
تجاوز أهل البغي عرفاً وشريعة
ونالوا من الأبطال أهل صعيدنا
فلم يقدروا حق المغاوير أهلنا
وكان الصعيد العف أندى ضحية
وما من صعيدٍ يحب الذي أتوا
وأعلن من صنع الغشاء براءتي
وأصلي الألى قد عربدوا مرّ غضبتي
وأهدي قريضي بالجمال مضمخاً

وهن إذا دقت خيّر العوابد
وربّي لهن اليوم خير الولائد
وآمن بالله العظيم الماجد
ولم تعص إحداهن أمراً لوالد
وذي سنة المعصوم طاعة واحد!
وفي سنة العدنان بعض الشواهد
من الأخوات المؤمنات الرواشد
وكلّ فمأخوذ بأخزي الحصائد
لهم في جميع الناس أسمى المحامد
وزايل دعاة الشر أهل المفاسد
ولم يعدلوا في القول عدل المحايد
فقد وفرت للعير أنكى الموارد
وطالوا قرانا بالشقا والمكاييد
فبتنا نعاتي بين وغد وحاسد
وعاثوا فساداً كالهجان الحرافد
لكل رقيق للمعايير فاقد
أعجب فذ بالنكات الجلامد؟
وأوقد بالأشعار أعتى مواقدي
ولست أراني ناكصاً بمواعدي
سبانك أحلى من نفيس القلائد

صلابتهم - في الحق - مثل الخوالد؟
سَمُونَا بِهِ فَوْقَ الْأَدَى وَالْحَقَائِدِ
فَأَعْرَافُنَا قَدْ رُيْتِ بِالْمَحَامِدِ
نَفُوساً طَوَّتْهَا رَمْحُ (ثَأْر) وَصَانِدِ
وَأَعْيَانُنَا مَا بَيْنَ تَالٍ وَسَاجِدِ
وَأُخْرَى تَلَا حِي كُلِّ بَاغٍ وَجَاحِدِ
وَنَلْقَمِ صَخْرًا كُلِّ عَادٍ وَحَاقِدِ
عَلَى دِينِ رَبِّ النَّاسِ مَوْلَى الْأَمَاجِدِ
فِيَا رَبَّ الْهَمْنَا نَقِيَّ الْعَقَائِدِ
وَأَنْزِلْ بِهِ أَعْتَى السَّبَلِ وَالشَّدَائِدِ
عَلَيْكَ بِشَرِّ النَّاسِ أَهْلِ الْمَفَاسِدِ!

وَمَنْ بِالْقَرِيضِ الْعَذْبِ أَوْلَى مِنْ الْأَلَى
وَنَحْنُ (صَعِيدُونَ) ، نَزْهُو بِدِينِنَا
لَقَدْ صَاغَنَا الْإِسْلَامَ أَحْلَى صِيَاغَةٍ
وَإِنَّا قَدْ بَرَّئْنَا مِنْ تَقَالِيدِ أَزْهَقَتْ
وَلَيْسَ لَنَا فِي الْفَنِّ بَاغٌ ، وَلَا الْخَنَا
تَبِيَتْ عَلَى دِينِ الْمَلِيكَ قَبَائِلٌ
عَلَى الْعَهْدِ مَا عَشْنَا نَبَاهِي بِشَرِّعِنَا
نَمُوتُ لَتَحِيَا دَارِنَا فِي سَلَامَةٍ
لَأَنَّا (صَعِيدُونَ) أَسْلَمْنَا شَعْبِنَا
وَمَنْ عَابَنَا يَا رَبَّ فَكَسِرْ غُرُورَهُ
وَمَنْ نَالَ مِنَّا فَاجْعَلِ النَّزْلَ عِبْرَةً

محطات السفر

(كتبنا عن السفر قصائد سبقت. ولأننا في سفر أبداً ، نسجل هذه القصيدة التي نغنون لها ب: (محطات السفر) مشيرين إلى أننا في رحلة العمر في سفر مستمر ممتد بين المهد واللحد. ونسأل الله أن يحسن ختامنا وينتهي سفرنا من هذه الدنيا على خير. (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام). وإذن فليس لعقل قط أن يتعلق بشيء في هذه الحياة التي عما قريب ستذهب. (إنا جعلنا ما على الأرض زينة له لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً). وفي رسالة بعث بها سيد رحمة الله إلى أخته أمينة. وكانت مجلة الفكر التونسية قد نشرته في عدها السادس من السنة الرابعة ، آذار (مارس) 1959م ، بعنوان (أضواء من بعيد). وقد كثر الجدل حول هذه الرسالة: فمن قائل لم يكتبها القطب! ومن قائل بل كتبها. ومن قائل إن بها تشاؤميات تشبه جزع أبي العلاء المعري! وسيد لا يكتب مثل هذا الخوف من الموت! وكنت قد درستها كاملة فألفيتها عارية عن كل ما ذكر. وعندما أمر ثاني القطبين الأستاذ محمد بتحقيقها والاهتمام بها وطباعتها فأرى أن هذا يكفي. يقول القطب: (أختي الحبيبة ، هذه الخواطر مهداة إليك. إن فكرة الموت ما تزال تخيل لك ، فتصورينه في كل مكان ، ووراء كل شيء وتحسبينه قوة طاغية تظل الحياة والأحياء ، وترين الحياة بجانبه ضئيلة واجفة مذعورة. إنني أنظر اللحظة فلا أراه إلا قوة ضئيلة حسيرة بجانب قوى الحياة الزاخرة الطافرة الغامرة ، وما يكاد يصنع شيئاً إلا أن يلتقط الفتات الساقط من مائدة الحياة ليقط! مد الحياة الزاخر هو ذا يعج من حولي! كل شيء إلى نماء وتدفق وازدهار. الأمهات تحمل وتضع: الناس والحيوان سوا. الطيور والأسماك والحشرات تدفع بالبيض المتفتح عن أحياء وحياة ، الأرض تتفجر بالنبت المتفتح عن أزهار وثمار ، السماء تتدفق بالمطر ، والبحار تعج بالأمواج ، كل شيء ينمو على هذه الأرض ويزداد! بين الحين والحين يندفع الموت فينهش نهشة ويمضي ، أو يقبع حتى يلتقط بعض الفتات الساقط من مائدة الحياة ليقط! والحياة ماضية في طريقها ، حية متدفقة فوارة ، لا تكاد تحس بالموت أو تراه! لقد تصرخ مرة من الألم ، حين ينهش الموت من جسمها نهشة ، ولكن الجرح سرعان ما يندمل ، وصرخة الألم سرعان ما تستحيل مراحاً ، ويندفع الناس والحيوان ، والطيور والأسماك ، الدود والحشرات ، العشب والأشجار تغمر وجه الأرض بالحياة والأحياء! والموت قابض هنالك ينهش نهشة ويمضي ، أو يلتقط الفتات الساقط من مائدة الحياة ليقط! الشمس تطلع ، والشمس تغرب ، والأرض من حولها تدور ، والحياة تنبثق من هنا ومن هناك ، كل شيء إلى نماء ، نماء في العدد والنوع ، نماء في الكم والكيف ، لو كان الموت يصنع شيئاً لوقف مد الحياة! ولكنه قوة ضئيلة حسيرة ، بجانب قوى الحياة الزاخرة الطافرة الغامرة . من قوة الله الحي ، تنبثق الحياة وتنداح). هـ. رحم الله القطب الأول ، وحفظ القطب الثاني ، وبارك ربي في الحاجة أمينة. وإذن فنحن قومٌ سفّر. عما قريب نصل إلى نهاية الحياة ، والقبر مرحلة من المراحل. والسفر قطعة من العذاب ، هذه حقيقة لا مرية فيها ، والإنسان في دنياه في سفر طويل . كما أن للسفر محطات فإن للعمر محطات. ذلك أن العمر سفر طويل في حياة المهد ، وآخرها اللحد. وكما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) ، جاء في شرح رياض الصالحين للشيخ العثيمين - رحمه الله- ما نصه بتصريف: (عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني". رواه الترمذي وقال حديث حسن قال الترمذي وغيره من العلماء: معنى دان

نفسه: حاسبها. وقوله الكيس: معناه الرجل الذي يغتتم الفرص ويتخذ لنفسه الحيطة حتى لا تفوت عليه الأيام والليالي فيضيع وقوله من دان نفسه: أي من حاسبها ونظر ماذا فعل من الأمور وماذا ترك من المنهيات؟ هل قام بما أمر به وهل ترك ما نهى عنه؟ إذا ما رأى من نفسه تفریطاً في الواجب استدركه إذا أمكن استدراكه وقام به أو بدله وإذا رأى من نفسه انتهاكاً لمحرم ألقه عنه وندم وتاب واستغفر. وقوله عمل لما بعد الموت: يعني عمل للأخرة لأن ما بعد الموت فإنه من الآخرة وهذا هو الحق والحزم أن الإنسان يعمل لما بعد الموت لأنه في هذه الدنيا مار بها مروراً والمآل هو ما بعد الموت فإذا فرط ومضت عليه الأيام وأضاعها في غير ما ينفعه في الآخرة فليس بكيس. بل الكيس هو الذي يعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وصار لا يهتم إلا بأمور الدنيا فيتبع نفسه هواها في التفریط في الأوامر وفعل النواهي ثم يتمنى على الله الأمانى فيقول: الله غفور رحيم وسوف أتوب إلى الله في المستقبل وسوف أصلح من حالي إذا كبرت وما أشبهه من الأمانى الكاذبة التي يملها الشيطان عليه فربما يدركها وربما لا يدركها. ففي هذا الحديث: الحث على انتهاز الفرص وعلى أن لا يضيع الإنسان من وقته فرصة إلا فيما يرضي الله عز وجل وأن يدع الكسل والتهاون والتمنى فإن التمني لا يفيد شيئاً كما قال الحسن البصري رحمه الله (ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال). هـ. والإنسان يبیت ويمسى وهو في إشفاق على نفسه ، ويخشى عليه أن تكون نفسه الأمانة بالسوء قد جعلت صاحبها - عند الله - من أهل الفجور. وإن الموحد حريص على أن يموت والله عنه راض ، وأسأل الله تعالى أن يرزقنا ويرزق كل مؤمن صادق حُسن الخاتمة وأن يتوفانا وهو- عز وجل - راض عنا. والآن لنطالع (محطات السفر) ، وأعتذر عن التقديم الطويل الممل!

تخوفت يوماً رُقَادَ السحرِ وطلال - على الليل - نور القمرِ
وساءلت نفسي عن الملتقى بأحبابنا في السرراب العكر
سراب طوى كل ما حولنا وخلفنا في ضباب الكدر
وأول عمر الفتى صرخة وآخره سكرة في الكبر
تراه لكل الورى يشكتي ويبيكي على حاله المعتكر
يُعاني جحيم الحياة الذي يُكبأه ، منذ كان الصغر
ويصعد سُلم أيامه ويحذر مُنزلات الخطر
فحيناً تراه على رهوة! وحيناً تراه على منحدر!
يطرز أحلامه بالمنى ويقضي - سريعاً - بقايا الوطر
ويُمعن في أمنيات الهوى ويُعِمِل - في الخافقين - النظر

يـداري لأجل البقاء الوفا
ويمضي الشباب على رسنله
يشـيخ - كمثل النبتات - الفتى
إذا بالنهاية قبر الصبا
محطة هذي الحياة الفنا
إذا كان ذلك فيم العنا؟
فلا تخدعك حياة الورى
مما كـنوم ، وعمر مضي
تموت البرايا ، ويحيا الـذي
فباغت زوايا الحياة التي
فإنك في سفر دائم

وحيثاً تراه كمثل المطر
حزيناً ، أسيفاً ، وتمضي العبر
يودع أيام باقي العمر
وفرداً سيودع جوف الحفر
وبعد قيام لرب البشر
هناك الجنان ، كذاك السعير
ولا يخدعك الهشيم الأشير
ويذبل - بعد النروع - الزهر
له الملك ، رب القوى والقدر
مضت ، والتمس - في اليباب - الأثر
وأخشى عليك القضا والقدر

جريدة الوحدة العربية - 19 / مارس / 1996م

في دجى البحر

(قصدت البحر كثيراً. لكنها رحلات كانت في النهار. وذات مرة زرت البحر في الليل ، وكانت ليلة شاعرة لم يحس من كانوا معي بما أحسست ، من نسيم البحر وشاعريته ، وكأنه ديوان شعر ، يطلع فيه القارئ على قصائد شتى ، وأرسل البحر بموجه ، كأنه يرسل ذلك الموج لي وحدي ، وكنت كئيباً حزيناً فأهاج البحر همي. والبحر في الليل كئيب حزين ، وله معان شاعرية عميقة ، ورمز هذه المعاني عاند إلى الرومانسية التي يضيفها البحر على الناظر إليه ليلاً. ويسعد بالبحر ليلاً من هو آت إليه ، لينشد الهدوء والدعة والأنس بمخلوق عجيب خلقه الله العظيم – سبحانه وتعالى – . ويأنس بالبحر أكثر ، الشاعر صاحب القلم السيل والقريحة المتجددة المبتكرة للشعر ، تلك التي يمكن لها أن تصور جمال البحر ، ويضطرب من الأوس به الذي يناجيه وحده في الليل حيث لا أحد هناك. وكنت قد سعدت بالبحر ليلاً ، فانتحيت وأنشدت مطلعاً على إثره دونته وكتبت بسرعة هذه القصيدة التي عنونت لها بـ (في دجى البحر). وما أن فرغت منها في اليوم التالي حتى دفعت بها كعادتي إلى جريدتي الحبيبة (الوحدة) هنا في الإمارات. وذلك في مارس 1995م وعمري لا يتجاوز الثانية والثلاثين! ورحم الله صاحب الظلال إذ يزيد الأمر إيضاحاً عن البحر الخضم في تعليقه على آية سورة الرحمن (مرج البحرين يلتقيان) فيقول ما نصه: (والبحران المشار إليهما هما البحر المالح والبحر العذب ، ويشمل الأول البحار والمحيطات ويشمل الثاني الأنهار. ومرج البحرين أي أرسلهما وتركهما يلتقيان ولكنهما لا يبغيان ، ولا يتجاوز كل منهما حده المقدر ، وظيفته المقسومة ، وبينهما برزخ من طبيعتهما من صنع الله. وتقسيم الماء على هذا النحو في الكرة الأرضية لم يجئ مصادفة ولا جزافاً. فهو مقدر تقديراً عجبياً. الماء الملح يغمر نحو ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية ويتصل بعضه ببعض ، ويشغل اليابس الربع. وهذا القدر الواسع من الماء المالح هو اللازم بدقة لتطهير جو الأرض وحفظه دائماً صالحاً للحياة. وعلى الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طول الدهور - ومعظمها سام - فإن الهواء باق دون تلوث في الواقع - ودون تغير في نسبته المتوازنة اللازمة لوجود الإنسان . وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة.) هـ

يا شاطئ العطش البهـي أعيانك إعصاري الفتـي
إنني أتيتك حـاملاً كرببي على الكف الأبـي
وعبـاءة اللـيل الجـوى ولـه المهابـة والـدوي
والغيث من فـوقـي طغـى مرحـى بعالمنا الشـتي
والمـوج يـحـطـم بعـضه والرمل منفعـل عـتي
ولآلئ البحـر انـزوت عبـر المساء النرجسـي
وكذا المحار رطـيبـة تهـدي الأريـح العسـجـدي

والليل ينسج فرحتي
ونسيم بحر الشقوق عند
وأريج صوت البحر من
والبرد - عبر الليل يم
والصمت مرتعد الخطا
والكرب أرجحه النوى
وبقيت وحدي ، والمسا
فوجدتني متشوقاً
وأرتل الآيات نـو
وأعطت الساعات بالـ
إن القريض وسيلتي
سلوى المشاعر ثم نو
نجوى النفوس ، وثم عطـ
خان الصديق فلارفيـ
أودعت شعري السر لم
في حين قد خان الخليـ
وكذا المعاني لعبتي

ففي الصنع ليس له سمي
بـ سائغ حـو حفي
تبتة يداعب نـاظري
عن في الخطا عبـق شـجي
يسعى بزورقه إليه
والحزن بالغ في المضـي
أمسـامري ، يأسـي علي
أتـ نفس العطـر النقي
راً ، ضـاء بالصوت النـدي
أشـعار ، أنتـخبـبـ الشـروي
ففي فكرتي ، وهو الصـفي
رُشـكاتها الشـعر الزكي
ر بهانهـا ، الخـل الوفي
ق سـوى القـريض لنا سـوي
يـكـ خانـاً ، فهـو الوفي
لـ خـليـه ، كـان الغـوي
أهـوى المعـاني والسـري

جريدة الوحدة العربية 20 مارس 1996م

بريق الحضارة

(نرح ذلك الطالب من قريته ليدرس في الجامعة في المدينة فكانت نقلة بعيدة. ولقد عصمه الله من بريق الحضارة الخادع ، فلم يرضع من لبنها قط. فلم يعاقر كأس خمر ، ولم يفكر في دخول السينما في حياته ، كما أنه لم يلعب بأي بنت ولم ينحرف (وما كان أيسر هذا كله عليه). والله عز وجل الفضل والمنة. والحقيقة أنه يعلم جيداً أن الإسلام لا يقتصر على مجرد الإيمان اللفظي بالله فحسب ؛ بل جاء للناس بمنهج تربوي كامل وشامل ، لشتى فروع التربية التي تستند إليها المجتمعات الإنسانية ، في عملية التقدّم والتطور نحو الأفضل ، وفي سبيل تحقيق ما يصبو إليه أفرادها من سعادة ونجاح ، وطمأنينة وسلام. يقول المفكر محمد عباس في نقده للحضارة الغربية ما نصه بشيء من التصريف: (الحضارة المادية الغربية ركيزتها أن مدينة الغرب تقوم على فلسفة القوة. وهذه من شأنها الاعتداء والتجاوز. ومن هنا تنشأ الخيانة. وإذن فهذه الحضارة وقصدها: المنفعة الخسيسة بدلاً من الفضيلة. وشأن المنفعة: التخاصم والتزاحم. ومن هذا تنشأ الجناية. وإن دستورها في الحياة: الجدل والصراع بدلاً من التعاون. وهذا من شأنه التنازع والتدافع. وإن رابطة الأساسية بين الناس: العنصرية والقومية السلبية التي تنمو وتتوسع بابتلاع الآخرين. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى التصادم. ومن هنا ينشأ الدمار والهلاك. ووسيلتها: تشجيع الأهواء والنوازع وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع: أي مسخ الإنسان وتغيير سيرته! وأما حضارة الإسلام فالحق فيها بدليل عن القوة. والحق من شأنه العدالة والتوازن. ومن هنا ينشأ السلام. وتكون الفضيلة بدلاً عن المنفعة. والفضيلة من شأنها المودة والتجاذب. ومن هنا تنشأ السعادة وتزول العداوة. ويكون التعاون بدلاً عن الجدل والصراع. وشأن هذا الدستور: الاتحاد والترابط اللذان تحى بهما الجماعات. وربطتها الأساسية بين الناس: الهدى وليس الهوى. وشأن الهدى الارتقاء بالإنسان إلى مراقي التكريم والكمال. وربطتها بين الجماعات البشرية هي: رابطة الدين والإيمان ، ومن شأن هذه الرابطة: الأخوة الخالصة بدلاً من العنصرية والقومية السلبية. والإنسان في الحضارة المادية الغربية فرعون طاغية. ولكنه ذليل ، ويتخذ كل شئ ينتفع منه رباً له. وهو متمرّد مسكين لأنه يرضى بالذل والهوان من أجل منفعة خسيسة. وهو غنى لكنه يفقد الإحساس بكل ما يملك. ولقد يكون شعباناً ممتلئاً لكنه فارغ جبار. لكنه عاجز في ذاته. كل واحد منهم سيد لعبد وعبد لسيد شره مسعور لتلبية رغبات النفس وإشباع هواها لأنه لا يحب سواها. وهو قاس وساخط مهما امتلك. وهو مستعد للتضحية بكل شيء في سبيل ذاته. يعيش حالة مرضية مستعصية: تبدل الحسّ وتخدر الشعور. مشتت الذهن. مغيب الوعي. شديد التعاسة لأن نهمه يجعله لا يشبع أبداً. وأما الإنسان في الحضارة الإسلامية فهو عبد. ولكنه عبد عزيز لله. لا يرضى بعبادة أعظم مخلوق. وهو هين لين. ولكنه لا يتذلل لغير الله تعالى. وهو فقير. ولكنه مستغن بما عند الله تعالى. قد يكون جائعاً محتاجاً لكنه ممتلئ. وهو ضعيف. ولكنه يستند إلى قوة سيده المطلقة. كل واحد عبد لله فقط وكل الناس متساوون. فنوع وقانع. رحيم وراض مهما فقد. مستعد للتضحية بذاته في سبيل دينه وأمته. ولأن هذا الإنسان مؤمن بأن ما يملكه من نفس ومال هو أمانة لديه. فإنه يسعى جاهداً لتسليم الأمانة لصاحبها. لذا فهو يشعر بغاية السعادة ما دام ملتزماً بما يأمره به ربه تعالى). إن التربية الروحية نواة التربية الإسلامية وجوهرها ، وقد قامت على قواعد قويّة ، وأسس متينة من شأنها توطيد أواصر الصلة بين المسلم وربّه ، وربط أسباب دنياه بأسباب آخرته. وقد رافقتها التربية الأخلاقية كظلاً ، ثم أكملت بالتربية الاجتماعية ، التي كانت بمثابة الطابق الثالث في بناء التربية في الإسلام. وإن أهمّ طاقة تنير هذا البناء: دوام ذكر الله وتسبيحه ، وتلاوة كتابه ، والاستقامة على عبادته ، والتضرّع إليه بالدعاء. إن من أبرز سمات تربية الإسلام الروحية ، الاعتدال والتوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، وأقرب مثال على ذلك العبادات التي تُعنى

بالجانبين الروحي والمادي في الإنسان ، وقد جُعِلت متنوّعة ومتكرّرة ليبقى المسلم على طهارة روحية متجدّدة تقرّبه من الله ، وتجذبه إليه كلّما نأت به ماديّات الحياة بعيداً عن الحضرة الإلهية. وقد ظهرت ميزة الاعتدال بشكل أوضح في كثير من الآيات. فالوسطية بين الروحانيّة المتطرّفة ، والماديّة المفرطة ، أمر تستدعيه حياة المجتمع ، والإسلام هو الذي تحقّقت فيه هذه الميزة: {وَكذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}. فأُنشِدت على لسان الفتى الواعي أقول:

لفظت السقول وأربابهُ وعفت السقوق وأسبابهُ
 وجاهدت نفسي ، فلم أرتكس وزايلت جيالي وأذنايه
 ولم أكرث ببريق الخنا وناصحت - في التو - طلابه
 فقلت: سراب ، فلا تفتتوا ورببي سيهزم كتابه
 هبوه تشامخ مسكبراً وجيش الحارب أحزابه
 وشمر عن ساعدٍ مبطّل وجهّز للقضم أنيابه
 وأغرى القطيع بتضليله وجمع للكيد أصحابه
 ولمع للناس أوصافه وزيّف للقوم ألقابه
 فهل نسيتين ونخشى الأذى؟ ونحيان ندعم أطنايه
 بماذا أفاد الخنا أهله لكي ينفع اليوم أغرابه؟
 يقال: حضارة غرب سما أقول: يُخرّب أرحابه
 يحارب - في الأرض - جيل الهدى ويؤمسي يُحطم ألبابه
 سيكشف جيل التقى زوره وسوف يدمر ألعابه

سراديب الأشجان

(عندما قسا عليه أبوه حاول الإصلاح فعجز. ثم صبر و عمد إلى الحيدة. وصاحب أباه بالمعروف. والتمس في سواه ما افتقده في أبيه ، فعانى وخذل. واستيقن أن خذلان أبيه كان أهون من نصرة سواه. فكانت سراديب من الأشجان ، وسلسلة من الأحزان يسوق بعضها إلى بعض. قال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ). قال البقاعي: ولما دلهم بآيات الآفاق ، وكانت كلها من أحوال السراء ، وكانت بمرعز الغفلة عن الإله ، (قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ بَارِدًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). ذكرهم بما في أنفسهم مما يوجب تغيير الأحوال الدالة بمجردا على الإله ، ويقتضي لكل عاقل صدق التوجه إليه ، وإخلاص النية لديه ، والإقبال عليه ، على ذلك ركزت الطباع ، وانعقد الإجماع فلم يقع فيه نزاع ، فقال: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه} أي حين ينسيكم الضر شركاءكم ، ويلجئكم إلى من خلقكم ويذهل المعطل عن مذهبه ويغفله عن سوء أدبه عظيم إقباله على قضاء أربه. ولما كانت الإجابة ذات شقين ، جلب السرور ، ودفع الشرور ، وكان النظر إلى الثاني أشد ، خصه بادئاً به فقال: {ويكشف السوء} ثم أتبعه الأول على وجه أعم ، فقال مشيراً إلى عظيم المنة عليهم بجعلهم مسلطين عالين على جميع من في الأرض وما في الأرض مشرفين بخلافته سبحانه ، ولذلك أقبل عليهم ، {ويجعلكم خلفاء الأرض} أي فيما يخلف بعضكم بعضاً ، لا يزال يجدد ذلك بإهلاك قرن وإنشاء آخر إلى قيام الساعة. ولما كان هذا أبين ، كرر الإنكار فيه مبتكراً لهم بالنسيان فقال: {إله} أي كائن أو موجود {مع الله} أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له. {قليلًا ما تذكرون} أي أن من أنجاكم من ذلك وحده حين أخلصتم له التوجه عند اشتداد الأمر هو المالك لجميع أموركم في الرخاء كما كان مالكا له في الشدة). هـ. فأنشدت أقول.

فَرَجٌ يَرَبُ الْكَرْبَةَ	وارحمني من ذي الغربة
وأجرني مماليقي	وأجرني في ذي النكبة
طالبت حتى أضنتني	حتى كانت كالحقبة
تحوي أشجانا تكوي	قلبا جافت به الدربة
والصحب انفضوا عني	سحقاً يا هذي الصحبة!
لم يحزن منهم خيل	لم يقدر حجم الكربة
كانوا صخرًا في دربي	كانوا أسياف الخيبة

كل من أذاني
 ما غطوا بأصواتي
 منهم أكثر من الشوكي
 لم أخصب إذ بعوني
 هم أدنى من إقلاقي
 بيني والصراخي بؤن!
 مهمما حاكوا من كيدي
 مهمما اشطوا أو زلوا
 وحدي ألقاهم شهماً
 للباغي يميوم آت
 من يظلم يلقى العقابي
 والعادل الحائلي أولي
 ضداً لا يلقى ضداً
 لا تحسب حيفاً يبيقي
 يوماً يمضي مدحوراً
 والعيش الهائلي يفتني
 والصيبي الشادي يُزوي
 والرفض الصادي يعو
 والطيبي الغاوي يخبو

كانوا للأعداء حربة
 إنني أخطأت الحسبة
 وحدي أدركت اللعنة
 ماذا تعطيني الغضبة؟
 لكن تكويني الندبة
 عاتق تقيدي النسبة
 مهمما قد كانوا عصبية
 مهمما صاغوا من كذبتي
 عبداً يساهمني ربه
 حتى إن زار التربة
 إلا إن كانت توبتي
 من جؤ في فيه الإربة
 فاللقيا جاداً صعبة
 أو يحييا بالمرزبة
 يجنني من طاع ضربة
 والدينا تمني عطبة
 خلف السواي والسببة
 يُودي جبراً بالرغبة
 خلف الهيجا والجربة

كلمة صغيرة (أرجوزة)

لم يُهَنِّ المعلمُ صاحبَ العلمِ والرسالةِ في زمانٍ مضى مثُلما أهينَ في زماننا. وما علا شأنُ المعلمِ المرتزقِ مثُلما علا في زماننا. وإنني لأعتذرُ كلَّ الاعتذارِ - للمعلمِ صاحبِ العلمِ والرسالةِ الذي أصبحَ حاله كحالِ من يبيعُ الحليبَ للناسِ في الطرقاتِ صباحَ مساءً. فهو يمرُّ على البيوتِ ، فمن أرادَ اشترى - ومن لم يردَ تركَ. إنها الإهانةُ للعلمِ والتعليمِ والمعلمِ ، أن يكونَ صاحبُ العلمِ هكذا. على حين ارتاح صاحبُ الارتزاقِ بالعلمِ وأمنَ في ماله وقوته. وإذا بأحدِ الهازلينِ كانَ قد التمسَ من يعلمُ بُنيتهِ علماً ، فذلُّ على الذي يصلحُ لذلكِ ، وبعدَ أيامٍ أخذَ يزدريه لا لشيءٍ إلا لأخلاقه وقيمه ، ولم يُصرخْ بعدُ عن مكنونِ صدره ، والذي يغلبُ على الظنِّ أن هذه النوعية إنما هي من النوعيات التي قد تعلمنتُ تصوراتها ، فأضحتُ ترى المعلمَ في قالبِ معينٍ ، وله ذوقِ معينٍ ، وله كلامِ معينٍ ، وله هنادامِ معينٍ! وتطلُّ على المعلمِ من مشربيةِ صنعتها الأهواءُ! وهذا الذوقُ وهذا القالبُ وهذا التصورُ وتلكِ المشربيةُ وهذه الإطالةُ وهذا الفهمُ وتلكِ الشروطُ وهذه المضامينِ مصنوعةٌ جميعاً على عينِ الجاهليةِ ومعجونةٌ بعفنِ العلمانيةِ ، ومن هنا اعتذرُ الأبُ اعتذاراً جاهلياً علمانياً ، تهضمُ معه الحقوقُ ، ويحتقرُ كلَّ خيرٍ تراه العينُ ، فكتبتُ هذه الأرجوزةَ الشعريةَ أعزي المعلمَ صاحبَ الرسالةِ! ورحتُ أبينُ له أن له عزاءً كبيراً في الأنبياءِ والمرسلينِ. ورحتُ أهمسُ في أذانِ المرابينِ والآباءِ أنهم إن قصدوا معلماً لأبنائهم أو لبناتهم طبعاً بضوابطِ شرعيةٍ مرعيةٍ فليبحثوا عن صاحبِ الرسالةِ القوي الأمينِ! المعلمِ (الكاريزمي) الذي جمعَ بين العقيدةِ والعلمِ!

مات الحياءُ ، وزال العُرفُ والخلقُ	وربقة الشرع في الأحشاء تحترقُ
ضاع الضميرُ ، فلا تقوى تهذبُهُ	ووازغ الدين قد جفت سحائبُهُ
وهمة النفس قد باءت بخيبتهَا	ونخوة القلب قد غصت بصدمتهَا
وعزمة الروح عانت هزل مُرتكسِ	يعيش مُنحدرًا في غيِّهِ الدنسِ
فليس يعرفُ شرعاً كي يُطبقهُ	لكن هُراء له جهراً يُنمقهُ
وعقله في بريق المال مُرتبط	وقلبُهُ بهشيمِ الفسوقِ مُغتبط
ونفسه قد رأت في الدعر ما عشقتُ	بضاعةٍ من ديار الغُهرِ قد وفدتُ
وثورة للخنا تكوي جوانحَهُ	وتلهب الحسرة الشجوا جوارحَهُ
مشاعرٌ خبئتُ ، ما عظمتُ حرماً	وأعينٌ ما رأت في دارها قيماً
وأحتمُّ من حرامِ المال منشأها	وأعبُدُّ في حضيضِ التيهِ مخبأها

وتشربُ الدعر إن غنيت عواهره
وزأدها المال ، والتدجيلُ مُفلسها
لكن تتوق إلى علم يُزينها
من بعد أن وهنت جداً حقيقة
حتى تزخرف بالإغراء معلمها
عمياء بين الورى ، والفلس قاندها
ثم استكانت له ، وليس يُكبرها
وليس في قلبها ظلٌّ من الوجيل
وكشفها لخفاء الحُسن يضطرهم
هو الفخور بما تأتي بُنيته
وكلموا انحدروا تلقاه مُنشرحاً
وكلموا عبثوا بالهـدي جاملهم
يا شؤم والدها! وبئس ما فعلوا!
وفي جوانحه التوحيد قد سُكبا
وفي الفؤاد إباءً لست تهزُمه
عبدُ الدراهم ، فالدينارُ مهلكه
وفي العقيدة نورٌ ما به شُبّه
باب الهداية خيرٌ جل فاتحه
ونفسه ربنا في الناس أكرمها

تهجو الحلال إذا لاحت بـوادره
طعامها الفن ، والتمثيلُ ملبسها
ليست تتوق إلى علم يُزينها
والعرضُ قد رخصت بالطبع قيمته
إذ تهجر الأمة الرعناء منزلها
تحتال للمال ، فالدولارُ سيدها
وقد تعرت تظن الفلاس يسئرها
بالقول قد خضعت من غير ما خجل
وبنتها خرجت ، وخلفها حمم
والوالدُ النذلُ قد ماتت رجولته
وبالفحول أتى لدرسيها فرحاً
وكلموا لعبوا بالبنت أكرمهم
وكلموا هزلوا فعنده رُفَعوا
حتى أتاك غضبُ الطرف مُحسباً
فوق الجبين حياءً لست تعلمه
وفي الشعور ضميرٌ ليس يُدرُكه
وفي العواطف عزٌّ ماله شُبّه
وفي الدغاول بأسٌ عز مانحه
ذي نعمة ربنا عليه أنعمها

كَيْلَا يَكُونُ لَكُمْ لَوْ بَعْضُ تَخْطِئَةٍ
وَمَنْ سَنَا جُودَهُ فِي الْخَلْقِ آسَرْنَا
وَفِي اللُّغَاتِ ضَالِغٌ ، فَالْحَقُوا الْبَطْلَا
وَمِنْ طَرِيقَتِهِ وَسَمْتِهِ سَخِرُوا
بَعْدَ الْمَلِيكَ ، وَفِي الْأَشْعَارِ أَنْتَ يَدِي
وَفِي النِّفَاقِ لَهُمْ مَوْجٌ بِهِ زَبَدُ
وَأَظْهَرُوا كَيْدَهُمْ فِينَا وَمَا احْتَجَبُوا
وَنَحْنُ أَضْعَفْنَا التَّخْذِيلُ وَالْهَرَجُ
لَسْنَا نُرِيدُ الَّذِي الْإِيمَانُ يَكْلَأُهُ
وَإِنْ يُكَلِّفُنَا مَا كَانَ أَحْسَنَهُ
وَفِي الْيَمِينِ جُنْتُ (سِيجَارَةَ) الْفَطْنِ
حَلِيقُ دَيْنٍ وَصَدَغُ سَادُنُ الصَّنَمِ
وَمِنْ عِبِيدِ الْخَنَاءِ يُزْجِي تَقْزَرُهُ
أَرَاكَ لِلشَّرْعَةِ السَّمَاءِ مُفْتَقِرًا
طَمَنُّنُ فَتَاتِكَ أَنِّي لَسْتُ مَرْتَزِقًا
هَلْ مِثْلَكُمْ يَا غَثَا يَدْرِي بَعَارْفَتِي؟

هُوَ الْحَدِيثُ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَزْكِيَةٍ
حَتَّى أَتَاكَ الَّذِي زَكَاهُ شَاعِرُنَا
وَقَالَ: هَذَا الَّذِي عَلَّمْتَهُ رَجُلًا
وَعِنْدَمَا زَارَهُمْ - يَا سَيِّدِي - مَكَرُوا
لَا تَتَدَمَّنْ عَلَيَّ مَا قَلَّتْ يَا سَنَدِي
فَهُؤُلَاءِ عَلَيَّ التَّضَلِيلُ قَدْ مَرَدُوا
قَوْمٌ عَلَيَّ سَاحَةُ التَّهْوِيدِ كَمْ لَعَبُوا!
إِنِّي أَرَاهُمْ عَلَيَّ أَشْلَانْنَا بِرَجْوَا
يَقُولُ قَاتِلُهُمُ وَالْعُجْبُ بِي مَالَهُ:
إِنَّا نُرِيدُ الَّذِي الْمَوْضِعَاتُ دِيدْنَهُ
فِي الْجَيْدِ عَقْدُ الْهُوَى ، وَالْقَرْطُ فِي أَدْنِ
وَفِي الشَّمَالِ بَدَتْ نَافُورَةُ الْقَلَمِ
فَقَالَ صَاحِبُنَا بِيَدِي تَعَزَّرَهُ
يَا عَابِثًا سَمَجًا فِي جَهْلِهِ أَسِرَا
أَرَاكَ فِي رِبْقَةِ الْأَوْثَانِ مُحْتَرِقًا
فَلَنْ أَبِيعَ لَكُمْ دِينِي وَعَاطَفْتِي

(المؤلف في سطور)

* (الشاعر // أحمد على سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية – محافظة بورسعيد في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرج من كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - دفعة مايو سنة 1985م.

* له اهتمام بالغ بالأدب الهادف الجاد: نشره وشعره ونقده. له صفحة يومية بجريدة (الوحدة) الصادرة في (أبو ظبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة عنونها: دوحة الوحدة الأدبية ، موضوعها هو الأدب العربي تراثه أصالته ونهضته وتطوره.

* صدر للشاعر ديوانان : * الأول بعنوان (نهاية الطريق) ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وهو باقة من القصائد ذات الطابع الاجتماعي والنقدي البناء ، ويغلب على جُلها الإيقاع الوجداني ذو الخلفية الدامعة الباكية.

* والثانى : بعنوان (عزيز النفس – قصائد إلى عيني) ، وهو باقة من القصائد الجنائزية ذت الإيقاع الشجين ، حيث إنني كتبتها على سرير المرض ، عقيب حادث سيارة أسفر عن إصابتي في مقتلتي اليسرى ، وأحدث ذلك عندي ما يعرف بأنه قشعريرة الشعر ، فكتبت على كل بحور الشعر العربي أصيلها وكذلك مولدها وما يسمى زورا وبهتاناً بشعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر الحر أو الشعر الحديث ، وكلها تسميات لهراء دخيل على لغة العرب ، وإنما دعاني لمحاكاتها ضرورة التصنيف الفني فقط. حتى أكون قد رثيت عيني بكل بحور وأوزان شعر العرب ، حتى ما هو دخيل عليهم! فأكون قد رثيت عيني - التي فقدت الإبصار من جراء ذلك الحادث - بكل أنواع الأوزان! * للشاعر دوواين أخرى قيد الصف والإخراج والإعداد والبرمجة منها:

1 – سويغات الغروب

2 – الأمل الفواح

3 – ترنيمة على جدار الحب

4 – القوقعة الدامية

* وللشاعر دراسات في النقد الأدبي قيد الصف والإخراج منها:

1 – قراءة أسلوبية في شعر عنتر بن شداد العبسى

2 – قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري

3 – قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية دراسة نقدية

وعسى الله أن ينفع بما نقول ونعتقد ونكتب. أمين.

علامة استفهام

(إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. الحمد لله الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، الخلاق العليم الذي يعلم السر وأخفي: الأول فليس قبله شيء ، والآخِر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء. الأول الذي لم يزل موجوداً بصفات الكمال والجلال والجمال ، وهو الفتح العزيز القهار ، لا يزال مستمراً سرمدياً بلا انقضاء ولا زوال: ، ولا انفصال: يعلم دبیب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، ويعلم عدد الرمال ، وهو العلي الكبير المتعال العلي العظيم الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ، ورفع السماوات بغير عمد ، وزينها بالكواكب الزاهرات وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وسوى فوقهن سريراً شرجعاً عالياً منيفاً متسعاً مقبباً مستديراً وهو العرش العظيم ، له قوائم عظام ، تحمله ملائكة الرحمن الكرام ، ولهم زجل بالتسبيح والتقدیس والتهليل والتعظيم ، وكذا أرجاء السماوات مشحونة بالملائكة ، يفد منهم في كل يوم سبعون ألفاً إلى البيت المعمور بالسماوات الرابعة لا يعودون إليه إلى قيام الساعة ، وهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم. ووضع الأرض للأنام على تيار الماء ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وقدر فيها أقواتها ، في أربعة أيام سواء للسائلين ، وذلك قبل خلق السماء ، وأنبت فيها من كل زوجين اثنين ، دلالة للألباء من جميع ما يحتاج العباد إلى وجوده في شتاتهم وصيفهم ، وفي ربيعهم وخريفهم. ولكل ما يحتاجون إليه ويملكونه من حيوان بهيم. وبدأ خلق الإنسان من طين ، فخلق بيده الكريمة آدم أبا البشر ، وصور جثته ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة ، وخلق منه حواء أم البشر فأنس بها وحدته وأسكنهما فسيح جناته ، وأسبغ عليهما نعمته ، ثم أهبطهما إلى الأرض لما سبق في ذلك من حكمة الحكيم ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، فجعل نسله من سلالة من ماء مهين في قرار مكين ، إلى قدر معلوم فجعله سمياً بصيراً بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، وشرفه بالعلم والتعليم. وقسم آدمية بقدرته ملوكاً ورعاة وأغنياء وفقراء وأحراراً وعبداً ، وجوار وإماء ، وأسكنهم أرجاء الأرض طولها والعرض ، وجعلهم خلانف فيها ، يخلف البعض منهم البعض ، إلى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم ، وسخر لهم الأنهار من سائر الأقطار: تشق الأقاليم إلى الأمصار ما بين صغار في الأرض وكبار على مقدار الحاجات والأوطار ، وأنبع لهم العيون والآبار، وأرسل عليهم السحاب بالأمطار فأنبت لهم سائر صنوف الزرع والثمار ، وآتاهم من كل ما سألوه ، بلسان حالهم ولسان مقالهم وقال لهم: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) ، فسبحان الكريم العظيم الحليم. وكان من أعظم نعمه عليهم وإحسانه إليهم ، بعد أن خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبيل وأنطقهم أن أرسل لهم رسلهم المبشرين والمنذرين إليهم ، وأنزل مع الأنبياء والرسل الكتب المبينة للحلال والحرام والمفصلة للأخبار والأحكام ، بل والمفصلة لكل شيء في المبدأ والمعاد إلى يوم القيامة ، فالسعيد من قابل الأخبار بالتصديق والتسليم والأوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم ففاز بالنعيم المقيم ، وزحزح عن مقام المكذبين من الجحيم ذات الزقوم والحميم والعذاب المهين الأليم ، أحمده حمداً يملأ أرجاء السماوات والأرضين دائماً أبد الأبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين في كل ساعة وآن ووقت وحين كما ينبغي لجلاله العظيم وسلطانه القديم ووجه الكريم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ولد له ولا والد له ، ولا صاحبة له ، لا نظير له ولا وزير له ولا مشير له ولا عديد ولا نديد ولا قسيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحببيه وخليته ، المصطفى من خلاصة عرب الأرض وعجمها: العرب العرباء من الصميم ، خاتم الأنبياء وكذا صاحب الحوض الأكبر الرواء ، صاحب الشفاعة العظمى يوم العرض الأكبر يوم القيامة ، وحامل اللواء الذي يبعثه الله المقام السامي المحمود الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى الخليل إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وعلى

سائر الأنبياء والمرسلين ، أزكى صلاة وتسليم وأعلى تشريف وتكريم ، ورضي الله عن جميع أصحابه الغر الكرام السادة النجباء الأعلام ، خلاصة العالم بعد الأنبياء ، ما اختلط الظلام بالضياء ، وأعلن الداعي بالنداء وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم.

أما بعد: فإن علامة الاستفهام التي تناولتها في ختام ديواني: (القوقعة الدامية) هي الإجابة عن سؤال حائر هو (لماذا كان عنوان الديوان بهذا الاسم – القوقعة الدامية؟) والحقيقة أن هذا العنوان لم يكن في خاطري يوم شرعت في كتابة الديوان وصياغته ، كما أنه لم يدر في خيالي ولم يداعب مشاعري ولم يخطر على بالي! نعم لم أكن أتخيل أن يكون لي ديوان يحمل الاسم ذاته: القوقعة الدامية! ولقد أشرت من قبل أن سبب التسمية هي قوقعة مدماة مسكينة تعيش بيننا – مثلها مثل كثير من القواقع الدامية التي لم تحاول – ولو مرة – أن تستوقف النفس وتسالها أسئلة ثلاثة: (لماذا خلقت؟ وإلى أين تسير؟ وما هي النهاية؟) ، قوقعة بدلت نعمة الله كفرا ، وأحلت قومها دار البوار إن لم تتب وتستسلم لله استسلاما لا عصيان معه ولا عدول ولا مخالفة عن أوامره: تستسلم لله عز وجل بالتوحيد ولرسوله بالطاعة والاتباع. والقوقعة كما يفهم من اللفظ وإيقاع حرفه يملؤها الهواء ، وإنما يبدو للحمقى أنها الشئ بينما هي في حقيقة أمرها ليست بالشئ. وعسى الله أن تفيئ القواقع كلها ، وتعود إلى الرشد والحق وتتبصر السبيل ، وتقلع عن السراب والهاوية والضياح ، قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله. أقول في الختام: إن البحر حي يحب الحياة ويحب الأحياء وينفعل لكل حي ، ويلفظ من كل أعماقه الموت والتهيه والموتى الذين لا حياة فيهم ولا أرواح تميزهم عن عالم الجمادات. ومن أجل ذلك فقد لفظ البحر بأواجه العارمة كل قوقعة ليست تدرك طبيعته الحياتية تلك ، نعم لفظ البحر الموت والخواء ، لفظ التيه والركام والضياح والشروود والسراب ، حملت أواجه كل هذه الأشياء ، وألقته بعيدا هنالك على الشاطئ عند الرمال ريثما تكمل دورتها وتعود إلى أمها الحانية (الأرض) ، فيا أيتها القواقع في مشارق الأرض ومغاربها: (أما أن لكن أن تخشع قلوبكن لذكر الله وما نزل من الحق؟) ، أيتها القواقع: اعلمن أن سنن الله الربانية لا تحابي ولا تجامل ، بل هي سنن ثابتة: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) ، (وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) ، (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً ، أعد الله لهم عذاباً شديداً ، فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً) ، (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) ، (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون ، فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) ، (وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) ، (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة وهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) ، (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير). نفع الله بما كتبنا ونكتب وما سنكتبه في قابلات الأيام! إن القوقعة الدامية كانت قد قلاها البحر الذي نرى على الغلاف ، وصارت - بارادتها واختيارها - نسياً منسياً لأن الحياة قد انعدمت ، وقد انقطع أرب العين في أدنى شئ من النظر إلى قوقعة أشبه ما تكون بدمية الصغار، قلاها البحر لأن البحر حي بطبيعته وليس يحب سوى الأحياء! قلاها في ساعة من ساعات الغروب ولم يبال بها ولا بمن وراءها. وصدق فيها قول الشاعر الجهبذ أبو نواس: (إذ أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها ، كانت على الناس أهونا). قالت الأستاذة سندس عبد الرحيم هرفيل في التعريف بالنفس وحقوقها ما نصه بتصريف: (هل لديك قدرة على الابتسام في

وجه من لا يحبك؟ هل لديك القدرة على التخطيط لمواجهة من يسدد لك لكمة قاضية؟ ما الذي يجعلك مستاء من نفسك؟ عليك أن تعلم أن رسم حدود الذات يبدأ في أي وقت ، لا يوجد هناك شيء اسمه. لقد تأخرت! إبدأ بنفسك أولاً ، ثم رتب أمورك مع المحيطين بك. اجلس مع نفسك ، وراجع أهم الأحداث التي مرت في حياتك ، وقد يفيدك أن ترسم دائرة على ورقة ، أنت في مركزها ، ضع داخل الدائرة أي شيء تحبه ، هواية أو شخصاً تفضل التعامل معه ، أو مكاناً محبباً أو ذكرى جميلة. وضع خارج الدائرة عكس كل ما سبق ، ضع كل الأمور السلبية والمعوقات خارج الدائرة. ابدأ بالنظر إلى هذه الخارطة ، إنها أنت ، كل ما في داخل الدائرة هي مصادر قوتك ، وكل الأشياء خارج الدائرة ، هي مصادر التحفيز. عملك الآن هو أن تستغل العناصر التي داخل الدائرة للتغلب على العناصر خارج الدائرة. وشيئاً فشيئاً سوف تتحول كل هذه العناصر السلبية ، إلى عناصر إيجابية وتصبح كلها داخل الدائرة ، وتزداد عناصر قوتك الذاتية ، ومتى ما زادت قوتك ، ازداد اعتزازك بنفسك واحترامك لذاتك. لا تأت بأي عمل ما لم تكن مقتنعاً به تمام الاقتناع ، أنت لست مضطراً للتنازل عن أي شيء من حدودك لإرضاء الآخرين ، إلا إذا كانت الفائدة المرجوة تستحق العناء. وعليك أن تعطي دائماً تبريرات لنفسك. عن أي خطأ غير مقصود ، لا تعط مبررات للآخرين ، فإذا كانوا يُقدرون قيمتك ، فسوف يجدون لك عذراً. وأخيراً لا تطلب أي شيء من أي أحد ، إلا إذا كنت متأكداً أن هذا الشخص قادر ضمن إمكاناته وحدوده على تلبية طلبك ، وإياك أن ترجو أي أحد إلا مرة واحدة وبصيغة مهذبة. علمتني الحياة أن كلمة أرجوك لا تقال إلا مرة واحدة ، فإذا لم تلق أذنأ صاغية عليك بالانصراف والبحث عن منفذ آخر لمشكلتك).هـ. ومن هنا أقول بأن القوقعة الدامية هي كل نفس أعرضت عن ذكر الله وما نزل من الحق ، وكل جيل ينتكب الطريق إلى الله فلا يسلكه ، ويفضل التخبط في قيعان الرذيلة ، والصعود إلى السراب والإفلاس والهاوية على النور ، وكل طليعة تترك هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وتتبع أراء أساتذتها ومعلميها وسدنتها بغير هدى من الله ولا كتاب منير. أما الطليعة التي تستهدي بكتاب الله وسنة رسوله وتسترشد بفقهِ علمانها الموافق والمتبع لكتاب الله وسنة رسوله ، فمثل هذه الطليعة لا تدخل في تعميمنا هذا! حق كتاب ربها تعالى ووفق سنه نبيها صلى الله عليه وسلم ، وفق ما يراه سلف أمتنا الكرام! ونحن هنا نهمس في آذان القواقع الدامية أن تعود إلى الصواب وأن تراجع حساباتها. والله تعالى يقول الحق وهو سبحانه يهدي السبيل.

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – القوقعة الدامية

الصفحة	القافية	البحر	عنوان القصيدة	مسلسل
9	دء			إه
11	ام		ويه	تن
13	ة		دم	م
14	ة	ي	ت	الإفت
19	لاف		وع الغ	مو
21	تفوخ	الكامل	الغمام الصيب	1
24	لا تراعي	الرملم	أنين القلم	2
26	المهزلة	الكامل	غدير الأفق	3
28	ولا خيار	الكامل	أضغاث أحلام	4
29	القمم	الوافر	المجد المخذول في دنيا البيهتان	5
32	القلم	الوافر	أراجيف الغربية	6
34	قلمي	البسيط	قصيدة ، ولكن هواء!	7
35	والأمجاد	الخفيف	مخالب الأطياف	8
36	الجمرة	الخفيف	عربون الرحيل	9
39	منقلب	الرملم	الناقة والسايس	10
41	المحن	البسيط	الغزال الأبكم	11
42	كؤوسا	الخفيف	ضمير ومواقف	12
44	السراب	الكامل	بكاء الذكريات	13
46	لا دخول	الكامل	الحمو الموت	14
48	الهاوية	الكامل	عمائم الدخان	15
50	المأثرة	الكامل	ليلى والماضي	16
54	والمنايا	الوافر	المساء	17
56	خطاها	الوافر	الشمعة الباكية	18
58	بالكفاف	الكامل	الوعد الملتهب	19

60	الفكاك	الكامل	فيضان الانفعال	20
62	أكبر	الوافر	الإملاق الأبكى	21
64	في المحال	الوافر	غمائم المجهول	22
66	يجامل	الطويل	استعلاء في دنيا الانكسار	23
67	المختارا	الخفيف	تحية للشاعر (عبد الحميد الخطيب)	24
69	السبع	المتقارب	ميلاد الفزع	25
71	لا تمتعض	الكامل	صرير الأفعوان	26
73	المحن	الكامل	شؤون وشجون	27
75	القناع	الكامل	دروب وحروب	28
77	الجماد	الكامل	أشلاء وأشياء	29
79	الدفين	الكامل	أسطورة الفاشلين	30
81	العلاج	الكامل	بيت القصيد	31
83	كالمك	الكامل	السحاب الهزيل	32
85	الظلام	الكامل	محاورات ومناورات	33
87	بانحة	الكامل	مسافر ، ولكن يعود	34
90	والحمام	الرمل	الغدر الجامح	35
92	الهشيم	المجتث	سلعة من هواء	36
94	كل صديق	المتقارب	بريق الأشجان	37
96	صابرة	المتقارب	الليلة المطيرة	38
98	الهوان	الكامل	الناس معادن	39
100	مغتبط	الكامل	الأيام دول	40
102	الرموس	المتقارب	صمت الرقاد	41
103	فلا تنتحب	المتقارب	عرقوب الغربية	42
106	الرياح	المتقارب	أنين الوشاح	43
108	العميم	الكامل	جلباب الرحيق	44
110	الأماني	الرمل	دفاع الأعاصير	45

112	والأعصر	المتقارب	المحطة الأخيرة	46
113	حي	الرمل	دموع يحبسها الإباء	47
115	الآلام	الكامل	تحية للشاعر محمد المجذوب	48
116	الشقاق	الرمل	نحيب المآقي	49
118	الحرابة	الرمل	سراديب اللظى	50
120	الصراحة	الرمل	اعتذار الحيتان	51
122	والهوى	الرمل	دموع الخريف	52
124	البلاء	الرمل	أراجيف الشتاء	53
127	والأسف	الرمل	رموز وإشارات	54
129	عيوني	الوافر	من نافذة الشعور	55
131	ينشرخ	الكامل	للبيت رب يحميه	56
133	العلو	الكامل	كل معروف صدقة	57
135	الأخايد	البسيط	وجه من جليد	58
137	الربيع	المتقارب	الربيع الضاحك	59
139	الكلام	الوافر	البدر ليلة التمام	60
141	الصدور	الكامل	أنذرتهم ، ولكن!	61
143	قيح الخبال	الرمل	صيف الأغاريد	62
145	الدروب	الكامل	قوافل الدموع	63
147	الكوابيس	البسيط	دموع إبليس	64
149	حياتي	الرمل	ولانت حين مناص	65
151	وأنت حية	الوافر	(القوقعة الدامية)	66
158	يغتنم	الرمل	في أوراق الماضي	67
163	الأسنة	الوافر	وحمزة لا بواكي له!	68
165	المهيب	المتقارب	الأمل الكنيب	69
167	محن	البسيط	لا تنبشي يا أختاه دموعي!	70
169	بالإبداع	الكامل	تحية للشاعر كامل أمين	71

171	الأفق	الكامل	من وحي الطبيعة	72
173	طعينا	الرمل	تماسيح الظلام	73
175	بئيس	الكامل	الصديق المخذول	74
177	حبري	الرمل	الفيروز المصعوق	75
179	خزب	الكامل	التوبة المزعومة	76
186	الحياذ	الكامل	الآن حصص الحق	77
188	الأريخ	الكامل	في ظلال النخيل	78
190	وتشتبك	الكامل	حوار مع جبل عرفات	79
193	أرتعد	الكامل	دمعة عند الكعبة	80
196	الخمخ	الرمل	حراء	81
199	استرشد	الكامل	القصيدة الدالية (مولد النور)	82
205	ولا أمر	الطويل	قال: (معاذ الله!)	83
207	الخطوب	الخفيف	ثم قست قلوبكم	84
209	البراعم	الطويل	فأما اليتيم فلا تقهر	85
212	جهير	الخفيف	أصنام وعاكفون	86
216	المطر	الرمل	خلجات في النفس	87
219	مضمرا	الطويل	عبرة غالية الثمن!	88
222	مجيد	الخفيف	الإسلام هو الحضارة	89
227	أبكم	الطويل	دكتور يعمل لحساب شيطون!	90
229	الدرخ	الرمل	في حانوت الدمى	91
231	الفجاج	الكامل	بيت من الزجاج	92
233	الركب	الطويل	الحذر الحذر من التطويح	93
235	الإجحاف	الخفيف	الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ	94
237	الحتوف	الرمل	وللأفعى حفيف	95
239	النوم	المتقارب	ترجمة الحقائق	96
241	والجيف	البسيط	هذيان الغايات المراهقات	97

243	وانفعالي	الخفيف	أشياء في ظل الحب	98
245	لا ينطفي	الكامل	سُويغات الهوى المجنون	99
247	وكبّر	المتدارك	قدوم العيد	100
249	الكرى	الرمل	فرحة العيد	101
251	المنى	المديد	البحر المديد والعيد السعيد	102
253	أعلم	الطويل	من نفحات الأضحى	103
255	لميسا	الخفيف	هذا بعض أنين زوج	104
257	يختلف	السريع	مفاجأة انعكاس الحقائق	105
259	وشعاري	الخفيف	طموح الرؤية القصوى	106
261	فاستكف	الوافر	من ركام هذيان حرف	107
264	الشوارد	الطويل	الصعايدة وصلوا	108
278	نور القمر	المتقارب	محطات السفر	109
281	الفتي	المتقارب	في دجى البحر	110
283	وأسبابه	المتقارب	بريق الحضارة	111
285	ذي الغربية	الرجز	سرديب الأشجان	112
287	قافية منوعة	البسيط	كلمة صغيرة (أرجوزة)	113
290	ور	ط	وُلّف في س	الم
292	ام		ة است ف ه	علام
294	وسيقى	رد الم	رست الق صائد - المس	فه

تم بحمد الله وتوفيقه ديوان (القوقعة الدامية)

تنوية هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية

(إدارة الإيداع القانوني)

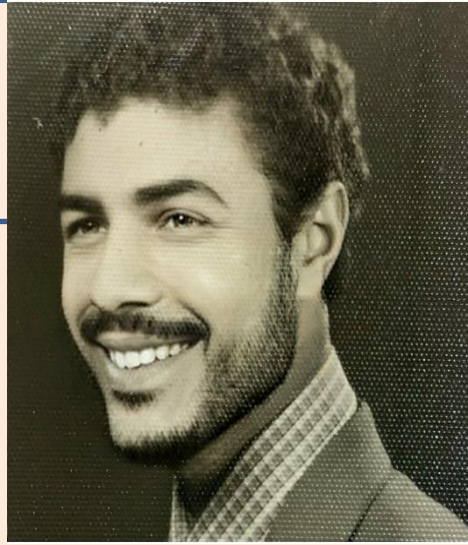
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م

بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

800 ، 811

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبٌ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالعابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خانك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فض فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقيلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى دانة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانية شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن نندع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرثُ عمَّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعريّة سليمانيّة (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانيّة في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!